



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغفلة



الرأيا
عليكم يا صابغين

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

تداعيات الثورة الإسلامية في العالم الإسلامي

بإشراف
م. باقر شريف



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تداعيات الثورة الاسلاميه فى العالم الاسلامى

كاتب:

منوچهر محمدي

نشرت فى الطباعة:

جامعة المصطفى (صلى الله عليه وآله) العالمية

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١١	تداعيات الثورة الاسلاميه فى العالم الاسلامى .
١١	مشخصات كتاب .
١١	اشاره .
١٤	تداعيات الثورة الإسلاميه فى العالم الإسلامى .
١٥	كلمه الناشر .
١٧	الفهرس .
٢٧	الديباجه .
٢٩	المقال الأول - محاور عامه .
٢٩	اشاره .
٣١	الفصل الأول المقدمه .
٥٧	الفصل الثانى خصائص الثورة الإسلاميه .
٥٧	١- الثورة الإسلاميه فى آراء المفكرين .
٦٤	٢- الثورة الإسلاميه الإيرانيه مقارنه مع ثورات العالم الكبرى .
٧٣	٣- البُعد العالمى للثورة الإسلاميه .
٧٦	٤- الثورة الإسلاميه وتصدير الثورة .
٧٦	اشاره .
٧٧	أ) النظريات المطروحه فى مجال تصدير الثورة .
٧٩	ب) الفهم المتعدّد الوجوه لتصدير الثورة .
٨٢	ج) تصدير الثورة من وجهه نظر الإمام الخمينى رحمه الله .
٨٨	د) إستراتيجيه تصدير الثورة .
٩١	هـ) تصدير الثورة فى تعريف آخر .
٩٧	و) تصدير الثورة فى دستور الجمهوريه الإسلاميه .
٩٩	المقال الثانى - تداعيات الثورة الإسلاميه .

٩٩	اشاره
١٠١	المقدمه
١٠٧	الفصل الأول - تطورات النظام الدولي بعد انتصار الثورة الإسلاميه
١٠٧	اشاره
١٢٢	نظام صراع الحضارات
١٢٤	الحضاره والثقافه وعلاقه إحداهما بالأخرى
١٢٨	التعارض بين أمريكا وأوروبا
١٢٩	صراع الحضارات أم حوار الحضارات
١٣١	صحوه ووعى الشعوب
١٣٨	أحداث الحادى من سبتمبر وتأثيرها على النظام الدولي
١٤١	مستقبل النظام الدولي
١٤٢	تداعيات الثورة الإسلاميه فى العالم الإسلامى
١٤٥	الفصل الثانى - منطقه الخليج الفارسى
١٤٥	اشاره
١٥٤	العراق
١٥٤	اشاره
١٥٧	تعامل العراق مع الثورة الإسلاميه الإيرانيه
١٧٣	السعوديه
١٧٣	اشاره
١٧٤	العلاقه بين الحكومتين قبل الثورة
١٨١	الحجّ والثوره الإسلاميه
١٨٦	الشعب السعودى والثوره الإسلاميه
١٩٨	الكويت
١٩٨	اشاره
١٩٨	النظام السياسى
١٩٩	علاقات إيران والكويت قبل الثورة الإسلاميه الإيرانيه

٢١١	البحرين
٢١١	اشاره
٢١٥	العلاقات الإيرانية البحرينية قبل انتصار الثورة
٢١٧	العلاقات الإيرانية البحرينية بعد انتصار الثورة
٢٢١	آثار الثورة الإسلامية على الشعب والحركات الشعبيه
٢٢٩	الفصل الثالث
٢٢٩	بلاد الشام
٢٢٩	اشاره
٢٢٩	سوريا
٢٢٩	اشاره
٢٣٠	علاقات البلدين قبل الثورة الإسلامية
٢٣١	علاقات البلدين بعد الثورة
٢٣٧	الجماعات والحركات
٢٤٣	الأردن
٢٤٣	اشاره
٢٤٣	تاريخ العلاقات الإيرانية الأردنية
٢٤٥	العلاقات السياسييه مع إيران بعد الثورة الإسلامية
٢٤٨	العلاقات الثقافيه والاجتماعيه
٢٥٠	أسباب تقارب الأردن مع البلدان الكبرى في المنطقه ومن بينها إيران
٢٥١	لبنان
٢٥١	اشاره
٢٥٣	تاريخ العلاقات الإيرانية اللبنانيه قبل الثورة
٢٥٧	دراسه تأثير الثورة على لبنان بعد انتصار الثورة الإسلامية
٢٦٠	دور الأحزاب والحركات في لبنان
٢٦١	حركه أمل
٢٦٣	حزب الله

٢٦٤	ظهور حزب الله في الساحه السياسيه - العسكريه اللبنانيه
٢٦٧	فلسطين
٢٦٧	اشاره
٢٦٨	تاريخ وجغرافيا فلسطين
٢٧٣	علاقات إيران ومنظّمه التحرير الفلسطيني قبل الثوره
٢٧٤	الثوره الإسلاميه وتداعياتها في فلسطين
٢٧٦	الثوره الإسلاميه ونضال الشعب الفلسطيني
٢٨٠	ممهّدات تبلور حركه الجهاد الإسلامى
٢٨١	تبلور وتأسيس حركه الجهاد الإسلامى
٢٨٦	حركه المقاومه الإسلاميه (حماس)
٢٨٩	آراء ومواقف حركه المقاومه الإسلاميه حماس حول الثوره الإيرانيه
٢٩٠	الانتفاضه، ذروه تأثير الثوره الإسلاميه على فلسطين
٢٩٣	الفرق بين الانتفاضه الثانيه والأولى
٢٩٧	الفصل الرابع - شمال أفريقيا
٢٩٧	مصر
٢٩٧	اشاره
٢٩٧	علاقات إيران ومصر قبل الثوره
٣٠٠	تداعيات الثوره الإسلاميه في المجتمع المصرى
٣٠٧	تونس
٣٠٧	اشاره
٣١٠	الصحوه وإحياء الاتجاه الإسلامى
٣١٧	النموذج العملى للحكومه الإسلاميه
٣٢١	علاقات إيران وتونس بعد انتصار الثوره
٣٢٣	الجزائر
٣٢٣	محاور عامه حول الجزائر
٣٢٣	الموقع الجغرافى - البشرى

- العلاقة مع إيران ٣٢٥
- نمو الحركة الإسلامية في الجزائر ٣٢٧
- جبهه الإنقاذ الإسلامي وتقوية الموجه الإسلامي ٣٣٢
- المقال الثالث- الحصيلة والنتيجه ٣٣٧
- اشاره ٣٣٧
- أ) الانعكاس العام للثوره الإسلاميه ٣٣٨
- ١- الدول ٣٣٨
- ٢- الشعوب ٣٤١
- ب) النظام الدولي ٣٤٢
- اشاره ٣٤٢
- ١- احياء الإسلام كدين جامع وعالمي ٣٤٣
- ٢- زوال نظام القطبيه الثنائيه وظهور تحديات للانظمه الحاكمه في الغرب ٣٤٣
- ٣- تغيير خطاب الصراع الدولي ٣٤٣
- ٤- التحرك العالمي للمستضعفين ضد المستكبرين ٣٤٤
- ٥- طرح الإسلام السياسي كخطاب جديد ٣٤٤
- ٦- نفى التبعية للغرب ٣٤٥
- ٧- العالم الإسلامي هو القدره الصاعده في النظام العالمي ٣٤٦
- ٨- تغيير معايير القوه في النظام الدولي ٣٤٦
- ٩- طرح ثلاثه عناصر هي المعنويه والاخلاق والعداله في النظام الدولي ٣٤٧
- ١٠- بدايه الحمله على العالم الإسلامي ٣٤٧
- ١١- عوده مجد وعظمه الحضاره الإسلاميه ٣٤٨
- ١٢- تغيير خطاب الثوره ٣٤٨
- ١٣- الجمهوريه الإسلاميه نموذج من النظام السياسي الإسلامي والقدره الاقليمي ٣٤٩
- ١٤- زعماء الثوره الإسلاميه نماذج جديده للزعامة ٣٤٩
- ١٥- طرح اللاهوت التحرري ٣٥٠
- ج) تداعيات الثوره الإسلاميه على العالم الإسلامي ٣٥٠

٣٥٠	اشاره
٣٥٣	الأول) انعكاس الثورة الإسلاميه على الشيعة
٣٥٤	الثاني) انعكاس الثورة الإسلاميه على أهل السنه
٣٥٤	اشاره
٣٥٧	١- تفسير خصوصيات وصفات الحاكم (ولى الأمر)
٣٥٧	٢- فتح باب الاجتهاد
٣٥٨	٣- استقلال علماء الدين عن الدوله
٣٤٤	١- الصحوه الإسلاميه
٣٤٥	٢- تعزيز روحيه مناهضه الاستكبار
٣٤٥	٣- إيجاد الشعور بالغرور
٣٤٥	٤- المساجد مراكز الانشطه السياسيه
٣٤٤	٥- انتشار النهضات الإسلاميه التحرريه فى مجتمعات أهل السنه
٣٤٧	٦- السلوك الدينى
٣٤٧	٧- الحساسيه الإسلاميه
٣٤٧	٨- حمايه المقدسات الإسلاميه
٣٤٧	٩- المطالبات السياسيه
٣٤٨	١٠- المشاركه الدوليه
٣٤٨	انفجار النور
٣٧١	المصادر والمراجع
٣٧١	المصادر الفارسيه
٣٨٢	المصادر الاجنبيه
٣٨٧	تعريف مركز

مشخصات كتاب

سرشناسه: محمدى ، منوچهر، ١٣٥

عنوان قراردادى : بازتاب جهانى انقلاب اسلامى . عربى

عنوان و نام پديدآور: تداعيات الثورة لاسلاميه فى العالم الاسلامى / منوچهر محمدى .

مشخصات نشر: قم: مركز المصطفى صلى الله عليه و آله العالمى للترجمه والنشر، ١٤٣٢ق ١٣٩٠.

مشخصات ظاهرى: ٣٦٨ ص.

شابك: ١-٥٧٧-١٩٥-٩٦٤-٩٧٨

وضيقت فهرست نويسى: فييا

يادداشت: عربى .

يادداشت: كتابنامه: ص. ٣٥٧ - ٣٦٨؛ همچنين به صورت زيرونويس.

موضوع: ايران -- تاريخ -- انقلاب اسلامى ، ١٣٥٧ -- تأثير

رده بندى كنگره: ٣٠٤٣ م١٣٩٠ ت٢/١٥٦٤ DSR

رده بندى ديويى: ٠٨٣/٩٥٥

شماره كتابشناسى ملي: ٢٦٣٣٧٥٦

ص: ١

اشاره

تداعيات الثورة لاسلاميه فى العالم الاسلامى

منى چهر محمدى

ص: ٣

تداعيات الثورة الإسلامية في العالم الإسلامي

المؤلف: الدكتور منوچهر محمدی

الطبعة الأولى: ۱۴۳۳ق / ۱۳۹۰ش

النّاشر: مركز المصطفى صلى الله عليه و آله العالمی للترجمة والنشر

المطبعة: زلال كوثر السّعر: ۶۱۰۰۰ ريال عدد النّسخ: ۲۰۰۰ نسخة

حقوق الطبع محفوظة للناشر

التوزيع:

قم، استداره الشهداء، شارع الحجّية، معرض مركز المصطفى صلى الله عليه و آله العالمی للترجمة والنشر.

هاتف: ۹ - ۰۲۵۱۷۸۳۹۳۰۵

قم، شارع محمّد الأمين، تقاطع سالاریه، معرض مركز المصطفى صلى الله عليه و آله العالمی للترجمة والنشر. هاتف:

۰۲۵۱۲۱۳۳۱۰۶ فکس: ۲۵۱۲۱۳۳۱۴۶

www.eshop.miup.ir www.miup.ir

root@miup.ir E-mail: admin@miup.ir

ص: ۴

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) والصلوة والسلام على النبي الأمين محمد صلى الله عليه وآله وآله الهداه المهديين وعترته المنتجبين واللعن الدائم على أعدائهم أعداء الدين.

لقد شهدت علوم الدين مدى أربعة عشر قرناً على طيله تاريخها العلمى المشرف مستوى من التغيير المستمر فى الحركة إلى الأمام على صعيد الثقافه والحضاره الإسلاميه فأوجد تطوّراً منهجياً فى العلوم الرئيسه المختصّه بالشريعاه ك- : الفقه الاسلامى وعلم الكلام والفلسفه والأخلاق... وتبعاً لهذا الجانب ترك التطور انطبعا موازياً بينا فى العلوم الأدواتيه ك- : المنطق وعلم الرجال والحقوق... .

وفى ضوء انتصار الثوره الإسلاميه الإيرانيه المعظمه وحدثها الداعى إلى رؤيه دينيه حديثه فى نطاق الحكم بغضون القرن الداعى إلى الانفلات من ظلّ الدين والأيدولوجيه الدينيه وما يعرض فى مسرح أحداثه من تطوّر فى مسار نظريات العلاقات الدوليه أو تصاعد الأسئلة المعرفيه المتعلقه بمفهوم الوجود ومستلزماته الشاغله لذهن الإنسان الحاضر وكذلك ما حصل من توسع لدى علم الوجود الإنسانى فى ظلّ الأحداث والمتغيرات المعنيه بهذا الجانب؛ جعلت المفكر الإسلامى فى أعلى مستوى من المسؤوليه أكثر ممّا سلف خاصّه فى الدول الإسلاميه التى باتت فى محاوله

ضروريه لمواجهه الشعارات الخوّاء فى عصر العولمه فى ضوء التدقيق والملاحظه والنقد البناء لاجتياح أى فقره يخشى أن تسبب مشكلات فى مقتبل الأيام.

ومن هذا المنطلق يتطلّب الصعيد الحوزوى التّير لضروره الوقوف على آخر المستجدات الفكرية فى حقولها المتعدّده والاستعانه بضروب من التحقيق العلمى الرصين بمعايير عالميه حيّه لتوظّف فى نطاق الدين والشريعة للإجابه على المتطلّبات العصريه والمنطلق الداعى إلى التكامل و التعالى فى ظلّ الدين والتزام نظامه فى العلم والحياه من جهه أخرى حيث يتطلّب الأمر من الحوزه العلميه مسؤوليه وضع حدّ لردع الجانب العولمى وتبعاته المنحطّه على الإنسان بلحاظه العام.

وقد كانت رؤيه التصدّى لهذا الأمر فى عنايه من مؤسسى الحوزه العلميه هذه الشجره الطيبه الذى (أضيلها ثابتٌ وَ فَرَعُهَا فى السّماءِ) ، سيّما الإمام الخمينى رحمه الله الراحل وقائده المبجل الإمام السيّد على الخامنئى دام ظلّه الوارف فى الوقت الراهن.

وقد سعت جامعه المصطفى صلى الله عليه و آله العالميه فى ضوء ما تقدم لنيل النجاح فقامت بإرساء مركز المصطفى صلى الله عليه و آله العالمى للترجمه والنشر حيث تكفّل بنشر نتاج هذا الجانب العلمى الهامّ.

وإنّ هذا تداعيات الثوره الإسلاميه فى العالم الإسلامى جاءت بجهود فضيله الأستاذ منوجهر محمدى متوافقه مع نسق الرؤيه السائده المتّبعه وهذه الأهداف الساميه.

كما ندعو أصحاب الفضيله والاختصاص بما لديهم من آراء ببناءه وخبرات علميه ومنهجيه عصرية بالمساهمه معنا والمشاركه فى نشر علوم أهل البيت عليهم السلام .

وختاماً ليس لنا إلّا تقديم الشكر الجزيل لكافّه المساهمين الكرام بجهودهم الخاصّه بإعداد الكتاب للطباعه والنشر.

مركز المصطفى صلى الله عليه و آله العالمى للترجمه والنشر

المقال الأول: محاور عامه

الفصل الأول: المقدمه ١٧

الفصل الثاني: خصائص الثورة الإسلاميه ٤٣

١. الثورة الإسلاميه فى آراء المفكرين ٤٣

٢. الثورة الإسلاميه الإيرانيه مقارنه مع ثورات العالم الكبرى ٥٠

٣. البعد العالمى للثوره الإسلاميه ٥٩

٤. الثورة الإسلاميه وتصدير الثوره ٦٢

أ) النظريات المطروحه فى مجال تصدير الثوره ٦٣

ب) الفهم المتعدّد الوجوه لتصدير الثوره ٦٥

ج) تصدير الثوره من وجهه نظر الإمام الخمينى رحمه الله ٦٨

د) إستراتيجيه تصدير الثوره ٧٤

هـ) تصدير الثوره فى تعريف آخر ٧٧

و) تصدير الثوره فى دستور الجمهوريه الإسلاميه ٨٣

المقال الثاني: تداعيات الثورة الإسلاميه فى العالم الإسلامى

المقدمه ٨٧

الفصل الأول: تطوّرات النظام الدولى بعد انتصار الثورة الإسلاميه ٩٣

نظام صراع الحضارات ١٠٨

ص: ٧

الحضاره والثقافه وعلاقه إحداهما بالأخرى ١١٠

التعارض بين أمريكا وأوروبا ١١٤

صراع الحضارات أم حوار الحضارات ١١٥

صحوه ووعى الشعوب ١١٧

أحداث الحادى من سبتمبر وتأثيرها على النظام الدولى ١٢٤

مستقبل النظام الدولى ١٢٧

تداعيات الثورة الإسلاميه فى العالم الإسلامى ١٢٨

الفصل الثانى: منطقه الخليج الفارسى ١٣١

العراق ١٤٠

تعامل العراق مع الثورة الإسلاميه الإيرانيه ١٤٣

السعوديه ١٥٩

العلاقه بين الحكومتين قبل الثورة ١٦٠

الحجّ والثوره الإسلاميه ١٦٧

الشعب السعودى والثوره الإسلاميه ١٧٢

الكويت ١٨٤

النظام السياسى ١٨٤

علاقات إيران والكويت قبل الثورة الإسلاميه الإيرانيه ١٨٥

البحرين ١٩٧

العلاقات الإيرانيه البحرينيّه قبل انتصار الثورة ٢٠١

العلاقات الإيرانيه البحرينيّه بعد انتصار الثورة ٢٠٣

آثار الثورة الإسلامية على الشعب والحركات الشعبية ٢٠٧

الفصل الثالث: بلاد الشام ٢١٥

سوريا ٢١٥

علاقات البلدين قبل الثورة الإسلامية ٢١٦

علاقات البلدين بعد الثورة ٢١٧

الجماعات والحركات ٢٢٣

الأردن ٢٢٩

ص: ٨

تاريخ العلاقات الإيرانية الأردنية ٢٢٩

العلاقات السياسيّه مع إيران بعد الثورة الإسلاميّه ٢٣١

العلاقات الثقافيّه والاجتماعيّه ٢٣٤

أسباب تقارب الأردن مع البلدان الكبرى في المنطقه ومن بينها إيران ٢٣٦

لبنان ٢٣٧

تاريخ العلاقات الإيرانيّه اللبنانيّه قبل الثورة ٢٣٩

دراسه تأثير الثورة على لبنان بعد انتصار الثورة الإسلاميّه ٢٤٣

دور الأحزاب والحركات في لبنان ٢٤٦

حركه أمل ٢٤٧

حزب الله ٢٤٩

ظهور حزب الله في الساحة السياسيّه - العسكريّه اللبنانيّه ٢٥٠

فلسطين ٢٥٣

تاريخ وجغرافيا فلسطين ٢٥٤

علاقات إيران ومنظّمه التحرير الفلسطينيّه قبل الثورة ٢٥٩

الثورة الإسلاميّه وتداعياتها في فلسطين ٢٦٠

الثورة الإسلاميّه ونضال الشعب الفلسطيني ٢٦٢

ممهّدات تبلور حركه الجهاد الإسلامي ٢٦٤

تبلور وتأسيس حركه الجهاد الإسلامي ٢٦٧

حركه المقاومه الإسلاميّه (حماس) ٢٧٢

آراء ومواقف حركه المقاومه الإسلاميّه حماس حول الثورة الإيرانيّه ٢٧٥

الانتفاضه، ذروه تأثير الثوره الإسلاميه على فلسطين ٢٧٦

الفرق بين الانتفاضه الثانيه والأولى ٢٧٩

الفصل الرابع: شمال أفريقيا ٢٨٣

مصر ٢٨٣

علاقات إيران ومصر قبل الثوره ٢٨٣

تداعيات الثوره الإسلاميه فى المجتمع المصرى ٢٨٦

تونس ٢٩٣

ص: ٩

الصحوه وإحياء الأتجاه الإسلامى ٢٩٦

النموذج العملى للحكومہ الإسلاميه ٣٠٣

علاقات إيران وتونس بعد انتصار الثوره ٣٠٧

الجزائر ٣٠٩

محاور عامه حول الجزائر ٣٠٩

الموقع الجغرافى - البشرى ٣٠٩

العلاقه مع إيران ٣١١

نمو الحركه الإسلاميه فى الجزائر ٣١٣

جبهه الإنقاذ الإسلاميه وتقويه الموجه الإسلاميه ٣١٨

المقال الثالث: الحصيله والنتيجه ٣٢٣

أ) الانعكاس العام للثوره الإسلاميه ٣٢٤

١. الدول ٣٢٤

٢. الشعوب ٣٢٧

ب) النظام الدولى ٣٢٨

١. احياء الإسلام كدين جامع وعالمى ٣٢٩

٢. زوال نظام القطبيه الثنائيه وظهور تحديات للانظمه الحاكمه فى الغرب ٣٢٩

٣. تغيير خطاب الصراع الدولى ٣٢٩

٤. التحرك العالمى للمستضعفين ضد المستكبرين ٣٣٠

٥. طرح الإسلام السياسى كخطاب جديد ٣٣٠

٦. نفى التبعية للغرب ٣٣١

٧. العالم الإسلامي هو القدره الصاعده فى النظام العالمى ٣٣٢

٨. تغيير معايير القوه فى النظام الدولى ٣٣٢

٩. طرح ثلاثه عناصر هى المعنويه والاخلاق والعداله فى النظام الدولى ٣٣٣

١٠. بدايه الحمله على العالم الإسلامى ٣٣٣

١١. عوده مجد وعظمه الحضاره الإسلاميه ٣٣٤

١٢. تغيير خطاب الثوره ٣٣٤

١٣. الجمهوريه الإسلاميه نموذج من النظام السياسى الإسلامى والقدره الاقليميه ٣٣٥

١٤. زعماء الثوره الإسلاميه نماذج جديده للزعامه ٣٣٥

ص: ١٠

١٥. طرح اللاهوت التحرري ٣٣٦

ج) تداعيات الثورة الإسلاميه على العالم الإسلامى ٣٣٦

الأول) انعكاس الثورة الإسلاميه على الشيعة ٣٣٩

الثانى) انعكاس الثورة الإسلاميه على أهل السنه ٣٤٢

١. تفسير خصوصيات وصفات الحاكم (اولى الأمر) ٣٤٣

٢. فتح باب الاجتهاد ٣٤٣

٣. استقلال علماء الدين عن الدوله ٣٤٤

١. الصحوه الإسلاميه ٣٥٠

٢. تعزيز روحيه مناهضه الاستكبار ٣٥١

٣. إيجاد الشعور بالغرور ٣٥١

٤. المساجد مراكز الانشطه السياسيه ٣٥١

٥. انتشار النهضات الإسلاميه التحرريه فى مجتمعات أهل السنه ٣٥٢

٦. السلوك الدينى ٣٥٣

٧. الحساسيه الإسلاميه ٣٥٣

٨. حمايه المقدسات الإسلاميه ٣٥٣

٩. المطالبات السياسيه ٣٥٣

١٠. المشاركه الدوليه ٣٥٤

انفجار النور ٣٥٤

المصادر والمراجع ٣٥٧

المصادر الفارسيه ٣٥٧

لقد اجتاحت الثورة الإسلاميه التي قامت في العقود الأخيره من القرن العشرين الذي عُرف بأنه عصر انتهاء الأيديولوجيات ونهايه التاريخ، الأفكار والنظريات الماديه غريبه وشرقيه كالسيل العارم الذي زعزع بنيانها من القواعد ليقيم دعائم جديده. فهذه الثورة وعلى خلاف الثورات الحديثه الأخرى تتسم باتجاهها الدينى والمعنوى الذى عرّض النظره الدينويه والماديه التي تمسك بعنق النظام العالمى، لأنزله جادّه وحادّه، وشخّ بأضواء الأمل والولع فى أوساط شعوب العالم المحرومه والمجتمعات الإسلاميه المقهوره، الأمر الذى أدّى بالقوى المهيمنه إلى مواجهتها وإلقاء المسامير تحت عجلاتها وتحشيد وتأليب الأجواء وممارسه أنواع الضغوط السياسيه، الإعلاميه، العسكريه، الثقافيه والاقتصاديه وعلى الخصوص من قِبل أمريكا الجشعه ووسائل إعلام الصهيونيه العالميه؛ ولكن على الرغم من كلّ هذه الإجراءات والضغط، تطالعا وبعد ربع قرن من تحقّق هذه المعجزه، صفحات رائعه تدلّت ثمارها السياسيه والثقافيه فى أقصى أرجاء العالم، وذلك من خلال المظاهرات والمسيرات التي تُبدي رفضها ومعارضتها للاستبداد والاستكبار الأمريكى فى العالم، وتؤكد على دعمها

الشامل للشعب الفلسطيني المظلوم في مواجهته للنظام الصهيوني المحتل، وبتنا نعيش حركة تنامي الوعي الإسلامي في إطار التجلّي السياسي للإسلام على مستوى أقطار العالم الإسلامي كآفه.

إنّ الكتاب المائل بين يديك عزيزي القارئ هو من تأليف الدكتور محمّدي الأستاذ المناوب في كلية القانون والعلوم السياسيّه في جامعه طهران وعضو الهيئه العلميه لقسم دراسات الثوره الإسلاميه في معهد بحوث الثقافه والفكر الإسلاميه. ويحاول هذا الأثر ما وسعته المحاوله تصوير تداعيات وآثار الثوره الإسلاميه العظيمه على مستوى العالم الإسلاميه، على أمل أن يبادر الباحثون في العلوم السياسيّه والجامعيون والباحثون في مجال الثوره الإسلاميه على وجه التحديد إلى مطالعه ودراسه هذا الأثر القيم. نرجو أن ينال رضاهم ويمدّ في دراساتهم.

قسم دراسات الثوره الإسلاميه معهد البحوث الثقافيه و الدراسات الاجتماعيه

الفصل الأول: المقدمه

الفصل الثاني: مميزات الثورة الإسلاميه

الفصل الثالث: تطورات النظام العالمى بعد الثورة

ص: ١٥

لقد شهد العالم فى القرن العشرين تطوّرات واسعة وأحداث متنوّعه، متضادّه ومؤثّره فى ذات كونها مدهشه ومحيره.

حيث تضاهى سرعه وأبعاد هذه التحوّلات الواسعه ما مرّ وحدث فى العالم على مدى القرون السالفه. فقد اختصّت الحروب العالميه، الثورات، الخلافات والمواجهات بين المجتمعات بنصيب وافر من تطوّرات القرن الماضى، حيث لم تترك بعض هذه الأحداث على الرغم من أهميتها سوى أثرا محدودا، وحافظ بعضها الآخر على الحيويه التى تتمتع بها تياراتها الداخليه وألقت بظلالها على مساحه واسعه من بنيه وتركيبه النظام العالمى. ويعد قيام الثوره الإسلاميه إلى جانب انهيار الاتّحاد السوفيتى من ضمن الأحداث المدهشه التى تجاوز تأثيرها الاستثنائى حدودها الجغرافيه ليعمّ النظام العالمى. فقد أثرت التطوّرات والأحداث المشار إليها تأثيرا عميقا على العناصر الداخليه للنظام العالمى.

ولم يكن قلق ودهشه الغرب من حدوث الثوره الإسلاميه فى إيران عام ١٩٧٩ نابعا من عدم فهمه ومعرفته المناسبه للتيارات والتحرّكات الثقافيه السياسيه والفكريه فى

داخل المجتمع الإيراني فحسب، بل كان لتعرض مصالحه السياسي والاقتصادي الواسع للخطر، قد زادت أيضا من أبعاد هذا القلق.

حيث إنّ عوامل أمثال كون إيران إحدى أكبر المصادر الغنيه بالنفط والغاز؛ حدودها المشتركة التي تمتدّ إلى ٢٥٠٠ كم مع أحد قطبي نظام القطبيه الثنائيه في مرحله الحرب البارده؛ المكانه التي تتمتع بها على المستوى الإسلامى باعتبارها أحد أقوى المراكز الفكرية والثقافيه الإسلاميه وكذلك موقعها الاستراتيجى الفريد فى أكثر مناطق العالم حساسيه والذي يسيطر على ممرّ المصالح الحيويه والأمنيه للغرب وعلى الخصوص القوى الكبرى منه، قد تسببت فى تعقيد المواقف بين الغرب وايران، هذا إذا ما أشحينا النظر عن عنصر الزمان. فشده وضعف مواجهه وتعامل الغرب مع إيران - سواء قبل الثوره أو بعدها - يعتمد ويرتبط بهذا النوع من العوامل.

ولم تكن هذه المره الأولى فى تاريخ إيران الحديث التي يحدث فيها مثل هذا التطور المفصلى بحيث يصبح بؤره للقلق الدولى.

حيث إنّ تاريخ التنافس بين روسيا القيصريه وبريطانيا وبين الاتحاد السوفيتى وأمريكا أواخر القرن التاسع عشر الميلادى فى إيران يبين بوضوح مصالحو وقلق الغرب فى خصوص هذا البلد. فلم تكن ثمّه حادثه نظير قيام الثوره الإسلاميه أقلت الغرب وبعبارة أدقّ أرعبته وأقضت مضاجعه إلى هذه الدرجه مع كلّ الأحداث التي رافقت تاريخ إيران المعاصر.

حيث إنّ دراسه ومطالعه التطورات السابقه لتاريخ إيران المعاصر تدعم حقيقه أنّ الغرب والقوى الكبرى قد فقدت فعليا ميزه التواجد والتدخل المباشر فى الأحداث السائده فى المجتمع الإيراني بعد الثوره الإسلاميه. ولم يقتصر تأثير الثوره الإسلاميه على القوى الكبرى فحسب بل إنّها أثرت وبشده على اللاعبيين الثانويين أيضا. فعلى سبيل المثال، فإن أكثر من ٨٠٪ من واردات النفط الإسرائيلى

يتم تأمينها من إيران، الأمر الذي يوجه ضربه قاصمه لاقتصاد هذا النظام في حال حدوث أي خلل في هذا المجال، هذا إضافة إلى خسارته حليفا عسكريا قويا، هذا علاوة على اضطراب برامجه وسياساته بشكل ملموس جراء السياسة الإيرانية الجديدة تجاه فلسطين ودعمها إلى حدّ إزالة إسرائيل من الوجود. وتكتب صحيفه جروسالم بست حول ذلك:

إن سقوط الشاه لم يؤثر على الحاله الجغرافيه والسياسيه للخليج الفارسي فحسب، بل إنّه سيؤثر على توازن القوى بشكل أعم.

إنّ حدوث الثورة الإسلاميه في مثل تلك الظروف لم تكن تخطر على بال إلا القلائل.

حيث لم تتجاوز أكبر التوقعات لقدرة النظام الموجود في ذلك الوقت عن استمرار ثباته ولو نسبيا. وبعبارة أخرى، عدم توقع وجود دواعي وأرضيه لهذه الثورة. إذ إنّ حكومه بهلوى الثاني كانت تمثّل جزيره للأمن والاستقرار المطلق بالنسبه إلى نظام القطبيه الثنائيه الذي يتزعمه كل من أمريكا والاتحاد السوفيتي.

حيث لم تكن الدول الصناعيه الكبرى وعلى رأسها أمريكا، بريطانيا وفرنسا تتوقع انهيار حكومه بهلوى وذلك إلى ما قبل انعقاد مؤتمر غوادلوب. إلى الحدّ الذي يصف فيه جيمي كارتر - الرئيس الأمريكي ذلك الوقت - إيران الشاهنشاهيه بأنها «جزيره أمن» (1) وذلك قبل عدّه أشهر من ذلك. وقد أعلن ديفيد أوين - وزير الخارجيه البريطاني وقتها - في بيان له عن وقوف بلاده إلى جانب محمدرضا بهلوى في مواجهتها للحركه الثوريه للشعب الإيراني واستمرار حكومه الأسره بهلويه.

حيث كانوا يعتقدون بأنّ انتصار الثوار في إيران سيؤدّي في نهايه إلى إقامة نظام شيوعي. إذ إنّ المواجهه بين الغرب الليبرالي والشرق الشيوعي كانت قد سيطرت على كامل ذهنيه القوى المتنافسه، بالشكل الذي حشر تحليلاتهم واستنتاجاتهم في هذه

ص: ١٩

١- (١). ويليام شوكراسي: آخرين سفر شاه: ١٥٥-١٥٦.

الزاويه، وأدى إلى اتّباعهم سياسات وقرارات متناقضه فى الكثير من المسائل السائده فى نظام القطبين.

فقد كان من المستحيل لمثل هذه الدوله الطموحه والعصريه التى جارت كلا القطبين العالميين وكسبت دعمهما، أن تركع بسهولة وفى مدّه قصيره لتيار الثوره فى مثل تلك الظروف التى كانت تحكّم النظام العالمى. إنّ التواجد البريطانى والأمريكى الفعّال فى إيران بعد انقلاب ١٨ آب ١٩٥٣ أبعد عن الأذهان تصوّر حدوث أى ثوره تأتى بنظام شيوعى يزيد فى نفوذ الاتّحاد السوفيتى، أو أى نوع آخر من التيارات المعاديه للغرب.

إنّ تواجد وتأثير الأيدولوجيتين الماركسيه والليبراليه فى نظام القطبيه الثنائيه، والسيطره والرسوخ المتزايد لهذا النظام اضطر أكثر البلدان - وعلى الخصوص الصغيره والمتهاويه منها - للانضواء تحت نفوذ إحدى هاتين القوتين. الأمر الذى جعل من الارتباط بأحد هذين القطبين أن يتّخذ صفه قانونيه.

وبتوضيح آخر، فلم تقف إحدى هاتين القوتين العظيمتين خلف هذا التحوّل والتغيير بشكل أساسى وفعّال فحسب، بل إنّها قامت بالدفاع وتقديم الدعم بشكل علنى لأحد الطرفين المتنازعين.

حيث يمكن الإشاره فى هذا السياق إلى بعض تلك الموارد من قبيل حرب فيتنام، الأزمه الكوييه، حرب الكوريتين وتطوّرات أوروبا الشرقيه وكثير من الموارد التى تنافستا فيها، وخاصّه فى منطقه الشرق الأوسط والخليج الفارسى بسبب احتوائها على مصادر غنيه بالطاقه، والأهمّ من ذلك المميزات الجيوسياسيه البارزه لهذه المنطقه. فوجود جاره قويه كالاتّحاد السوفيتى، والتمتّع بطاقات وكوامن قوّه إقليميه وكذلك اتّباع سياسه واتّجاهها غربيا جعل من إيران خيارا مناسباً لتنفيذ السياسات الأمريكيه فى المنطقه. فأمریکا إضافه إلى تقصّيبها أهدافا أمثال مواجهه النفوذ الشيوعى، ضمان

استمرار ضخ النفط الرخيص وكذلك الدفاع عن الأنظمة المحافظه المواليه للغرب فى المنطقه، كانت تحاول اختيار بعض دول المنطقه للاعتماد عليها باعتبارها نقطه الارتكاز الأساسيه لسياساتها فى إيجاد توازن للقوى فى المنطقه وضمان مصالح الغرب وشركائها الاستراتيجيين أمثال إسرائيل.

فبسبب انشغال أمريكا فى الأزمه الفيتناميه وإمكانيه تقويه الأحاسيس الاشتراكيه فى المنطقه بسبب تواجدها المباشر، فقد تبلورت خطه رجال الدوله الأمريكيين فى الوصول إلى أهدافهم فى المنطقه على مدى عقد السبعينات من القرن العشرين، فى استراتيجيه «النيابه فى الحرب».

حيث تجلّى هذا الحلّ من خلال مبدأ نيكسون أو غوام المعروف، وانتُخبت كلّ من إيران والسعوديه ولأسباب خاصّه كمحورين أساسيين لتنفيذ هذه المهمّه. وقد أُنيطت المهمّه الأساسيه فى إطار المبدأ المذكور بإيران بسبب تفوّقها على السعوديه من خلال ما تتمتع به من قدرات ومزايا. واستمرّت هذه السياسه فى عهد جيرالد فورد وكارتر أيضا. لكنّ انتصار الثوره قطع الطريق على هذه الاستراتيجيه وقضى عليها.

ولا يخفى فى أنّ لاعبي السياسه الدوليه (أعم من الدول، المنظمات الدوليه، الشركات المتعدده الجنسيات ووسائل الإعلام) كانوا قد أذعنوا بعد فرار محمّدرضا بهلوى من إيران وعوده الإمام الخمينى رحمه الله إلى البلاد بأنّ هذه الحادثه الجلل تمثّل فى النظام الإستراتيجى والسياسى حقيقه لا يمكن إنكارها. إنّ المواقف والخطوات المختلفه والمتناقضه أحيانا للقوى الكبرى تحكى عن حيرتهم وارتباكهم وخطأ حساباتهم، ويشير انفعالهم فى مواقفهم الابتدائيه إلى تأثير الثوره فى مثل تلك الأبعاد. فقد كان الاتجاه الأيدولوجى للثوره الإسلاميه المعتمد على الثقافه الدينيه والقيم التقليديه والمحليّه بعيدا عن توقّعات العالم الغربى.

حيث جرّبت الدول الغربيه أيدولوجيات كثيره أمثال الإمبرياليه، النازيه، الواقعيه،

الليبراليه، القوميه، الاشتراكيه، الشيوعيه... إلخ. فى مجال العلاقات الدوليه؛ لكنّها لم تُدرِك أبداً اتّجاهها دينيا يعمل على إحياء التقاليد السياسيه للإسلام أو بحسب البعض الأصوليه الإسلاميه بمضامين أمثال الجهاد، الفتوى، الشهاده، الأئمّه والإمام. فقد كان جُلّ اهتمام الغرب منصّبًا فى تلك البرهه على الحركات القوميه والتحرّكات التنويريه فى العالم الإسلامى.

فحاول النظام السياسى والاقتصادى الأوروبى فى هذا الوسط إقامه علاقته منطقيه ومعقوله مع الحكومه المؤقته باعتبارها بديلا للحكومه السابقه من دون أن يُبدى امتعاضا كبيرا من هذا التغيير، وذلك للحفاظ على مصالحه الاقتصاديه، السياسيه والجيوستراتيجيه. هذا فى حال أنّ دولاً- كبريطانيا، فرنسا، ألمانيا وإيطاليا أبدت انزعاجها الشديد من الأوضاع السياسيه الداخليه لإيران. ومع كلّ التعارض النظرى الذى يتّسم به نظام القطبيه الثنائيه فقد كان يسعى لاستمرار العلاقات التجاربه والسياسيه مع إيران وذلك لتأمين مصالحه الطويله الأمد، وإن كان ذلك بحدّ ذاته ناشئا من عدم الفهم الصحيح والتحليل الموضوعى للظروف والأحداث الداخليه فى إيران. فقد أدّت مجموعه من الأسباب أمثال الظروف الخاصّه والمزايا الاستثنائيه للمجتمع الإيرانى وحركه الشعب فى أحداث الثوره وسرعه التطوّرات الداخليه للمجتمع، الحدّه المتفاقمه للتنافس بين القوتين العظميين، طبيعته وخصائص قياده الثوره، إلى إرباك فهم المراقبين واللاعبيين الدوليين المباشرين للثوره الإسلاميه. وقد وصلت بعض القوى المحافظه للسلطه فى البلدان الإسلاميه أبان انتصار الثوره الإسلاميه فى إيران. ومع وجود بعض الحركات القوميه المتطرّفه والعلمانيه التى يمكن ملاحظتها فى العالم الإسلامى، إلّا أنّ إيران هى التى كانت قد أسّست أول جمهوريه إسلاميه فى العالم. وبعبارّه أخرى، فقد مثّلت هذه الثوره أول حركه شعبيه على مدى التاريخ تمكّنت من إقامة أول دوله دينيه إسلاميه، وأظهرت منذ انطلاقتها الأولى ومن خلال طرحها

سياسته وإستراتيجيه خاصّه بها مضادّتها ومواجهتها للنظام العالمى القائم سواء على المستوى النظرى أو الاعتقادى.

ومثّل احتلال السفاره الأمريكيه ومسأله الرهائن أوّل مواجهه للثوره مع النظام الدولى الذى بدأ نزاعا جادًا مع إيران الإسلاميه من خلال نقضه للقوانين والأعراف الدبلوماسيه. حتّى برز هذا التضادّ النظرى والعملى للجمهوريه الإسلاميه فى مرحله تكوينها وتكاملها مع النظام الدولى الذى تبلور على أساس السيطره الغربيه، مرات كثيره وشمل طيفا واسعا من سياسه الهجوم على هيكله النظام العالمى من خلال إستراتيجيه تصدير الثوره وتقويه وإعداد الأُمّه الإسلاميه والقوى المستضعفه فى العالم عن طريق ذلك التصدير بغيه الاستفاده من أساليب أطرف لإصلاح النظام العالمى وتغييره لصالحهم.

ولقد كان لانتصار الثوره الإسلاميه فى إيران نتائج مباشره وغير مباشره على النظام العالمى وعناصره ومساراته الداخليه. فقد أحدث خروج إيران من المعسكر الغربى وتضادّها الأساسى مع النظام العالمى، أثرا عميقا على المعادلات الإقليميه. وينبغى تلمّس سبب الكثير من هذه التأثيرات فى المزايا التى تختصّ بها هذه الثوره، سواء فى بُعدها النظرى أم التنفيذى. ومع أنّ القرن العشرين كان قد شهد تحوّلات وأحداث متنوّعه من هذا القبيل وعلى هذا المستوى، لكن لم تكن لأى من هذه الأحداث تداعيات بمثل هذه السعه أو بمثل هذه الدرجه من التأثير.

السؤال الأوّل الذى يتبادر إلى الأذهان فى مقارنه هذه المجموعه من الظواهر، ما المزايا التى كانت تحملها هذه الظاهره، وما هى اختلافاتها الأساسيه مع العيّنات المشابهه فى سياق تأثيرها على عناصر ومسارات النظام الدولى؟ وبعباره أخرى، ينبغى إجراء مقارنه بين نماذج تماثل فيها الثوره الإسلاميه مع الأحداث المشابهه والموازيه، وما تفترق فيها عنها، للوصول إلى تلك المجموعه من المزايا التى أثرت من خلالها

الثورة الإسلامية على النظام الدولي. وسيساهم بيان الأهداف البارزة والعامّة للثورة في هذا السياق في تيسير إدراك أبعاد هذا التأثير ونطاقه.

فبحسب وجهه نظر ميشيل فوكو المنظر الفرنسي، فإنّ ثوره عام ١٩٧٨-١٩٧٩ تتضمّن:

رفض ثقافه وأمه عن الانسياق خلف نوع من التحديث هو تقليدى وقديم بذاته. فمثل هذه الثورة هي بمثابة ثوره عاريه عن التنظيمات، غير حزبيه وفريده من نوعها. (١)

وإذا ما أردنا دراسه خصائص ومزايا الثورة الإسلامية فإنّه يلزنا التوجّه بشكل خاصّ إلى بعض العناصر نظير مكانه إيران في النظام الدولي، حاله ومستوى نمو المجتمعات، المفاهيم والأدبيات المرتبطه بذلك.

لقد جاءت الثورة الإسلامية لإسقاط نظام في برهه من القرن العشرين يلزم فيها وجود أسلحه، مقر قياده عمليات و... قبل أن يلزم وجود انفصالات ومشاعر حادّه بحسب ما يعتقد فوكو، فما يحدث في إيران أدى إلى حيره وارتباك مراقبي العالم المعاصر.

حيث لا يرون أثرا للصين، لا لكوبا ولا لفيتنام، وإنما زلزالا لم يصدر عن جهاز ونظام، ولا ينضوى تحت زعامه زعيم أو حزب.

حيث لا ينتمى فيها الإنسان لأى طبقه أو فئه، بل إلى سلسله بشريه اصطلقت في صفّ واحد متسلّحه بتمام عدّتها وعددها (من دون اللجوء إلى العنف) في مقابل نظام مدجج بالسلاح. وبتعبير آخر ل- فوكو، «ثوره بأيد خاليه» (٢) تحمل في باطنها خصائص متضادّه. التضادّ الأوّل، نزاع شعب محروم أعزل مع أحد أكثر أنظمه العالم تجهيزا. التضادّ الثانى، عدم وجود أى تعارض وتضادّ في النسيج الاجتماعى المتعدّد الاتجاهات في مجال الإعداد للحركه الثوريه؛ إذ لم يظهر أى خلاف بين المنظّمات

ص: ٢٤

١- (١). أنظر: ميشيل فوكو: إيران، روح يك جهان بى روح.

٢- (٢). ميشيل فوكو: إيراني ها چه رويایی در سر دارند: ٤٣.

الرجعيه والتقدميه والعناصر الداخليه للمجتمع أثناء اتساع وانتشار النزاعات. وقام الإسلام باعتباره فعلا شعبيا فى ساحه الصراع بدور مهم فى بلوره الوعي الوطنى والجمعى وتحويله إلى مصدر للتحرىك والإثاره والتغير فى هذا الوسط.

ومن ضمن المزايا التأثيريه المدهشه للثوره الإسلاميه بالنسبه للغرب وحتى العالم الاسلامى، هو إحيائها الأفكار والمفاهيم الإسلاميه فى كافه أرجاء العالم. فقد كانت مساعى ومخططات الغرب منصبه حتى ذلك اليوم على تجفيف جذور الإسلام فى مختلف المجتمعات والتقليل من تأثير مفاهيمه وتعاليمه. فغالبا ما كان يتم التأكيد على أنه ينبغى البحث عن الإسلام فى صفحات التاريخ، إذ لم يعد له أثر فى المجتمعات الحاضره. وقد مثلت مساعى أتاتورك بطبيعته الحال والتي عرضها فى سياق إلغاء الإسلام غايه المأمول بالنسبه للغرب وقضت على جميع الآمال المعلقه على عوده الإسلام إلى مسرح الحياه. وقد تمثل أهم تأثير للثوره الإسلاميه فى مجال إحياء القيم والوعي الإسلامى، بطرح فكره الإسلام السياسى. الإسلام الذى زعم الكثيرون أنه اندثر فى صفحات التاريخ القديمه وغادر الأذهان؛ ها هو يعود بجذور قويه وأمواج تواصل تقدمها متجاوزة الحدود الوطنيه. لقد بين انتصار الثوره الإسلاميه حقيقه أن الأديان وعلى الخصوص الإسلام لم تصل إلى نهايه الطريق بمرور الزمان ومع كل هذا التوسع الحداثوى فحسب، بل نشط وعاد مجددا باعتباره أهم وسيله لإنقاذ البشرى من الظلم والتجاوز ليقف عجله العالم المادى المضاده للمعنويه عن مواصله طريقها، ويفتح نافذه للمعنويات والاعتقادات الدينيه فى إطار خلاص البشرى من قيود القوى الاستعماريه.

ولم يبق الإمام الخمينى رحمه الله باعتباره منظرا ومجددا للفكر الدينى بعيدا عن المشهد فى هذا الوسط. فإنه يمثل وفق عقيدته وإقرار كثير من المفكرين والمستشرقين وعلماء الإسلام وعلماء الاجتماع الغربيين، أعظم مجدّد للفكر والقيم الإسلاميه، التى كانت

تمثّل مجرّد هدف فى ما يروّج ويبلّغ له الإصلاحيون والمجدّدون والدعاة الإسلاميون منذ القرن التاسع عشر الميلادى وحتّى انطلاق النهضه فى إيران، حيث عمل الإمام الخمينى رحمه الله على إنزالها إلى الشارع وبدأ عهدا «نهضويا» جديدا. إذ إنّ الجهود التى بذلها المستعمرون على مدى عشرات السنين فى مجال تعميق ونشر برامجهم لإقصاء الدين، جعلت من الصعب على الأذهان استيعاب ظهور وتواجد الإسلام فى الساحه الاجتماعيه. فقام بيت الروح فيه من جديد ليصل تلك الدرجه من الأبعاد المحكمه والواسعه سياسيا، وتكون الثورة الإسلاميه فى عداد أعظم الثورات العالميه التى تمتلك برنامجا سياسيا خاصا بها التى تهدف إلى تأسيس منظومه ونظام نابع من الثورة، وتشكيل حكومه إسلاميه حقيقيه وفق الأصول الإسلاميه، وكذلك تغيير قواعد النظام الدولى من خلال تصدير الثورة الإسلاميه التى أدهشت الجميع وأثارت الكثير من الحساسيات تجاهها.

فإضافه إلى التغييرات البنيويه التى أحدثتها سلسله التطوّرات التى حدثت فى إيران، فى النظام السياسى والمجتمع الإيرانى، أخذت بالانتشار خارج نطاق حدودها أيضا، حيث إنّها رأت أنّ بقاءها مرهون فى انتشارها الأيدولوجى على المستوى العالمى. فباعتراف الأصدقاء الموافقين والأعداء المعارضين فقد كان الأثر الأكبر للثوره هو ذلك الذى ارتبط بالعالم الإسلامى والعربى. فكانت الثورة تمثّل مصدرا للإلهام والحركه فى جزء من هذه المنطقه، ومصدرا للتهديد الجدى للثبات والاستقرار بالنسبه للبعض الآخر. فكان الذعر الذى استولى على بلدان الشرق الأوسط والعرب ناشئا من الإحساس بالجانب التهديدى للثوره الإسلاميه.

إنّ جميع الذين أظهروا امتعاضا واشمئزازا من الاتّجاه نحو المادّيه الغربيه المفرطه، عادوا مسرورين ومتهلّفين لانتصار الثورة الإسلاميه واكتسبوا من خلالها روحيه وهويه جديده.

حيث مثلت الثورة الإسلامية إلهاماً لهم أدى إلى تحركات جديدة وواضحة في العالم الإسلامي تختلف شكلاً ومضموناً عما حدث سابقاً. فقد اتخذت المجتمعات الإسلامية وقاداتها في السابق مواقف انفعالية تجاه أمواج التحديث والتغريب. فوضع انتصار الثورة الإسلامية بين أيديهم تعاليم جديدة على المستوى النظري والعملية غيرت الحالة الانفعالية التي يعيشونها إلى الحالة الهجومية وأكسبتهم دوراً فعالاً.

ولعلّ من أهمّ الأسئلة التي تتردّد في أذهان مسلمي العالم، هو الكيفية التي تمّ من خلالها انتصار الثورة الإسلامية. فما هي العناصر التي تتمتع بها الثورة والتكتيكات التي استخدمتها والتي استطاعت من خلالها شعب أعزل التفوّق على نظام مفترس. فعلى أساس هذه العناصر الخاصّة برزت الثورة الإسلامية واستطاعت قضايا أمثال التأسّي بالثورة الحسينية ومقارنه الشاه ب- يزيد والإمام الخميني رحمه الله بالإمام الحسين عليه السلام؛ عنصر الشهادة؛ خصائص مشروعيه قاده الثورة باعتبارهم نواباً للإمام الغائب؛ موضوع الاجتهاد والتقليد؛ مذهب التشيع وأصل ولايه الفقيه التي تعدّ من المميّزات المختصّة بمذهب التشيع وإيران، من استقطاب أفكار المسلمين وعلى الخصوص مفكرى العالم الإسلامي، هذا في الوقت الذي مثلت الثورة الإسلامية مظهراً للإرهاب، الخطف، اقتحام السفارات، الخطر والتهديد وكذلك دعماً للعمل والسلوك الثوري في نظر الغرب. فقد كان الرئيس الأمريكي أبان ذلك العهد رونالد ريغان يستخدم على سبيل المثال، لفظ الثورة الإسلامية مرادفاً للإرهاب. مع أنّ بلاغات الثورة وأغلب المبادئ التي طرحها الإمام، أمثال «التوجّهات المعادية للإمبراليه» و«المعادية للرأسماليه والطبقه الأرسطقراطية»؛ «الميول والاتجاهات الشعبيه»؛ «الاعتماد على المحرومين»؛ «الوعد بمجتمع خال من الأرسطقراطية»؛ «إحلال العمل محلّ رأس المال»؛ «ترجيح الملكيه العامه على الخاصه»؛ «التأكيد على الحزبه والاستقلال»؛ «التأكيد على تحرير جميع الشعوب المستعمره»؛ «احترام حقوق الإنسان» و.... وكذا المصاديق الأكثر رقياً؛ الأكثر

عملية؛ والأكثر معنوية وبالطبع الأكثر محلّية، قامت المجتمعات الإسلامية بتلقّفها بعين الرضا والسرور، على العكس من الغرب الذى أصابه الذعر والذهول وأخذ موقفاً انفعالياً تجاهها أدى إلى تقنين جميع استنتاجاته. إذ إنّ فهم وإدراك حقائق الثورة وظروف المجتمع الإيراني وقع وبشده تحت تأثير هذا النوع من ضيق الأفق وسوء الاستنتاج الذى توّصل إليه الغرب وعلى الخصوص أمريكا.

لقد بيّن انتصار الثورة الإسلامية أنّ الأديان وعلى الخصوص الإسلام لم يصل إلى نهايه الطريق بتقادم الزمان وانتشار الحداثيه فحسب، بل طرح نفسه مجدّداً باعتباره أهمّ وسيله لخلاص البشره من الظلم والعدوان. فقد اكتسبت الآيات القرآنيه معنًى ومفهوماً جديداً فى عالم ما بعد الثورة الإسلاميه. وكانت الثورة الإسلاميه كالدواء الناجع فى إحيائها الأفكار الإسلاميه فى كافّه بقاع العالم وأدّت إلى تنامى الروح المعنويه وتقويه الأسس الفكرية بالنحو الذى أخرجها من حالتها الدفاعيه إلى حالتها الهجوميه.

أمّا كيف أعطت لحركه عامه الشعب نسقا وانسجاما من دون تدخّل المؤسّسات، المنظّمات والتنظيمات السياسيه والحزبيه والصنيفيه، وما هى الضوابط والمعايير التى يتبعها التنظيم الناشئ عنها. فهو سؤال محيّر حقّاً.

حيث كان للمسجد، استقلاله أئمّه الجماعات ورجال الدين عن الدوله ووجود نوع من الحاكميه المزدوجه فى إيران، دوراً تمهيدياً لازماً لمثل هذه الثورة.

لقد جاشت بين أضلاع مسلمى العالم الذين جرّبوا الخيبه والهزيمه من خلال اتّجاههم نحو الغرب وقبل ذلك من خلال الحظر النفطى عام ١٩٧٣، مشاعر القوّه والعزّه والنجاح من خلال انتصار الثورة الإسلاميه وإحياء القيم الإسلاميه. ووهبت ثوره إيران العالم فى ذات الوقت أوّل ثوره سياسيه - اجتماعيه إسلاميه ناجحه، ثوره حاربت وانتصرت باسم الإسلام وتحت شعار الله أكبر، وعلى أساس هذه الأيديولوجيه والأصول الإسلاميه والشيعيه وبقياده علماء الدين الذين ترعرعوا فى أحضان المفاهيم الإسلاميه.

النتيجه، هي أنّ المسلمين استطاعوا وفي كافّه أرجاء العالم، العوده إلى الإحساس بالعزّه والقوّه والفخر بأنفسهم من خلال هويتهم الإسلاميه وإعادة الحياه للإسلام من جديد في منطقته ظلّت ولعقود طويله تحت سيطره القوى الأجنبيّه الكبرى.

ومن جهه أخرى، فقد عرض الإمام الخميني رحمه الله التجربه الإيرانيه باعتبارها طريقا وممرا سياسيا وأيديولوجيا للمجتمع العالمى إلى الإسلام. وكانت مسأله اتّحاد جميع المسلمين في بذل الجهود الثقافيه والسياسيه في قبال الشرق والغرب في صداره أولويّاته. وقد أثبتت إيران بانتصارها في هذه الجهود، نجاحها في تنفيذ أصولها وأهدافها في الداخل ونقلها إلى الخارج. واستطاع الناشطون الإسلاميون في العالم أجمع كذلك أن يروا أنفسهم في حاله من التناغم والتوافق مع الكثير من الأصول القيميه للثوره الإسلاميه.

ويمكننا هنا الإشارة إلى البعض من هذه الأصول:

١. عرض الإسلام مجدّدا باعتباره نظاما شاملا وكاملا للحياه.

٢. الاعتقاد بحقيقه أنّ النموذج الغربى في فصله الدين عن السياسه يقود إلى مشاكل وفوضى اجتماعيه، إقتصاديّه، عسكريه وسياسيه في أوساط المجتمعات الإسلاميه.

٣. إنّ عقيدته قدره ونجاح المسلمين في العوده إلى الإسلام اعتمادا على الوعد الإلهي المضمون، هو البديل الوحيد المناسب عن الرأسماليه الغربيه والاشتراكيه والشيوعيه الشرقيه.

٤. عرض الشريعه مجدّدا باعتبارها قوانين إلهيه تؤدّى إلى إنشاء مجتمع متين يقوم على أساس العداله الاجتماعيه والأخلاق الفاضله.

٥. طرح الجهاد المقدّس ضد الوثنيه بجميع أشكالها مجدّدا، والاستعداد للشهاده في سبيل الله باعتبارها الطريق الوحيد للنضال والانتصار.

إنّ مبادره النخب والمثقفين في المجتمعات الإسلاميه في سائر أقطار العالم للترحيب

بانتصار الثورة الإسلامية، تسبب في قلق الدول الحاكمة في البلدان الإسلامية قاطبه.

حيث قدم إلى إيران قاده وممثلي هؤلاء النخب والمثقفين من سائر أرجاء العالم بدءاً من أمريكا الشماليه وانتهاء بالشرق الأقصى لتهنئه الإمام بهذا الانتصار. وبادر شيعه دول الخليج الفارسي الذين تحكّمهم الأقلية السنّيه إلى استعادة هويتهم من خلال الإحساس بالقوّه والعزّه والمنعه، والمضى في إحياء المناسبات الدينيه وإظهار الرفض لحكامهم الرجعيين. وألهمت الثورة الإسلاميه على نحو واسع المجموعات الشيعيه والسنّيه في مصر أمثال الإخوان المسلمون والجهاد الإسلامى إلى حركة المجاهدين المسلمين وحزب سلمانة الإسلامى فى ماليزيا، وعجّل ياسر عرفات من اتجاه أنور السادات للمصالحة مع إسرائيل وبدء محادثات كامب ديفيد، به مسرعاً إلى طهران على رأس هيئه من منظمه التحرير الفلسطينيه ليفتح السفاره الفلسطينيه فى محلّ المكتب التجارى الإسرائيلى فى طهران. وعمّ فى ذات الوقت اتّهام حكام البلدان الإسلاميه معارضيهم الإسلاميين بالعماله للخارج أو باتّهام إيران بالتدخّل فى شؤون بلدانهم الداخليه.

لقد خيم على أذهان المناصرين وحتّى المعارضين للثوره الإسلاميه فى الداخل والخارج تصوّر خاطئ فى بدء انتصارها، وهو أنّ انتصار الثورة الإسلاميه سيؤدى إلى سقوط حكومات البلدان الإسلاميه الواحده تلو الأخرى على أساس فكره الدومينو، وذلك جرّاء اقتفاء تلك المجتمعات أثرها وثورته الشعب لإقامه أنظمه مشابهه فى سائر البلاد الإسلاميه. فى حال أنّ التأمل اليسير فى الظروف الاستثنائيه التاريخيه السياسيه لإيران واختلافها عن سائر المجتمعات الإسلاميه الأخرى فى ذلك، يبيّن خطأ هذه الفكره، إذ إنّ ثوره حقيقيه كالثوره الإسلاميه فى إيران بحاجه إلى آليات تتوافق معها لا تقتصر على الناحيه النظرية فحسب بل تشمل العمليه أيضاً.

إنّ بلدا كإيران يتمتّع بالقوّه، الثقافه والحضاره الضاربه فى التاريخ والسابقه

النضاليه التي تتجاوز المئه عام ضد حكامه وتجربته انتصارين على حكام عصره على أدنى تقدير، وذلك في الحركه الدستوريه وتأمين صناعه النفط، واكتسابه القوه الاجتماعيه بموازاه القوه السياسيه من خلال القوه المتناميه لعلماء الشيعه منذ عهد الصفويين؛ والأفضل من ذلك تمتعه بقياده لا نظير لها تمثلت بالإمام الخميني رحمه الله في هذه المرحله، اجتمعت كل تلك العوامل مع بعضها البعض لتساعد على الوصول بالثوره إلى مرحله الانتصار. فمجموع هذه العوامل غير متوفره في سائر البلدان والمجتمعات الإسلاميه في الوقت الراهن على الأقل، ولهذا فإن الاعتماد على فكره الدومينو لا ينبغي أن يفهم منه عدم نجاح الثوره الإسلاميه في تصدير الثوره.

إن الأحداث التي وقعت مباشرة في أغلب البلدان الإسلاميه كرد فعل على ذلك، أضافت إلى هذه الفكره أملاً وتصوراً لم يكن في محله. فحوادث كربلاء، النجف والكوفه عام ١٩٨٠ وحادثه احتلال المسجد الحرام في عام ١٩٧٩ وما أعقبها من إحراق السفاره الأمريكيه في إسلام آباد ومظاهرات واضطرابات منطقه الحصار الغنيه بالنفط في السعوديه، الانقلاب الفاشل في البحرين وما إلى ذلك، فكل ذلك كان من ضمن الحوادث التي زادت من احتمال تحقق فكره الدومينو.

أما الغرب ووسائل الإعلام الغربيه، فإنها ترى أن الثوره الإسلاميه وخطاباتها قد تبلورت من خلال اعتمادها الأسس الشيعيه. مع أن هذه المسأله تبدو أمراً طبيعياً من خلال الروحيه القويه لمعارضه الغرب وعلى الخصوص أمريكا، ومتابعه أصل؛ لا شرقيه، لا غربيه، إلا أنه في ذات الوقت قد عرضت صورته عالميه للثوره رُسمت فيها الآمال والطموحات العالميه للشعوب وذلك في الأيام الأولى لانتصارها. فمن وجهه نظر الإمام، أن للثوره الإسلاميه جذورا في العقائد المشتركه للإسلام، الأمر الذي يرتبط بكافه مستضعفى العالم ولا يختص بقسم منهم. وهذا ما صرح به الأصل الحادى عشر لدستور الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه. ولقد ابتلى الغرب في تحليله للثوره

الإسلاميه بالنظره المغرضه والضيقه ذات البعد الواحد. فلم يكن الاتجاه التنظيري للغرب فى مجال بيان الأبعاد المعقده للثوره صحيحا، وينبغى الإشاره إلى أنّ الغرب قد نظر إلى الثوره الإسلاميه من زوايا خاصه ومال إلى جانب واحد فيها، حيث نزل بها إلى مستوى حرکه دينيه متطرّفه وإرهابيه. وقد أكّدت الثوره الإسلاميه على مدى ما يمكن لخطأ الاستنتاج أنّ يسببه من مشاكل غير محموده العواقب. وقد زادت قلّه المعلومات الموثوقه، الاعتماد على سلوكيات جاهزه من قبل إيران وأعدائها الأجانب، السيناريوهات التى طُرحت على أساس أسوء الظروف، الاستناد إلى الدعاوى الجهويه للمبعدين، اللاجئین، السماسره و...، من ارتفاع جدار عدم الثقه ومن هشاشه الظروف التى هى هشّه من الأساس. فلم تكن ثّمه نتيجته لكلّ هذا التهويل والتطويل والإحساس بالخطر سوى ترسيخ الاتجاه نحو استخدام القوّه ضدّ إيران والارتباك وعدم السعى نحو تحسين الظروف والعلاقات.

إنّ الثوره الإسلاميه ومن خلال اعتمادها على قدرات ومزايا شخصيه الإمام رحمه الله والدعم والإسناد الشعبى، الاستفاده من الفكر الدينى والأيدولوجى الإسلامى استطاعت أنّ تجرّ الأيدولوجيات الغربيه والشرقيه على السواء وكذلك استيلاء الثقافه الغربيه إلى الوقوع فى أزمه.

حيث لا يمكن للبحث فى الثوره الإسلاميه والإسلام السياسى أنّ يكون مكتملا إذا ما فصلناه عن الإمام رحمه الله . واتّجه بعض الكتاب نحو الإفراط فى هذه المسأله حيث استخدموا مصطلح الثوره الإسلاميه مرادفا للخميينه. (١)

حيث يرى أبراهاميان من أنّ:

إحدى المسائل الملفته فى خصوص الثوره الإسلاميه فى إيران، القدره العالیه لمبدء الإسلاميه فى تكوين ذهنيه جديده. أى تربيته المسلم باعتباره عنصرا

ص: ٣٢

سياسيا يقف في مواجهه الديكتاتوريه والإمبرياليه. فمعنى المسلم في حد ذاته هو مضادّه البهلويه، الأمريكيه، الصهيونيه وفي النتيجة الدفاع عن الإمام رحمه الله والجمهوريه الإسلاميه.

إنّ طبيعه الثوره الإيرانيه تكشف عن استقرار وترسيخ الذهنيه السياسيه الإسلاميه، الأمر الذى دخل وبشكل فريد فى بنيه المهمه السياسيه للإسلام، وذلك من خلال قيام الجمهوريه الإسلاميه التى هى نتيجة للفكر السياسى للإمام ودعم عامه الشعب، والذى يستمدّه الفهم السياسى من الإسلام. فنحن نشاهد ولأوّل مرّه على مسرح الأحداث، حلول نظام سياسى ذا نهج ثورى ينبع من الاتجاه الإسلامى، محلّ نظام علمانى متعزّب ومرتبط فى اتحاد إستراتيجى مع الغرب، والذى يراه الكثير من المسلمين على أنّه انتصار للإسلام على تسلّط القوى الاستعماريه وعلى الخصوص القوّه العظمى أمريكا.

لقد فتح انتصار الثوره الإسلاميه وصحوه المسلمين (فى سائر العالم) فصلا جديدا من مواجهه الإسلام مع الغرب. مع أنّه لم يكن بالأمر الجديد

حيث حدثت عدّه مواجهات بين العالم الإسلامى والغرب على مرّ التاريخ. ويعتقد الكثيرون أنّ الهجوم الإرهابى فى الحادى عشر من سبتمبر فى أمريكا يمثّل ذروه المواجهه بين الإسلام والغرب؛ لكن ما لا يتطرّق إليه الريب هو أنّ الثوره الإسلاميه فى إيران وما أعقبها من تبعات إلى نشر سلمان رشدى كتابه الكافر الآيات الشيطانيه يمثّل القمه فى ما وصل إليه النزاع بين الإسلام والغرب.

ولم يكن الفزع الغربى من الإسلام نابعا من الجذور الدينيه للإسلام، وإنّما الجذور السياسيه له، هى التى ألقّت الغرب فى هذه الذعر. إنّ الدين كان قائما وموجودا على الدوام، لكنّ ما سبب مشكله للغرب هو استنتاجه السياسى من الدين. فما يُطرح اليوم من أدبيات فى الإسلام، قد غدا مصدرا مهمّا لإرهاب من يريد مواجهه الإسلام.

حيث إنّ «الجهاد» الذى يمثّل إحدى العبارات الأساسيه التى تتردّد فى الأدبيات

الإسلاميه، كان له دورا مهمًا في إقامة الغرب سياسته الخارجيه مع العالم الإسلامي على أساس الذعر الذي يستشعره منه. فاستخدام هذه اللفظه اليوم في الأنزمه الأفغانيه، ومساعدته بعض الفئات السلفيه في الباكستان لحركه طالبان المتطرّفه وشبكه القاعده تحت عنوان «الجهاد ضدّ الغرب ومظهره أمريكا» يؤيد هذه القضيه. فقد انخرط طلبه الحوزات العلميه في باكستان بشكل فعلى في حركه طالبان لمجاهده الغرب وأمريكا دفاعا عن الفكر السلفى لطالبان. فإن أغلب ما يسبب ذعر الغرب من الإسلام فى الحقيقه، هو فرض الأحكام والتوصيات السياسيه للإسلام على الآخريين. لكن ينبغى الإذعان بعدم وجود قراءه وفهم كامل للإسلام، وليس ثمّه إسلام سياسى موحد كى يمكن تعميم مثل هكذا حكم. إنّ إلقاء نظره عابره على آثار المستشرقين يوضّح هذه المسأله بجلاء، وهى أنّهم كانوا يحاولون فى بحوثهم على الدوام إلقاء فكره وجوب محاربه الإسلام.

حيث يكتب ماكسيم رودينسون المستشرق الفرنسى المعروف فى هذا المجال، وذلك فى كتابه جذابيه الإسلام وأثناء انتقاده اللاذع للاتجاهات الفكرية الخاطئه للمستشرقين:

... وبالطبع فإنّ الهدف الدائم لبحوث المستشرقين حول الإسلام هو أنّ تتمّ محاربه الإسلام. (١)

لقد كانت نظره الغرب إلى الإسلام والثوره الإسلاميه محدوده جدّا وضيّقه الأفق على العموم. إلى درجه أنّ جهود وسائل الإعلام وممثلى الغرب فى خصوص الحركه الإسلاميه عامّه والثوره فى إيران تمركزت فى الأساس على مدى تأثيرها على المصالح السياسيه والتجاربه لبريطانيا وأمريكا. (٢) وهذه النظره الضيّقه ذات البعد الواحد ذاتها

ص: ٣٤

١- (١). مير محمد حسين هدى: نسخ شناسى آراى خاورميانه شناسان درباره انقلاب اسلامى: ماهنامه اسلام و غرب، شماره ٣٠، ص ٨.

٢- (٢). Vannes Martin Creating an Islamic state: K homeini and the making new Iran ، .New York ٢٠٠٠P. ١٤٨

اعتقدت أنّ نظريه الإسلام السياسي لإيران متطرّفه وصداميه. لكنّ ما يستشفّ من خلال وجهه النظر هذه بخصوص الدوله الثوريه الجديده فى إيران لم يكن ناشئاً من نزاعيه نظريه الإسلام السياسى فحسب، بل من الميول الإيرانيه نحو توسيع نفوذها فى المنطقه، وأنّ الثوره الإسلاميه ترى أنّ هويتها واستمرارها وهويتها مرهون بتصدير الثوره. هذا مع أنّ ثّمّه اختلافات فى الآراء فى الداخلى الإيراني فى خصوص الوسائل العمليه وآليات تصدير الثوره إلى حدّ مخالفه بعض الآراء لهذا التصدير بشكل كامل، بيد أنّ كلام الإمام رحمه الله باعتباره مركز النظرية الحاكمه يصوّر هذه الاستراتيجيه بوضوح:

يجب علينا السعى لتصدير ثورتنا. فجميع القوى الكبرى والقوى الأخرى تعمل على القضاء علينا، فإذا بقينا فى بيئه منغلقة فإنّ مصيرنا إلى الهزيمة. (1)

نحن نعتقد أنّ النهضه التى ابتدأها الإمام الخمينى رحمه الله ذات تأثير عالمى، ووضعت كثير من مسلمى العالم على طريق استعادته هويتهم الإسلاميه.

إنّ نظره الغرب إلى العالم الإسلامى هى نظره سياسيه بامتياز. هذا إضافه إلى أنّ عدم وجود معرفه وعدم توفر معلومات وافيّه ومستدلّه لديه عن الدول الثوريه، أو عدم إدراكه لظروفها وأوضاعها الداخليه، وكذا عدم استيعاب قاده الدول الثوريه لمكانه الغرب وقدراته وظروف النظام العالمى، كل ذلك أدى إلى زياده الخطأ فى الاستنتاج، واللجوء إلى التحركات المتطرّفه والجنونيه وإلى الحرب.

وعلى هذا الأساس، فإن رعب الغرب من الإسلام السياسى أدى بقاده الغرب إلى ضيق الأفق والنظر من زاويه واحده فى إدراكه وفهمه لما يجرى، وهو ما قاد بدوره إلى الكثير من التطوّرات والمواجهات.

لقد كانت ثّمّه استنتاجات خاطئه ومحرّفه فى تحديد تداعيات الثوره الإسلاميه، سواء كان ذلك من المؤيدين لها أم من قِبل المعارضين.

ص: ٣٥

إنّ الإسلام السياسي الذي تتحرك من خلاله الحركات الإسلاميه يرى وقوف هويته على الضدّ من الثقافه المسيطره في الغرب. فلا وجود لاستنتاجات كامله وموحده عن الثورة الإسلاميه.

حيث إنّ فاتوره القوه هي التي حدّدت طبيعه الاستنتاجات على العموم. ولا تختلف استنتاجات العالم الإسلامى أيضا عن ذلك في شىء.

وقد تطوّر مسار انعكاسات وتداعيات الثورة الإسلاميه تبعا للتطوّرات والاضطرابات الداخليه وكذا تطوّرات النظام العالمى.

فإذا ما أخذنا الموارد الآنفه بنظر الاعتبار، فإنّ البحث الحاضر يقوم على مقاييس تترايط مع بعضها البعض داخليا:

١. على الرغم من كآفه الاستنتاجات الخاطئه، التخمينات ومواجهات الغرب باعتباره مركزا للنظام العالمى، فقد أثرت الثورة الإسلاميه على الكثير من عناصر محوريه الغرب، وذلك من خلال إقحامها مبدأيتها هذه. فقد وقع ممثلى النظام العالمى (القوى الكبيره والقوى العظمى)، دائره التمثيل وقواعد النظام العالمى تحت تأثير هذه الثورة، الأمر الذى أدّى إلى بروز ردود أفعال. إنّ النزاع مع الغرب وأطروحه الخصومه التي عرضها الإسلام السياسي استهدفت مبادئ النظام التغريبي، ومن ثمّ معارضه النظام القديم لإيجاد نظام جديد للإسلام قائم على الأصول الإسلاميه.

٢. لقد أبرزت الثورة الإسلاميه دور الإسلام والمسلمين في مختلف الميادين الاجتماعيه من خلال إحيائها الفكر الإسلامى، ووضعت عنصر الهويه الإسلاميه باعتبارها حقيقه مقبوله في مقابل الهويه الغربيه الشموليه التي تمثّل فكر الغرب.

٣. مع أنّ الثورة الإسلاميه الإيرانيه قد وضعت نفسها في مواجهه الغرب والضعوط المتزايد للبرنامج العالمى من خلال إحيائها الإسلام والفكر السياسي الإسلامى، غير أنّ هذه المسأله نفسها رغبت الغرب في معرفه الإسلام بشكل أفضل وأكمل، ودفعت

سريعا باتجاه حلول الدراسات الإسلاميه وعلم الإسلام محلّ الاشتراق.

٤. إنّ الأطروحه التي جاءت بها الثورة الإسلاميه قادره على بيان نظريه سياسيه عامّه.

فبعد مرور ربع قرن على انتصار الثورة الإسلاميه وما أعقبها من تحولات وتغيرات عظيمه فى النظام الدولى، حان الوقت لدراسه تداعيات وتأثيرات الثورة الإسلاميه بعيدا عن الإفراط والتفريط، وإعادته قراءه نقاط القوّه والضعف وأساليب استمرار متغيرات هذه القضيه. ولا شكّ فى أنّ النتائج المستحصله، ستساعد المخطّطين والمسؤولين السياسيين على تقييم البرامج بشكل أدقّ واتخاذ حلول أكثر ملائمته.

حيث إنّ فهم ومعرفه الأبعاد المختلفه والأساليب الفعلية فى هذا المجال، وحصول «الآخرين» على فهم علمى ودقيق عن «أنفسنا» بنحو مقنع، سيخفّض من تكاليف اتّخاذ القرارات ويرفع من مستوى الحاله الأمنيّه.

حيث إنّ إمكانيه الاستفادة من الفرص والتقليل من التهديدات تدرج ضمن هذا الإطار من المعرفه والفهم.

إنّ الأيديولوجيه تتضمّن مفهوما وماهيه شموليه بحدّ ذاتها. والثورات الأيديولوجيه تسعى من خلال الاستفادة من هذه الخصوصيه إلى الانتشار والترويج لنفسها وتسقط طموحاتها فى انتشار دائره نفوذها وشمولها عالميا، لتحاول كسب المشروعيه والتقدّم ببرامجها وأهدافها. إلّا أنّ ثمة عوامل وظروف كثيره تمنع من سيطرتها فى هذا السبيل. وتعدّ مقاومه الأطروحه أو أغلب الأطروحات للعوامل البيئيه، الجيوسياسيه و الجيو إستراتيجيه، القوّه المحرّكه للأيديولوجيه، من ضمن العوامل المؤثّره فى مسيره الشموليه العالميه للأيديولوجيه. وبعبارة أخرى، لا يمكن للظواهر أن تكون مؤثّره بمعزل عن مميّزات الظاهره نفسها والظروف المحيطه بها وكذلك بمعزل عن خصوصيات الموضوع القابل للتأثّر، حيث تتفاعل جميع هذه العوامل بترابط داخلى مع بعضها البعض.

ومن هنا، فإنّ إعادته قراءة تداعيات الثورة الإسلاميه على النظام الدولى من دون أخذ مميّزات الثورة، ظروف وتطوّرات النظام الدولى، مكانه ودور القوى الكبرى ومعرفه المسار الحاكم فى النظام العالمى، سيكون بمثابة سعى فاشل.

فمن الطبيعى أنّ تعرّض تداعيات الثورة الإسلاميه على مدى الربع القرن الحالى للتطوّر والتغيير إثر التغييرات والتطوّرات الداخليه والنظيميه.

حيث يمكن الإشاره فى هذا السياق إلى تعامل الغرب مع خطاب «تصدير الثورة» فى العقد الأوّل للثوره والآثار والتطوّرات الناشئه عن التغييرات الداخليه والذاتيه التى طرأت على استنتاجات الغرب على سبيل المثال.

فقد تطوّر فهم واستنتاج مفكرى الغرب للإسلام تطورا عميقا. حيث أدركوا عدم وجود فهم واستيعاب واحد للمفاهيم الإسلاميه حتّى فى العالم الإسلامى نفسه. فهم يبذلون مساعيهم حاضرا للتفريق بين الإسلام باعتباره دينا ذا أبعاد سياسيه اجتماعيه، والإسلام المنعكس فى الأصوليه الإسلاميه، الإسلام المشاكس، الإرهاب والإسلام السياسى.

حيث يلفت النظر فى هذا المجال تزايد إنتاج الأدبيات التى تتحدّث عن الإسلام وأبعاده المتنوّعه (التي تُعدّ بلا ريب من ضمن التداعيات الأساسيه للثوره الإسلاميه).

لقد استقطبت الأبعاد الواسعه للثوره الإسلاميه فى إيران والأمواج التى أطلقتها الكثير من المفكرين، هذا مع أنّ البعض ينظر إليها من زاويه القلق الحكومى، ممّا أدّى إلى محدوديه وضيق أفق التحليل السياسيه للقوى الكبيره والصغيره؛ غير أنّ هناك الكثير أيضا ممّن نظروا إلى جوانب المسأله من خلال نافذه النظره التحليليه والعلميه التشاوريه. ولم تقتصر هذه الدهشه والحيره على السياسيين، بل شمل أيضا المجامع الجامعيه والبحثيه حيث شرع أكثر الباحثين فى تعقّب جذور هذا التطوّر الهائل وهذه الحركه الثوريه.

ولقد اختصَّ القسم الأعظم من أدبيات دراسته الثورة الإسلامية في بحث الأبعاد النظرية وأسباب قيام الثورة.

حيث تندرج كتابات باحثين أمثال أوليفر روا، جيمس دو فرونزو، برى روزن (١)، اسكاج بول (٢)، اسبوزيتو (٣)، همايون كاتوزيان، فرهاد كاظمي، سعيد أمير أرجمند، حامد الغار (٤) وغيرهم ضمن هذا السياق. وتعرض القسم الأعظم منها أيضا إلى سياسات إيران وتطوراتها الداخلية بعد الثورة وتمت دراسته علاقته الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه مع القوى الكبرى. وتطوّرت أغلب البحوث إلى السلوك الخارجي لإيران وفرض سياستها الخارجيه. ولقد عرضت البحوث الآنفه الكثير من النقود والآراء الضيقه النظر. فكتابات خليل زاد و الفرد هالیدی على سبيل المثال قدّمت حول الثورة تحاليل منحازه بشكل لا لبس فيه.

وإضافه إلى الكتب والمقالات كثيره جدّا التي نشرت حول الثورة الإسلاميه، جذور التطوّرات، العلاقه مع القوى الأخرى دور العوامل المختلفه في انتصارها و... فقد عقدت مؤتمرات و طاولات مستديره كثيره جدّا في سائر أرجاء العالم حول هذه الظاهره الفريده. فقد أقيم أول ملتقى دولي في هذا الإطار في الولايات المتحدّه الأمريكيه وذلك في جامعه بروكلين (٥) في عام ١٩٨٣ إثر انتهاء أزمه الرهائن الأمريكيين في إيران، ونشرت مجموعه المقالات التي ألقى فيها أيضا برعايه برى روزن (٦) في عام ١٩٨٥. ولقد تمركز القسم الأعظم من هذه المقالات حول الجوانب الملموسه

ص: ٣٩

-
- Barry Rosen(ed)١٩٨٨ ، Iran ، since the revolution: Intemal Dynamics ، Regional . (١) -١
.Conflicts and the super power/ New York/ Brooklyn College
- Skocopl ، Theda ، Renter state and Shia Islam in Iranian revolution ، " theory . (٢) -٢
.and Society ، USA ١٩٨٢ ، Vol II ، No.٣ P. ٢٤٤
- Sposito ، John ، The Iranian Revolution: Is Global Impact ، Florida International . (٣) -٣
.University Press ١٩٩٠
- (٤) -٤ . حامد الكار: انقلاب اسلامي در ايران.
- .Brooklyn Colledge . (٥) -٥
- .Barry M.Rosen . (٦) -٦

والمحدّده لهذه الظاهره، الأبعاد الأيديولوجيه ومستقبل علاقات إيران مع دول الجوار والقوى الكبرى. وبالطبع فقد تمّ بحث استنتاجات القوى الكبرى وبعض دول الجوار الإيراني حول الثورة الإسلاميه. وقد شارك في هذا الملتقى مفكرين وباحثين مشهورين أمثال نيكي كرى (١)، برى راين، خليل زاد وريتشارد كاتام حيث قاموا بتحليل التطوّرات الإيرانيه.

ولقد تمثّلت أهمّ المساعي الأخرى في خصوص دراسه تداعيات الثورة الإسلاميه على العالم بما قام به جان اسبوزيتو، جيمس بيسكاتورى و كريستوفر ون هالن وذلك في عام ١٩٨٩.

حيث طبعت نتائج هذا المؤتمر إثر وصول مواجهه الإسلام والغرب ذروتها وذلك في قضيه نشر كتاب الآيات الشيطانيه . فقد بذلت الجهود في هذا الملتقى لعرض المقالات وفق أربع مناطق جغرافيه وخلصه نهائيه على أساس التداعيات العالميه للثوره الإسلاميه. ومع أنّ اسبوزيتو حاول التطرّق إلى الأبعاد العالميه لهذه التداعيات في الفصلين الأخيرين من هذا الكتاب، لكنّه اكتفى ببيان الأمور العامه فقط وأوكل مهمّه بحثها بشكل موسّع إلى المستقبل.

إنّ الدراسه العامه لهذه النصوص تشير إلى عدم احتوائها على بحث ملفت في الموضوع المشار إليه (التداعيات العالميه للثوره الإسلاميه) وكذا عدم التعرّض لهذا الموضوع بشكل منسجم. في حال أنّ النصوص الفارسيه كانت قد اکتفت بالتعرّض أكثر إلى الأبعاد الداخليه للثوره.

فأغلب النصوص غير الفارسيه تعاملت مع هذا الموضوع بشكل مغرض وإفراطى. وعلى الرغم من كلّ ذلك، فإنّه لا ينبغي التقليل من أهمّيه التغيّرات الأساسيه التي

ص: ٤٠

١- (١). نيكي كرى: ريشه هاى انقلاب ايران.

تمخضت عن دراسه الإسلام ودراسه إيران فى السنوات الأخيره.

ويتعرض البحث الحاضر لهذا الموضوع من خلال أربع مقالات تتضمن ثلاثه عشر فصلا.

حيث نتطرق بعد هذه المقدمه وذلك فى الفصل الثانى إلى محاور عامه حول الثوره الإسلاميه ومزاياها النظرية والعينيه. ونبحث فى الفصل الذى يليه مسأله تصدير الثوره، الاستنتاجات والنظريات المختلفه المتعلقة بها. وندرس فى الفصل الرابع والخامس تداعيات الثوره الإسلاميه فى منطقه الخليج الفارسى وبلاد الشام. ونخصيه فى الفصل السادس لتداعياتها فى منطقه شمال أفريقيا. ونعرض فى النهايه خلاصه ما تم بحثه فى هذا الكتاب، حيث نبين آثار الثوره الإسلاميه على العالم الإسلامى بالتفصيل من خلال الاستفاده من مستويات تحليليه عالميه وإسلاميه مختلفه.

ص: ٤١

١- الثورة الإسلامية في آراء المفكرين

إنّ ما حدث في إيران عقب الثورة الإسلامية لم يقتصر على استبدال النظام السياسي من نظام ملكي إلى نظام جمهوري فحسب، بل إنّ هذا النظام الجمهوري نفسه لم يكن كسائر الأنظمة الجمهوريه الأخرى؛ فكانت جمهوريتها الإسلامية جمهوريه تستمد تعريفها ومضمونها من قيم وعقائد الإسلام والتشيع. وقد تعدّت سعه وعمق الثورة لتشمل القيم الاجتماعيه أيضا قبل أيّ شيء آخر. الأمر الذي حدا بالبعض - أمثال بن بلا أحد قادة حركة الاستقلال الجزائريه - إلى نعتها بأنها أوّل ثورة في العالم تقوم على الثقافه. (١)

وهو ما تكشف عن حقيقته أيضا ما جاء في الموسوعات المعرفيه العالميه حول تعريف الثورة الإسلامية.

حيث يكتب جان اسبوزيتو في إحدى هذه الموسوعات:

إنّ ثورة عام ١٩٧٨ في إيران وكما التطوّرات الاجتماعيه الكبرى كان قد خُطّط لها منذ سنوات سالفه وستبقى آثار هذه الثورة حيّه على مدى التاريخ. وبعبارة

ص: ٤٣

١- (١). انقلاب اسلامي ايران در چشم انداز ديگران: ٩٩.

أوضح، لقد تمّ لملمه نظام محمّدرضا بهلوى بواسطة ائتلاف ضمّ قوى مختلفه يقوده الأصوليون الشيعة. وكان آيه الله الخمينى رحمه الله القائد الأسمى لهذه الثورة... ومع أنّ هناك حوادث خاصّه أدت إلى إخراج محمّدرضا بهلوى من إيران، كانت قد حدثت خلال العام الذى سبق خروجه فى ٢٧ كانون الثانى ١٩٧٨؛ فقد امتدّت الظروف الاجتماعيه والبنويّه للثوره إلى عدّه قرون خلت. (١)

إنّ ما يتبادر للوهله الأولى من طرح الآراء والتحليل حول الثورة الإسلاميه الإيرانيه هو أنّ المراقبين يرون أنّها سوف لا تبقى حبيسه حدودها الجغرافيه أبداً؛ وإنّما وعلى العكس من ذلك فإنّه سوف ترافقها آثار وتداعيات عالميه.

ويقول ديليب هيرو فى هذا النطاق:

بما أنّ الإمام الخمينى رحمه الله قائد هذه الحركة، هو مرجع دينى وأنّها اتّخذت من المساجد كمقرّات أساسيه لها، فقد انتهى بها ذلك لأنّ تتحوّل إلى ثوره إسلاميه. ومع أنّ ثمة تطوّرات عميقه وقعت فى سائر بلدان الشرق الأوسط ترافق أغلبها مع سقوط الملكيه أيضاً؛ إلّا أنّ هذه التغيّرات قد جرت على الطريقه الانقلابيه حيث اضطلع العسكريون بالدور المحورى فيها. فهذه المره الأولى التى يشارك فيها الملايين من المواطنين العاديين المجرّدين من السلاح بشكل فعّال فى عمليه سياسيه استمرّت لأشهر متتاليه حيث لم يقتصر على إسقاط الحاكم فحسب، بل أطاحوا بمؤسّسات كالجيش أيضاً. (٢)

إنّ ما أدّى إلى مضاعفه تداعيات الثورة الإسلاميه هو الحضور الواسع للشعب فيها. إذ يعبّر مدى حضور الشعب فى أىّ ثوره، عن مدى عمق محبوبيتها وأصالتها.

حيث يزيد الحضور غير المسبوق للشعب فى الثورة الإيرانيه مقارنة بثورات العالم الأخرى، من عظمه هذه الثورة وانعكاساتها على المستوى العالمى. وعلى الخصوص إذا ما نظرنا إلى مقابله الشعب لـ «العنف» المتزايد لحكومته الشاه بـ «عدم العنف» و«التظاهرات المليونيه السلميه» بشكل لا سابقه لها ولا يمكن تصديقه.

ص: ٤٤

١- (١). محسن مدير شانه چى: انقلاب اسلامى ايران در دايره المعارف هاى جهان.

٢- (٢). المصدر نفسه: ٤٨ - ٤٩.

يكتب كريستيان برومبيرغر العالم الفرنسى المتخصّص بأوضاع إيران والذى حرّر آثارا قيّمه فى خصوص الثورة الإسلاميه الإيرانيه، فى إحدى مقالاته قائلا:

إنّ الثورة الإسلاميه كانت مدمرّه ومؤلمه. حيث هدّت هذه الثورة توازن المعسكرات (القوى العالميه) وكذلك علاقات السلطه الاقتصاديه والسياسيه فى أكثر مناطق العالم إثاره للطمع. وقد عرّضت هذه الثورة «مشروعيه» العلاقات الدوليه للتساؤل. وخلطت هذه الثورة الثبات الذهني لعدد لا يستهان به من المحلّين أيضا بشكل أكثر جاذبيه وإضحكا من الموارد السابقه، المحلّين الذين ذهلوا من أصاله هذه الحركه حيث دعت هذه الثورة الأساليب المألوفه لهؤلاء المحلّين وكذا العادات الفكرية والمفاهيم المتداوله المتجذّره لديهم إلى المواجهه والبراز... (١)

ويقيم برنارد هوركاد العالم الفرنسى الشهير والمتخصّص بالوضع الإيراني فى إحدى مؤلّفاته، الآثار الخارجيه للثوره الإسلاميه بالشكل التالى:

لقد أثار سقوط شاه إيران فى عام ١٩٧٩ ردود أفعال ترافقت مع الانبهار وعدم الفهم وحتّى الإعجاب فى مختلف أنحاء العالم. حيث رأى البعض فى الثورة الإيرانيه سيلا إسلاميا يهدّد السلام العالمى. فالثوره الإسلاميه بحسب تعبير ماكسيم رودينسون أحييت «الساحريه الإسلاميه» وأمدّت بها بحياه جديده. (٢)

وقد قام ثلاثه من المتخصّصين الفرنسيين بأوضاع إيران بتقييم الثورة الإسلاميه فى جزء من كتاب إيران فى القرن العشرين ، وذلك بالنحو التالى:

إنّ أقلّ ما يمكن قوله فى خصوص الثورة الإسلاميه الإيرانيه هو أنّ هذه الثورة قد اختصّت لنفسها مكانه عظيمه فى تاريخ نهايه هذا القرن (القرن العشرين). فقد غيرت هذه الثورة بلدا نفطيا مجاورا للاتّحاد السوفيتى. وتبلورت هذه الثورة فى معارضتها العلنيه والمباشره للولايات المتحدّه الأمريكيه وأوصلت المرجعيه

ص: ٤٥

١- (١) . Christan Bromberger ، Islam. Et revolution en Iran ، quelques pistes pour une lecture ، Revue del occedent Musulman et la Mediterrance ، N. ٢٩ ، ١٩٨٠.P. ١٠٩

٢- (٢) . Bernard Hourcade ، Iran: Revolution islamique ou tiers-mondiste ، Herodote. ٣٦. . (٢) . Janvierjmars ١٩٨٥. P١٣٨

الشيعة إلى سدّه الحكم فى وقت لم يكونوا معروفين إلّا من قِبَل القليل؛ ووقع هذا فى بلد كان يبدو فيه أنّ الإسلام قد وضع فى هامش الحياه. (١)

وهذا ما ينطبق كذلك على بعض الأمريكيين المطلعين على الوضع الإيراني والمعروفين بأنهم من المتخصصين بالثوره أيضا، حيث يصوّر جان فوران الذى له آثار متعدده فى مجال نظريات الثوره وإيران، الثوره الإسلاميه فى إحدى مقالاته بهذه الصوره:

لقد ضربت أمواج الأحداث الدراماتيكيه التى وقعت فى إيران أعوام ١٩٧٨ - ١٩٧٩ والطوفان الذى نتج عنها؛ باتجاه الولايات المتجده الأمريكيه، مخطّطى السياسه الدوليه والمحافل الأكاديميه والجامعيه أيضا، وهو ما استمرّ حتّى يومنا هذا؛ هذا إضافة إلى أنّها قد أثّرت على حياه الملايين من الناس فى سائر أرجاء العالم بشكل مباشر أو غير مباشر. ولم تكن إيران قبل عام ١٩٧٨ تحظى بمكانه ملفته فى الرأى العام، وسائل الإعلام العالميه أو مراكز البحوث الأكاديميه. وبالطبع فإنّ هذا البلد كان مركزا لمصالح مهمّه للشركات النفطيه متعدده الجنسيات، مصانع الأسلحه والمحافل السياسيه العليا فى الولايات المتحده الأمريكيه، غير أنّ العلاقات الاقتصاديه والإستراتيجيه الواسعه مع هذا البلد بقيت بعيدا عن الأنظار إلى حدّ كبير. وإنّ ما كان يدعم هذه الرؤيه الاجتماعيه تقريبا هو أنّ إيران كانت حليفًا دائما وثابتًا إلى الدرجه التى لم تلاحظ أىّ مسأله تحذيره يمكن التكهّن بها فى المستقبل. (٢)

ويكتب مارفين جونيس المختصّ الأمريكى الآخر بالشؤون الإيرانيه أيضا، وذلك فى كتابه هزيمه إمبراطوريه :

ينبغى عدّ سقوط الشاه من أهمّ الأحداث التاريخيه المعاصره. إذ فقد أقوى ملوك العالم، الواجه الأساسيه لمنظّمه الدول المصدره للنفط المهمّيه وأحد الحلفاء السياسيين والعسكريين الدائمين للولايات المتحده الأمريكيه والغرب تاجه وعرشه وانقرضت سلالته، بعد أن ترك بلاده فى ١٩٧٩. (٣)

ص: ٤٦

١- (١) . Jean-Pierre Digard. Bernard Houreade. Yann Richard ، L Iran on XX Siecle. Paris . (١) - ١٥٥ P. ١٩٩٦ ، Fayard .

٢- (٢) . John Foran (Ed.) A Century of Revolution Social Movement in Iran ، Lond-on ، . Introduction VCL. Press ،

٣- (٣) . Marvin Zonis ، Majestic Fail ure ، the fail of the Shah ، Chicago ، the university of . Chicago press ، ١٩٩١ ، P. ٣-٤

ويقول جان ستمبل الملحق السياسي للسفارة الأمريكية في طهران أثناء وقوع الثورة الإسلامية:

تاريخياً، ربّما يكون إثبات ظهور الدين باعتباره قوّة سياسيه مهمّه من أهمّ نتائج الثورة. إذ إنّ امتزاج أيديولوجيه الحكومه الإلهيه مع القدره العظيمة للشعب وفق ضوابط صحيحه، قد عرض شقاً آخر من ثوره تكاملت من خلالها الحركه الماركسيه وبعض النماذج المشابهه، فهذا الطريق يمثّل قوّه أخرى تقوم على مبرّرات تختلف عن وراثه قوّه ومشروعيه الشاه أو أيّ قائد غير ديني آخر، وتقف على الضدّ منه في عدم لجوئها إلى العنف لتحقيق أهدافها. الأمر الذي أثبت الأصوليون من خلاله إمكانية انهيّار قوّه مسلحه ضاربه من داخلها. إنّ أهمّ عامل مهّد في خصوص حركه (الإمام) الخميني الإسلاميه، ليس هو النظرية التي تقوم عليها الحركه، وإنّما تعبئتها المؤثّره التي تشكّلها المجموعات الاجتماعيه المختلفه للدفاع عن حكومه إسلاميه في تنظيم سياسى. إنّ تفوّق العلمائيه بذلك الشكل الذى ادّعه الإمام الخميني رحمه الله هو إشاره ضمنيه للدعوه إلى مكافحه الدول غير الدينيه أينما وجدت. وإذا ما استمرّت هذه الظاهره في وجودها وأهدافها فسيغيّر النهج الغربى القديم القائم على فصل الحكومه عن الكنيسه. (١)

وتقول مارغريت تاتشر الرئيسه الأسبق للوزاره البريطانيه خلال تصريح لها في أوائل عقد الثمانينات من القرن العشرين:

لم نكن نحن الغربيين نخشى الأنظمه العسكريه والوسائل الحربيه والأقمار الاصطناعيه للاتّحاد السوفيتى في عقد الثمانينات. فإذا كان المعسكر الشرقى وأعضاء حلف وارشو مجهّزين بالأسلحه العسكريه ومسلّحين بالمعدّات الفتيّاكه فنحن أيضاً مجهّزين ومسلّحين بالأسلحه الحديثه والمتطوّره؛ غير أنّنا قلقون من وجود الثقافه الإسلاميه للثوره الإيرانيه. (٢)

ويحلّل هنرى كيسنجر وزير الخارجيه الأمريكيه الأسبق والإستراتيجى الشهير تداعيات

ص: ٤٧

١- (١). جان. دى. استمبل: درون انقلاب اسلامى: ٤٣٥ - ٤٣٦.

٢- (٢). المصدر نفسه.

الثورة الإسلامية في العالم الإسلامي أكثر من غيره وعلى الخصوص في بُعدها الانتشاري الذي يسميه بالراديكالية الإسلامية:

إنّ انتصار إيران في الحرب (حرب العراق وإيران) سينشر عقائد الراديكالية الإسلامية من جنوب شرق آسيا وإلى سواحل المحيط الأطلسي. (١)

ويقيم أحمد بن بلا أول رئيس لجمهورية الجزائر بعد الاستقلال وأحد قادة الثورة الجزائرية، وكما ذهبت إليه تاتشر من أنّ الثورة الإسلامية هي ثورة تتميز بخصائص وقوة ثقافية:

إنّ ما هو مهمّ بالنسبة لي في خصوص ثورة إيران، هو ولاده ثورة بمفهوم ثقافي ولأول مره، فهي ثورة ثقافية قبل كلّ شيء آخر، حيث تركّزت أصداء هذه الثورة خارج إيران في هذا المجال تحديداً، وتكمن جاذبيتها وقابلية دراستها من هذه الوجهة. فقد استولت الثورة الإسلامية الإيرانية على القلوب، وعلى الخصوص قلوب شباب العالم العربي في الجزائر، تونس، المغرب، سوريا و... (٢)

ولم تمض فترة طويله حتّى اتّضحت صحّته كلام بن بلا بحدوث تحركات لشباب هذه البلدان استلهاما منها للثورة الإسلامية الإيرانية.

وغلب على تقييم حافظ أسد الرئيس السوري الراحل، لتداعيات الثورة الإسلامية الإيرانية من جانبها الإقليمي وعدّها مهمّة في هذا الإطار، حيث يقول:

الثورة الإسلامية الإيرانية تمثّل انتصاراً لجميع شعوب المنطقة.

فبحسب وجهه نظره أنّ إيران حالياً:

يحكمها نظام ثوري - إسلامي يرفع شعار لا شرقيه لا غربيه استطاع أن يقلب الموازين السياسيّة، العسكريّة والاستراتيجيّة في المنطقة رأساً على عقب.

وذهب الأسد إلى أبعد من ذلك في رؤيته لتداعيات الثورة الإسلامية الإيرانية في المنطقة، حيث تكهن بانتصار الفلسطينيين:

ص: ٤٨

١- (١). المصدر نفسه: ١١٥.

٢- (٢). المصدر نفسه: ٩٨ - ٩٩.

إنّ مدى الرعب الذى أصاب النظام الاحتلالى للقدس من الثورة الإسلاميه دعاه للشكوى من أسياده الأمريكان لمرات عديده لعدم استطاعتهم الحيلولة دون نفوذ الثورة الإسلاميه الإيرانيه وتأثيرها الذى سيؤدى إلى انتصار فلسطين. (١)

ويرى حبيب الشطّى الأمين العام لمنظّمه المؤتمر الإسلامى أبان ذلك العهد، فى الثورة الإسلاميه الإيرانيه أنّها قضت على الذلّه والحقاره التى لحقت بالإسلام على مدى عهود طويله، فيقول:

لقد أوضحت الثورة الإيرانيه للجميع مدى القوّه التى يتمتّع بها الإسلام وأنّ بإمكان الإيمان أن يساعد المسلمين للوصول إلى الحكومه التى يبغيونها.

فهو يرى فى الثورة الإيرانيه استعادته لعظمه الإسلام وعزّته وشموخا للعالم الإسلامى.

وإضافه إلى ذلك، فإنّ الشطّى يقيّم الثورة الإسلاميه الإيرانيه على أنّها نموذج يمكن أن يحتذى به المسلمون فى الثورة وفى إقامه حكومه إسلاميه:

نحن نريد صناعه مجتمع جديد يقوم على الأصول الإسلاميه ونأمل أن تكون الثورة الإسلاميه الإيرانيه نموذجا وقدوه لنا فى ذلك. (٢)

ويقيّم الأسقف كابوتجى العالم المسيحى العربى، الثورة الإسلاميه على أنّها ثوره فريده ويعزو انتصار إيران على أعظم قوى العالم إلى إيمان الشعب بالله وإلى قياده الإمام الخمينى رحمه الله . وهو إضافه إلى اعتقاده بأنّها ثوره لا نظير لها وعلى الخصوص فى اعتمادها على الإيمان بالله، يرى إمكانيه محركات هذه الثورة وتقليدها ويوحى للآخرين باتّخاذها قدوه لهم:

علينا نحن العرب أن نتعلم من الثورة الإسلاميه. (٣)

ويؤكّد مولانا بشير الرحمن أحد قادة المسلمين السنّه فى الباكستان على أنّ مسلمى الباكستان يكتّون احتراماً شديداً للثوره الإسلاميه الإيرانيه، فيقول:

ص: ٤٩

١- (١) . المصدر نفسه: ١٠٠ - ١٠١.

٢- (٢) . المصدر نفسه: ١٠٧.

٣- (٣) . المصدر نفسه: ٣٤ - ٣٥.

كلّ يوم يمرّ على الثورة الإسلاميّة المهيبة، يزداد ارتباط الشعب بها ويزداد ولهمم بهذه الثورة.

ويعزو أهمّية هذه الثورة وسبب الحبّ لها إلى «إحيائها الإسلام وتطبيق أحكامه» فهو يرى أنّ الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة وقائدها الإمام الخميني رحمه الله :

قد شقّت وشقّ طريقاً لمسلمي العالم للمسير فيه والوصول إلى هدفهم في الخلاص من نير القوى الكبرى. (١)

ويفهم من خلال كلام هذا الزعيم السنّي أنّ وجه نموذجية الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة هو أهمّ أوجه تداعيات هذه الثورة.

٢- الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة مقارنة مع ثورات العالم الكبرى

بما أنّ الثورة تمثّل معارضة الفئات الاجتماعيّة للنظام السياسيّ الحاكم، وأنّ السلطة السياسيّة تتكوّن من القدرات الماديّة للسلطة من قبيل القوّة العسكريّة، السياسيّة، الاقتصاديّة والدوليّة، وأنّ القوّة الاجتماعيّة تتمثّل في الوسائل المعنويّة أمثال المشاركة الشعبيّة، القيادة والأيدولوجيّة؛ فإنّ دراسة ظروف وأوضاع وأحوال هذه المعارضة في الثورات المشابهة، سيعطينا الإجابة اللازمه على مدى عظمتها وقوّة ومهابه كلّ واحدة من الثورات. (٢)

وفي تحليل ومقارنتها للظروف والأوضاع والأحوال السياسيّة - الاجتماعيّة في كلّ من فرنسا، روسيا وإيران، نلاحظ أنّه في عين وجود تشابه من قبيل المواقع وقدرات النظام السياسيّ في الأبعاد والعوامل الأربعة المشار إليها آنفاً في الثورات العالميّة الشهيرة وعلى الخصوص الثورتين الفرنسيّة والروسية، عدم اقتصاراتها على عدم وجود تشابه بينها وبين ظروف وقدرات السلطة السياسيّة في إيران والأوضاع والأحوال

ص: ٥٠

١- (١) . المصدر نفسه: ٢٨ - ٢٩.

٢- (٢) . منوچهر محمدي: انقلاب اسلامي در مقايسه با انقلاب هاي فرانسه وروسيه: ٣٤٩.

السياسيه - الاجتماعيه الحاكمه فى إيران قبل الثوره فحسب؛ بل ثمّه ظروف تختلف بالكامل فى هذا البلد عنها فى البلدان المشار إليها.

ففى وقت كانت كلّ من فرنسا وروسيا تعيشان أحلك الظروف إقتصاديا وتسيران إلى حافّه الإفلاس، كانت إيران تعيش أفضل الظروف الإقتصاديه وعلى الخصوص من ناحيه القدرات الماليه وأرصده العملات الأجنبيه، وذلك من خلال الارتفاع المفاجئ وغير المتوقع لأسعار النفط.

وفى حين أنّ فرنسا وروسيا كانتا من الناحيه العسكريه تمرّان بأضعف حاله وأكثرها قلقا نظرا لهزائمها المتلاحقه فى الحروب التى خاضتها. فلم يقتصر الجيش على عدم تقديم الدعم اللازم للنظام السياسى الحاكم فحسب، بل أنه أبدى ميلا نحو الثورتين وانضمّ قسم منه إليهما؛ أمّا جيش الشاه ففى ذات تمّعه بالعدد والعدّه الكافيه، سوى بعض الموارد الاستثنائيه المتفرّقه، بقى وفي للنظام السياسى حتّى آخر لحظات عمر نظام الشاه. (١)

أضف إلى ذلك أنّ فرنسا وروسيا وعلى الرغم من أنّهما كانتا تمرّان فى ظروف سيئه من جهه الدعم الدولى، كانتا غالبا ما تواجهان إغراضا من قبل الدول الأوربيه يصل إلى الخصومه من بعضها؛ بينما نلاحظ أنّ دوله إيران ونظام الشاه لم تكن تتمتع بالدعم الكامل من قبل القوّتين العظيمين وباقى القوى الكبرى والأقليميه إلى آخر أيام حكومته فحسب، نظرا لانتهاه الحرب البارده وبدايه مرحله الهدوء والتعايش السلمى بين القوّتين، بل بادرت كثير من القوى العالميه لمواجهه الثوره الإسلاميه يدفعا إلى ذلك الحفاظ على مصالحها التى يمرّ ضمانها عبر استمرار نظام الشاه ويقف الثوريون فى قبال ذلك من دون وجود أىّ دعم دولى لهم.

ص: ٥١

وأخيراً، ففي حين لم تستطع الأنظمة السياسيّة في كلّ من فرنسا وروسيا وعلى الرغم من الاستبداد المستولى على الوضع، من تحديد مصالحها وإداره أنظمتها بشكل مناسب مطلقاً، وذلك للحفاظ على ثباتها واستحكامها بسبب عدم كفاءه أمبراطوريهما ونفوذ أفراد سيئين في البلاط؛ ولكنّ نظام الشاه كان قد وصل بالتدريج إلى الثّقه بالنفس والسيطره المطلقه بعد عبوره مرحله حرجه من تاريخ حكومه محمّد رضا بهلوى على مدى ٣٧ عاماً، وكان يتمتّع بالقدرات اللازمه للحفاظ على سلطته الاستبداديه واستمرارها والقضاء على معارضيه من خلال جيش من المستشارين المهرة من الداخل والخارج - وعلى الخصوص الشرطه السريه المهوله السافاك -.

ويستخلص ثيدا سكوجول الكاتب الأمريكي إثر دراسته مقارنه بين ثورات فرنسا، روسيا والصين ما يلي:

كانت كلّ فرنسا وروسيا والصين قد أسّست قبل الثوره إمبراطوريه تمتلك القابليه اللازمه لحفظ تفوّقها في مواجهه التمرد الاحتمالي للشعب. فكان يلزم تجزئه وتشتيت قواها العسكريه والتنفيذيه إذا ما أُريد حدوث ثوره اجتماعيه. فحينما حدثت ثوره ١٧٨٩ الفرنسيه، ١٩١٧ الروسيه، ١٩١٧ والصينيه لم يحدث ذلك بسبب خطوات حكميه أُتخذت في هذا الإطار ومن خلال إرادته سعى من خلالها الثوار أو فئات سياسيّه قويه في مرحله النظام السابق، وإنّما بسبب الأزمات السياسيّه النابعه من الانهيار العسكري والإداري للنظام وفي وقت كانت هذه الإمبراطوريات واقعه تحت وطأه ضغوط متعدده نظير التنافس العسكري الشديد، الاختراقات الخارجيه وعدم كفاءه المؤسّسه السياسيّه، الأمر الذي جعل من هذه الأنظمه في معرض الانهيار أمام أمثال هذه الأزمات الثوريه، إذ إنّ أنظمتها الموجوده جعلت من إمكانيه الصمود أمام الضغوط العسكريه والدوليه التي ينبغي عليها مواجهتها أمراً غير ممكن.

ويضيف:

إنّ طبيعه ونتيجه الثورات الاجتماعيه في البلدان المرتبطه بالخارج تتبلور في ظروف لا تقتصر على أسباب الاستمداد والاستغاثه للدفاع في قبال الهجمات

ص: ٥٢

الفعلية والمستقبلية فحسب، بل ستقع تحت تأثير المساعدات العسكريه والاقتصاديه المباشره من الخارج. فأغلب هذه المساعدات المقدمه لأبطال الثورة الصاعدين تتم من قبل القوى الخارجيه الرئيسيه التي ترغب في التنفيذ في بلوره الأنظمه الجديده وسياساتها.

(١)

وبسبب هذا الضعف والخلل في الثورة الفرنسيه، فإنّ النظام السياسي الحاكم تهالك على مجلس العموم ملتصقا ومستسلما ليس بسبب معارضه القوى الشعبيه، وإنما بسبب العجز الكامل عن حلّ المعضلات الاقتصاديه، السياسيه والاجتماعيه للبلاد. فتشكّلت عندئذ الحركات الشعبيه والتنظيمات الاجتماعيه ممّا أعطى زحما للثوره.

وينطبق هذا الأمر على الثورة الروسيه أيضا، فمع أنّ قوى المعارضه كانت حاضره على شكل مجموعات وأحزاب سياسيّه مختلفه ذات أهداف خاصّه ومتنوّعه، لم يكن لها أيّ دور في سقوط نظام القياصره، بل لم يكن يخطر على بالهم سقوط الإمبراطوريه الروسيه بهذه السهوله.

وبالطبع فإنّ دوله روسيا القيصريه وعلى الرغم من العجز والضغط الشديد الذي تحمّلته، لم تبادر إلى الاستسلام مباشره للشعب؛ ولكنّها في المقابل استسلمت وذابت كجبل من الثلج في أول تمرد شعبي صغير نبع من الأزمه الاقتصاديه وانفجارها، والذي تبلور على شكل مظاهرات واعتصامات في معامل ومصانع بتروغراد. في حين أنّ الثورة الإيرانيه انتصرت في ظروف كان النظام الشاهنشاهي يبدو فيها في ذروه قوّته وروسخه باعتراف أكثر المحلّلين والمنظّمات الاستخباريه (٢)، وكان يشعر بامتلاكه القوّه

ص: ٥٣

١- (١) . Theda Skocpol ، Opcit ، P٢٨٥ .

٢- (٢) . لقد ذُهِلت أغلب المراكز السياسيّه والجامعيه من انتصار الثورة الإسلاميه فلم تستطع تصوّر وقوع مثل هذا الحدث في إيران بالاعتماد على دراساتها للثورات السابقه. فقد توصّلت دراسات المنظمات الاستخباريه الأمريكيه CIA و DIA قبل أربعه أشهر من سقوط نظام الشاه إلى ما خلاصته أنّ إيران لا تمرّ حاليا في ظروف ثوريه أو حتّى في مقدّمات ثوريه وأنّ نظام الشاه سيبقى قائما في السنوات العشر القادمه.

والقدرة على الصمود في قبال المعارضين إلى أقصى حد ممكن. وبالطبع فإن الفئات الاجتماعية ولأجل تركيع وإسقاط مثل هذا النظام المقترن كان ينبغي عليها التخطيط وتعبئه كافة القوى والتضحية بالكثير من التعويين.

ولأجل هذا، فإنه يصدق ما قاله سكوجول من أن الثورتين الفرنسيه والروسية لم تُصنعا، بل حدثتا تلقائيا، ولكن الثورة الإسلامية الإيرانية لم تحدث تلقائيا وإنما صُنعت على ضوء الظروف الصعبة والمعقّده التي كانت قائمه (1)؛ ولم يحدث ذلك بسهولة، وإنما من خلال إعداد كافته إمكانيات البلد وجميع الفئات والطبقات الاجتماعيه وتحت قياده قائد قوى ودفع ثمن باهض، أي التضحية بعده آلاف من المناصرين للثوره. الأمر الذي جعل الجميع في حيره وذهول من قيامها وانتصارها.

إن الثورة الإسلامية لم تأت لإجراء برامج مشابهه لثوره فرنسا الديمقراطيه أو البرامج الاشتراكيه للثوره الروسيه؛ وإنما جاءت لخلق بيئه تقوم على أساس أطروحات ونظريات حديثه تنسجم والربع الأخير من القرن العشرين تهىء أسباب خلاص المستضعفين من الاستبداد والاستعمار بكافه أنواعه وإنشاء مجتمع قوى وحديث يقوم على دين متجدد وبناء كالأسلام.

أما في المجال النظري، فإن النظام السياسي للدول الاستبداديه يلزمه أن يكون ضعيفا كي يمكن نجاح أو حتى ظهور حركات ثوريه شعبيه. فالتمرد الشعبي من

ص: ٥٤

١- (١). يقول تيدا سكوجول في هذا الصدد: إن سقوط نظام الشاه وبدء الحركه الثوريه ما بين عام ١٩٧٧ إلى ١٩٧٩ كان حدثا مذهلا ومفاجئا للمراقبين الأجانب أعم من أصدقاء الشاه والصحفيين وعلماء العلوم السياسيه والاجتماعيه ومن بينهم ما يصطلح عليهم - كما أنا - بخبراء الثورات. فكنا جميعا نراقب أحداث الثورة في حيره وذهول. والأكثر من كل ذلك هو أن ثوره إيران كانت ظاهره على خلاف القاعده والطبيع بالكامل. إن هذه الثورة هي بالتأكيد ثوره اجتماعيه. ومع ذلك فإن مشروع الثورة وعلى الخصوص الأحداث التي أدت إلى سقوط الشاه قد عرّضت الأسباب التي طرحتها في دراستي التطبيقيه للثورات الفرنسيه، الروسيه والصينيه للتساؤل.

الوجه التاريخي لم يكن قادرا بذاته في الحقيقة على إسقاط الحكومات المستبدّة. وعلى خلاف ذلك، فإنّه يلزم وجود ضغط عسكري من الخارج يترافق على الأغلب مع تباينات وانشقاقات سياسيه في أوساط الطبقة الحاكمة والدولة كي يتمّ إضعاف الاستبداد لتهيئه الأجواء للتمردات والتحركات الثوريه.

ويعتقد سكوچول عدم وجود ثورات اجتماعيه تعقب حركات ثوريه يقودها قائد مذهبي يحرك الجماهير ويكسب دعمهم لإسقاط النظام الحاكم. وبعبارة أوضح، إنّ قادة الثوره غالبا ما يكونوا غائبين قبل انطلاق الثوره حتّى سقوط النظام، أو أنّهم يتواجدون بشكل هامشي سياسيا. في حال أنّ الثوره الإيرانيه لم تأت من ذاتها، بل إنّ هذه الثوره صنعها عزم وإرادته شعب كامل يقوده قائد مقتدر يتحرّك بشكل منسجم وعلى الخصوص في مراحلها الابتدائيه التي شهدت سقوط الشاه. فهو يعتقد بأنّه:

لا مجال للشكّ والنقاش في أنّ أسباب ظهور ثوره إيران مقارنه مع ما حدث من ثورات في فرنسا، روسيا والصين كانت مختلفه ومختلفه جدّا. (١)

ما تقدّم من كلام يجعلنا نستنتج من الناحيه النظرية، أنّ ظروف وأوضاع إيران كانت وعلى خلاف ما هو عليه الحال في فرنسا وروسيا في أضعف حالاتها لتوجيه ضربه لنظام الشاه وإسقاطه. فقد سقط هذا النظام في وقت لم يكن يخطر على باله أبدا حدوث ذلك، ولأجل هذا فقد استولى الدهول والحيره على الجميع وكأنّ معجزه قد وقعت. إنّ الأسباب الحقيقيه لهذا الحدث يمكن إيضاحها وتحليلها من خلال دراسه القوه الاجتماعيه المعارضه التي تتمثّل في أركانها الثلاثيه الشعب، القائد والمذهب.

ويلاحظ من خلال دراسه القوه الاجتماعيه في الثورات مورد البحث أنّه بالترافق مع ضعف السلطات السياسيه الحاكمه في فرنسا وروسيا، فإنّ القوه الاجتماعيه

ص: ٥٥

١- (١). منوچهر محمدي: انقلاب اسلامي در مقايسه با انقلاب هاي فرانسه و روسيه: ٣٠٥.

المعارضه فى تلك البلدان كانت ضئيله جدًا مقارنة مع إيران ومع مدى تأثيرها ومشاركتها فى سقوط الأنظمة السياسيه الحاكمه.

فى الوقت الذى كان معدّل مشاركة الشعب فى إسقاط الأنظمة المستبدّه قليلًا جدًا فى فرنسا وروسيا إلى درجه أنّ معارضى النظام فى فرنسا اقتصر على طبقه الأمرء والنجباء، وبعبارة أخرى لم يكن ثمة دور للشعب فى ذلك، فاستسلام النظام الفرنسى يعود إلى ضعفه الذى استلزم الاستسلام. وفى روسيا أيضًا، حيث اقتصر التمرد على عدد محدود من عمّال مصانع بطرسبورغ وجنود المعسكرات فيها، ممّا أدّى إلى التمهيد لسقوط أسره رومانوف. أمّا فى الثورة الإسلاميه الإيرانيه فقد تكاتف جميع طبقات الشعب والفئات الاجتماعيه باستثناء أقلّيه ضئيله، حيث أوقف العمّال، المزارعون، المهنيون، فى كافّه أنحاء البلاد العجله الاقتصاديه والإداريه للبلاد دفعه واحده، ووقفوا بأيدٍ عزلاء فى مواجهه النظام ما وسعهم ذلك حتّى أسقطوه.

وقد أشارت الدراسات اللاحقه إلى أنّ مستوى مشاركة الشعب أخذ بالانخفاض تدريجيا بعد انتصار الثورة فى كلّ من فرنسا وروسيا اللتين اختلّت وضعفت فيهما حلقات الاستبداد والديكتاتوريه وتهيأت أجواء مناسبة للوعى السياسى والمشاركة الشعبيه بسبب عدم رغبه سلطات ما بعد الثورة - أعمّ من الوسط والراديكاليين -.

حيث يثبت هذه النظرية تاريخ وإحصاءات مشاركة الشعب فى انتخابات ما بعد الثورة. (١)

أمّا فى مجال البعد القيادى للثورات، فإنّه يمكن القول بعدم وجود قائد بارز ترتضيه الفئات الاجتماعيه فى فرنسا وروسيا فى صفوف المعارضين وذلك إلى ما قبل سقوط نظاميهما الإمبراطوريين. وينطبق ذات الأمر على مرحله السنوات العشر ما بعد الثورة أيضًا، فقد جاء قاده كثيرون تصارعت إرادتهم واختلفت اتجاهاتهم فلم يتمكّنوا

ص: ٥٦

من إقرار الثبات والنظام اللانزيم في المجتمع المتشئت والمضطرب في ذلك الوقت ممّا أدى في نهايه المطاف إلى إقامه ديكتاتوريات نابليونيه وستالينيه قاسيه وعنيفه. لكنّ الثوريين في إيران كانوا يتمتعون في ربع القرن الأخير (أى منذ بدء الحركه الإسلاميه عام ١٩٤٣) بقائد كالإمام الخميني رحمه الله لم يجرؤ أحد على معارضة قيادته المقتدره والحكيمه، حيث كان يتمتع أيضا بمشروعيه دينيه وسياسيه واجتماعيه فاستولى على قلوب ملايين المسلمين الولهين. وتعدّ هذه المسأله أحد العناصر الرئيسيه في استمرار وثبات الثوره، إذ إنّ هذا النوع من القياده قد انعكس في أصل ولايه الفقيه المستلهمه من مدرسه الإسلام التي هي مدرسه الثوره أيضا، الأمر الذي جعل استمرار حضور قياده الثوره أطول باعا من إداره النظام السياسى الحاكم. واستمرت هذه القياده بكل هدوء واطمئنان بعد رحيل الإمام وذلك من خلال خليفته.

وبما أنّ المذاهب الليبراليه والشيوعيه في كلّ من فرنسا وروسيا قامت بتضييق الأفق الحياتى على أتباعها باستنتاجاتها الماديه، واقتصرت على إلفات أنظارهم إلى زاويه واحده ولم تضطلع بدور مهمّ في خلق البواعث اللانزيمه لإسقاط الأنظمه الإمبراطوريه في فرنسا وروسيا، فقد واجهت مشاكل في تطبيق قيمهما ومعاييرها بعد سقوط الأنظمه البائده، فاضطرت إلى إجراء تعديلات كثيره على نظرياتها. ومن جانب آخر، فإنّ المذهبين الأنفين كانا غريبين على الفرنسيين والروس ويتعارضان مع الأسس العقائديه لعامه الشعب الذى كان دينيا في أغلبيته ممّا أدى إلى عدم تمكّنها من إيجاد اللبنة الأساسيه للتكاتف والانسجام والوحده بين طبقات وعامه شعبه وبقياء يمثلان أيديولوجيه طبقه خاصه ومثقفه وبعناوين متعدده.

ولكنّ الإسلام بما أنّه كان قد دخل إيران قبل ١٤٠٠ عام فأصبح مألوفاً ومعتقداً لكافه طبقات المجتمع فتعايشوا معه ونفذ إلى قلوبهم وسيطر على عقولهم، لم يتعارض مع قيم المجتمع فحسب، بل فتح آفاقاً واسعاً لأتباعه نظراً إلى رؤيته الكونيه الإلهيه.

وبالإضافة إلى أنه كان يبتّ الأمل بالسعادة الأخروية في أتباعه، فأثّر جاء بقوانين وإرشادات لهذه المرحلة القصيره من الحياه الدنيويه، فإنّه في هذه الخصيصه يتمتّع بميزه عظيمه مقارنه مع المذهبين الأنفين.

إنّ الثورتين الفرنسيه والروسيه لم تقفا ضدّ الدوله فحسب، بل وقفنا ضدّ رجال الدين والكنيسه أيضا، فقد أصبحت الكنيسه في فرنسا فرنسيه وخرجت عن سلطه البابا والفاثيكان، وقُمت وزويت في روسيا؛ إلّا أنّ علماء الشيعه قاموا وثاروا بأجمعهم على الدوله واضطلعوا بقياده الثوره الإسلاميه.

فقد كان نجاح الأيديولوجيه الثوريه للإسلام يمثّل مسأله قيمه وعلامه مميّزه على الرؤيه الكونيه للثوره الإسلاميه في إيران. فأعطت هذه الأيديولوجيه إجابته واضحه للمطالب السياسيه المعاصره، وكمّمت أيضا أفواه المذاهب المادّيه، واستثمرت في ذات الوقت جميع الإمكانيات التقنيه وتجارب الحركات الأيديولوجيه والسياسيه للغرب. وبعبارة أخرى، فقد نفوّت هذه الأيديولوجيه تفوّقا بارزا على الشيوعيه التي تتعارض والدين، والثوره الإسلاميه بدل أن تخلق بديلا جديدا للدين - كما فعل الشيوعيون - لجأت إلى دين جادّ وتقدّمي كان موجودا من قبل، وتجهّزت بالآليه الأيديولوجيه اللازمه للنضال في الساحة السياسيه.

والملاحظ أنّه يمكن تلمّس رمز انتصار الثوره الإسلاميه على نظام الشاه في عظمه ومستوى النشاطات الواسعه لأركان الثوره الثلاثه أيّ الشعب، القياده والدين والتي استطاعت وعلى خلاف تكهّنات وحسابات المحلّلين من تركيع النظام الشاهنشاهي العريق والقوى وإسقاطه أمام دهشه وذهول العالم.

وكما أنّصح من الحوادث والوقائع التاريخيه للثورات الثلاث فإنّ انتصار ثورات فرنسا وروسيا وحتّى الصين وكوبا لم يأت من خلال انسجام وقوّه القوى الثوريه، وإنّما بسبب ضعف أسس الأنظمه الحاكمه، الذي أدى إلى إنهاك النظام الحكومى،

وساهمت الأزمات العسكريه، الاقتصاديه والضعف الدوليه إلى تعزيز هذا الضعف. فمن الطبيعي عدم إمكان تفادى سقوط النظام السياسى لهذه الأنظمه والحال هذه. ويتوضح آخر، إن الفئات الاجتماعيه المعارضه إنما سعت وتنافست واستلمت السلطه من خلال الفراغ السياسى للسلطه، فنزلت إلى الشارع باعتبارها وريثه للثوره.

٣- البعد العالمى للثوره الإسلاميه

الإسلام دين عالمى. وقد أعلنت عالميته وخاتمته منذ بدء البعثه وثبتت عالميته وخاتمته فى أذهان عموم المسلمين كأمرين ضروريين وخصلتين غير قابلتين للفصل للتفكيك. وإضافه إلى النصوص القرآنيه المتعدده نظير (وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا) ١، (وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ). (١) فقد أيدت ودعمت بعض الخطابات القرآنيه ذلك.

حيث هناك ما يقارب ٩٢ آيه تبتدء بخطاب (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) التى تمثل فى أغلبها آيات وسور مدنيه تتضمن تشريعات وتكاليف، إذ يُعدّ هذا النوع من الخطابات علامه وإشاره وخصيصه للسور المدنيه التى يتوجّه خطابها إلى المسلمين.

فكون الثوره عالميه هو فى الحقيقه تعبير آخر عن خصيصه عموميه وخاتميه الإسلام. فالإمام باعتباره داعيه ومصلحا إسلاميا لا يمكنه التغاضى عن هذا الجزء من الإسلام، كما هو الحال مع الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وأتباعه فى عدم تغاضيهم عن ذلك. فقد ابتداءً صلى الله عليه و آله بدعوه إمبراطوريتى عصره، إيران وروما والدول الأخرى إلى الإسلام أولاً، ثم أعقبها بالجهاد ثانياً. فالبحرين أصبحت مسلمه بالدعوه مع أنّها كانت ضمن حدود إمبراطوريه إيران. وقد قامت معركة مؤتة ومعركه تبوك مع الإمبراطوريه

ص: ٥٩

الرومانيه. فهذه الأحداث الثلاثة قد حدثت أثناء حياه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ثم تابع الخلفاء والصحابه هاتين المعركتين من بعده. وكما نعلم فإنه تم القضاء على الإمبراطوريه الإيرانيه فى عصر الخليفه الثانى وانحسرت الإمبراطوريه الرومانيه عن منطقه الشام ومصر وجزء من شمال أفريقيا.

إنّ أىّ ثوره لا يمكن تحقّقها ولا يمكن تجسيدها فى الواقع من دون قيامها على أيديولوجيه. فإطلاق عنوان الثوره على ظاهره ما يكفى لمعرفة كون أنّها تتضمّن أيديولوجيه. ولأجل تنوّع الأيديولوجيات فى الثورات يمكن لنا تقسيمها من هذه الناحيه إلى مجموعتين؛ ثورات ذات أيديولوجيه قوميه وثورات ذات أيديولوجيه عالميه (ما وراء القوميه).

والمقصود بالأيديولوجيه القوميه هى أنّ نفوذها وقوّه إقناعها وتعبويتها تتحدّد ضمن إطار الأراضى القوميه للثوره من دون أنّ يكون لها خطابا موجّها للشعوب التى تقطن خلف حدودها القوميه. أمّا الأيديولوجيه العالميه فهى على العكس من ذلك فهى إضافه إلى امتلاكها القدره على بيان ما هو موجود فى الحدود الجغرافيه للثوره، تمتلك القابليه اللازمه أيضا لبيان الأوضاع الموجوده فى سائر الأراضى المشابهه، والأهمّ من ذلك، ترسم وتحدّد الحاله التى ينبغى أن تكون عليها الأوضاع بالشكل الذى يكون مقبولا على النطاق العالمى؛ أى أنّها لا يمكنها أن تبقى حبيسه حدودها القوميه ومتوجّهه للشعب الذى يقطنها فحسب.

إنّ ماهيه «إسلاميه» الثوره الإيرانيه قد حوّلت «الأيديولوجيه الإسلاميه» للثوره إلى أيديولوجيه فوق القوميه منذ انطلاقتها. إذ إنّ أيديولوجيه بمضمون وبلاغ عالمى كانت مسموعه ومتّبعه فى أوساط مليار مسلم أبان تلك الفتره على الأقلّ.

حيث تتواجد وتتوفّر فى الثوره الإيرانيه الموادّ الأوّليه للأيديولوجيه القائمّه على الإسلام فى جميع الأراضى الإسلاميه. إضافه إلى أنّ أكثر هذه الأراضى

عاشت وتعيش ظروف مشابهه لظروف إيران في زمن الشاه. وبهذا تكون الأيديولوجيه الإسلاميه للثوره الإيرانيه في طليعه مَنْ يمتلك متلقين ومخاطبين كثر في الأراضى الإسلاميه التي لا تقتصر على فهم وإدراك لغه هذه الأيديولوجيه فحسب بل تتمناها.

إنّ أول معلم مهمّ للثوره، هو ماهيتها الدينيه والإسلاميه في قبال الفكرين الماديين الغربى والشرقى. فإذا ما نظرنا إلى جميع الثورات التي قامت حتّى اليوم، فإننا سنلاحظ أنّ كلّ منها كانت مرتبطه أو مستلهمه لأحد هذين القطبين؛ فالثوره الإسلاميه الإيرانيه تختلف عنها في هذا الجانب.

لقد بُنى الفكر المادى على محوريه الإنسان (الأومانيسيه) ولم يوفّر أبدا الحاجات الإنسانيه بكامل جوانبها. فقد اقتصر اهتمام هذا الفكر على الحاجات الأوّليه فحسب، ولم يلتفت إلى التّبعد القيمي، الأخلاقى والاقتصادى للحاجات الإنسانيه العليا. فما فعلته الثوره الإسلاميه الإيرانيه، هو عرضها النظريه العقلانيه الدينيه في مقابل العقلانيه الماديه. فمن خلال طرحها هذا الفكر طرحت أيضا الوحده بين العلم والدين، الحكومه والدين، التنميه الاجتماعيه والدين و...، فمثّل قبل أىّ شىء آخر جوابا رصينا للداعين إلى فصل الدين عن السياسه. إنّ الثوره الإسلاميه باعتبارها تمثّل تجديدا للدين والفكر الدينى للإسلام الأصيل، كان لها حصّه الأسد في إزاله غبار الخرافات والانحرافات عن وجه الإسلام.

إنّ الثوره الإسلاميه باعتبارها ثوره أيديولوجيه وبرؤيتها الكونيه الخاصه النابعه من مذهب الإسلام، لم تكتفِ أنّ تكون مجدّده للبرامج والنظريات والأطروحات الخاصه بالحكومه والدوله فى التّبعد القومى فحسب، بل ونظرا لعالميه مذهب الإسلام فقد كان لها أفكار ونظريات خاصه على المستوى العالمى أيضا وعرضت نظاما عالميا وفق رؤيتها الخاصه.

إشارة

إذا ما عدنا إلى لفظ تصدير الثورة في أدبيات العلاقات الدولية التي ترجع جذورها إلى أوروبا والمجتمع الدولي إثر اتفاقيه وستفاليا؛ سنلاحظ أنّ تصدير الثورة لم يكن مختصاً بالثورة الإسلامية فحسب، بل إنّه كان يعتبر جزءاً من الرسالة الخارجية لجميع الثورات حتّى في المفاهيم المتداولة في الجامعات الأوربية والأمريكية في القرنين الماضيين. هذا إضافة إلى أنّ قادة الثورة يرون أنفسهم مكلفين أيضاً بنقل تجربتهم إلى سائر المجتمعات.

لا شكّ في أنّ الثورة الفرنسية كانت ملهمه لأغلب ديمقراطيات أوروبا، ولم تقتصر الثورة الروسية على أنّ تكون ملهمه للثورات التي أعقبها فقط كما في الصين وكوبا، بل مهّدت الأرضية الفعلية لانتشار وتصدير الثورة الشيوعية خارج الحدود الروسية. فقد رحّب عدد ليس بالقليل من دول أوروبا الشرقية حتّى نشوب الحرب العالمية الثانية بنتائج وقيم الماركسية إلى الحدّ الذي استطاعوا تأسيس معسكر قوى في قبال الغرب في مرحلة الحرب الباردة. وقد مثّلت الثورة الكوبية بما لا يقبل مجالاً للشكّ إلهاماً للكثير من الانتفاضات والحركات الثورية في قارّه أمريكا وعلى الخصوص أمريكا اللاتينية، حيث لا يمكن إنكار الدروس المهمّة التي استلهمتها الثورة النيكاراغوية من الثورة الكوبية.

وينبغي الالتفات إلى أنّ الثورات الأخرى لم تلغ من رسالتها أصل الامتداد والهجوم، وأنّ تعطي لنفسها الحقّ في إخضاع المجتمعات الأخرى لأفكارها وآرائها من خلال اللجوء إلى هذا الأسلوب، الأمر الذي يؤول إلى وقوعها تحت سيطرتها.

وينبغي إضافة الانقلابات الناجحة التي تمتلك أفكاراً ذات أبعاد خارجية إلى ما تقدّم، حيث اهتمت بأصل تصدير الثورة. فقد أحدث انقلاب جمال عبدالناصر في

مصر ارتدادات قومية عربيه عمّت العالم العربي وبقيت آثاره فى ما يُعرف بالناصرية التى تشكّلت من خلالها الجمهوريه العربيه المتحدّه (مصر وسوريا).

إنّ أهمّ مسأله شغلت المراقبين لأحداث الثورة إسلاميه وإلى مدّه طويله، هى مسأله تصدير الثورة. فقد أدّى طرح هذا الموضوع من قبل قاده الثورة فى أوائل أيامها بعد الانتصار، إلى أعظم مواجهه مع الغرب ومع الحكومات المرتبطه به فى المجتمعات الإسلاميه أيضا. هذا وإنّ لم يكن ثمة فهم وتعامل موحد فى تنفيذ هذا الهدف داخليا.

(أ) النظريات المطروحه فى مجال تصدير الثورة

لقد طرحت نظريات مختلفه فى هذا المجال نعرض لثلاث منها فى هذا التقرير:

تزعم النظرية الأولى، أنّ الثورة الإسلاميه وبناء على مذهبها الذى يمثله الإسلام الذى يضطلع برساله عالميه، تسعى لنشر أفكارها وأطروحاتها وإنّ استدعى الأمر اللجوء إلى القوّه والحرب. وتعتمد هذه النظرية أيضا على أنّه وعلى الرغم من الإعلام الواسع للغرب الذى يرى بأنّ الإسلام دين السيف وأنّ الإسلام إنّما انتشر بحدّ السيف، فإنّ الثورة الإسلاميه تحاول إقامة حكم الإسلام والقيم الإسلاميه من خلال منطلق القوّه. الأمر الذى استدعى قلق الدول الحاكمه فى البلدان الإسلاميه إلى المستوى الذى يمكن القول معه أنّ المساعدات التى قدّمها البلدان العربيه إلى العراق منذ بدء الحرب المفروضه كان ناشئا فى الأساس من الخوف الذى روّج له هذا الإعلام.

النظرية الثانیه، تقوم على أنّ المسؤولين الإيرانيين وعلى الرغم من طرحهم للأيديولوجيه الإسلاميه، فإنّهم يسعون إلى تحقيق تفوّق وسيطره إيران لتحقيق حلم العوده إلى إمبراطوريتهم فى عهدّها القديم. فما يحاول الثوريون تحقيقه فى الحقيقه

من خلال توظيف الأيديولوجية الشيعية الإسلامية هو ذات ما كان يطرحه نظام الشاه - أئى عظمه وأبّه إيران القديمه-. حيث يدعى مايكل فيشر فى مقاله له تحت عنوان «الوقائع المتكرّره فى ثوره إيران»:

وهدف نظام الجمهوريه الإسلاميه هو أيضا كما كان فى النظام البهلوى الوصول إلى المستوى الأكبر من القوّه فى المنطقه. لكنّ الاختلاف ينعكس فى أنّ دوله بهلوى كانت تحاول الوصول إلى هذا الهدف من خلال طبقه الخبراء والنخب، بينما تسعى الجمهوريه الإسلاميه لذلك من خلال محاولتها استقطاب دعم شعوب المنطقه.

النظريه الثالثه تعتمد ما طرحه قاده الثوره فى هذا المجال، من أنّ الثوره الإسلاميه ومن خلال انتصارها على أعنف وأقوى الديكتاتوريات فى إيران، فتحت للشعوب المحرومه والمظلومه الطريق للتحرّز من قيود الاستبداد والإمبرياليه، وأثبتت لها إمكانيه التغلّب على هذه القوى الشيطانيه. وأوصلت لها كذلك بلاغ الثوره الإسلاميه فى كيفيه طى طريق الحرّيه هذا. وقد جاء هذا الهدف فى دستور الجمهوريه الإسلاميه أيضا.

إنّ فكره تصدير الثوره نابعه من تعاليم الإسلام ورسالته العالميه فى سياق نشر الأفكار والمفاهيم الإسلاميه. فالثورات بطبيعتها إنّما تنتصر فى ظروف نزاعها مع النظام الحاكم الذى يرتبط ارتباطا وثيقا بسياسه الحفاظ على الوضع القائم فى المجتمع الدولى. ففى مثل هذه الظروف، تبرز موضوعيه مسأله تصدير تجارب الثوره إلى البلدان المقصوده وجميع المجتمعات العالميه. والثوره الإسلاميه تابعت بدورها هذا القانون العام، فقامت بعد سقوط نظام بهلوى بطرح موضوع تصدير الثوره بشكل جادّ بسبب المتبنيات العميقه لأهدافها. ففى مثل هذه الظروف طرحت الأفكار التى تتجانس من قريب أو بعيد مع أيديولوجيه الثوره وفق تعابير خاصّه بها.

إنّ هذه الأفكار يمكن إدراجها ضمن ثلاثة آراء أساسية:

حيث يمثّل القوميون أنصار الرأى الأول. فالقومية لها سابقه طويله فى تاريخ إيران، إلّا أنّه ظهرت مجموعه من القوميين منذ المرحلة الدستورية فما بعدها ترتبط جذورها بزمن تواجد الثقافه الغربيه فى إيران. فهؤلاء القوميون الذين كان أغلبهم يعملون ضمن صفوف حكومه رضاخان فى فتره ما بعد انقلاب ١٩٢٠ طرحوا أنفسهم بعد ١٩٤١ كتيار سياسى يعارض التدخّل الأجنبى ووصلوا إلى ذروه ازدهار حركتهم تدريجيا هم فى مرحله حركه تأميم صناعه النفط، واتّخذوا فى أحداث انتصار الثورة الإسلاميه موقفا انفعاليا خلصوا من خلاله إلى أنّ طرح مسأله تصدير الثورة ومتابعتها يُعدّ أمرا خاطئا وباهض الثمن من دون أخذ العوامل الدوليه المؤثّره والرادعه. وقد وضح بالكامل تبلور هذه الفكره فى ظروف بدايه العقد السادس من القرن الماضى وبالتزامن مع تنامى الحركه الإسلاميه بقياده الإمام الخمينى رحمه الله، ومع أنّهم كانوا يتظاهرون بالفكر الإسلامى إلّا أنّهم كانوا ينطلقون فى تحرّكاتهم من الاتجاه القومى. إنّ انتصار الثورة الإسلاميه وبسبب عدم تحقّقها ونجاحها تحت يافظه حزب أو منظّمه منسجمه، مثّلت فرصه سانحه لازدهار هذا الرأى. فالتكنوقراط الذين صدرت عنهم تحرّكات انتقاديّه لتنفيذ الدستوريه الملكيه ضدّ نظام بهلوى الحاكم جعلوا الساحة ميدانا خصبا لفكرتهم تلك. فكان شعار إعادته البناء القومى فى إطار التناغم مع النظام والعرف الدولى من دون الالتفات إلى الظروف الثوريه من أولّ التعاليم التى أطلقها هذا الرأى، فهؤلاء وبموازاه سخونه موضوع تصدير الثورة أعلنوا معارضتهم تصرّحا أو تلميحا، وأعطوا الأولويه إلى إعادته البناء الداخلى.

حيث يدّعى أنصار هذا الرأى؛ أنّه ينبغى الشعور بالمسؤوليه تجاه الشعب الإيراني فحسب، ويجب أن تشمل محاور التنميه بأجمعها مصالح الشعب الإيراني فقط، حيث

تعتبر الإيرانية المحور الأصلي لهذه التنمية. فكان هؤلاء يرون بأنه يجب التركيز على تحسين الأوضاع والظروف الوطنية والارتقاء بالمستوى التقني وتفادي إثارة الحساسيات العالميه.

إنّ هذا الفكر يمثّل نظره انفعاليه ومحبطه لتطوّرات المجتمع العالمى إذ اقتصرت ردّه فعلهم على ذلك الجزء من التطوّرات العالميه الذى يرتبط بالالتزامات الدوليه والحديثه للبلاد. حيث يرى هذا الرأى أنّ التعامل القيمى مع النظام العالمى يُعدّ عملا مرفوضا وغير مستحسن. فيكتفى بطرح شعارات تتعلّق بلزوم بناء إيران عامره، حرّه ومستقلّه تقيم علاقات متوازنه ودائمه مع كافّه الدول والالتحاق بالركب العالمى الفعلى.

فكانت ترى هذه المجموعه أنّ قيم الثوره يمكن قبولها فى إطار الحدود الوطنيه فحسب، وينبغى عدم التعرّض إلى المحيط الإقليمى. ومن هنا كانت تعارض تصدير الثوره بشكل كامل وتعتبره عملا يتعارض والشؤون الدوليه.

وكان أعضاء الحكومه المؤقته وأصحاب المهندس بزركان فى حركه الحرّيه من ضمن هذه المجموعه، حيث أعلنوا معارضتهم الجديّه لموضوع تصدير الثوره بكلّ الأساليب الممكنه. فيصرّح الدكتور يزدى وزير خارجيه الحكومه المؤقته فى هذا الشأن:

نحن لا نسعى إلى تصدير ثورتنا. (1)

الفئه الأخرى، مثلها بعض العناصر الثوريه حيث تعتقد أنّ الحدود الوطنيه ما هى إلّا صناعه استعماريه، وترى أنّ العالم الإسلامى كان موحّدا فى السابق وتمّت تجزئته من خلال الهجوم الشائى للثقافه الغربيه، أى القوميّه والاستعمار، وأنّ الحدود والأعلام نظّمت بالشكل الذى يتناسب ومصالح الدول القويّه، وأنّ التباهى العنصرى القومى قد ألقى بظلاله على القيم والثقافه الإسلاميه. فأنصار هذه النظرية يعتقدون ب- «نظريه

ص: ٦٦

١- (١). نهضت زنان مسلمان: مواضع نهضت آزادی در برابر انقلاب اسلامى: ٢٧.

المؤامره» ويرون أنّ كلّ اختلال، تخلف، جمود ثقافي وحدود، نابح من مؤامره خطّطت لها الدول الاستعماريه. ومثل الاهتمام الاكيد بمسأله «أنّ الإسلام لا يعرف حدودا» حربه مناسبه لهذه الفئه أعطوا لأنفسهم فى إطارها مشروعيه ملفته للانتباه. وكانوا يعتقدون بأنّ البقاء ضمن الحدود الوطنيه وقصر التحرك على التنميه الداخليه نوع من المؤامره وأسلوب اعتدالى، وهو مهّد بالانهيار إثر غزو المجتمع الدولى للقيم الثوريه، حيث يتعرّض النموذج المتحقّق للثوره للهزيمه والانكسار. فيعدّ الهجوم المستمرّ على القيم الحاكمه والسعى للقضاء على الأنظمه المرتبطه بها، الهدف الأساسى لهذه النظرية.

حيث تركّز هذه الفئه على الاستفاد من القدرات العسكريه، الفدائيه والمخابراتيه وتجهيز حركات التحرّر بالأسلحه وتهديد أسس الحكومات الاستبداديه. إنّ التنميه الوطنيه لا يمكن تحقيقها إلّا من خلال إنشاء حلقات ثوريه لدى الشعوب المسلمه وتهديد المصالح العالميه للاستعمار، ومن ثمّ إيجاد نطاق آمن لأمّ قري العالم الإسلامى. الأمر الذى يجعل هذه النظرية تختال وتتباهى أمام النظرية الأولى.

لقد ساوت هذه النظرية بين المصالح القوميه والمصالح الهدفيه، وأعطت الأولويه فى السياسه الخارجيه إلى المصالح الأيديولوجيه وبموقف عنيف وإطاحى. ورفضت أىّ قبول للقوانين الدوليه وشمل ذلك جميع المنظّمات، المؤسّسات والقواعد الدوليه عامّه، وركّزت على المواجهه الدائمه حتّى القضاء التامّ على هذا النظام الظالم وتحقيق القيم الثوريه عن طريق ممارسه القوّه. وربّما يمكن القول بأنّ الشهيد محمّد منتظرى هو أحد قادة ورؤوس هذه الفئه. (1)

ويعتقد أنصار النظرية الثالثه، بلزوم السعى فى الداخلى لصناعه أمّه نموذجيه

ص: ٦٧

١- (١). صدور انقلاب از منظر امام خمينى رحمه الله عليه : ٤٦.

وتوظيف جميع الوسائل الثوريه، القانونيه وحتّى العسكريه العنيفه لتحقيق هذا الهدف. أمّا بالنسبه إلى العلاقه مع المجتمع الدولي فتتابع هذه النظرية السياسه السلميه المرافقه لاستثمار الفرص، وترى وجوب توجيه الضربات للأنظمه العمليه والمستبده حيثما اقتضت المصالح الوطنيه ذلك وكانت الظروف مهيئه لذلك، والاستمرار في مماشاه الوضع القائم إذا لم تكن الظروف مناسبه.

إنّ هذه النظرية تمثل تلفيقا بين النظريتين الأولى والثانيه، ويعتقد أتباعها بلزوم الابتعاد عن اتّخاذ مواقف متشنّجه تجاه المجتمع الدولي مع عدم النجاح في تثبيت الأوضاع في الداخل؛ بل ينبغي التدرج في الدخول في نزاع مع المجتمع الدولي والإقليمي إلى حين تحسين الأوضاع في الداخل والوصول إلى الأهداف المرسومه. فإذا ما تعرّضت مصالحنا في نقطه ما إلى التهديد ولم تكن الخصومه والمواجهه مجديه فعلينا الاستمرار في مجاراه الوضع القائم.

إنّ هذه النظرية متأثره إلى حدّ بعيد بالفكر الثوري داخليا وتدافع عن التفاهم مع سياسه الدول القويه في المجتمع الدولي خارجيا. وتبيح هذه النظرية الاستفاده من جميع الوسائل والأساليب للوصول إلى الأهداف الثوريه المشروعه. وكانت نظريه المحافظه على أم القرى العالم الإسلامي التي طرحها الدكتور محمّد جواد لاريجاني تقوم على هذه النظرية. (1)

(ج) تصدير الثورة من وجهه نظر الإمام الخميني رحمه الله

إنّ الإمام الخميني رحمه الله الذي تتسانخ وتتطابق مثله مع قيم الثورة الإسلاميه بالكامل، بل إنّه يمثّل في حقيقته الرمز العيني لهذه القيم، يعرض «موقفا دقيقا» في هذا الإطار، حيث يُستشفّ من المفاهيم التي طرحها الرفض النسبي لكلّ من النظريات المتقدّمه.

ص: ٦٨

فالنظرية القومية وبسبب إقحامها أسسا غير دينيه في قيم الثورة الإسلاميه، كانت مرفوضه من الإمام بشكل صريح نوعا ما. هذا مع أنّ «محوريه إيران» لا تتكافئ و«محوريه الإسلام» لزوما، بل إنها أضيق منها بكثير. ومن جهه أخرى، فإنّ النظرية القومية انفعاليه بالكامل ولا- تلائم الظروف الثوريه بأى وجه من الوجوه، وأنّ حصر أى تطوّر وتنميه في داخل الحدود الوطنيه والتحرّك لتحقيقها يُعدّ دليلا على عدم الاهتمام بالمجتمع الدولى. إنّ الإعلان الصريح للإمام رحمه الله بلزوم تصدير الثورة، يمثّل رفضا صريحا لهذه النظرية، فهو يصرّح بشكل علنى:

سنصدّر ثورتنا إلى جميع أنحاء العالم لأنّ ثورتنا إسلاميه، فإنّ لم يعمّ نداء لا إله إلاّ الله ومحمّد رسول الله جميع أرجاء العالم فالجهاد مستمرّ، وما دام الجهاد مستمرّا وما دام الجهاد قائما على المستكبرين، فنحن موجودون في أى نقطه من نقاط العالم كان.

(1)

وبما أنّ الفئه الثانيه تبيح الاستفاده من أى وسيله ممكنه لمواجهة النظام المسيطر على المجتمع الدولى فقد رفضهم الإمام رحمه الله، وإنّ كانت مثل هذه النظرية لا تعارض التقاليد المتّبعه في مرحله الاستعمار، حيث تذكّر بالأساليب الاستعماريه في الغزو العسكرى للدول المجاوره وإسقاط أنظمه البلدان الإسلاميه ودول العالم الثالث بالقوّه. فالاعتقاد بالثوره المتسلسله من خلال تجهيز وتقويه المجاميع الفدائيه والثوريه واتّخاذ أسلوب التشجيع على التفجير والاغتيال والرفض المطلق للأنظمه الموجوده التى لا تهتم بتعميق حركه الشعب، تُعدّ في رأى الإمام الخمينى رحمه الله أسلوبا غير صحيح وغير ممكن. إذ إنّ إزاله الحدود القوميه التى تمثّل في الوقت الحاضر حقيقه ثابتة ارتضاها المجتمع الدولى ووافقت عليها الشعوب، تُعدّ حركه خطيره ومدمّره، رفضها الإمام الخمينى رحمه الله من خلال تأكيده على عدم الطمع بأراضى الآخرين:

ص: ٦٩

لا- ينبغي أن يتبادر معنىً خاطئاً من قولنا يجب تصدير الثورة إلى كلِّ المناطق، فنحن لا نبتغي فتح البلدان، لأننا نعتبر الدول الإسلاميه جزءاً لا يتجزأ منّا، فيجب أن تبقى جميع البلدان على وضعها. نحن نريد لما وقع في إيران ولهذه الصحوه التي حدثت فيها وما ابتعدت فيه عن القوى الكبرى وقطعت أيديها عن الوصول إلى ذخائرهما، أن يتحقق لجميع الشعوب ومن جميع البلدان. فهذا ما نأمله، فمعنى تصدير ثورتنا هو أن تصحو جميع الأمم وتنقذ نفسها من الاستبداد ومن هدر ثرواتها ومن الفقر. (١)

والنظريه الثالثه وبسبب تضمّنها نوعاً من الذرائعيه وقبولها الاستفاده من المقدمّات القانونيه وغير القانونيه في الظروف الملائمه لتحقيق أهدافها في هذا الإطار، فقد جوبهت أيضاً برفض الإمام. وبما أنّها تعتمد في الأساس محوريه إعادته البناء الوطني وتؤمن بالمواجهه المحدوده مع المجتمع الدولي فإنّ ذلك يُعدّ موقفاً انفعالياً نوعاً ما.

إنّ الإمام رحمه الله ضمن رفضه وإعراضه عن هذه النظريات وإيضاحه نقائص كلّ منها، سعى جاهداً في خطاباتهِ ومدوناته بحسب الظروف في بناء إستراتيجيه شامله في هذا السياق تُعدّ فريده من نوعها في تاريخ ثورات القرن العشرين.

ومع أنّ ثورات القرن العشرين تخضع كلّ منها لأحد هذه النظريات الثلاث المتقدمه في أهدافها وقيمتها، إلّا أنّ الثورة الإسلاميه تباين جميع هذه الثورات في هذا الإطار. هذا مع أنّ الإمام الراحل كان قد وضع نهجاً وهدفاً جديداً يتجاوز جميع ذلك من خلال رفضه تلك النظريات، فقد جعل الوفاء لقيم الإسلام العليا وتطبيقها على رأس أولوياته حيث إنّ الإسلام دين يشمل جميع أبناء البشر. إذاً فالاعتقاد بالقيم الإسلاميه يؤدّي إلى نوع من الإحساس بالمسؤوليه تجاه المجتمع الدولي.

فرفض الثقافات والقيم الماديّه التي تمثل نموذجاً للحكومات في الشرق والغرب ومحاربه الانحرافات، المؤامرات وتوعيه الشعوب حول مضارّ أمثال هذه الثقافات يمثّل

ص: ٧٠

نوعاً من الإحساس بالمسؤولية الدائمة تجاه المجتمع العالمي. لذا فإنّ هذه النظرية ترفض الانحباس في قيود نظير التنمية والتطوّر الوطني، من دون الاهتمام بمصير سائر الشعوب، حيث إنّ أيّ تنمية داخلية مرتعنه بالسعي لتنمية سائر الشعوب. فالماهية الأساسية لهذه الفكرة تقوم على رفض الظلم والقبول به، رفض السلطة والتسلّط ورفض الاستكانه والمواجهه الانفعاليه. إذ إنّ النموذج المناسب للشعوب في رأي الإمام رحمه الله هو إحساسها بالمسؤولية الثوريه في قبال المسائل والمعضلات الموجوده.

ولأجل هذا وكما لاحظنا، فإنّ المخاطب بالثوره الإسلاميه، هي الشعوب والهدف من ذلك هو توعيتها وإطلاعها على الحقائق. حيث يمتزج مفهوم تصدير الثوره بالكامل في هذا الإطار باتّخاذ أسلوب توعوي تسعى من خلاله الشعوب لتغيير مصائرنا ورفض التحركات العسكريه التي تستلزم اتّخاذ القرارات والتنفيذ بدل الشعوب رفضاً مطلقاً. ويتضمّن هذا المسار أيضاً إقامه علاقته دبلوماسيه مع الحكومات؛ وإن كان يمكن للدعوه إلى الثقافه الثوريه التسرّي إلى ذلك من خلال إطلاق العلاقات السياسيّه، التجاريه و... .

من المسائل المهمّه التي حدثت في مجال العلاقات الدوليّه مع انتصار الثوره الإسلاميه، طرح المسائل المعنويه والإلهيه في عالم بُنى على أساس مادّي، وقد بيّنت هذه المسأله في الرساله الشهيره التي بعثها الإمام إلى غورباتشوف. حيث يصرّح الإمام مستصرخاً:

إنّ مشكله الشرق والغرب لا تكمن في الاقتصاد، الملكيه أو الحرّيه، وإنّما في عدم الاعتقاد بالله والحرب غير المجديه مع الله بهذا النحو الذي يسوق الغرب نحو الزوال والانهيّار. (١)

فهو في الحقيقه إنّما يمارس مسأله تصدير الثوره مع الدول من خلال دعوته غورباتشوف إلى الإسلام وعباده الله بأسلوب وسنّه النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، ويكشف له أنّ

ص: ٧١

الطريق الوحيد لخلاص البشرية من مستنقع الفساد والشقاء هو التحرك نحو الإخلاص في قبول الإسلام.

ومع أنّ تصدير الثورة يُعدّ وظيفه لازمه وثورته في هذه النظرية، بيد أنّ مثل هذا المسار لا يمكنه النجاح إلّا في حاله تأسيسه نموذجاً ناجحاً في الداخل، بحيث تكون الأمة فيه بمثابة أمّه نموذجيه وشاهده. فخلاصه ما يمثله تصدير الثورة في رأى الإمام رحمه الله هو التأكيد على تحقّق القيم في الداخل والاهتمام الجادّ في عرض وترويج قيم وأهداف الثورة في الخارج.

حيث ينظر الإمام إلى مسألة تصدير الثورة في الدرجة الأولى على أنّها خصله ذاتيه أو ما لا بدّ للثورة الإسلامية منها. إذ إنّّه لا يرى من خلال إسلاميه الثورة وتواجد ملايين المسلمين في أقصى نقاط العالم التي تبحث عن عزّه وعظمه الإسلام كمعشوقها المفقود، لزوم أخذ موافقه المؤيدين أو سماح المعارضين بالنشر لترويج خطاب التحرّر والعزّه التي تحقّقها الثورة الإسلامية. هذا إضافه إلى أنّ الأصل العامّ لترابط الشؤون الإنسانية والاجتماعيه لا يمكنه أن يحول دون تأثر باقى الناس والمجتمعات بحدث عظيم كالثورة الإسلامية في عصر وصلت فيه وسائل الاتصال إلى مستوى من التقدّم تنتشر فيه أخبار أحداث من هذا القبيل بسرعه البرق الخاطف. وعلى الخصوص إذا ما كانت هذه الثورة تستنفر الشعوب للقضاء على الآلام وعذابات البشريه فحينئذ لا بدّ وأن يحدث مثل هذا التأثير والتأثير.

ولم يكتفِ الإمام بهذا الحدّ في مسألة تصدير الثورة. فتصدير الثورة بالنسبه إليه يمثّل تكليفاً في سياق ذلك الإحساس بحاكميه الإسلام وأحكامه المتعاليه داخل البلاد، فهو يرى نفسه مكلفاً بذلك. ويرى أتباع الإسلام الإصلي أيضاً أنّ حاكميه الإسلام في سائر بلاد المسلمين تستدعى الاستجابه لنداء ومظلوميه سائر المسلمين

ومستضعفى العالم، فيكون تصدير الثورة بمثابة تكتيك هجوى على أعداء الثورة لإبعاد خطرهم، مما يُعدّ أمرا ضروريا للحفاظ على الثورة.

فالإمام يعتقد بأنّ الثورة الإسلاميه تمثّل نموذجا للقيم التي يسعى إليها المظلومون، ويعتقد أنّ الثورة الإسلاميه من جهه كونها طرحت أهداف الشعوب المحرومه والمسلمه المظلومه كانت مقبوله لديهم.

فهو ضمن ردّه الشبهات والشائعات التي يطرحها الأعداء، يصرّح بأنّ المقصود من تأثير الثورة ليس هو الهجوم العسكرى ضدّ بلدان المسلمين الأخرى تحت أى ذريعه كانت:

نحن نقول إنّنا نريد تصدير ثورتنا، لا- نريد ذلك بالسيف بل بالدعوه والتبليغ نحن نريد إحباط الإعلام الواسع الذي يشنّه الشيوعيون والآخرين ضدّ الإسلام من خلال إعلام صادق وسليم، ونقول إنّ الإسلام لا ينقصه شيء، الإسلام ليس كالمسيحيه الحاضره. (١)

إنّ الإمام كان يعتقد بأنّ ما يريده من تصدير الثورة لا يمثّل هدفا وحلما لا يمكن الوصول إليه، بل أمر عملى وممكن التحقق، وعلى الرغم من إرادته وسعى الاستكبار العالمى الواسع وعناصره العميله فقد ظهرت علائم وشواهد تدلّ بشكل كبير على تصدير الثورة وترحيب المسلمين ببلاغها ووسائلها وتقاليدها. (٢)

لا شكّ فى أنّ أصل تصدير الثورة كان ناشئا من أصول مدرسه الثورة نظرا لعالميتها واعتمادا على أصل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. فلو كانت الثورة الإيرانيه ثوره قوميه ذات أهداف قوميه، ولو لم تكن تهتمّ بمسأله الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لما اتخذت لنفسها رساله إبلاغها المجتمعات والشعوب الأخرى.

ص: ٧٣

١- (١). صحيفه نور: ١٨ / ٨٠.

٢- (٢). سنشير إلى هذه الموارد فى عنوان تداعيات الثورة الإسلاميه.

ولم يقتصر موضوع تصدير الثورة على مجرد طرح الأفكار الدينيه والقيم الثوريه، بل إن هذا الأمر يشمل السياسه، الأهداف وإستراتيجيات الثورة، وحتى أساليبها التنفيذيه أيضا. وفي الوقت الذي يُنظر إلى موضوع تصدير الثورة باعتباره أمرا خارجا عن النظام، فلم يقتصر قاده الثورة لوحدهم على التقيّد بالاستفاده من الوسائل الدبلوماسيه والسياسيه المعمول بها في هذا الخصوص، بل إنهم أعطوه في الأساس زخما شعبيا وغير رسمي. وحظي في الوقت ذاته بالرعايه والاهتمام باعتباره يشكل جزءا لا يتجزء من سياسه الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه.

إن تصدير الثورة في آليته العمليه يهتم ويوجّه خطابه نحو الشعوب وليس الحكومات بالضروره. فالهدف الأساسي من طرح أصل تصدير الثورة هو استفاده الشعوب المحرومه والمستضعفه من تعاليم الثورة الإسلاميه وإنهاء سلطه الديكتاتوريه، الإمبرياليه والاستكبار. ومن جهه أخرى، ينبغي الالتفات إلى مسأله أنّ آليات تصدير الثورة تركّز أكثر على تقويه التيارات الشعبيه وتنميتها وليس إطلاقها وهدايتها.

إنّ الثورة الإسلاميه والنظام النابع منها أخذت على عاتقها منذ بدايه انتصارها على أنّ يكون أساس تصدير الثورة هو اللجوء إلى طرحها كنموذج، وإلى التعليم والتبليغ من دون التدخّل في الشؤون الداخليه لكافّه المجتمعات والبلدان، ممّا يساهم في التفاعل والنهوض الذاتى للشعوب الإسلاميه، ولم ترى نفسها ملزمه تبعا للآيه القرآنيه الكريمه بفرض الثورة الإسلاميه من خلال القوه والنفوذ في أنظمه المجتمعات الأخرى. (١)

(د) إستراتيجيه تصدير الثورة

لقد قامت إستراتيجيه تصدير الثورة على الأهداف والبرامج التي سنذكرها أدناه، والتي استمرّ العمل وفقها طوال ربع قرن بعد انتصار الثورة:

ص: ٧٤

١- (١). إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ الرعد ١١.

١. النموذجية؛ ٢. التبليغ والتوعية؛ ٣. التعليم؛ ٤. دعم الحركات التحررية.

والمقصود بالتصدير النموذجي للثورة والذي يُطرح بأسلوبين؛ هو إثبات قدره النظام الإسلامي في العالم المعاصر من خلال أسلمه النظام وتحكيم القيم الإسلامية من جهة وإعادة البناء الاقتصادي والاجتماعي من جهة أخرى.

الإستراتيجيه الأخرى لتصدير الثورة ترتبط بدعم حركات التحرر من خلال تعزيز العلاقات مع هذه الحركات بالنحو الذي نطق به دستور الجمهوريه الإسلاميه. فلا تبقى الثورة الإسلاميه على أساس هذا الاتجاه منحصره ومحدوده داخل حدود إيران، بل ينبغي التحاق العالم الإسلامى وجميع الشعوب المحرومه والمظلومه بهذه الحركه.

فقد تمثل أحد الآثار المهمه للثورة الإسلاميه فى المجتمعات الأخرى، فى ظهور وبدء نشاط حركات إسلاميه جديده والانحسار الشديد للحركات القوميه والاشتراكيه.

حيث يُعدّ تأسيس المجلس الأعلى للثورة الإسلاميه فى العراق، حركه الثورة الإسلاميه فى جزيره العرب والجبه الإسلاميه لتحرير البحرين وعشرات المجاميع الجهاديه الأفغانيه التى اتّخذت من الإسلام حركه ونشاطا لها، حركه الجهاد الإسلامى وحماس فى فلسطين، حزب الله فى لبنان و... من ضمن هذه الحركات التى تبلورت بعد الثورة الإسلاميه.

واتّخذ تصدير الثورة من خلال وسائل الإعلام أساليب مختلفه أيضا. فالإمام على سبيل المثال يخاطب مجاميع الجامعيين والرياضيين الذين يسافرون إلى الدول الأخرى باعتبارهم سفراء وموظفين بتصدير الثورة، فيقول:

إنّ تصرّفاتكم، سلوككم وأفعالكم تمثل نموذجا وأسوه للعالم، وستعرض الجمهوريه الإسلاميه منزلتها فى البلدان الأخرى من خلالكم إنشاء الله.

وتقع مسؤوليه تصدير الثورة إلى باقى البلدان من خلال الإعلام على عاتق السياسيين بشكل خاص. وهو ما حملهم إياها ابتداء الإمام حيث يقول:

ص: ٧٥

حينما نستطيع تعريف الإسلام للدول الأخرى نكون قد ساهمنا في نمو التعاليم والسلوك الإسلامي في تلك البلدان وهو من مسؤوليتكم. (١)

وقد جاء في كلام للدكتور ولايتي وزير الخارجيه في تلك الفتره:

سنستمرّ في تصدير الثوره بأسلوب ثقافى، كما تفعل البلدان الغربيه. فهم يقومون بطرح أفكارهم، ثقافتهم وقيمهم من خلال الصحف وطلبه الجامعات. (٢)

وتستثمر إيران طاقات العلماء في تصدير الثوره أيضا. حيث إنّ عرض الآراء الشخصيه وتبادل الأفكار في الملتقيات والاجتماعات العلمائيه تتمّ في هذا السياق. فقد خاطب الإمام ملتقى ممثلى الأحزاب التحرّريه الإسلاميه الذى انعقد في طهران عام ١٩٨٦ قائلاً:

لن يتحقّق انتصار المسلمين إنّ لم يصلوا إلى سرّ انتصار الثوره الإسلاميه في إيران، فقد طالب مسلمى إيران بالاسلام فى صوت واحد وأرادوا قيام الجمهوريه الإسلاميه، فحينما اتّحدوا أنزل الله النصر عليهم. (٣)

وبالإضافه إلى ذلك، فإنّ للباحثين فى الداخل والخارج على حدّ سواء دور فى تصدير الثوره. فعلى سبيل المثال، اجتمع أكثر من ألف أديب إسلامى من الباكستان، نيجيريا، الفلبين، مصر، تركيا والسويد فى حوار للتباحث فى مجال ترويج الإسلام والأساليب المختلفه لإقامه العلاقات، أساليب مواجهه الإعلام الغربى ونشر رساله الإسلام وذلك فى عام ١٩٨٨.

ويأتى كتاب الآيات الشيطانيه لمؤلفه سلمان رشدى (الذى كان يمثّل مؤامره على الإسلام) وما تبعه من فتوى الإمام بهدر دمه فى هذا السياق:

إنّ هذا يمثّل مثالا لما أراه الله من فضح الوجه الحقيقى لعالم التفرعن والاستكبار والهمجيه فى عدائه القديم للإسلام فى هذا الوقت بالذات بعد نشر

ص: ٧٦

١- (١) . صحيفه امام: ١٦ / ٨١.

٢- (٢) . John h. Esposito ، The Iranian Revolution: Its Global Impact ، Florida . International University Press ١٩٩٠ ، P.٥٥.

٣- (٣) . صحيفه امام: ١٧ / ١٨٧.

كتاب الكفر الآيات الشيطانية... فهو يمثل التزاما من قبل الاستكبار العالمي للقضاء على الإسلام وإلّا فإنّ سلمان رشدى ليس بذلك الشخص المهمّ بالنسبة إليهم لتقف خلفه الصهيونية والاستكبار. (١)

إنّ فتوى هدر دم سلمان رشدى التى أعلنها الإمام لا تقتصر على جانبها الجزائى، بل تتمثل دعما كبيرا لتصدير الثورة. فقد انعكس تعريف سلمان رشدى كمرتد من قبل منظمه المؤتمر الإسلامى فى صدر صفحات الصحافه على أنّه انتصار. فقد جاء فى افتتاحيه إحدى الصحف الطهرانيه:

على خلاف ما كان يتوقّعه الغرب فقد قامت منظمه المؤتمر الإسلامى بدعم قياده ودوله الجمهوريه الإسلاميه فى خصوص فتوى الإمام بهدر دم سلمان رشدى .

هـ) تصدير الثورة فى تعريف آخر

من الطبيعى أنّ تكون سياسه إيران فى تصدير الثورة وكما الجوانب الأخرى للسياسه الخارجيه، انعكاسا للأفعال والانفعالات المتجدده التى تحدث بين السياسه الداخليه والخارجيه.

لقد كان مظهر ووجه السياسات الداخليه الإيرانيه فى العقد الأوّل للثوره والتى مثلت بلوره لسياسه تصدير الثورة يتم تحت إشراف وقياده الإمام الخمينى رحمه الله . فهو ولأجل تحقيق الوحده الإسلاميه فى أرجاء إيران، لعب دور الجسر الموصل بين الأحزاب السياسيه المختلفه.

فقد أوصل مسأله الوحده بين عامه الشعب إلى أسماع الجامعيين، الأساتذه ومدارس العلوم الدينيه وذلك فى خطابه الفائق الأهميه فى ٢٢ شباط ١٩٨٩. وقد جاء فيه:

ص: ٧٧

إنّى ولأجل مراعاة الأجنحة السياسيّة للاعتدال أطلقت تنيّهات حلوه ومرّه تجاهها، إذ إنّى اعتبر الجميع أبناء أعزّه لى. (١)

وكان موقفه فى دعم الطلبة السائرين على خطّ الإمام فى مسأله الرهائن الأمريكيين يمثّل نوعا من الوقوف بوجه حكومه بازركان الأمر الذى استتبعه اختبارا صعبا لإيران فى مجال السياسه الخارجيه، أى تصدير الثوره.

وبعد القبول بقرار مجلس الأمن المرقّم ٥٩٨ فى عام ١٩٨٨ بدأت الجمهوريه الإسلاميه بتوسيع علاقاتها الدبلوماسيه مع فرنسا، بريطانيا وكندا وتحسين علاقاتها مع ألمانيا الغربيه وذلك من خلال سياسه التهده وإزاله التوتر. هذا فى الوقت الذى كانت عقيدته تصدير الثوره مستمرّه من خلال طرح نموذج أعمّ من الاقتصاد الناجح والرقى السياسى.

لقد أحدث إعلان فتوى قتل سلمان رشدى فى ١٤ شباط عام ١٩٨٩ من جهه ورحيل الإمام فى الثالث من يونيو فى نفس العام من جهه أخرى ظروفاً جديده. فالإمام لم يقتصر على إحراج الليبراليين والمنافقين (مجاهدى خلق) فى الثانى والعشرين من شباط عام ١٩٨٩ فحسب، بل إنّه قد أوصى بالاعتدال إلى حدّ ما. ففتوى الإمام فى قتل سلمان رشدى كانت قد مهّدت طريقا آخر لتصدير الثوره، فقد قال الإمام فى خطاب انتقادى:

ينبغى علينا أن لا نلهث خلف توسيع العلاقات، لأنّ الأعداء سيتصوّرون أنّنا بحاجة إليهم، فهذا التغاضى عن الإهانه للمقدّسات والمعتقدات يزيد الطين بلّه. فهم يتصوّرون أنّه يجب علينا إعادة النظر فى سياساتنا، أصولنا وعقائدنا ودبلوماسيتنا، لأنّنا ارتكبنا خطأ ولا ينبغى علينا تكرار أخطائنا السابقه. (٢)

ينبغى على الأصول الأساسيه لسياسه إيران الخارجيه أن تتوخّى التوازن فى التعامل مع

ص: ٧٨

١- (١) . المصدر نفسه: ٢٨٧ - ٢٨٩.

٢- (٢) . صدور انقلاب از منظر امام خمينى: ٣٤.

الشرق والغرب للحيلولة دون سيطرتهم والعماله لهم. وهو المعنى الحقيقي لشعار «لا- شرقيه لا غريبه» الذى كان أوضحه قاده الثورة فى العقد السابق. وقد أشار فى وصيته أيضا أنّ حاجه إيران للمساعدات الخارجيه من الأمور التى لا يمكن إنكارها، ومع ذلك فقد حدّر بشدّه وقوّه من الاستسلام بالارتباط الكامل بالغرب والشرق فى مقابل ذلك. (١)

ومع إقامه العلاقات الدبلوماسيه بين إيران والاتحاد السوفيتى، تصوّر البعض أنّ إيران تخطو باتجاه العوده إلى الإجماع الدولى وإقامه علاقات مع بعض الدول كأمریکا؛ وإنّ كان الإيمان بأصل تصدير الثورة يستلزم استحداث علاقات مع الشعوب الأخرى. وقد أدركت أمريكا أنّ الاتحاد السوفيتى يستثمر توتّر علاقته بإيران بالدول الغربيه فى خصوص مسأله سلمان رشدى لصالحه.

وسبق وأنّ أقيمت علاقات جيده بين إيران والاتحاد السوفيتى أيضا وذلك أثناء حادثه الرهائن الأمريكيين فى لبنان. ففى حزيران ١٩٨٩ وأثناء لقاء جمع بين الشيخ هاشمى رفسنجانى والسيد غورباتشوف وافق الطرفان على التعاون الاقتصادى والعسكرى الطويل الأمد، ممّا أثار حفيظه الغرب وعلى الخصوص أمريكا جزاء تطوّر العلاقات الحسنه بين البلدين.

وكانت بانوراما نجاح تصدير الثورة مستقبلا من خلال توظيف النموذج الأخلاقى الإسلامى المقتبس من أحاديث الإمام الخمينى رحمه الله أكثر نجاحا.

ويمكن أنّ يكون اختيار آيه الله الخامنئى كخليفه للإمام الخمينى رحمه الله والشيخ هاشمى رفسنجانى باعتباره أقوى رئيس للجمهوريه بعد تأسيس الجمهوريه الإسلاميه إشاره إلى مراعاة عدم الإخلال بأصل تصدير الثورة. فكلّ من هذين القائدين يؤمنان بسياسه التهده حيث وضعوا الأسس الكفيله لإقامه علاقات مع

ص: ٧٩

١- (١). وصيتهنامه سياسى الهى امام خمينى: صحيفه امام: ٢١ / ٤٠١.

الشعوب الأخرى. وبالطبع فإنّ العلاقة تتمثل في مفهوم الاستقرار والسلام لا الحرب والنزاع بين الحسن والقيبح.

ومن المسائل المهمّة التي كانت مطروحة وعلى الخصوص في مجال العلاقات الدوليّة والتي أدّت في الغالب إلى حيره المحلّين والباحثين بعد الثورة، هو موضوع التفكيك أو عدم التفكيك بين الثورة الإسلاميّة ودولة الجمهوريّة الإسلاميّة.

فتجارب الثورات الأخرى تشير إلى أنّ الثورات عموماً تتحوّل إلى أنظمتها بعد انتصارها، وتخلع عن جسدها لباس الثورة وتتوشّح بروحها المحافظه السياسيّة؛ في حال أنّ هذا لم يحدث في الثورة الإسلاميّة، فالثورة واصلت طريقها مع قيام ووجود نظام الجمهوريّة الإسلاميّة. فموضوع تصدير الثورة مرتبط في الحقيقة بالثورة الإسلاميّة واستمرارها قبل أنّ يكون مرتبطاً بنظام الجمهوريّة الإسلاميّة. هذا مع أنّ هذا الأصل قد نُظر إليه باعتباره جزءاً من أهداف النظام في دستور الجمهوريّة الإسلاميّة. وهذا ما يوضّح سبب بروز بعض التعارض في تنفيذ السياسيّة الخارجيّة للجمهوريّة الإسلاميّة، الأمر الذي يؤدّي إلى اضطراب تحاليل المراقبين للأحداث الإيرانيّة.

إنّ مذهب الإسلام من الناحية الأيديولوجيّة يدعو للعدالة الاجتماعيّة في كافّة أرجاء العالم ويرفض أيّ نوع من التسلّط، التمييز والاستغلال. فدور تصدير الثورة في الحقيقة يتمحور حول إشاعة العدالة الاجتماعيّة في سائر بقاع العالم. ومن جهة أخرى، فإنّ الاقتداء بالنموذج الحسيني والعاشورائي قد حدّد أسلوب المواجهه بين الظالم والمظلوم.

ويمثّل موضوع الاستقرار والوصول إلى تفاهم مشترك وتقارب بين الدول أحد الأهداف المهمّة للسياسه الخارجيّة لنظام الجمهوريّة الإسلاميّة. وهذا ما لا- ينسجم مع مسأله تصدير الثورة، إذ إنّ الدولة الحاكمه غير مهمته عموماً بإجراء العدالة الاجتماعيّة، فترى أنّ خطاب الثورة الإسلاميّة على الضدّ من حاكميتها ومصالحها. لقد قام أغلب المستشرقين بعرض الدين الإسلامي على أنّه دين السيف وأنّ الانتشار

السريع للإسلام كان تحت وطأه القوّه والسلاح وليس الجذّابيه التي يتمتّع بها. وهذا ما جرّهم إلى تصوّر أنّ الثورة الإسلاميه التي ترى نفسها داعيه وخليفه للحكومه الإسلاميه، في صدد محاوله تصدير ثورتها بأيّ طريق ممكن - وعلى الخصوص الخطوات العسكريه واستخدام القوّه -. في حال أنّ استنتاج المستشرقين هذا غير مطابق للحقائق التاريخيه من جهه، ولا يتفق مع سياسه قاده الثورة الإسلاميه كما صرّح الإمام الخميني رحمه الله بذلك في أنّهم ليسوا في صدد استخدام القوّه لنشر الثورة وفرضها على المجتمعات الأخرى.

يقول الشيخ هاشمي رفسنجاني :

إنّ أولئك الذين يعتقدون بأننا سنصدر ثورتنا بواسطه الحرب والاعتداء مخطئين تماما، بل ما دمنا نستطيع في الظروف الراهنه عرض نوع من التنميه المناسبه سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، فإننا نكون قد عرضنا نموذجا من التنميه، التطوّر، التكامل والمعنويات الإسلاميه على العالم؛ فسننجح حينها في ما يخشاه العالم من تصدير الثورة الإسلاميه.

ويشير في محلّ آخر إلى أنّ البيت الأبيض اعتاد على فكره أنّ الثورة الإسلاميه تحاول تصدير نفسها بواسطه الحرب. حيث أدّى هذا الفهم إلى خوف دول الجوار، ولكنهم يعلمون أنّ ما نريده من تصدير الثورة هو عرض فكر وطريق القرآن على العالم.

فنحن وبعد ثماني سنوات من حرب الصمود، نقف بعزم أكبر وتجربه أوسع في خصوص هذه الأفكار والطموحات الثوريه. إنّ الثورة الإسلاميه وعلى الرغم من مخالفتها النظرية في خصوص العلاقات بين الشعوب الإسلاميه ورفضها الحدود المصطنعه بحسب القانون الدولي ومعاهده وستفاليا، توافق على النظام الدولي الموجود باعتباره حقيقه لا-يمكن إنكارها، حيث نظمت برامجها الخارجيه في إطار نظام الدوله - الشعب وإقامه علاقات مع سائر دول العالم.

فلم يكن خطاب تصدير الثورة في هذه الظروف موجها للدول، وإنّما المخاطب

الأساسى للثوره الإسلاميه هى الشعوب والمجتمعات. فالجمهوريه نَظمت علاقاتها مع جميع الدول على أساس فكره التهده وإزاله التوتر والتعايش السلمى وعدم التدخل فى الشؤون الداخليه لكافه البلدان، ولا ترى ذلك فى ذات الوقت منافيا لأصل بلاغ ثورتها فى إيصالها إلى أسماع المجتمعات الأخرى بأى طريق ممكن، وإلقاء ماهيه طريق النصر، الحرّيه وإقامه العدالة الاجتماعيه فى أذهانها.

وقد اختار دستور الجمهوريه الإسلاميه بشكل واضح وعلى أساس نفس المنطق، سياسه خارجيه فعّاله وهجوميه وجعل هدفه وحده العالم الإسلامى وتحقيق حاكميه الله فى العالم قاطبه.

وقد اختطّ الإمام الخمينى رحمه الله للثوره الإسلاميه خطًا يقوم على أساس عالميه الثوره ووحده الشيعه والسنة والحرّيه ليس على مستوى المسلمين فحسب، بل على مستوى جميع مستضعفى العالم. هدف عرضه كذلك دستور الجمهوريه الإسلاميه لأجل تقويه الثوره فى الداخل والخارج. وقد أقلقت مسأله تصدير الثوره الغربيين وحتى بعض الدول الإسلاميه أكثر من أى شىء آخر، واستقطبت اهتمام وسائل الإعلام العالميه.

وفى حين كان موضوع ونظريه إحياء الأفكار والأطروحات الإسلاميه قد طرح فى سائر المجتمعات الإسلاميه قبل عدّه عقود، جاء انتصار الثوره الإسلاميه ليضخّ قوّه جديده فى التجربه والقيم المتعلّقه بتلك الأفكار. فقد استقطبت أيديولوجيه الثوره، قيادتها الدينيه، أفكار الثوريين باعتبارها دروسا ورموزا يمكن الاقتداء بها اهتمام المجتمعات الإسلاميه. هذا فى وقت أذى النموذج والمثال المعروض للحدائثه الغربيه - وعلى الخصوص ما طرحه الشاه فى إيران - إلى نوع من السخط واليأس فى أوساط المجتمعات الإسلاميه. إذ إنّه قد ثبت عمليا أنّ التقليد واقتفاء أثر الغرب ليس له من نتيجه للمجتمعات والطبقات والفئات المحرومه سوى إيجاد طبقه ارستقراطيه وأقليه مرفّهه؛ ومن هنا، فقد حاز نجاح الثوره الإسلاميه والاقتداء بها فى هذا الإطار أهميه

فائقه. إن هذا الاشمئزاز والتبرّم من الغرب والتغرّب الممزوج بالاعتزاز والافتخار بإنجازات الإسلام السالفه والعودة إلى الهويه يدلّ على العوده إلى الماضى المجيد المترافق مع الاعتماد على القيم الإسلاميه. فهذه العوده إلى التراث والتاريخ الإسلامى الماضى تشترك فيه كافه المجتمعات الإسلاميه على الرغم من اختلافاتها الكثيره.

(و) تصدير الثورة فى دستور الجمهوريه الإسلاميه

بما أنّ دستور الجمهوريه الإسلاميه أُعدّ وفق معايير وقيم الإسلام والقرآن التى لا تنحصر فى إطار حدود دوله من الدول، فقد أولى عنايه خاصه بالمسائل العالميه ولم يقصر أهداف النظام على حدود إيران وشعبها، بل وضع إقامه العداله الاجتماعيه ونجاح البشريه جمعاء على أساس رسالته العالميه فى صداره أولوياته.

١. فقد جاء فى المقدّمه الخاصه بالدستور:

إنّ الدستور ونظرا لمضمون الثورة الإسلاميه التى تمثّل حركه لانتصار جميع المستضعفين على المستكبرين، هيأ الأرضيه المناسبه لاستمرار هذه الثورة فى داخل البلاد وخارجها. ويسعى على الخصوص لتوسيع العلاقات الدوليه مع الحركات الإسلاميه والشعبيه الأخرى لتأسيس الأمه العالميه الواحده ويهيئ الظروف لاستمرار الكفاح لإنقاذ الشعوب المحرومه والمظلومه فى جميع أرجاء العالم.

٢. وجعل الأصل الثالث من البند ١٦ أيضا أحد وظائف دوله الجمهوريه الإسلاميه تنظيم سياستها الخارجيه بالشكل الذى تلتزم فيه وعلى أساس معايير الإسلام بالأخوه مع جميع المسلمين والدعم المتواصل لمستضعفى العالم، وجعل الأصل الثامن، الدعوه إلى الخير، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وظيفه عموميه ومتبادلّه يلتزم بها الناس فى قبال أحدهما الآخر.

٣. وحدّد الفصل الثامن تحت عنوان السياسه الخارجيه، أهداف النظام وحدود ومجالات أعمال السياسه الخارجيه فى الأصول ١٥٢ و١٥٤. حيث أولى موضوع

تصدير الثورة اهتماما وافيا في الأصل ١٥٤ الذي يقول:

تعتبر الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه سعادته الإنسان في المجتمع البشرى عامه أحد أهدافها، وترى أنّ الاستقلال والحريه وحكومته الحقّ والعدل حقًا طبيعيًا لجميع شعوب العالم. ولأجل هذا، فهي في ذات احترازها التامّ من أيّ تدخّل في الشؤون الداخليه للشعوب الأخرى، تدعم كفاح المستضعفين ضدّ المستكبرين لانتزاع حقوقهم في جميع أرجاء العالم.

وعلى هذا، فإنّ دعم المستضعفين، وحده العالم الإسلامى وخلص البشرى تُعدّ من الأهداف القطعيه في السياسه الخارجيه للجمهوريه الإسلاميه والثوره الإسلاميه، التي اعتبرت أنّ وحده العالم الإسلامى يمثّل أوّل الخطوات في طريق خلاص البشرى بنحو أعم.

وعلى الرغم من المناسيب المتعدّده التي مرّ بها موضوع تصدير الثورة في مرحله الربع قرن بعد انتصار الثورة الإسلاميه، وبرامجها التنفيذيه التي عرّضت سياسات الدوله وقاده الثورة لأزمات ومدّ وجزر، فقد طوى تأثير الثورة الإسلاميه على سائر المجتمعات طريقه بالتدرّج واستمرّ بالتقدّم وبشكل بنوي.

ولا- يهدف بحثنا هذا لعرض تقييم خاصّ لإنجازات الثورة الإسلاميه ونظام الجمهوريه الإسلاميه في خصوص تصدير الثورة، وإنّما هدفنا هو تقييم وتحليل ودراسه مدى تأثير وانعكاس هذه الثورة التي تعتبر بحقّ من أعظم الحوادث والوقائع على المجتمعات المختلفه خارج إيران في النصف قرن الأخير، وذلك بعد مرور ربع قرن على انتصارها.

فى العالم الإسلامى

الفصل الثالث: تطورات النظام الدولى بعد انتصار الثورة الإسلاميه

الفصل الرابع: منطقه الخليج الفارسى

الفصل الخامس: بلاد الشام

الفصل السادس: شمال أفريقيا

ص: ٨٥

إنّ الظواهر الإنسانيه والأحداث الاجتماعيه لها أبعاد متعدّده على العموم. وتأتي الثورات لتمثّل ظواهر نادره ومعقّده في هذا الوسط. ومع أنّنا نلاحظ هذه الكلمه أكثر ما نلاحظها في ميدان العلم اليوم، غير أنّ الهدف من استخدامها في البحوث الخاصّه يمثّل تطوّرا يغيّر جميع الأسس التي يركّز عليها النظام السياسي ليستبدله بنظام آخر.

وتندرج الثورة الإسلاميه الإيرانيه في زمره أعظم أحداث النصف الثاني من القرن العشرين والتي ضلّت حتّى اليوم موضوعا مثيرا للبحث والنزاع في الكثير من المحافل العلميه، البحثيه، السياسيه، الثقافيه والاقتصاديّه في العالم. فما زال هذا الموضوع الذي لم يفقد بريقه بعد مسيطرًا على عمليات البحث، الفكر والكتابه في المجالات العلميه والمقارنه أو التعامل سياسيا وتنفيذيا.

إنّ الثورة الإسلاميه التي اجتازت الحدود الطبيعيه للمجتمعات في عالم يتغيّر ويتطوّر باستمرار وربطت بين مصائر الجميع، فهي بسعتها وعظمتها هذه لم تقتصر على تحطيم مؤسّسات وأنظمه شعب واحد ووضع مصيره وتاريخه في مسار تغييرات بنيويه فحسب، بل فاقت هذه السعه حدود بلد، وحزّكت شعوبا باتّجاه بلوره عالم جديد، فكانت في هذا السياق مثيره للمشاكل بالنسبه لكثير من الدول. ويكتب جري سيكك مستشار البيت

الأبيض للشؤون الإيرانية في تلك الفترة في كتابه حينما ينهار كل شيء :

لم تؤثر أيّ حادثه على أمريكا ومنذ سقوط مدينه سايغون كما أثرت الثورة الإيرانية. (١)

وبتوضيح آخر، لم يشمل هذا التغيير شعب واحد وتاريخ عريق واحد فحسب، بل وضع الكثير من المسارات، النظريات والحقائق المرتكزه على سياسات ومخططات الشرق والغرب ونظام تقاسم السلطه في النظام الدولي في تلك البرهه وفي مستوياتها المختلفه في أزمه وتجاذب. وبحسب قول أحد المحللين، إنّ الثورة الإسلاميه كانت حادثه مفاجئه وغير متوقّعه لأمريكا والمجتمع الدولي وحوّلت دوله عميله لها في المنطقه إلى عدو يقصّ مضاجعها. إنّ الثورة الإسلاميه لم تقتصر على إصابه الكثير من الثوريين والمفكرين بالذهول فحسب، بل إنّها حيرت وفاجأت العالم أجمع.

وبالطبع فإنّ الثورة الإسلاميه في إيران لم تكن بدأت في ١١ شباط ١٩٧٩ ولم تنته اليوم. فهذا الانتصار يعود إلى كفاح وتضحيات مئات الآلاف وعلى مدى أكثر من قرن. ولا- نكون قد بالغنا في ما لو قلنا أنّ الثورة ما زالت حيويه وثابته وتواصل طريقها حتّى اليوم. وأنّ إطلاق عنوان قائد الثورة على سماحه آيه الله الخامنئي وإجراء الأحكام والأصول الإسلاميه تحت إشرافه، وكذا استعمال لفظه الثورة كمعادل للجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه في كثير من الموارد يمثّل شاهدا على تجدد وحيويه هذا المفهوم في الداخل.

إنّ الثورة التي نجحت في ١١ شباط ١٩٧٩ كانت أبعد من إخراج حاكم ديكتاتوري من البلاد. فلو كان هدف الثورة يتلخّص في هذا الأمر، لاستبشر الغرب كثيرا بذلك ولجاء مهرولا لعرض التعاون والمسانده للدوله والنظام الجديد. وليأس مسلمو العالم كافّه أيضا ولفقدت الثورة بريقها بالنسبه إليهم. إنّ أهداف الإمام التي

ص: ٨٨

١- (١). حسين عاصف: تحريم ايران شكست پل سياست: ١٨.

كان الشعب الإيراني يسعى لتنفيذها، كانت أبعد من ذلك بكثير. حيث تضمنت استبدال النظام الغربي بنظام اجتماعي وسياسي إسلامي وتأسيس دوله إسلاميه في عصر الحداثه.

ومن المؤكد أنه من غير الممكن أن تجد بلدا آخر في عالم اليوم مستعدّ لدفع ثمن باهض لتحقيق أهدافه وطموحاته الثوره والأيدولوجيه نظير الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه. ومع أن هذا السلوك قد يبدو غير عقلاني، لكنّه أثبت عمليا وعلى المدى البعيد بأنه يمكن الاستفادة من الصمود والثبات باعتباره أداه قاهره لاستسلام الآخرين لمطالبها وإرادتها. (1) المسأله اللافته هي أنّ ثمة عوامل كثيره ساعدت الثوره وزادت من صمودها في هذا الطريق وهي ممّا لا ينبغي نسبتها إلى المميزات الخاصه للثوره فحسب. فهناك المزايا والطاقت الديمغرافيه والطبيعيه الإستراتيجيه لإيران إلى جانب قوى العالم الإسلامى والأيدولوجيه الإسلاميه للثوره... قد وضعت مثل هذه الإمكانيه في خدمه الثوره الإسلاميه.

لقد وقع عالم اليوم بنحو مباشر أو غير مباشر، إيجابى أو سلبى تحت تأثير الثوره بحيث أوصلته حدّ الهيجان. ولقد عرضت الثوره العالم للتغيير، وكانت العامل الأساسى فى بروز بعض التطورات الراهنه فيه. وأثر انتصارها تأثيرا عميقا على علاقات القوى الكبرى والدول الاخرى (بضمنها دول البلاد الإسلاميه)، الأحزاب، الحركات والشعوب، الأُمّه الإسلاميه، المجتمعات الإسلاميه والمسلمين المغتربين وكذا الباحثين عن الحقيقه من غير المسلمين.

ولقد تأثرت الحركات والقوى الإسلاميه فى مصر، الجزائر (فوز الإسلاميين فى الانتخابات)، السودان، تونس، المغرب، لبنان، انتفاضه فلسطين والبوسنه والهرسك فى

ص: ٨٩

١- (١). منوچهر محمدى: سياست خارجى ايران در جمهورى اسلامى ايران: ٢٠٠.

قلب أوروبا، بالثورة الإسلامية الإيرانية. إن مدى الرعب الذي بثته هذه النشاطات في قلوب القوى الكبرى والدول لم يدع لها مجالاً سوى مواجهته مع أساس هذه الثورة. فالثورة الإسلامية ومنذ انطلاقتها ومن خلال دعوتها العالمية لأيدولوجيتها وفكرها قد وضعت قدمها على خارطة العالم. فلا يمكن لأى عقيدة وفكره تحمل رؤيه عالميه وتتضمن إمكانات وطاقات أوليه أن تبقى حبيسه ومحدوده في فضاء جغرافى خاص. فبما أن الثورة الإسلامية مستمدّة من القيم الإسلامية فقد تجاوزت بريقها وشعاعها الحدود الوطنيه. وعلى الرغم من عروض بعض التوقّفات أثناء هذه العمليه ووضع حواجز كثيره في طريقها، غير أن ذلك لم يقلل من شأن مسيره الثورة الإسلامية. (١)

حيث كانت بعض هذه الحواجز نابعه من الذعر من مدّ الثورة الإسلامية والقسم الأساسى منها ناشئ من سوء الفهم

، المقارنه والتحليلات الضيقه الأفق للغرب، الدول والمعارضين للثورة الإسلامية.

إنّ ما حدث خارج إيران، لم يكن مقتصرًا على محاولة الشعوب والرأى العامّ العالمى دراسته وتشريح الثورة الإسلامية، بل إنّ البعض عمل على سوق الإسلام إلى قاعات المحاكم ووضع كلّ شىء من الحجاب إلى القضاء الإسلامى والجهاد فى قفص الاتهام. وكان للجهاد فى الإسلام فى هذا السياق القسط الأوفر ممّا داخلهم من الرعب.

إنّ من قامت الثورة الإسلامية بتهديده فى واقعها العملى هم من يرون مصالحهم تتنهنه وتتعث فى غفله وضعف المجتمع والعالم الإسلامى، وكذا فى سداجه وسطحيه محرومى ومستضعفى العالم. فقد كان للثورة ماهيه صداميه مع الغرب حيث طرحت نفسها منذ البدايه على أنّها قوّه تقف فى مواجهه «الكفر» وكانت تمتلك

ص: ٩٠

١- (١). إيران گام به گام به سوى استبداد: ترجمان: س ٢، ع ٥، ص ٣٢.

الأسباب الكافية لهذه المواجهه. ومن هنا، فقد كانت الكثير من التصرفات الخارجيه للثوره الإسلاميه معرضا لسوء فهم الغرب، ممّا أدى إلى اتّخاذة إستراتيجيه مواجهتها. ومن ضمن سوء الفهم العام هو اعتبارها ثوره جافّه، متطرّفه وطائفية؛ في حال أنّها عرضت ومنذ أيامها الأولى صورته أوسع من مذهب التشييع ورسمت آمال وطموحات عالميه لها. فالإمام الخميني رحمه الله على سبيل المثال، كان يؤكّد على مسأله أنّ للثوره جذور في العقائد الإسلاميه المشتركه وأنّها تتعلّق بكافّه المستضعفين (1) في العالم. الأمر الذي جعل الأصل الحادي عشر من الدستور يأتي في هذا الإطار.

وينبغي الإشارة إلى الغموض والارتباك في تعريف المزايا والأبعاد المختلفه للثوره في إيران كسوء فهم آخر، فقد اعتبروها ثوره فوضويه، ويقف على مقابل هؤلاء، من كان يرى أنّ الثوره في إيران كانت متوقّعه بالكمال والتمام. وغضّ الكثير أيضا الطرف عن الارتباك السياسي والموضوعيه التي لا يمكن تلافيتها لأيّ ثوره، حيث تمظهر ذلك في استمرار علاقات الثوره مع الاتحاد السوفيتي على الرغم من شعار «لا شرقيه لا غربيه».

وعلى الرغم من مساعي الغرب في مواجهه تداعيات وانعكاسات الثوره الإسلاميه، فقد شهد العالم تعاملًا واسعًا للنظام الدولي معها. حيث عرضت الثوره الإسلاميه في إيران النظام الدولي لأزمات متعدّده، وعلى الرغم من كلّ المعارضات، فقد حافظت على حيويتها إلى الآن. مع أنّنا نعتقد بأنّ طبيعه هذه التعاملات والتداعيات للثوره ناشئه ومتأثّره بالتطوّرات الداخليه لنظام الجمهوريه الإسلاميه وكذلك تطوّرات النظام الدولي.

ولا شكّ في أنّ أيّ بحث في هذا المجال، يستلزم معرفه الثوره، عناصرها الداخليه وطاقاتها الكامنه في دائره النظام الدولي من جهه، وكذلك تطوّرات ذلك النظام

ص: ٩١

ومكانه إيران فيه من جهة أخرى. فخطاب الثورة بطبيعته يشمل المجتمعات الحديثه في سائر أرجاء العالم وأنه شعبي أيضا. ولهذا يمكن دراسة تداعيات الثورة في قسمين عامين «المؤيدين» و«المعارضين». فينبغي ابتداء التوقف على موقع ومكانه إيران قبل الثورة ودراسة الظروف الدوليه التي وصلت الثورة في بحوثها إلى انتصارها الابتدائي؛ ومن ثم تحديد آمال وأهداف عمليات الثورة في تعاملها مع النظام الدولي من خلال فهم الثورة وعناصرها الداخليه، وإدراك الأزمات المستقبلية للنظام الدولي وأقسامها في هذا الوسط.

إثر انتهاء الحرب العالميه الثانيه و ظهور نظام القطبيه الثنائيه بقياده القوتين العظميين فى الغرب والشرق (الولايات المتحده الأمريكیه والاتحاد السوفيتى) أصبحت العلاقات فى ما بين هاتين القوتين أساسا ومحورا للنظام الدولى. فانعكس ذلك على شكل علاقات متقابله تترافق مع التعاون، المنافسه وأحيانا النزاع. فتذبذبت بين مصطلحات كالحرب الباردة، التعايش السلمى وإزاله التوتر. ففى مثل هذه الظروف اتجه العالم نحو اصطفااف ثنائى صارم جديد، يقوم على التوازن العسكرى الذى يستتبعه التوازن السياسى وحتى الأيديولوجى. وانخرطت أغلب بلدان العالم بنحو ما فى هذا الاصطفااف أيضا؛ وغدا العالم الثالث ساحه المنافسه الرئيسه لهاتين القوتين.

فوفق نظريه فوستر دالاس وزير الخارجيه الأمريكى فى ذلك العهد و ستالين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى، ليس لدول العالم الثالث من مناص سوى الالتحاق بالمعسكر الغربى أو الشرقى. ونظرا للنظريه الإمبرياليه للينين، فإنّ ارتباط العالم الصناعى بالمصادر الأوليه لدول العالم الثالث يُعدّ أفضل مفصل لتوجيه ضربه للرأسماليه وقيادتها للعالم. ومن جهه أخرى، فإنّ واشنطن التى ترى العالم الثالث كبيادق لعبه الدومينو التى يتسبب سقوط أحدها فى سقوط الآخر، كانت تمنع

الحركات الاستقلالية والانفصالية لدول العالم الثالث التي تدور في الفلك الغربى باعتبارها سياسه للحيلولة دوره انتشار الشيوعيه، وتبذل جهودا جدياره فى حال خرجت إحدى الدول عن ذلك المدار لإعادتها إلى فلكها الغربى الذى كانت تدور فيه. وبعد هزيمه أمريكا فى فيتنام، أسندت دور مواجهه خروج دول العالم الثالث عن الفلك الغربى إلى الدول التى تحت نفوذها بأن تكون شرطى المنطقه التى تقع فيها تلك الدول. حيث أوقعت مسؤوليه منطقه الخليج الفارسى على عاتق شاه إيران.

فتبلورت التطورات السياسيه والعسكريه المهمه أثناء الحرب البارده، وسيطره نظام القطبيه الثنائيه على أساس هذه المنافسه والتعامل بين القوتين العظميين، ويمكن الادعاء بجرأه، بأنه لم يحدث أقلّ تغيير وتطور من دون أن يكون تحت تأثير وتدخّل هاتين القوتين. ويمكن الإشاره إلى بعض ذلك فى أزمه جدار برلين، الحرب الكوريه، حرب فيتنام، محاربه الاستعمار فى الشرق الأوسط، الأزمه المجريه وحتّى ثورات الصين وكوبا. فالحادثه والتطور الوحيد الذى شدّ عن هذه القاعده فى الحقيقه تمثّل بحركه الإمام الخمينى رحمه الله وتبلور الثوره الإسلاميه منذ بدايتها فى الأعوام الأولى من العقد السادس للقرن العشرين. فالثوره الإسلاميه لم تنطلق فى إطار توازن القوى ونظام القطبيه فحسب، بل إنّها ابتدأت بهجوم شامل، على النظام القومى (النظام الملكى فى إيران) وعلى النظام الحاكم على العلاقات الدوليه، فاستمرّت على ذلك وانتصرت.

حيث أعلن قائد الثوره فى عام ١٩٦٣ براءته وبشكل صريح من القوى العالميه الكبرى:

إنّ أمريكا أسوء من بريطانيا، وبريطانيا أسوء من أمريكا، والاتحاد السوفيتى أسوء من الاثنين، فكلّ منهم أخبث من الآخر، فمواجهتنا اليوم مع هؤلاء الخبثاء، مع أمريكا.

ويصرّح فى موطن آخر:

إنّ مواجهتنا للشيوعيه الدوليه هى على نفس المستوى مع الاستكبار الغربى برئاسه أمريكا.

فالإمام قد أعلن في الحقيقة معارضة ومواجهه حركته للنظام الحاكم على العلاقات الدولية. وقد طُرح هذا الموقف المتخذ تدريجياً بصورة شعار لا- شرقية لا-غربية، جمهوريه إسلاميه، في أوساط الشعب. ونُظّم أخيراً بصورة سياسه معلنه في سياسه الخارجيه للجمهوريه الإسلاميه.

فالجمهوريه الإسلاميه لم تقتصر في إطار هذه السياسه، على البدء في معارضة الغرب وعلى الخصوص أمريكا والأمرياليه بشكل عام فحسب، بل رفضت أيضاً النظام الاشتراكي للاتحاد السوفيتي، وجرّته إلى حله النزاع أيضاً. الأمر الذي أدى إلى تناغم وتغامز هاتين القوتين العظيمين لمواجهه الحركه الإسلاميه في إيران على الرغم من اختلافهما وتنافسهما، ولم تقتصر على دعم نظام الشاه إلى اللحظة الأخيره فحسب، بل استمرت في هذه المواجهه والمعارضه حتى ما بعد انتصار الثورة الإسلاميه وفي مرحله الحرب المفروضه وحتى انهيار النظام الشيوعي.

فإغلاق مراكز التجسس الأمريكيه وطرده المستشارين العسكريين والرؤساء الغربيين من البلاد يمكن أن يمثل نصراً للاتحاد السوفيتي، ولكن هذا النصر كان باهتاً بسبب قلق الروس من تأثير الثورة الإسلاميه على الجمهوريات الإسلاميه في الاتحاد السوفيتي. ومن هذا المنطلق المقلق اعتبر ليونيد برجينيف الرئيس السوفيتي في ذلك العهد إن عوده الإسلام مجدداً أهم الأحداث السياسيه المقلقه في القرن العشرين، فيقول:

إن المناطق الإسلاميه للاتحاد السوفيتي كانت هادئه حتى الآن، وهي تشترك في حدودها مع إيران وأفغانستان، وربما سيحتاج الشغف واللهفه الدينيه للثوره الإيرانيه حدودها.

والثوره الإسلاميه قد عرّضت أيضاً أحد أصول السياسه الخارجيه للسوفيت المتمثله بالحيلوله دون استقواء الدول المجاوره لها للخطر، وهي في الحقيقة أوقعت هيبه القوه العظمى للاتحاد السوفيتي في ورطه. فمنذ ذلك الوقت انتبه كل من أمريكا والسوفيت

باعتبارهما قاده النظام الدولي والمدافعين عنه بعد الحرب العالميه الثانيه، إلى أنّ هذه الظاهره الجديده (الثوره الإسلاميه) لا تسير وفق إرادتهما وميولهما فحسب، بل إنّها تمثّل أهمّ وأعظم خطر يهدّد سيطرتهما وقيادتهما معا. إذ إنّ تأثير الثوره الإسلاميه لا ينحصر في حدودها الجغرافيه فقط، فهي على الأقلّ تتحرّك صوب جميع العالم الإسلامى على وجه التحديد والعالم الثالث بنحو أعمّ. وهذا ما يمكن أن يؤدّى إلى ظهور قطب جديد يُلقى بظلاله على جميع الأبعاد التفوقيه للقوتين العظميين أعمّ من العلاقات الاستراتيجيه والمسائل الأيدولوجيه والتقاليد، ومن ثمّ تدمير النظام المتفق عليه في العلاقات الدوليه والمعسكرات والاصطفافات القائمه بعد الحرب العالميه الثانيه. ومن هنا، فإنّ تصوّر كلّ من القوتين العظميين بأنّ لهما عدوّا غير قابل للمساومه، أدّى إلى تقاربهما بل أقنعهما على اتّخاذ موقف واحد تجاه هذه الظاهره الجديده (الثوره الإسلاميه). وقد برز هذا الموقف المشترك بشكل ملموس في مرحله الحرب العراقيه الإيرانيه على وجه التحديد، وجاء على لسان وزير الخارجيه الأمريكى، فهو يقول:

إنّ الحرب العراقيه الإيرانيه لم تكن من المسائل التى تمثّل جزءا من التعارض والاختلاف في ما بين الشرق والغرب، وأنّ لأمريكا وروسيا مصالح مشتركه في هذا المجال. (1)

إنّ ماهيه العلاقات الدوليه التى هى نتيجة للأفعال وردود الأفعال لمجموع التقاليد، الاعتقادات والعلاقات الدوليه الحاكمه، تحدّد في داخلها مسؤوليات وضوابط لجميع أجزاء النظام، وتعيّن أيضا حدودا لمعارضه اللاعبين الصغار للاعبين الكبار، ووضعت مؤسسات ومنظمات قانونيه لحلّ مشاكل ومعضلات هذا النظام. فحينما أنشأت هذه المجموعه في نظام العلاقات الدوليه أدّت إلى تغيير هذه العلاقات وعلى الخصوص

ص: ٩٤

ماهيتها، فتعرضت جميع التقاليد، الاعتقادات والعلاقات الدولية لتغيير أساس وبنوي. ومن هنا، فإنّ إىّ عامل مؤثّر فى الساحة الدولية يعرّض المعايير الأساسيه للنظام لأزمه بأىّ درجه كان ويؤثّر عليها، وسيتسبّب بتغيير فى ماهيه العلاقات الدولية أيضا. هذا فى الوقت الذى لم تقتصر الثورة الإسلاميه على تغيير القيم والتقاليد الحاكمه فى العلاقات الداخليه لمجتمعها فحسب، بل وبسبب طرحها أصولا وقيما أيديولوجيه جديده فقد فرضت تأثيرا عميقا على الأساس والنظام القيمي الحاكم على العلاقات الدولية.

يقول ميشال فوكو فى خصوص تأثير الثورة الإسلاميه على النظام العالمى:

[إنّ هذه الثورة] هى ثورة أناس بأيادى عزلاء يريدون أن يلقوا هذا العبء - عبء النظام العالمى - الذى نحمله جميعا وعلى الخصوص الذى على أكتافهم، وعلى أكتاف عمال النفط هؤلاء، وهؤلاء الفلاحين الذين يعطلون الحدود بين الإمبراطوريات، جانبا. وربّما هذه المرّه الأولى التى تقع فيها ثورة كبرى ضدّ الأنظمه العالميه. أحدث وأجنّ صورته تمرّديه. فأين يجب وضع مثل هذه الحركه من الحسابات السياسيه؟ حركه لا تسمح بإقامه انتخابات سياسيه مبعثره. حركه تسرى فيها روح دينيه تفكّر فى تغيير العالم قبل الحديث عن العالم الأعلى. (1)

لقد كان الوجه البارز لهذه الثورة وتأثيرها النوعى، هو إدخال عنصر الدين ومذهب الإسلام فى معادلات وأنظمه النظام الدولى. فالثوره الإسلاميه بمذهبها الحيوى والواسع، غيرت النسيج السياسى للعالم وطرحت التاريخ وقوه الإسلام بنحو جديد على مسرح العلاقات الدولية وأحدثت ردود أفعال واصطفافات جديده فى العالم.

ويمكننا تحليل ودراسه تأثير هذه الثورة فى الإبعاد أدناه:

ألف: نظرا للإسلاميه هذه الثورة التى تمثّل أيديولوجيه ذات شموليه عالميه تستولى وتتجذّر فى نفوس خمس سكان العالم، فقد خلّفت آثارا هائله واستثنائيه.

ص: ٩٧

١- (١). ميشال فوكو: إيراني ها چه رویایی در سر دارند: ٦٤.

وتمثل الصحوة الإسلامية وإحياء الإسلام السياسي في أوساط المجتمعات الإسلامية أحد تلك الآثار.

ففي ضوء تأثير هذه الصحوة استعادت الحركات والمنظمات الإسلامية في سائر أرجاء العالم نشاطها وقد ازداد هذا النشاط قوّه وسعه إلى الدرجة التي أُلقت بظلالها على خطر الشيوعيه بالنسبه للغرب وأمريكا. وعلى هذا الأساس، فالاستراتيجيون الغربيون بطرحهم خطر الأصوليه الإسلاميه النابعه من الثوره، اعتبروا إيران أهمّ، بل التهديد الوحيد الجادّ للثبات والتوازن الموجود الذي يصبّ في مصلحه الغرب. ويؤكد لس اسبين رئيس لجنه القوات المسلحه لمجلس النواب الأمريكي في هذا المجال:

يجب أن يكون هدف الإستراتيجيه الأمريكيه إيقاف إيران عن نشر ثورتها الأصوليه الإسلاميه في العالم العربي وعلى الخصوص الخليج الفارسي وإن تطلّب الأمر اللجوء إلى الحلّ العسكري. (١)

فمن هذه الجبهه، سرعان ما احتلت النهضات والحركات الإسلاميه في البلدان الإسلاميه مواقع الحركات الماركسيه، الاشتراكيه، القوميه والليبراليه، وحظيت بإقبال عام باعتبارها الوسيله الوحيده لإنقاذ الشعوب من السيطره الإمبرياليه. إنّ الوحده العربيه، الوحده التركيه والوحده الإيرانيه التي اضطرر مدّها في العالم الإسلامى، فقدت بريقها بانتصار الثوره الإسلاميه الإيرانيه بقيمها الإسلاميه، ووصلت إلى نهايه طريقها في واقع الأمر.

ب: لقد عرضت الثوره الإسلاميه إضافه إلى الصحوة الإسلاميه، على العالم المادى والماديه الغربيه قيما جديده أيضا تقوم على الأخلاق والمعنويه. إنّ نظام القطبيه الثنائيه الذى تبلور بعد الحرب العالميه الثانيه يتفق فى مسأله واحده وهى فصل الدين عن السياسه وإقامه علاقاتهما وعلاقات النظام العالمى على أساس الماديه، الاختلاف

ص: ٩٨

١- (١). فصلنامه انقلاب اسلامى: شماره اول، ص ٧١.

الوحيد الذى يفصل بينهما هو اعتماد أحدهما محوريه الفرد والآخر المجتمع.

وبحسب وجهه نظر الإسلام وقاده الثورة الإسلاميه، فإن كلاً من الاشتراكيه والرأسماليه يمثّان تقاليد فلسفيه غريبه تقوم على المادّيه ورفض محوريه الله. فبما أنّ هاتين المدرستين تقومان على أساس مشترك وهو المادّيه الأوربيه فهما تختلفان من الأساس مع المباني الإسلاميه. ومن هنا، فإنّ انهيار النظام الاشتراكي للاتحاد السوفيتي لا يمثّل نصراً لجسوره الحيه الممتدّه فى الغرب، بل علامه على إضعاف تفوّق الفلسفه المادّيه للغرب.

إنّ الثورة الإسلاميه التى تبلورت وفق قيم المدرسه الإسلاميه ألقت المادّيه فى أزمه وعرضت مجدّدا القيم المعنويه والأخلاقيه على العالم الذى غاص عميقا فى المادّيات. فأدانت لذلك الاستكبار والتسلّط وأعلنت دعمها لمستضعفى العالم فى أقصى نقاط العالم. فقد تمّ طرح نظام جديد فى العالم من خلال معارضه الاستكبار العالمى، تجاوز الحدود الجغرافيه، العرقيه اللغويه وحتّى الدينيه، وأعلنت أنّ التعارض الحقيقى ليس بين الدول التى تشكّلت إثر معاهده وستفاليا وليس بين الاصطفافات التى بلورت نظام القطبيه الثنائيه وليس بين الأيديولوجيات المادّيه والماركسيه والرأسماليه، بل إنّ التعارض الحقيقى إنّما هو بين المستكبرين من جهه ومستضعفى العالم من جهه أخرى. وفى ذات الوقت فإنّ المجتمع العالمى لن يَرَ نور السلام والصلح إلّا إذا تمّ القضاء على الاستكبار والمستكبرين وأقيمت حكومه المستضعفين فى جميع أنحاء العالم.

ج: كان المعيار السائد فى معرفه مدى قوّه الدول هو مقدار ما تملكه من الأسلحه الإستراتيجيه وعلى الخصوص الأسلحه الذريه، وذلك إلى ما قبل انتصار الثورة الإسلاميه. فأىّ بلد يمتلك مصانع أسلحه أكثر وأسلحه أقوى كمّيا ونوعيا يعتبر القوّه الأكبر. لكنّ الثورة الإسلاميه التى انتصرت من خلال الهبّه الشامله للشعب بأياديها

العزلاء وعظمت بنواجذها على نظام الشاه، تمكنت من إخراج جيش الشاه من دائره الصراع، وهى بهذا قد عرضت فى الحقيقه عاملين مهمين للقوّه على مسرح العلاقات الدوليه، وهما الإيمان والإيثار اللذين يمكن مشاهدتهما فى العمليات الاستشهاديه، وبهذا قد تسببت بأهم أزمه للنظام الاستكبارى الغربى والشرقى على السواء.

فعلى الرغم من الاستفاده من الاغتيال والتصفيه الجسديه لتثبيت السلطه وإزاله موانع نموها فى جميع الأنظمه الحكوميه الماديه فى التاريخ السياسى للبشرية،، غير أنّ ثمة ظاهره جديده تبلورت فى عصر أفول النظريات وظهورها المفاجئ، أطلق عليها أكثر الغربيين الإرهاب. فما أطلق عليه فى الأدبيات السياسيه للغرب بالمفخخين الانتحاريين، أثار حيره كثير من مفكرى الشرق والغرب. (1) فكيف استطاع هذا النموذج من الموت أن يسقط أكثر الأسلحه التقنيه تطوّرا من دائره الصراع؟ إنّ الأمريكيين والإسرائيليين أدركوا فى بحوثهم ودراساتهم المتنوّعه أنّ جذور ظهور الاغتيال تختلف كثيرا عن العمليات الاستشهاديه. فالعامل الأساسى لظهور الإرهاب هو الفقر والنظام الطبقي الذى يتحكّم بالمجتمعات البشريه وأنّ العلاقه بين الذين يقفون وراء الإرهاب وبين الإرهابيين هى علاقه عماله، فى حال أنّ العمليات الاستشهاديه تمثّل نوعا من الدفاع الابتدائى فى مقابل الاستبداد الذى لا يمكن تحمّله والذى تقوم قواه العمليّاتيه بالتضحيه وفق أفكارها وأهدافها فتكون العلاقه بين الاستشهادى والله علاقه هيام وغرام.

وتشير الدراسات التى أجراها خبراء الإرهاب إلى أنّ الاغتيالات تصدر على العموم من قبل أناس يائسين وفقراء. فهؤلاء ومن خلال استئجارهم من قبل الحكّام أو أصحاب المصالح فى المجالات المختلفه، يقومون بممارسه عمليات الاغتيال؛ فى

ص: ١٠٠

١- (١). لقد حوّل انهيار آخر طبقات ناطحه السحاب التى يقيم فيها الأمريكيون فى بيروت إثر ذوبان الدعائم الفلزيه أسفل البنايه من خلال انفجار شاحنه تحمل مواد متفجّره بواسطه استشهادى لبنانى، أذهان الكثير من المحلّلين السياسيين للاهتمام بهذا الحدث.

حال أنّ ما يكون عاملاً- للحركة الجهادية في العمليات الاستشهادية هو الاعتقاد بهدف، والوصول إلى طموح وأن يقع عليهم الاختيار من قبل الخالق الوهاب. (١)

فبحسب قول تادا ستوارت الجنرال المتقاعد للقوات الجوية ومدير برنامج الأمن الداخلي والدولي لجامعه أوهايو الأمريكي:

لو كانت المجاميع الجهادية الإسلامية تعتمد على أفراد شاذين، لما تمكنت أبدا من تنشئة جنود فعّالين وموثوقين وشجعان. (٢)

لقد تسببت استطلاعات للرأى أخذت من مئات المستعدين للقيام بعمليات استشهادية في إثارة حيره أكبر؛ فلم يكن أى من هؤلاء أمّيا أو شديد الفقر أو ساذج أو لا حول له ولا قوه، بل كانوا جميعا من الأعضاء المترنين لأسر مرفّهة.

توصّل مسؤولو منظّمه الاستخبارات في الجيش الأمريكي من خلال تحقيق خاصّ أُجرى على سجناء غوانتانامو أنّ الأصوليين الإسلاميين وعلى الخصوص من يتحلون صفة القيادة منهم، ذوو شهادات دراسية لا بأس بها مهنيا، وثمة عدد مثير للدهشه منهم يحملون شهادات جامعيه وينحدرون من أسر مرفّهة ومستويات اجتماعية عليا. إنّ بواعتهم والتزامهم بأهدافهم يشير إلى ميلهم إلى التضحية بالرخاء المادى والعاطفى من قبيل العمل، العائله والأمن الحياتى، الأمر الذى قطعوا من أجله سفرا طويلا وذلك للكفاح فى سبيل تحقيق أهدافهم. (٣)

ص: ١٠١

١- (١). سكوت ارتان: «چه كسى مى خواهد شهيد بشود؟»، نيويورك تايمز، نيسان ١٩٨٦. يعتقد سكوت ارتان الباحث فى المركز الوطنى للبحوث العلميه فى باريس وجامعه ميشيغان «أنّ المهاجمين الانتحاريين والقوّات الاستشهاديه وداعميهم، ليسو من الجهله، الفقراء، المجانين، الخائفين والزاهدين بالدنيا والمعارضين للمجتمع. فهؤلاء لا يُقدمون على هذا العمل بسبب الانزعاج الناشئ من اليتيم أو المسكنه. فهم ليسوا من أولئك الذين يهرعون إلى مثل هذه الأعمال بسبب عدم وجود ظهير لهم. فهم لا يختارون الجنّه من جهه أنّهم مساكين، بل لأنّ الشهاده تعتبر ثوبا فى الإسلام والانتحار إثم وذنّب.

٢- (٢). سكوت ارتان: «چه كسى مى خواهد شهيد بشود؟»: نيويورك تايمز: نيسان ١٩٨٦.

٣- (٣). المصدر نفسه.

إنّ المطالعه الإجماليه لهذه الدراسات تدلّ على عدم صحّه خطابات جورج بوش ومَنْ يحاول إلصاق اسم الإرهاب بهذه القوى الاستشهاديه. حيث يعتقد هؤلاء أنّ الإنسان الفقير أو غير الواعى يُقدّم على الموت بلا وعى أو على القيام بعمليات انتحاريه، وهو خلاف ما تشير إليه تلك التحقيقات.

وينظر دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكى إلى هذا الموضوع من نافذه أكثر معقوليه فى هذا الوسط. فهو يحاول طرح فكره أفضل من إطلاق اسم الإرهاب على القوى الاستشهاديه، حيث يقول:

إنّ أمريكا ولأجل الحيلوله دون مجيء جيل لاحق من الإرهابيين ينبغى عليها التفكير فى حيله لذلك. فإذا أرادت أمريكا إيقاف الهجمات الإرهابيه فى المستقبل، يجب عليها أن تنتصر فى حرب الأفكار. إذ فى مقابل كلّ إرهابى تلقى القوات الأمريكيه ومّتحديها القبض عليه أو تقتله، يتربى إرهابى آخر، الأمر الذى يتطلّب الاتّجاه نحو مواجهه الأفكار وإعلان الحرب على مَنْ يدير شبكات إرهابيه فى مختلف أرجاء العالم. (١)

فقد أدرك بشكل جيّد أنّ ظاهره الإرهاب تختلف بصوره كامله عن الاستشهاد. فإذا ما أطلق اسم واحد على هذين العنوانين - وهو العنوان الأول -، فلا هدف له فى ذلك سوى تلوّث وتشويه وإظهار حقاره هدف القوى الاستشهاديه. فهو تماشا وتناغم جيّد مع آراء نظيره الإسرائيلى شأؤول موفاز الذى أجرى تحقيقات خاصّه فى خصوص الجذور الفكرية للاستشهاد. ففى رأى موفاز أنّ مساحه واسعه من فكر الاستشهاديين تتبلور من خارج حدود إسرائيل وفلسطين. فهو يعتقد أنّ إيران تمثّل البؤره الرئيسيه لنقل الفكر الاستشهادى فى أوساط المسلمين المقاومين، وأنّ مصدر تأمين هذا الفكر - الذى يمثّل أهمّ أزمه تواجه الغرب مستقبلا - ليس سوى مدرسه تحمل اسم

ص: ١٠٢

«الخمينية». فهذه المدرسة ستكون العائق والمانع الأكبر في طريق حكومات العالم المستقبلية، التي تقوم على الحول والحيلة.

ف- شاؤول موفاز الصهيوني يتذكر جيّدا كيف كان للتنظيم الفائق لخمسمائه شاب وفتى لبناني من دور في إخراج القوات الإسرائيلية المدججه بالسلاح من جنوب لبنان في العقد الأخير من القرن العشرين. فلم يكن انتصار هذه القوّه الخارقه للشباب اللبناني على الجيش الإسرائيلي الفائق العدد والعدّه، ممّا تمحوه ذاكره الجنرالات الصهاينه. وأنّ فروع هذه القوّه الخارقه التي تتمتع بجاذبيه فائقه لم تفتأ تنمو وتنتشر في جميع بلدان العالم. هذا مع أنّ الدراسات الأخيره للموساد (وكاله الاستخبارات الإسرائيليّه) تشير إلى أنّ الكثير من الجامعيين المسلمين في أوروبا مستعدّون للتضحيه من أجل أهدافهم العقائديه.

يعتقد الإسرائيليون أنّ الإمام الخميني رحمه الله والشهداء الإيرانيين في حرب السنوات الثماني، هم المصدرون الأساسيون لهذا الفكر في عالم اليوم. ومن هنا، فإنّ إيران تُطرح على أنّها مصدر العداء للديمقراطيه والسلام ذي الصبغه الإسرائيليّه والذي يقوم على قوّه السلاح. إنّ ما تعجز الإمبرياليه عن فهمه وإدراكه اليوم هو طبيعه تبلور الفكر الاستشهادي.

فبحسب ما تقدّم، فقد اكتسب العالم الإسلامي تدريجيا معنّى ومفهوما له باعتباره قوّه جديده، سواء بلحاظه الجغرافي أو الفكري أو الأيديولوجي، ووجد له مكانه خاصّه في العلاقات الدوليه، وازدادت هذه المكانه بانهيار نظام القطبيه الثنائيّه والاتّحاد السوفيتي. وبهذا فقد حظى تأثير تواجد الثوره الإسلاميّه في البيئه غير المتوازنه للعالم الإسلامي بأهميه خاصّه بالنسبه إلى العالم الغربي وحتىّ العالم الشرقي الذي بقي من نظام القطبيه الثنائيّه. من المسلّم أنّ الغرب ليس بإمكانه تجاهل تأثير هذه الظاهره الاجتماعيه والأيديولوجيه على النظام العالمى. وكما تمّ طرحه، فإنّ المحللين

والإستراتيجيين الأوربيين والأمريكيين كانوا يرون أنّ الشيوعيه تمثّل الخطر الأساسى بالنسبه إليهم، وذلك إلى ما قبل قيام الثورة الإسلاميه، فسَلَطُوا الأضواء على جميع النشاطات والحركات الثوريه من خلال دائره الشيوعيه. وأدّى ظهور الثورة الإسلاميه باعتبارها ظاهره مبدئيه وتطوّريه فى الساحه السياسيه العالميه إلى تغيير وجهه هذه التحليلات والإستراتيجيات. حيث كتبت صحيفه لاريبو بليكا فى مقاله لها تحت عنوان الأتحاد الكبير على النبى:

كانت واشنطن إلى ما قبل الآن تعتقد بأنّ تقويه الحركه الإسلاميه أقلّ خطرا من توسّع الأتحاد السوفيتى، ولكنهما حاليا وبعد سنوات من المساعى للحيلولة دون نفوذ الثورة الإسلاميه التى اعتبرها تمثل تهديدا مشتركا لهما، اتحدوا ضدها. (١)

ويشير نيكسون الرئيس الأسبق للولايات المتّحده إلى هذا التطور فى رسمه الخطوط الإستراتيجيه العالميه لأمريكا فى القرن الميلادى القادم:

لقد بدأ التغيير فى العالم الثالث، ووصلت رياحه إلى مرحله الطوفان، ونحن غير قادرين على إيقاف ذلك. فقد انتزعت الأصوليه الإسلاميه باعتبارها وسيله أساسيه لتغييرات سياسيه قهريه مكان الشيوعيه فى العالم الإسلامى. (٢)

ففى رأى الغرب، أنّ الثورة الإسلاميه ومن خلال انتشار نطاق الأيدولوجيه الإسلاميه، أدت إلى جعل الإسلام قوه جيوسياسيه متّحده ومتعصّبه فى اعتقاداتها، ونظرا إلى عدد سكان العالم الإسلامى المتنامى وقدراته المادّيه التى يستبطنها، فهو يشكّل خطرا كبيرا ليس على الغرب فحسب، بل على الدول الشيوعيه. ولقد سقطت الإستراتيجيات التى دوّنت فى الماضى أمثال سياسه إقامه السدود ومبدأ نيكسون القائم على دعامتين عن الاعتبار، وأخذت أمريكا تفكّر فى تنظيم إستراتيجيات جديده لمواجهه هذه الظاهره.

يقول ويليام كوانت عضو مجلس الأمن القومى الأمريكى فى عهد كارتر:

ص: ١٠٤

١- (١). همشهرى: ١٩ بهمن ١٣٧٢.

٢- (٢). ريتشارد نيكسون: فرصه را دريايم: ٢٣٨.

لقد أَلقت الثورة الإسلاميه الرعب فى قلب واشنطن. فلأجل أن لا يطغى المدّ الثورى فى أرجاء الخليج الفارسى قررنا إيجاد نظام أمنى فى داخل وفى أطراف شبه الجزيره العربيه لنطمئن بأنّ الثورة الإسلاميه لا تتجاوز إلى الخارج. (١)

وبهذا، تمّ تغيير الإستراتيجيه الأمريكيه فى المنطقه مع انتصار الثورة الإسلاميه، وانفسخت معاهده سنتو التى كانت تمثّل الحلقه المركزيه للشريط الأمنى الغربى قبالة الشيوعيه. فمبدأ نيكسون الذى كان يعتمد على القوّه الأقليميه أمثال إيران للحفاظ على المصالح العالميه لأمريكا والذى جعل من نظام الشاه شرطى المنطقه لحفظ المصالح الأمريكيه، أعطى نتيجته عكسيه وصنع من صديق دائم عدوّا لا يقبل التساوم.

إنّ انهيار الاتّحاد السوفيتى الذى أعقب طرح آراء غورباتشوف تحت عنوان البروستريكا عرّض النظام الدولى الذى أُقيم بعد الحرب العالميه الثانيه إلى خطر جادّ، فإنّ هذا الانهيار قد رسم الخطّ النهائى لمرحله الحرب الباردة ونظام القطبيه الثنائيه، أمّا ما هو العامل أو العوامل التى أدّت إلى انهيار الاتّحاد السوفيتى والمعسكر الشرقى ونظام القطبيه الثنائيه، فتمّه اختلاف كبير فى الآراء بين المختصّين بالعلاقات الدوليه، ولكنّهم عموما يؤكّدون على ضعف التركيبه الداخليه للنظام السوفيتى وعلى الخصوص الهيكله الاقتصاديه للدوله. ويعتقد الغربيين فى ذات الوقت - وعلى الخصوص الأمريكيين - بأنّ ذلك يُعدّ بمثابة دلالة على أفضليه النظام الليبرالى الغربى، ممّا دعاهم إلى الاحتفال بانتصار الغرب على هذا الصعيد إلى الحدّ الذى ساق فرانسيس فوكوياما إلى إعلان نهايه التاريخ بالانتصار الحاسم والنهائى للديمقراطيه الغربيه والمعايير الليبراليه. (٢)

إنّ الإمام الخمينى رحمه الله وفى رسالته التاريخيه إلى غورباتشوف ولأجل الحيلوله

ص: ١٠٥

١- (١). ويليام گوانت: روابط پنهانى اياالات متحده وعربستان سعودى.

٢- (٢). Francis Fukuyama ، "The End of History and The Last Mom" New York ، The . Free Press ١٩٩٢.

دون حصول استنتاجات خاطئه ومضللله لهذا الانهيار وعلى الخصوص اعتبار الغربيين أنّ ذلك يمثّل أفضله وقدره معاييرهم القيميه، لم يقتصر على إطلاق هذا التحذير ل- غورباتشوف وأصحابه في الأتحاد السوفيتي فحسب، بل أطلقه لكافّه العالم أيضا من أنّ المشكله الأساسيه للعالم الشيوعى لم تكن السياسه والاقتصاد، وإنّما كانت الإعراض عن الله والقيم المعنويه فى العلاقات الدوليه.

فمحتوى رساله الإمام الخمينى رحمه الله إلى غورباتشوف فى كانون الثانى ١٩٨٩ تعكس بوضوح هذه الحقيقه:

وبالطبع فإنّه ربّما يُسر العالم الغربى من الأساليب غير الصحیحه والممارسات الخاطئه لرجال الدول الشيوعيين فى المجال الاقتصادى، لكنّ الحقيقه تكمن فى مجال آخر، فإذا كنتم تأملون فى وضعكم هذا أنّ السبيل الوحيد لحلّ المشاكل المستعصيه للاقتصاد الاشتراكى والشيوعى هو اللجوء إلى أحضان الرأسماليه الغربيه، فإنّ ذلك لن يُسعف مجتمعكم المريض فحسب، بل وعلى العكس، فكما أنّ الماركسيه وصلت اليوم إلى طريق مسدود فى المسائل الاقتصاديه والاجتماعيه، فإنّ العالم الغربى أيضا سيتعرّض بهذا النحو فى مسائل أخرى، وبالطبع بشكل آخر. إنّ مشكلتكم الأساسيه ليست الملكيه، الاقتصاد أو الحرّيه؛ إنّ مشكلتكم هى افتقادكم الاعتقاد الحقيقى بالله. المشكله التى جرّت الغرب أيضا إلى طريق مسدود أو أنّها ستجرّه إلى ذلك. (١)

ومع أنّ تحذير الإمام للعالم فى رسالته إلى غورباتشوف لم يؤدّ إلى إفاقه العالم الشيوعى والعالم الغربى والتراجع عن مساهم المنحرف، لكنّه وضعهم فى ذات الوقت فى صورته أنّ إيجاد أىّ نظام يتّبع الأسلوب السلطوى الغربى، فإنّ الثوره الإسلاميه والعالم الإسلامى سيستمرّان فى معارضته بشكل جدّى.

وقام رونالد ريغان بطرح النظام العالمى الجديد فى تلك المرحله، والذى مثّلت فيه نهايه الحرب الباردة أرضيه لتأسيس نظام القطب الواحد بقياده أمريكا وهو ما

ص: ١٠٦

يسمى «النظام العالمى الجديد». وكان المبدأ المذكور يقوم على أساس أنّ الولايات المتحدة الأمريكیه هی القوّه الكبری الوحیده التى بقيت من مرحله الحرب البارده وهى وكما فى السابق بحاجه إلى الحفاظ على مقدار مؤثر من قوّاتها العسكريه إذا ما أرادت أن يكون لها نفوذ مؤثر فى العالم. وبالطبع فإنّ إيجاد وتقويه نظام القطب الواحد بمحوريه القوّه الكبری الوحیده الباقیه من مرحله الحرب البارده، بحاجه إلى توفير شرطين أساسيين وهما عبارته عن، أولاً: موافقه المجتمع الدولى وعلى الخصوص القوى المنافسه لإقرار النظام الجديد، وثانياً: كفاءه وقدره أمريكا من الناحيه السياسيه، الاقتصاديه والعسكريه لقياده هذا النظام.

إنّ وجود وتفعيل الشرطين المتقدمين اللذان يمثّلان أساس استمرار النظام العالمى الجديد يبدو غير ممكنا، إذ لا المجتمع الأمريكى يمتلك القابليه والحافز اللازم بالحفاظ الاقتصادى، السياسى والاجتماعى، وكذا الشروط اللازمه لإداره العالم، ولا الدول الأخرى لديها الاستعداد اللازم للقبول بقياده أمريكا، حيث لا ترى أنّها تتمتع بما يجعلهم يتبعونها تبعيه مطلقه. النتيجة أنّ السنوات الأخيره من عقد الثمانيات شهد سعيًا أمريكيا لتثبيت هذا النظام واستعصاء سائر الدول وعلى رأسها الجمهوريه الإسلاميه بقيامها برفض هذا النظام والذى أدّى فى النهايه إلى فشل أمريكا فى إيجاد نظام القطب الواحد الجديد. الأمر الذى أدّى إلى طرح بعض الدول الأخرى ومن بينها جمهوريه الصين الشعبيه وحتّى دول أوروبا الغربيه نظريه نظام التعدديه القطبيه الذى لا يمثّل طموحات أمريكا التى لم تقرّ بهذه الحقيقه حتّى اليوم. (1)

وتمثّل العلاقات الاقتصاديه العامل الحاسم فى العلاقات الدوليه فى نظام التعدديه القطبيه وتحلّ محلّ القوّه العسكريه. فإذا لم يولّ النظام الدولى اهتماما بآسيا - وعلى الخصوص

ص: ١٠٧

١- (١). للمطالعه أكثر فى خصوص الأنظمه العالميه، أنظر: مقاله نظام نوين جهانى، للمؤلف، شماره ٢٨ دانشكده حقوق و علوم سياسى دانشگاه تهران، آذر ١٣٧١.

اليابان باعتبارها قطبا جديدا للقوة في مثل هذه الحالة، فإنه سيكون فاقدا لمفهومه. فالولايات المتحدة وأوروبا وبسبب الدور الحاسم للقوة العسكرية في الماضي كانوا يعملون نفوذهم المسيطر على آسيا وخصوصا اليابان. أما في الظروف الجديدة، فإن اليابان التي تهتم اهتماما فائقا بمناطق أمثال أفريقيا، الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا التي نمت نموًا اقتصاديا استثنائيا، أخذت تتضاعف قوتها الاقتصادية يوما بعد آخر وأعدت اختيارا آخر لهذه المناطق. في حين أن أمريكا وأوروبا ما زالا غارقين في أزمة الحيرة والارتباك.

هذا في الوقت الذي يسعى فيه منظروا ومخططوا السياسة الأمريكية لطرح نظريات جديدة تكون بمثابة بوصله للساسه الأمريكيين والغربيين في ذات تأمينها استمرار السيطرة الأمريكية. وتأتي في هذا السياق نظرية المنظر الأمريكي الشهير صاموئيل هنتينغتون المثيرة للجدل، والتي تحمل عنوان «صراع الحضارات».

نظام صراع الحضارات

إن هنتينغتون ومن دون أن يعتبر كـ بعض المحللين من أن نهاية الحرب الباردة تمثل ختاماً للجدل الأيديولوجي، فإنه ينظر إليها كبداية مرحلة جديدة من «صراع الحضارات»، ويحلل ويفسّر على أساس ذلك الكثير من الأحداث والوقائع العالمية الراهنة بشكل يمالئ ويدعم أوهام وافتراضات نظريته الجديدة. فهو يقسم الحضارات الحية في العالم إلى سبع أو ثمانى حضارات (1) ويرى أن خطوط الافتراق بين الحضارات المذكورة ستكون منشأ للمواجهات القادمة والبديل لنموذج الدوله - الشعب القديم. (2) ففي عقيدة هنتينغتون ، أن صراع الحضارات يمثل السياسة العالمية الغالبه وتبلور لآخر مرحلة من تكامل الصراعات. فهو يرى بحسب زعمه:

ص: ١٠٨

١- (١) . وهذه الحضارات هي عبارته عن: الغربية، الكنفوشيوسيه، اليابانيه، الإسلاميه، الهنديه، السولفاكيه، الأرثوذكسيه الأمريكيه اللاتينيه وفي هامشها الحضاره الأفريقيه.

٢- (٢) . Nation state .

- أن الاختلاف بين الحضارات أمر أساسي.

- أن وعى الحضارات فى حاله تزايد.

- أن إعاده الحياه الدينيه التى تمثّل وسيله لملء فراغ الهويه فى حاله اضطراد.

- أن السلوك المناق للغرب سيؤدى إلى وعى حضارى (للآخرين).

- أن المزايا والاختلافات الثقافيه ممّا لا يقبل التغيير.

- أن الإقليميه الاقتصاديه ودور المشتركات الثقافيه فى حاله تنامى.

- أن خطوط الافتراق الموجوده فى ما بين حضارات اليوم أصبحت بديلا عن الحدود السياسيه والأيدولوجيه فى مرحله الحرب البارده، وأن هذه الخطوط تمثّل شراره حدوث أزمة وإراقه دماء.

- أن النزاع الممتدّ إلى ألف وأربعمئه عام بين الإسلام والغرب فى حاله اتّساع، وأنّ العلاقات بين هاتين الحضارتين حبلى بالأحداث الدمويه.

وبهذا، فإنّ هذه النظرية «صيغه صراع الحضارات» ستلقى بظلالها على مسائل العالم الأخرى، وستتبلور فى العصر الحديث، اصطفايات جديده تتمحور حول الحضارات، وستقف الحضاره الإسلاميه والكنفوشيوسيه إلى جانب بعضها البعض أخيرا، لمواجهه الحضاره الغربيه. الخلاصه، أن المركز الأصلى للمواجهات فى المستقبل، سيكون بين الحضاره الغربيه والاتحاد الذى يضمّ المجتمعات الكنفوشيوسيه فى شرق آسيا والعالم الإسلامى. فالمواجهات الحضاريه فى الحقيقه تمثّل مرحله الأخيره لبلوغ الصراعات ذروتها فى العالم الجديد. (١)

وقد صدرت انتقادات واحتجاجات متعدده من قبل بعض مفكرى الغرب والعالم الثالث عقب نشر مقاله هنتينغتون وطرحه نظريه صراع الحضارات المثيره للجدل. وتشدّد هذه الانتقادات بشكل أساسى على الضعف التنظيرى والعلمى لهذه النظرية، وتراه

ص: ١٠٩

متضعع الأسس، وارتكز البعض على التناقضات الكثيره التي تتضمنها الأدله والشواهد التي طرحها هنتينغتون . ورفض البعض النظرية بكليتها من خلال طرحه قضايا جديده. (1)

وما يبدو من منتقدى نظريه صراع الحضارات هو أنهم أولوا اهتماما أقل بعدم كون الباعث أو النيه بعباره أخرى التي حدثت ب- هنتينغتون لعرض نظريته هذه، هو طرح «صيغه» جديده، وإثما معالجه أو بتعبير آخر تبرير التعارضات التي كانت تمخضت عن انهيار نظام القطبيه الثنائيه. التعارضات التي برزت فى داخل العالم الغربى والأمريكى وكذا بين العالم الغربى وسائر المجتمعات الحاضره فى العالم، والتي ستزداد ربّما فى المستقبل أيضا. ونظرا لاستقطاب هذه النظرية الكثير من الاهتمام مع ما تتضمنه من حقائق النظام العالمى فى مستقبله، فسناول عرض أسباب طرح هذه النظرية ضمن عرض نقاط ضعفها الأساسيه.

الحضاره والثقافه وعلاقه إحداهما بالأخرى

تمثّل نقاط ضعف نظريه «صراع الحضارات» فى أنّ هنتينغتون لم يعرض تعريفا علميا محدّدا للحضاره والثقافه، حيث يشدّد على الارتباط الواسع بين هذين المفهومين. فهو بشكل عام يفهم الحضاره والثقافه بأنّهما مفهومان مترابطان يستبطن أحدهما الآخر. فهو يعتقد بأنّ الحضاره تمثّل أعلى مستوى للتصنيف الثقافى للناس، وأنّ الهويه الثقافيه هى أوسع الهويات التي يمكن من خلالها تصنيف الناس.

إنّ عرض تعريف دقيق وجامع للثقافه والحضاره وإنّ كان ليس بالعمل الهين، لكن على الرغم من وجود اتّحاد وارتباط بين هذين الوجهين، فثمّه اختلافات مثيره للتأميل تلاحظ بينهما لم يكلف هنتينغتون نفسه عناء الاهتمام بها. ويمكن الإشاره إلى موردين أساسيين من موارد الاختلاف بين الحضاره والثقافه.

ص: ١١٠

١- (١). أنظر: هانتينغتون و منتقدانش. نظريه برخورد تمدنها.

الأول، هو أنّ الحضاره يطغى عليها الجانب العلمى والعينى، وأنّ الثقافه تنعكس أكثر فى الجانب الذهنى والمعنوى. فالفن، الفلسفه، الحكمه، الأدبيات والعقائد (مذهبيه أم غير مذهبيه) ترتبط بدائره الثقافه، بينما يغلب على الحضاره ارتباطها بمستوى الحاجات الماديه للإنسان فى المجتمع.

الثانى، أنّ الحضاره ترتبط على الأغلب بالجانب الاجتماعى، بينما الثقافه بالجانب الفردى. فالحضاره تتضمن تقدّم الإنسان فى الدائره الاجتماعيه، والثقافه يمكن أن تكون ناظره إلى التكامل الفردى فضلا عن ذلك. (١)

وعلى الرغم من الاختلاف الموجود بين هذين اللفظين فى اللغه، إلّا أنّهما استخدما بشكل مترادف على العموم، حيث يُستعمل أحدهما بدل الآخر فى الغالب. فالحضاره هى بمعنى السكن فى الحضر وهو ما يماثل اصطلاح Civilization فى جذره اللغوى اللاتينى، بينما الثقافه أو Culture ترتبط بالأساليب السلوكيه المختلفه للمجتمعات.

فالحضاره التى جاءت بمعنى السكن فى الحضر، هى بمعنى النمو، التنميه، الوعى واستفاده الناس من التقدّم العلمى والتقنى وتكوين حياه أكثر ملائمته لمجتمعاتهم. ومع أنّ بعض المجتمعات البشريه وفى كلّ مرحله وعصر وعلى طول التاريخ ساهمت مساهمات قيمه فى هذا النمو والتنميه، ولكنّ الاستفاده من ذلك لم تضلّ مقتصره على مجتمع خاصّ أبدا حيث شملت جميع المجتمعات البشريه؛ ولو نظرنا فى المقابل إلى إلى الثقافه فهى تعنى مجموعه من الآداب والرسوم، التقاليد، الأفكار، العقائد المذاهب والفلسفه، فهى تمثّل فى الحقيقه هويه قوم ومجتمع ما، وليس بالضروره أن تنتقل إلى قوم ومجتمع آخر، والثقافه تمثّل أيضا المائز الذى يميّز مجتمع عن آخر، فالحضاره والثقافه مترابطتان، ولكن لا يعنى ذلك وجود ملازمه بينهما بالضروره.

ص: ١١١

لقد سعى المفكرون الغربيون بصفه عامه وتبعهم فى ذلك البعض فى استخدام هذين المفهومين بشكل مترادف وبمفهوم واحد على الرغم من الاختلاف الصارخ والأساسى بين اللفظين. و هنتينغتون أيضا وعلى أساس هذه السابقه لم ير ثمه اختلاف بين الحضاره والثقافه. وهو فى ذات الوقت يقرّ بنقطه مهمه خلال طرحه لهذه النظرية، وهى ظهور قوه جديده توازى قوه الغرب تدعى تمثيلها للحضاره الإسلاميه جاءت فى الحقيقه عقب انتصار الثوره الإسلاميه وتأثيرها على العالم الإسلامى والتي ستلعب دورا هائلا فى مستقبل العالم باعتبارها قوه ثقافيه، سياسيه وحتى عسكريه.

لكنّ هنتينغتون يتجاهل مثل هذا الموضوع المهمّ والمصيرى بالنسبه للمجتمع الغربى وعلى الخصوص أمريكا، ولم يحمله على محمل الجدّ، فكما أنّ الاتحاد السوفيتى وبسبب أتباعه معايير وقيم خاطئه لا تنسجم والفطره الإنسانيه فى إعماله الماديه التاريخيه والماركسيه - اللينينيه انهار فى نهايه المطاف من الداخل بعد سبعين عاما، وأثبت بطلان النظرية المذكوره عمليا، فإنّ الولايات المتّحده الأمريكيه والعالم الغربى عموماً يهدّدهم خطر الانهيار من الداخل ولنفس الأسباب أيضا.

ويعدّ برجينسكى من الأفراد القلائل الذين التفتوا إلى هذه المسأله المهمه فى نقده لنظريه هنتينغتون. (1) فهو يبدأ بتشريح الثقافه الغربيه على المستوى الفكرى ويخصى موارد الضعف التى لا يمكن تداركها لهذه الثقافه ويعيب عدم اهتمام هنتينغتون بالتصدّع الداخلى للثقافه الغربيه. ففى عقيدته أنّ العلمانيه التى تقود زمام التصدّع المستولى على النصف الغربى من الكره الأرضيه تستحثّ فى داخلها الثقافه الغربيه على الانهيار. فهو يرى أنّ ما يعرّض القوه العظمى أمريكا إلى الزوال ليس صراع الحضارات، بل الفساد الداخلى للنظام الغربى وابتعاده عن المعنويه والذى لن يقضى على قياده أمريكا فحسب، بل

ص: ١١٢

١- (١). مجتبى اميرى: نظريه برخورد تمدنها: هانتينغتون و منتقدانش: ١٥٩.

سيتجاوز ذلك في النهاية إلى الثقافة الأمريكية بما تمثله من قدوه ومعيار للآخرين. (١) وهو نفس ما ذكر الإمام الخميني رحمه الله غورباتشوف به في رسالته إليه والمتمثل بتجاهل الله.

ولو نظرنا إلى المسألة من جهة أخرى، فإن الولايات المتحدة تسير نحو التنوع القومي والعرقى أكثر فأكثر يوميا بعد آخر. فهذه المسألة إضافة إلى تسببها في الانحطاط الاجتماعي، ستؤدي إلى تفكك وتقاطع ثقافه هذا البلد أكثر فأكثر. (٢)

ولكن هنتينغتون مع كل هذا لم يستطع أن يخفى هذه المسألة، فيقوم بإفشاء ما سيؤدي إلى ذلك الانهيار وهو ما ظهر أخيرا في الغرب؛ ويتمثل ذلك العجز بإدراك موضوع أن الغرب سيتعرض ربما إلى ضعف هيكله في داخل أنظمتة ومؤسساته القيمية. فهذا التيار يبرر إلى حد ما الترحيب الحار الذي واجهه تصوّر نهاية التاريخ وانتصار الأهداف الغربية بحسب نظريه فوكوباما؛ بتصوّر أن الحزبه الفرديه والديمقراطيه ستؤمن وإلى الأبد بقاء الحضاره الغربيه على مسند القياده. (٣)

في الوقت الذي تشكل مسأله اضمحلال الليبراليه الغربيه بفقدانها منافس أيديولوجي منسجم نظير الأيديولوجيه الماركسيه - اللينينيه المنافسه، موضوعا جادا،

ص: ١١٣

١- (١) . تشير الإحصاءات التي تدعم هذه النظرية أنه بازياد سكان أمريكا ٤١٪ في عام ١٩٦٠ ازدادت نسبه العنف ٥٦٪ وولاده الأطفال من أمهات غير متزوجات ٤١٩٪ والطلاق ٣٠٪ وعدد الأطفال الذين يعيشون في عوائل بلا أب أو بلا أم ٣٠٪. فهذه الحاله تشير إلى انحطاط اجتماعي عظيم، نقلا- عن: "The Danners of Sept (Foreign Affairs ، Kisho oct ١٩٩٣ ، Mahbubani.re ، Daecadnse".

٢- (٢) . في ضوء تخمينات دائره الإحصاء، أن سكان أمريكا ستستوعب أكثر من ٣٣٪ من السود الإسبانيين الأصل و ١٠٪ من الآسيويين حتى عام ٢٠٥٠. فبلد استوعب بنجاح ملايين المهاجرين من البلدان المختلفه، حيث قبلوا الثقافه الأوربيه والاعتقادات الأمريكيه لأجل وجود ثروه وإمكانات رفاهيه أفضل، من البعيد عليه استمرار مثل هذا التيار في المستقبل نظرا للتركيبه السكانيه لهذا البلد التي تتضمن ٥٠٪ من الإسبانيين وغير البيض.

٣- (٣) . Francis Fukuyama ، The end of History and The last man ، New York ، The free . Press ، ١٩٩٢

حيث إنّ تنوّع وتعدّد ثقافه اليوم تعمل على أنفراط مجموعه المعتقدات والفلسفه الفكرية التي تشكّل عقد المجتمع الأمريكي.

إنّ الهويه السياسيه للولايات المتّحده الأمريكيه في الأصول التي بُيّنت في الوثائق الأوّليه لها جذور متعدّده. فمحو الصفه الغربيه عن الولايات المتّحده هي بمثابة محو الصفه الأمريكيه وخواء هذا البلد من هويته الفعلية في حال تحقّقها. فإذا ما حدث ذلك ولم يضلّ الأمريكيون مؤمنون بالليبراليه الديمقراطيّه والأيدولوجيه السياسيّه لأوربا ولم يطبّقوها، لن تبقى الولايات المتحده في هذه الحال على النحو الذي عرفناه، وستتبع سائر القوى الكبرى التي لم تتجسّد إلّا من خلال الأسلوب الأيدولوجي في مواراتها في مقبره التاريخ.

التعارض بين أمريكا وأوربا

على مدى ٤٥ عاما بعد انتصار الحلفاء، وبسبب التعارض بين الغرب أئى أوربا الغربيه وأمريكا من جهة والشرق أئى الاتّحاد السوفيتي وأوربا الشرقيه من جهة أخرى، فإنّ الاختلافات الداخليه للعالم الغربى لم تتنّفس من خلال ذلك التعارض فحسب، بل إنّ أوربا الغربيه وبسبب احتياجاتها التي برزت بعد الحرب رضخت لقياده الولايات المتحده الأمريكيه وناغمت ونسقت سياساتها العسكريه، الاقتصاديه والاجتماعيه معها. ونظرا لانهايار العالم الشرقي والنظام الشيوعى وعدم وجود عدوّ مشترك وكذا تغيّر ظروف البلدان الأوربيه فمن الطبيعي عدم بقاء الحوافز اللازمه للحفاظ على وحده العالم الغربى، وطفو الاختلافات الداخليه للمجتمع الغربى على السطح بالتدرّج.

فأمريكا التي كانت تسعى لإبقاء دول أوربا الغربيه على الدوران في فلكها والرضوخ لقيادتها من خلال إيجاد نظام القطب الواحد، سرعان ما اصطدمت بفشل نظام القطب الواحد، وأدّى طرح نظام القطبيه المتعدّده لبروز اختلافات جادّه بين أوربا

وأمریکا. ولا ینبغی تناسی أنّ الحربین العالمیتین الأولى والثانیة اللتان ابتلعتا ملايين الناس، اضطرمتا فی بدایتھما بین الدول الغربیة ذات النظام الرأسمالی.

إنّ هنتیغتون وعلى الرغم من السابقه التاريخیه للحروب الداخلیه فی الغرب، یدعی عدم إمكان تصوّر حدوث نزاعات جدّیه بین ألمانيا والولايات المتّحدہ الأمريكيه وسائر البلدان الغربیة لانتمائها إلى أسره الغرب الواحدہ. هذا فی الوقت الذی یطّرح فیہ تاریخ الغرب فی القرون الثلاثه الأخيره بحروب متعدّده داخل تلك الأسره الغربیة والتي لعبت فیها ألمانيا دورا محوريا بارزا.

لا- شكّ فی أنّ الإمبریالیه البريطانيه والفرنسیه وكذا الألمانیه ستضطرّ إلى محاوله توفير حاجات أقوى، یقول أرنست هاس فی كتابه:

إنّ الألمان وكسائر المجتمعات الكبیره یعتقدون مضطّرين بأحقّیتهم فی التوسّع داخل أوربا فی ما لو لم یكن بالإمكان التوسّع ما وراء البحار. (١)

صراع الحضارات أم حوار الحضارات

فی الوقت الذی يتحدّث فیہ صاموئیل هنتیغتون عن الصراع بین الحضارات، وعلى الخصوص بین الحضاره الغربیة من جهه والإسلام والكونفوشیوسیه من جهه أخرى ، ويتكهن بأنّ القرن الواحد والعشرين هو قرن صراع الحضارات؛ یأتی السید خاتمی الرئیس الإيراني السابق لیطرح نظریه حوار الحضارات. ویطرح السؤال التالی نفسه هنا، فهل أنّ ثمّه صراع فی الحقیقه بین الحضارات کی یمکن ولأجل الحیلولة دون وقوع مثل هذا الصراع وخفض نسبه الاختلافات، طرح الحوار بین الحضارات أو بعبارہ أصحّ بین الثقافات؟

إنّ ما یفصل ویفرّق بین المجتمعات المتعدّده لیس الحضاره، بل ثقافه کلّ منها. إنّ الثقافات فی ذات اختلافها، لم تكن ثمّه ضروره لحدوث صراع بینها ولم تكن فی

ص: ١١٥

١- (١) . Richard E. Rubenstein and Jarl Crocker ، Challenging Huntington ، Foreign Policy .

No. ٧٩ (Fall ٢٠٠٥-٦-١٩٩٤) ، PP. ١٣١٣- ١٢٨.

خصومه مع بعضها البعض، بل هذه الدول باعتبارها تمثل أصحاب السطوة والقوة ولأجل توسيع مناطق نفوذها وسلطتها، ومن خلال استغلال هذه الاختلافات وللوصول إلى أهدافها السلطوية، هي التي كانت تخوض الحروب مع سائر المجتمعات وتدمرها وتجبر شعوبها أو تضللها للانسحاق خلفها أيضا. وبعبارة أخرى، لقد كانت الثقافات بمثابة أدوات لخدمه الدول، لا أن الدول في خدمه الثقافات والحضارات. فإنّ هنتيغتون ومن دون الاهتمام بالاختلافات الثقافيه العميقه الموجوده بين الثقافه الإسلاميه والكونفوشيوسيه، يتحدّث عن الأتحاد بينهما لمواجهه الحضاره الغربيه ولم يتطرّق إلى ماهيه أوجه الاشتراك بين هاتين الحضارتين؟

يبدو أنّ ما يقارب بين هذين المجتمعين لمواجهه الغرب، هو أنّهما معا كانا ضحايا للاستعمار والاستغلال وتعرضّا حتّى للإذلال من قبل الغرب فى القرون الأخيره، وتحمل ذاكرتهما سوابق مرّه جدّا من الظلم والجور الذى مارسه الغرب حيالهما. فاليوم حيث انتبعت وصحت شعوب هذه المجتمعات، يُبدى هنتيغتون قلقه من المواجهه المشتركه لهاتين الحضارتين مع الغرب. فهو لا يريد الإقرار بهذه الحقيقه التى لا يمكن التغاضى عنها من أنّ المجتمعات الآسيويه والأفريقيه لم تنسّ العهود المرّه لاستغلالها من قبل الغرب كما هو الحال فى حرب الترياق فى الصين، تجاره الرقيق فى أفريقيا ونهب النعم الإلهيه العظيمه التى حبي بها العالم الإسلامى، وذلك فى صوره الاستعمار والاستعمار الحديث.

ومن جهه أخرى، فإنّ هنتيغتون الذى يقلق من تجدد التعارض بين الدول الغربيه وعلى الخصوص أمريكا وأوربا حول تقاسم مصادر العالم الاقتصاديه، يخطو باتجاه خلق عدوّ جديد ويوصى ضمنا بنظريه كنت والتر:

إذا لم يكن ثمه وجود خارجى لهمج ومتخلفين فيجب العمل على إيجادهم. (1)

ص: ١١٤

Thealre A.Coloumbis and Tuaraos Veremis ، In Search of New Barbarians. . (١) -١
.Mediterranean Quarterly ، Vol٥ ، Number ١(Winter ١٩٩٤) ، PP.٣٦. ٤٤

إنّ ما استوجب طرح نظريه صراع الحضارات لم ينبع من السابقيه الاستعماريه للغرب المتحصّص التي مارسها تجاه بلدان العالم الثالث في آسيا، أفريقيا وأمريكا اللاتينية - التي لم تنس الظلم الذي مورس ضدها - فحسب، بل ثمّه عامل آخر لذلك وهو انتباه هذه المجتمعات إلى حقوقها تدريجيا، الأمر الذي أدى إلى صحوة شعوبها وثورتها على المستعمرين الغربيين. ففي رأى هنتيغتون أنّ وجود مثل هذا التعارض بين العالم الاستكباري والعالم المستعمر أمر لا يمكن تفاديّه. فهو ومن دون أن يقرّ بهذه الحقيقه، يسعى لطرح هذا التعارض المتزايد باعتباره صراع بين الحضارات.

فهو يتناسى إظهاره لقلقه من التطوّرات التي ستحدث بعد انهيار الأتحاد السوفيتي وذلك قبل سنه من طرحه نظريه صراع الحضارات. فهو وفي مقاله له تحت عنوان «المصالح الإستراتيجيه الأمريكيه على طريق التغيير» (1) يدرس ويحلّل مكانه أمريكا تحديدا، ويعرض بعض المقترحات للحفاظ على مكانتها ومصالحها:

١. يجب مواجهه ظاهره السباق الاقتصادي الياباني لأجل الحفاظ على مكانه أمريكا كقوّه عالميه أعظم.

٢. يجب الحيلولة دون ظهور قوّه عسكريه - سياسيه غالبه في المنطقه الأوروآسيويه (كألمانيا والصين).

٣. الحفاظ على المصالح الأساسيه لأمريكا في العالم الثالث التي تتركز بشكل أساسي في الخليج الفارسي وأمريكا المركزيه.

خلاصه البحوث التي أطلقها هنتيغتون هو أنّ الولايات المتّحده ستواجه مشاكل ومعارضات ومواجهين جدد، بحيث لن تتمكّن من الحفاظ على تفوّقها أو حتّى

ص: ١١٧

١- (١) . (Jan ٣٣) Survival sk American changing strategic Interest k Samuel P.Huntington

١٣- ١٢ PP، (١٩٩١) Feb.

مكانتها الفعلية ما لم تفكر في كيفية مواجهه ومعالجه هذه الأزمات الجديده، وما لم تنظم وتعدّ إستراتيجيه ونظام جديد لعالم القرن الواحد والعشرين يهيء الأرضيه لاستمرار هذا التفوق. فبسبب هذه العقبات قام هنتيغتون بطرح نظريه صراع الحضارات ليغطى من خلال ذلك على الحقائق التي تعمّ العالم. وهو في ذات الوقت يفترض بنحو ظريف عدم إمكانيه مصالحه العالم الإسلامى مع الغرب باعتباره من المسائل البديهيه التي لا نقاش فيها، ويسعى لتبرير السياسات التسلطيه والاستكباريه للدول الغربيه ومواجهه العالم الإسلامى لهذه السياسات على شكل صراع هاتين الحضارتين.

ومع بلوغ الثورة الإسلاميه أوج انطلاقتها فى أعوام ٧٧-٧٨ وطرح شعار «لا شرقيه لا غربيه، جمهوريه إسلاميه» استمرت هذه الحركه بأسلوبها وإستراتيجيتها المستقله فى ذات معارضتها للنظام العالمى القائم على القوه، وحينما انتصرت الثورة لم تكن قد حظيت بدعم أى دوله أو مجموعه من الدول - وعلى الخصوص اللاعبين الأساسيين لنظام القطبيه الثنائيه - فحسب، بل كان النظام الاستبدادى الشاهنشاهى قد حظى بدعم القوى الكبرى شرقيا وغربيا كالاتحاد السوفيتى، جمهوريه الصين الشعبيه، الولايات المتّحده الأمريكى وبريطانيا. وبحسب قول الإمام الخمينى رحمه الله :

إنّ الثورة الإسلاميه لم تكن ثوره عاديه ولم تكن معتمده على أى من القطبين الشرقى أو الغربى. فهى تتسم بمزاياها الخاصه من هذه الناحيه ووقفت بوجه كلّ من القطبين من خلال سيرها على صراط لا- شرقيه لا- غربيه ولم ترتعد من أى من القوى الأسطوريه، وهو ما أدى إلى انتصارها الإعجازى. (١)

وقد استمرّ هذا الموقف وهذه المواجهه بين الثورة الإسلاميه من جهه ونظام القطبين المستولى على العالم من جهه أخرى حتّى انهيار الاتحاد السوفيتى وانتهاء الحرب الباردة وذلك النظام؛ وعلى الخصوص فى مرحله الحرب واعتداء العراق على إيران،

ص: ١١٨

ولازال اللاعبون الأساسيون للنظام المذكور مستمرين في مواجهه الثورة الإسلاميه الفتيه داعمين العراق بكافه إمكاناتهم السياسيه، العسكريه والاقتصاديّه.

وبعد انهيار نظام القطبيه الثنائيه وطرح نظام الحلقة الباقية منه، وبعبارة أخرى نظام القطب الواحد ما فتأت الثورة الإسلاميه محافظه على موقفها غير التساومى مع الأنظمه الديكتاتوريه صنيعه القوى الكبرى، وعُرفت على أنها أوّل «متمرد» يأبى الخضوع لنظام القطب الواحد. ولقد لجأت الولايات المتّحده إلى وسائل متعدده وبذلت جهودا حثيثة لتأديب هذا «المتمرد» عسى أن تتمكن من تحقيق بسط سيطرتها على المجتمع العالمى من خلال تثبيت صيغه هذا النظام الجديد. فكانت مشاريع أمثال مشروع كين كريج أو داماتو، إستراتيجيه الاحتواء المزدوج (1) من ضمن مساعى أمريكا فى هذا الإطار.

ويبدو أن نظريه صراع الحضارات التى تمّ طرحها فى السنوات الأخيره لم تكن مجرد إعلان للفشل المبكر لنظام القطب الواحد فحسب، بل كانت تحاول وضع غطاء على الحقائق المتضاده من خلال تضليل الرأى العام العالمى والتى فضحها الإمام الخمينى رحمه الله والثوره الإسلاميه.

إنّ التضادّ بين المستبدين، المستغلين والمستعمرين المتنفذين من جهه والشعوب والمجتمعات الخاضعه للظلم، الحرمان والاستغلال من جهه أخرى، وبكلام فصل، التضادّ بين المستكبرين والمستضعفين يشمل أرجاء العالم قاطبه، النظرية التى رفعت رايها الثورة الإسلاميه والإمام الخمينى رحمه الله باعتباره المعدّ الأصيلى لهذه النظرية والمحامى عن المستضعفين ليواجهوا ويثوروا على جميع مستبدي العالم.

لقد سيطر الاستعماريون على الشعوب من خلال عملاتهم السياسيين وفرضوا عليها نظاما إقتصاديا ظالما تسبّب فى تقسيم الشعوب إلى قسمين: ظالم ومظلوم. (2)

ص: ١١٩

١- (١). Dual Pillar Containment Policy .

٢- (٢). امام خمينى: ولايت فقيه: ٤١٢ - ٤١٣.

وبتعبير آخر، فإنّ الثورة الإسلاميّة لم تؤدّ إلى انتصار الشعب الإيراني على نظام الشاه الجائر فحسب، بل كانت منطلقاً لحركة عالميّة لهزيمته الأنظمة العالميّة القسريّة بالاعتماد على وعي وصحوه وثوره الشعوب المحرومة والمظلومة. وتعرّض أدناه لتوضيح إطار هذا النظام الذي حدّده الإمام الخميني رحمه الله والثورة الإسلاميّة.

إنّ الثورة الإسلاميّة باعتبارها ثوره أيديولوجية تحمل رؤيه كونه خاصّه بها تستمدّ جذورها من الإسلام، لم تقتصر على أن تكون مجدّده للمشاركة، البرامج والنظريات الخاصّه بالحكومة ومحوريه الدوله الإسلاميّه في بعدها القومي فحسب، بل جاءت بأفكار ونظريات خاصّه وعرضت نظاماً عالمياً وفق تلك الرؤى نظراً للشموليّة العالميّه للإسلام على المستوى العالمي أيضاً.

فالثورة الإسلاميّة وككلّ الثورات وبناء على ماهية برامجها وأهدافها تمخّضت عن مفاهيم، ألفاظ ومصطلحات خاصّه ومميّزه تتضمّن بعضها عالماً خاصّاً من الفكر الأصيل. ويمكن الإشارة إلى بعض العناوين أمثال المستضعفين، المستكبري، العالم الاستكباري أو حكومه المستضعفين من جمله هذه الألفاظ والاصطلاحات.

إنّ الثورة الإسلاميّة وقيادتها لم تكتفِ برفض النظريات الحاكمه في العلاقات الدوليّه والأنظمة العالميّه الحاضرّه التي استمدّت من أفكار ماكياول، هابس و هانس مورغنتا التي تمزج الحقّ بالباطل، بل إنّها تتحرّك وفق هذه النظرية وهذا المعتقد من أنّ:

السلام والأمن العالمي يتوقّف على استئصال المستكبرين، فما دام طلباب السلطه المتخلفين موجودون على هذه الأرض، فلن ينال المستضعفون إرثهم الذي وهبهم إياه الله تعالى.

فحكومه المعدمين حقّ. (١)

فالمستضعف بحسب الرؤيه الإسلاميّه والقرآنيه هو بمعنى الذي فرض عليه الضعف

ص: ١٢٠

فُعِدَّ ضعيفا، ويُقسم إلى قسمين: المستضعف العاجز وغير العارف؛ والمستضعف العارف. فالاستضعاف له معنى أوسع من الاستغلال في القرآن، ولم يتقيد أبدا بهذا المفهوم حيث إنَّ أى نوع من الظلم والتسلط وأى نحو لاستغلال فكر وعمل الآخرين يمثل شكلا من أشكال الاستضعاف. وبعبارة أخرى، إنَّ أى استغلال ظالم وبغير حقّ لفكر، وأى نوع من الظلم للشخصيه، الارتقاء المعنوى والثقافى يُعدّ نوعا من الاستضعاف، هذا إضافه إلى الاستغلال الاقتصادى.

وبهذا لا تمثّل لفظه الاستكبار التى تقف فى مقابل الاستضعاف، التسلط الاقتصادى تحديدا، بل إنها تشمل أى تسلط يرتكز على العصيان والطغيان فى مقابل الله، والذي يتجلّى بأبعاده السياسيه، الاقتصاديه والثقافيه أو ببعضها فى المجتمع.

ولطالما أشار الإمام الخمينى رحمه الله منذ بدء التحرك الإسلامى وعلى الخصوص بعد انتصار الثورة الإسلاميه فى بياناته وكتاباتهِ إلى النظام العالمى الذى يأمله الإسلام والثوره الإسلاميه، ويمكن تكوين فكره عن إطار هذا النظام من خلال ما أفاده فى هذا المجال:

١. يعتقد الإمام الخمينى رحمه الله وعلى عكس الماركسيين الذين يعتقدون بالجبريه التاريخيه والحكوميه المحتومه لطبقه العمال، بأنّ العامل الوحيد الذى سيمكّن الشعوب المستضعفه من الانتصار هو الصحوه والوعى لحقوقها الحقه والثوره على المستكبرين.

يجب على المستضعفين أن يثوروا، يجب على المستضعفين فى كلّ البلدان والممالك انتزاع حقوقهم بضرباتهم القويه، ولا ينتظروا أحدا كى يعطيهم حقوقهم، فلن يُعطى المستكبرون حقّ أحد. (١)

٢. إنَّ الإمام فى ذات اعتقاده بضروره إحداث وعى وثوره حقيقيه للمستضعفين

ص: ١٢١

لتحقيق حكومتهم، يرى أن انتصارهم من الأمور الحتمية والقطعية، وذلك بناء على الآيه القرآنيه الكريمه:

إيه أيتها الشعوب المستضعفه انهضوا وانتزعوا حقوقكم ولا تخشوا ضجيج الغاشمين، إن الله معكم والأرض إرثكم الموعود ولا يمكن لله أن يخلف وعده. (١)

٣. إن الحفاظ على الأمن، واستمرار السلام العالمى لا يرتبط بتحقيق توازن القوى وسائر الأنظمه المطروحه من قبل المفكرين والسياسيين الغربيين، بل إنه ممكن فقط من خلال تدمير وهزيمه القوى الاستكباريه.

حيث يصرح الإمام الخمينى رحمه الله فى هذا الإطار قائلا:

يجب أن تشمل هذه الحركه حركه المستضعفين فى مواجهه مستكبرين العالم، كل العالم. إن إيران هى المنطلق والبؤره الأولى والنموذج لجميع الشعوب المستضعفه. فعلى المسلمين فى جميع أرجاء العالم أن ينهضوا، بل على المستضعفين أن ينهضوا. فالوعد الإلهى يعمّ المستضعفين أيضا، حيث يقول: ونريد أن نمّن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمه ونجعلهم الوارثين. الإمامه هى حقّ للمستضعفين والوراثه للمستضعفين. المستكبرون غاصبون. ويجب عليهم أن يرحلوا. (٢)

٤. إن مصطلح المستضعفين لا يقتصر على المسلمين وشعوب العالم الثالث، بل يشمل عامه من يُمارس بحقه الظلم ويتحكم به الاستكبار فى أرجاء العالم، حتى أوائك الذين يعيشون ضمن حدود حكومه الدول المستكبره الشرقيه والغربيه. ومن هنا، فإن أى من العوامل الجغرافيه، الثقافيه وتصنيفات الدوله - الشعب لا يمكنها أن تكشف عن الحدّ المائز بين المستضعفين والمستكبرين. وعلى هذا فإن نظريه صراع الحضارات أو صراع الثقافات أو حتى التصنيف القطبى العالمى لم تكن سوى استمرارا لسيطره

ص: ١٢٢

١- (١). المصدر نفسه.

٢- (٢). المصدر نفسه: ١٦٨/٦.

المستكبرين، أو المنافسه والاختلاف بين المستكبرين لتقاسم الغنائم، الاستغلال واستضعاف المجتمعات والشعوب المختلفه.

عليكم أن تعلموا أنّ الشعوب [العالم] حتّى تلك التي ليست إلهيه، كلّها تعتبر من ضمن مستضعفى العالم والتي كانت على الدوام تحت سيطره المستكبرين. (١) فكلّ من القوّتين العظيمين، ركّزت جهودها على تدمير الشعوب المستضعفه، فيجب علينا دعم مستضعفى العالم، والإسلام لا يفترق بين البلدان المسلمه وغير المسلمه وهو يدعم جميع مستضعفى العالم. (٢)

٥. إنّ هذا النظام وعلى خلاف الأنظمه السابقه التي قامت على النظريات العلمانيه وماديّه الإنسان والتي كانت تروّج للتلدّذيه، الترف والاستهلاك باعتبارها حياه سعيده، قام على أساس العوده إلى الدين وحاكميه الله وربط الحياه السعيده فى زياده الالتزام بالتقوى، النظام الأخلاقى والمعتقدات المعنويه والإلهيه، ورفض بقوّه الأهواء والنزوات وجمع الثروات التي تمثّل ديدن المستكبرين.

٦. لقد استطاع المسلمون على العموم والشعب الإيراني المسلم على الخصوص ولأوّل مرّه التغلب على الاستكبار، وذلك ببركه الاعتماد على مذهب يهب الحياه ويصنع الإنسان، ألّا وهو الإسلام، ويتولّوا دور هدايه وقياده هذه الانتفاضه العالميه العارمه. وبعبارة أخرى، إنّ انتشار وتصدير الثوره الإسلاميه هو بمثابه سعى فى سياق المواجهه العالميه مع الاستكبار ودعم المستضعفين.

إنّ شاء الله ستضطرّ القوى الشيطانيه إلى الإنزواء مع انتشار الثوره الإسلاميه الإيرانيه، وتمهيد حكومه المستضعفين الأرضيه للحكومه العالميه للمهدى الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف فى آخر الزمان. (٣)

ص: ١٢٣

١- (١). المصدر نفسه: ٢١٣/١٥.

٢- (٢). المصدر نفسه: ١٩/١٢.

٣- (٣). در جست وجوى راه و كلام امام: ١٥.

إنّ ما نفهمه من مقالات ونظريات هنتيغتون ، برجسكى أو الآخريين هو استمرار القوى الاستكباريه بعملية التنظير والتخطيط لتأمين استمرار سيطرتها على العالم. وتُظهر نظرياتهم فى ذات الوقت عظم القلق من الصحوه المتناميه لشعوب العالم المستضعفه، اتّحادها وتعاونها إلى أقصى حدّ بغضّ النظر عن أى اختلافات ثقافيه، عرقيه ودينيه ومواجهتها للدول المتسلّطه والاستكباريه - بتأثير من الثوره الإسلاميه بالطبع -.

على الرغم من حقيقه أنّ أمريكا اللاتينيه تمثّل جزءا من منظومه الثقافه الغربيه. فسبب اختلافها ومعارضتها للغرب من زاويه التسلّط والاستيلاء لم يضع هنتيغتون هذين المجتمعين فى مجموعته وجبهه واحده. وهو فى ذات الوقت يضع الحضارتين الإسلاميه والكونفوشيوسيه اللتين تشتركان فى وجوه ثقافيه نادره، فى جبهه وخذق واحدا! مع أنّ وجه الاشتراك الوحيد بين هذين المجتمعين الثقافيين المختلفين، هو الذكريات الميريه لعهود الاستعمار الغربى التى لا زالت تلاحظ آثار هذه الحاله من التسلّط.

أحداث الحادى من سبتمبر وتأثيرها على النظام الدولى

مع أنّ تحليل انعكاسات حادثه الحادى عشر من سبتمبر على النظام الدولى بحاجه إلى مرور زمان أطول، لكن يمكن التعرّض هنا لبعض النقاط المهمّه التى كانت مدارا للبحث.

إنّ مسأله مَنْ قام بعملية الحادى عشر من سبتمبر ومَنْ يقف وراءه من جهاز وطنى أو دولى؟ لا زالت فى طور الغموض، ولكن على الرغم من ذلك يمكن القول بأنّ هذه الحادثه مثّلت منعطفًا حاسما فى العلاقات الدوليه، على النحو الذى دخلت فيه أمريكا

فى مواجهه مباشره مع العالم الإسلامى من خلال اتباعها استراتيجيه عسكريه القصد منها تقويه وترسيخ سيطرتها العالميه. وربما لم يكن من الصدفه أن يعلن الرئيس الأمريكى جورج بوش بعد هذه الوقعه مباشره بأننا دخلنا فى حرب صليبيه أخرى؛ أو أن ترى السيده كانداليزا رايس من أن جوهر الإرهاب يتمثل بالعمليات الانتحاريه. إن الولايات المتحده ومن خلال اتباعها سياسه الحرب الاستباقيه تقرّ فى الحقيقه وتعترف بمسأله مهمه من آثار وتداعيات الثوره الإسلاميه على النظام الدولى، وهى أن ثمه قوه باسم العالم الإسلامى فى طور التبلور.

حيث تُشكّل هذه القوه خطرا حقيقيا بالقوه - وربما يمكن القول بالفعل - على التسلّط الغربى وعلى الخصوص الأمريكى على النظام العالمى، وأنّ العالم الإسلامى بما يمثله من قوه، ذو حقيقه معقده تختلف عن التعريفات الشائعه فى العلاقات الدوليه والدراسات الإقليميه السابقه.

فإذا كانت القوه الإقليميه قد تبلورت وعُرّفت فى السابق فى إطار الدوله - الشعب، الكانتونات والمعاهدات العسكريه، فإنه لا يمكن تعريف العالم الإسلاميه فى هذا الشكل. بمعنى أن تبلور هذه القوه لم يتم على أساس الأتحاد بين الدول الإسلاميه، ولم تنتظم عمليه توافق دول المنطقه على أساس هذه القوه، بل إنّ الانتفاضه والصحوه الشامله والشعبيه وتكوّن الحركات الإسلاميه ذاتيا، أظهر قوه العالم الإسلاميه بأشكال أخرى من القوه، وواجهت دول العالم الإسلاميه اهتزازا لمرتكزاتها سواء الداخليه منها أو الخارجيه.

فلم يؤدّ الاستنتاج الأمريكى الخاطى بغزوه افغانستان والعراق الذى أدى إلى إسقاط الأنظمه غير الشعبيه لهذين البلدين إلى إضعاف الحركات الإسلاميه والشعبيه، بل وعلى العكس من ذلك فقد عملت الولايات المتحده على إزالة

موانع تنامي هذه الحركات بيديها، وأدت إلى تقوية المجموعات الفكرية، السياسية والاجتماعية الإسلامية. وبتوضيح آخر، لقد هيأت وسارعت أمريكا بنفسها أرضيه هزيمتها من خلال تنفيذها إستراتيجيتها في مواجهه العالم الإسلامي، وها هي الآن عالقه في المستنقعات التي أحدثتها.

ومن جهه أخرى لم تستطع أمريكا كما تكهن به كانت والتز أو هنتيغتون كسب وحده وتوافق العالم الغربي لمواجهه هذا الخطر الجديد من خلال اختلاق عدوّ خارجي. وإن كان الأوروبيون قد اقتفوا أثر أمريكا في غزوها لأفغانستان في بدايه هذه الأزمه، لكنهم اتبعوا سياسه معارضه بالكامل في خصوص العراق، ممّا اضطرّ أمريكا إلى تحمّل العبء الأكبر لهذه الحرب واتباعها سياسه منفرده خارج نطاق الأمم المتّحده ومجلس الأمن. وكانت أمريكا تعتقد بأنّ غزو أفغانستان والعراق يمثّل انطلاقه الدخول إلى العالم الإسلامي وتغيير جغرافيه المنطقه وإلحاق الهزيمة بهذه القوّه من خلال تنفيذها مشروع السياسه الاستباقيه، ولكن نظرا لعلوقها بالوحد الأفغانى والعراقى والخيبه التي واجهتها، فقد واجهت مشاكل جسيمه في متابعه سياستها في سائر البلدان الإسلاميه والاستمرار فيها. ومن جهه أخرى، فإنّ الكراهه المتزايدة التي أظهرها المسلمون تجاه أمريكا والدائرين في فلكها من دول المنطقه يبيّن بوضوح وعوره طريق سياستها تلك.

ومن خلال تقييم عامّ لمجموع السياسات الأمريكيه والأزمات التي نشأت من استمرارها بهذه السياسه، يمكن القول وبجرأه أنّ الولايات المتّحده فشلت وواجهت مشاكل جسيمه في جميع المجالات.

فالسياسه العسكريتاريه والقبضه الحديده في مواجهه ما يسمّى بالإرهاب واجهت فشلا ذريعا، ولم تقتصر على عدم تمكّنها من إعاده وحده العالم الغربى في هذا الإطار فحسب، بل أوجدت شرخا واسعا بين أوروبا وأمريكا؛ إلى درجه أنّ

مراجعته الاستطلاع الأخير الذى أجرى فى أوروبا يشير إلى أنّ أكثر الأوربيين لا يرون أنّها ليست صديقا، وداعما لهم كما حدث فى الحرب العالميه الأولى والثانيه فحسب، بل إنهم يرونها تشكّل خطرا حقيقيا على السلام والأمن العالمى. وتمثّل الزياره الأخيره للرئيس الأمريكى جورج بوش لبريطانيا والمظاهرات الضخمه التى خرجت ضده شاهدًا على ذلك.

ومن جهه أخرى، فإنّ هذه السياسه لم تستطع إيجاد علاج ناجع للمشاكل الاقتصاديه الكبيره فى داخل الولايات المتّحده الأمريكيه، الأمر الذى أدى إلى ازدياد السخط الشعبى أيضا بنحو انخفضت فيه نسبة المؤيدين لغزو أمريكا للعراق من ٨٠٪ إلى أقل من ٥٠٪.

مستقبل النظام الدولى

مع أنّه من السابق لأوانه التكهّن بشكل دقيق حول مستقبل النظام الدولى؛ لكن يمكن القول فى ذات الوقت:

أولاً: لن يكون النظام الدولى فى المستقبل، نظام القطب الواحد والتسلّط الأمريكى. فإنّ أمريكا ستفقد مكانتها باعتبارها القوّه الكبرى الوحيدّه الباقيه من مرحله الحرب الباردة، وستضطرّ كروسيا للقيام بدور متساو مع سائر اللاعبين فى ساحه العلاقات الدوليه.

ثانياً: إنّ قوّه العالم الإسلامى والثوره الإسلاميه تبعاً له هى فى طور الاتّساع والتنامى، ممّا يمكنها من أداء دور أساسى كلاعب قوى فى أى نوع يصير إليه النظام الدولى مستقبلاً، وثمه تكهّنا قويا من أنّ النظام العالمى وبعد عبوره من مرحله القطبيه المتعدّده ومع تنامى قوّه العالم الإسلامى ودعم باقى المجتمعات غير الإسلاميه فى العالم الثالث، سيرد مرحله يتولّى فيها العالم الإسلامى قياده

المستضعفين باعتباره قوه عظمى لتبدأ الحرب الأخيره لمستضعفى العالم مع مستكبريه، ويتجسد على أرض الواقع الوعد الإلهى ألاً وهو حكومه المستضعفين، وتتحقق نبوءه أنولد توينبى .

تداعيات الثورة الإسلاميه فى العالم الإسلامى

لم يتم حتى الآن عرض تعريف واضح ودقيق للفظه العالم الإسلامى، حيث لم تُستخدم هذه اللفظه بشكل جاد إلاً بعد انتصار الثورة الإسلاميه وتوجه المسلمين نحو تعاليمهم وقيمهم الدينيه. فهى تدلّ من جهه على منطقته تضمّ المجتمعات الإسلاميه التى تعيش ثقافه الإسلام، تقاليدته عقائده، آدابه ورسومه وتحترمها، ومن هنا يمكن اعتبارها لفظه ثقافيه؛ ومن جهه أخرى، فإنّها من الناحيه القانونيه تُطلق على البلدان الإسلاميه التى تحوى أغلبه الإسلاميه وهى عضو فى منظّمه المؤتمر الإسلامى. وفى ذات الوقت، من غير الممكن إخراج البلدان الإسلاميه التى تضمّ أقلّيه إسلاميه معتدّ بها أمثال الهند، الصين وروسيا من إطار البلدان الإسلاميه؛ ومن جهه أخرى، فإنّ المنطقه الجغرافيه للعالم الإسلامى تشمل مساحه واسعه جداً ومتناثره فى ذات الوقت، حيث تنتشر من المغرب وموريتانيا فى الغرب، وماليزيا وأندونيسيا فى الشرق، والبوسنه والهرسك وألبانيا فى الشمال، وبلدانا أمثال نيجيريا، السنغال... فى جنوب الصحراء الأفريقيه، التى عُرفت فى جغرافيه ما بعد انهيار نظام القطبيه الثنائيه على أنّها الهلال الأخضر. فنظراً لذلك ومع هذه السعه للعالم الإسلامى الذى يقارب عدد سكّانه المليار ونصف المليار مسلم، والذى يعادل ربع سكّان العالم، من غير الممكن تتبع تأثير الثورة الإسلاميه بنحو استقرائى فى جميع هذه المجتمعات؛ الأمر الذى يضطرنا إلى الاعتماد على اختيار بعض البلدان التى من الممكن إجراء دراسه فى خصوصها ممّا تلاحظ عليها آثار الثورة الإسلاميه،

لنعم في نهاية المطاف النتائج المكتسبه من هذه الدراسات بنسبه مؤيّه قابله للركون إليها تشمل العالم الإسلامي قاطبه. فستتطرق على هذا الأساس إلى الآثار الخارجيه للثوره الإسلاميه على العالم الإسلامي في ثلاثه فصول وفي ثلاث مناطق جغرافيه متباينه لنقوم ببحثها ودراستها، والتي هي عبارته عن:

١. منطقه الخليج الفارسى وبحر عُمان؛

٢. منطقه بلاد الشام؛

٣. منطقه شمال أفريقيا.

ص: ١٢٩

إشاره

يحتلّ الخليج الفارسي موقعا جغرافيا ممتازا من حيث أنّه يمثل جسرا يربط بين أوروبا، أفريقيا والجنوب والجنوب الشرقي لآسيا، وهو من الناحية الإستراتيجيه يُعدّ أهمّ مركز ارتباطي في منطقه الشرق الأوسط والعالم الإسلامي يتمتّع بكونه محورا مميّزا. فهذه المنطقه تمثّل أحد أجزاء المنظومه الارتباطيه التي توصل بين البحر المتوسط، البحر الأحمر، المحيط الهندي والهادي والأطلسي. ولأجل مفصله الارتباطي هذا، فقد اتّخذته التجار معبرا لنقل السلع من شرق وجنوب آسيا إلى سواحل البحر المتوسط وأوروبا وبالعكس. ومن هنا، فقد استقطبت هذه المنطقه ولانزالت اهتمام القوى الكبرى من الناحيتين الاقتصاديه والعسكريه. وبسبب اكتشاف النفط واستخراجه (مرافقا لتصدير الغاز من منطقه الخليج الفارسي) فقد أصبحت هذه المنطقه من أهمّ مراكز الطاقه العالميه وعلى الخصوص بالنسبه للدول الصناعيه الغربيه واليابان، وعلى الخصوص بعد الحظر النفطي الذي نفذه العرب في عام ١٩٧٣.

حيث يشكّل نفط الخليج الفارسي ما يقارب ٦٣٪ من احتياطات العالم من هذه المادّه، والغاز في حدود ٢٨/٥٪ من الغاز العالمى المكتشف والذي يقدر بما يعادل

٣٠,٧ تريليون متر مكعب. (١) الأمر الذى جعل من نפט وغاز هذه المنطقه من العوامل الجيوسياسيه المهمه للمنطقه، هذا إذا ما علمنا عدم تمكّن أى طاقه أخرى أن تكون بديلا عن النفط والغاز الذى تستورده الدول الصناعيه أو الدول الأخرى. وقد زادت هذه المسأله أى عدم وجود بديل آخر للنفط أهميه لهذا المصدر من الطاقه، ممّا أدى فى النتيجة إلى زياده أهميه هذه المنطقه. فهذه المنطقه التى يقدر عدد سكانها بمئه مليون نسمة وبثروتها الواسعه ولكن بصناعتها وزراعتها الضعيفه وتقنياتها الهزيله، تمثل سوقا مثاليا لاستهلاك سلع الدول الصناعيه، والذى أدى ومنذ زمن بعيد إلى تنافس القوى الاقتصاديه على السيطره على هذا السوق أو استقطابها.

ولأجل كلّ هذا، فالخليج الفارسى لا يلعب - بعنوانه الأولى - دور الطريق الرئيس بين الشرق والغرب وسوقا مثاليه لاستهلاك سلع العالم الصناعى فحسب، بل إنّ العامل الجيوسياسى للنفط وموقعه الإستراتيجى عسكريا جعل له أهميه فى هذا المضمار، وهو ما جعل الدل الكبرى تسعى على الدوام للسيطره وإيجاد موطن قدم لها فى هذه المنطقه لضمان استمرار تدفق النفط عليها.

وقد حدثت فى إيران التى تطلّ على شمال الخليج الفارسى الثورة الإسلاميه التى أدت إلى استبدال النظام الملكى بالنظام الجمهورى الإسلامى، وإلى تغيير اتجاه علاقته مع أمريكا من حاله الصداقه إلى حاله العداة. وقد حدث هذا فى ظروف كانت فيه عامه بلدان المنطقه عدا العراق تحكمها أنظمه ملكيه وتخضع للنفوذ الأمريكى والبريطانى ودعمهما. إنّ هذه الثورة وبمزاياها الفريده نحو: النفور من كلتا القوتين العظميين المتعارضتين فى الظاهر، الحضور الكثيف غير المسبوق للشعب فى المجالات المتعدده، الإلهام الدينى، تمتعت بقدره استقطاب أنصار كثر من بين شعوب بلدان المنطقه.

ص: ١٣٢

إن هذه الظاهره الجديده التي عُرفت بأسماء متعدده من قبيل: الأصوليه الإسلاميه، الصحوه الإسلاميه، النهضه الإسلاميه وأمثالها، تمثل حركه قائمه على العوده إلى الذات وقيمها الدينيه والتشديد على هويتها الإسلاميه المنسيه. فالظاهره الإسلاميه تمثل في الحقيقه سعيا باتجاه جعل جميع جوانب الحياه اليوميه نظير السياسه، الاقتصاد، القانون والآداب الاجتماعيه تدور حول محور التعاليم الإسلاميه. وترتكز هذه الظاهره أيضا على انفلات العالم الإسلامى من الجوانب التي تحاكي الأجنبي وتقلّمده وعلى الخصوص الثقافه الغربيه. فهذه المواجهه تمثل ظاهره انتشرت وبأشكال مختلفه فى جميع الأرجاء.

فمن مجموع ٥،١ مليار مسلم فى العالم، يبلغ عدد الشيعة ١١٪ منه، حيث يعيش أغلبهم فى منطقه الخليج الفارسى. فهم يشكلون الأغلبه فى البحرين بنسبه تبلغ ٧٠٪، و ٦٠٪ فى العراق و ٩٠٪ فى إيران، ويمثلون الأقلّيه فى الكويت بنسبه تبلغ ٢٠٪، و ٢٠٪ فى قطر، و ١٥٪ فى الإمارات، وفى حدود ١٠٪ فى كلّ من عُمان والسعوديه، وقد تنامت نشاطات الشيعة فى بلدانهم إثر قيام الثوره فى إيران وبضمنها هذه البلدان.

حيث تزايد الإحساس بأجنيبه المجتمع الشيعى فى البحرين (بالنسبه إلى الحكومه) بسبب الأصل الإيراني لبعض مكوناته، وهذا ما جعل وجود نوع من الإحساس على الدوام بوقوفهم إلى جانب إيران. فمن خلال هذه السابقيه، ظهرت الأصوليه الشيعيه عقب الثوره الإيرانيه كحركه مقتدره. وكان التمرّد الشيعى فى السعوديه يستلهم أيضا وبشكل مباشر الثوره الإيرانيه. فنشاطات الشيعة بمجموعها فى جميع دول المنطقه أمثال الكويت، لبنان، العراق و... وقعت تحت تأثير انتصار الثوره فى إيران.

إذ تمّه أسباب وعوامل مهمّه جدّا جعلت من الثوره الإيرانيه محطّا لآمالهم ولافته لأسوتهم ليتعاطفوا مع إيران. إن الشيعة سواء كانوا فى البلدان التي يشكلون فيها أغلبه أم فى تلك التي يكوّنون فيها أقلّيه، فإنّهم يعيشون تحت سلطه أهل السنّه وبعض الحكومات اللادينيّه. ومن جهه أخرى، فإنّهم بنحو عام يُبدون تذرّهم وسخطهم من

الأوضاع الاقتصادية، السياسيّة والتمييز الذي تمارسه الدول الحاكمه ضدّهم.

حيث إنّ شيعة السعودية، لبنان والعراق يمثّلون نماذج بارزه للطبقات المحرومه والمنسيه للمجتمع. فمثل هذه المحروميه وبالترافق مع العناصر الثوريه القويّه التي تتضمّننها الأيديولوجيه الشيعيه - التي ترعرعت في أحضان الثوره وأثبتت قوتها - تُعطي القابليه للشيعه أكثر من السنّه على التمرد والثوره على الواقع القائم.

فالشيعة في الحقيقه هم أقوى عقيدته من السنّه في اعتبار حكوماتهم غير مشروعته. إذ إنّ الشيعة في الأساس يمثّلون حركة اعتراضيه؛ وهذا هو السبب الذي دعى علماء وقاده الشيعة على عدم الخضوع للحكومات وممالاتها أبداً.

يصرّح البروفسور آرويليو تاكر، وهو أحد خبراء وزاره الخارجيه الأمريكيه، وذلك في خصوص الأهميه الإستراتيجيه للخليج الفارسي وتأثير الثوره الإسلاميه على هذه المنطقه:

لقد انتقلت اليوم ومن خلال قيام الثوره في إيران بؤره التهديد المحتمل للمصالح الأمنيّه من أوربا إلى منطقته الخليج الفارسي. فالمصالح الغربيه تتعرّض اليوم إلى هجوم ومواجهه من قبل ثلاثه مصادر أساسيه:

١. دول المنطقه التي ترفض استنزاف الغرب لمواردها عن طريق اللجوء إلى قدراتها وتعمل على إفشال أيّ مساع وضغوط لتحقيق هذه الاستنزاف.

٢. الغزو من قبل الاتحاد السوفيتي.

٣. الإعلان عن ولاده قوه هاضمه تمثّل حركة ثوريه في النظام الدولي. (١)

الأمر الذي لا يمكن التكتّم عليه هو أنّ انتصار الثوره الإسلاميه في العقد السابع من القرن العشرين وظهور الحركات الإسلاميه قد ألقى الرعب في قلوب حكام الجزيره العربيه حيث يخشون من ارتباط مصيرهم بمصير الشاه المقبور نظراً للماهيه والطبيعه المشتركه بين أنظمتهم والنظام البهلوي.

ص: ١٣٤

١- (١). مسعود اسلامي: ريشه يابي مواضع و عملکرد كويت در جنگ تحميلي عراق عليه ايران: ٢٣٨.

فليس من كابوس أشأم للسعوديين من كابوس «الثورة الإسلامية الإيرانية» وهو ما جعلهم مستعدّين بأيّ طريقه كانت الحيلولة دون تحقّق هذا الكابوس وإنّ تطلّب الأمر تسديد أيّ تكاليف كانت. ففي عام ١٩٧٩ وبانتصار الثورة الإسلاميّة في إيران تحوّل هذا الكابوس السعودي إلى حقيقة على أرض الواقع. وكان العقده الثامن من القرن الماضي يمثّل ذروه الحرب الباردة بين السعوديّة وإيران الذي شكّل الإسلام عاملها الأساسيّ. فالإيرانيون يسعون بجهد لتصدير الثورة إلى جميع أنحاء العالم من خلال تعبئه جميع طاقتها. وحسر السعوديون عن سواعدهم لاحتواء تصدير الثورة الإيرانيّة في المقابل. (١)

وعلى الرغم من أنّ أمريكا ولأجل تهدئه مواطنيها والعبور من كابوس الرعب عملت على طمأننتها من خلال استغلال أيّ فرصه في هذا الإطار، وعلى الرغم من لجونها إلى تخزين الأسلحة الحديثه والمهوله، لكنّها لم تفرّط بالفرص السانحه فسعت للاستفاده من جميع الحلول السياسيّه والسلميه لمواجهه تصدير الثورة الإسلاميّه الإيرانيّه والوصول إلى مبتغاها بالاساليب الدبلوماسيه.

إنّ الثورة الإسلاميّه وبخصائصها المميّزه - إسلاميتها وشعبيتها تحديداً - مثّلت نموذجا لشعوب البلدان الإسلاميّه. فقد شغل الخوف والرعب من قيام ثوره مشابهه للثوره الإسلاميّه الإيرانيّه في البلدان المجاوره وغير المجاوره لإيران أذهان وأقلق بال القاده ومسؤولي هذه البلدان الذين ليس لديهم اعتقاد والتزام جادّ وحقيقي بالإسلام، ولم يراعوا حقوق شعوبهم، والعداله الاجتماعيه معها.

إنّ مسأله تصدير الثورة الإسلاميّه التي أطلقها قائد الجمهوريه الإسلاميّه الإيرانيّه زادت من خوف بلدان المنطقه ودعت قاده هذه البلدان إلى اتّخاذ موقف تجاه

ص: ١٣٥

الجمهوريه الإسلاميه بسبب قلقهم من فقد حكوماتهم للأمن والاستمرار، وبالإضافه إلى عثورهم على عدوّ مشترك فقد ساهمت هذه المسأله فى المقاربه فى ما بينهم. (١)

ومع أنّ السياسه الخارجيه للجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه كانت قائمه على تصدير الثوره وتبليغ نوع من الثوريه الدوليه فى السنوات التى أعقبت الثوره، فإنّ الآليه التى استُخدمت للانتشار والنفوذ كانت تتمثل بالتبليغ والدعم المالى والمعنوى. على أىّ حال، فإنّ إيران باعتبارها رمزا للحكومه الإسلاميه كان لها جاذبيه كبيره لدى النشطاء والمناضلين الإسلاميين. فإنّ رغبه وترحيب الحركات والمجاميع المذهبيه (سنّيه وشيعيه) ونشاطاتها وتحركاتها الكثيفه كانت بمثابة سبب لردّه فعل الدول والأنظمه المحافظه واللادينه فى المنطقه.

حيث إنّ تمرد وثوره المجاميع الحركيه الدينيه وعلى الخصوص فى الدول المجاوره لإيران يمثّل تهديدا حقيقيا لثبات هذه البلدان، والذى انتهى إلى فعل صدامى لبلدان المنطقه وبضمنه الردّ الفجيع للعراق. (٢)

فقد وضعت البلدان العربيه جنوب الخليج الفارسى منذ بدايه اعتداء العراق وفى سياق الإستراتيجيه الأمريكيه لمواجهة الثوره الإسلاميه الإيرانيه القائم على محاصره الثوره الإسلاميه والحيلولة دون تناميها فى المنطقه، وضعت مساعدات قيمه جدا تحت تصرّف العراق. ولم تعر هذه البلدان كذلك اهتماما للطلب الإيراني القائم على المحافظه على العلاقات الحسنه مع الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه وفصلها عن مسأله الحرب، وجعلوا من أنفسهم عمليا طرفا فى النزاع. ويؤكد آخر الكتب البحثيه الصادره فى الغرب فى خصوص الحرب المفروضه على أنّ أغلب دول مجلس التعاون الخليجى كانت على اطلاع على نيه صدام للابتداء بالحرب وقاموا بطمأنته فى

ص: ١٣٦

١- (١). مسعود اسلامى: ريشه يابى مواضع و عملکرد كويت در جنگ تحميلي عراق عليه ايران: ٢٥٠.

٢- (٢). نرجس خاتون برآهويى: اصول گرايى اسلامى ايران و تأثيرات منطقه اى آن: ٢٠٨ - ٢٠٩.

خصوص تقديمهم المساعدات الماليه والعسكريه والدعم السياسى له. ويكتب أنتونى كردزمن مؤلف كتاب دروس من الحروب الحديثه فى هذا السياق:

تدلّ الأخبار الموثّقه على موافقه الكويت، البحرين، قطر والسعوديه وذلك قبل يومين من بدء الهجوم العراقى على إيران على مساعده العراق ماليا. وليس هناك أدنى شكّ فى أنّ صدام حسين كان قد أطلع جمع من قادة دول الخليج الفارسى وذلك فى شهرى تموز وآب على مشروع الهجوم على إيران، لكن ما ليس هو واضح، هو هل أنّ العراق قد أخذ منهم صكّا أبيض أم لا؟ لقد اعترف جمع من الضباط الكبار فى دول الخليج الفارسى على أنّ صدام كان قد شاور قادة هذه الدول فى أيار ١٩٨٠ فى خصوص الهجوم على إيران. وقد أيدت المصادر السعوديه العليا فى أوائل عام ١٩٨٤ إخبار صدام حسين المسؤولين السعوديين فى زيارته للسعوديه فى بدايه آب من عام ١٩٨٠ بمشروع الهجوم على إيران. (١)

وقالت الصحيفه الكويتيه «عرب تايمز» فى افتتاحيه شديده اللهجه موجهه لإيران فى ٢٢ / ٩ / ١٩٨٠:

يجب على إيران أن تعرف جيّدا أنّ لا خيار لبلدان الخليج الفارسى سوى الوقوف إلى جانب العراق، لأنّها ناقمه على الفوضى التى جلبتها إيران إلى المنطقه. (٢)

إنّ وقوع الحرب العراقيه الإيرانيه فى أيلول عام ١٩٨٠ أعطى هذه الدول فرصه لدراسه اتّخاذ مواقف منسجمه. هذا بالإضافة إلى أنّ توحيد جهود الدول الأصغر فى المنطقه قد أولى مرّه أخرى عنايه قائمه نظرا للسياسه الأمريكيه الجديده فى المنطقه القائمه على إيجاد (حزام أمنى). ففى هذا السياق وبعد انعقاد المؤتمر الثالث لقاده الدول الإسلاميه فى الطائف فى شباط ١٩٨٠، عقد قادة دول الخليج الفارسى الست مؤتمرا غير رسمى على هامش المؤتمر، حيث تمثّل جدول أعماله بدراسه مسأله التعاون بين البلدان المنطقه.

ص: ١٣٧

١- (١). بهمن نعيمى ارضح: مباني رفتارى شورای همكارى خليج فارس در قبال جمهورى اسلامى ايران: ٧٧-٧٨.

٢- (٢). انظر: اسناد تجاوز به روايت مطبوعات خارجى، ديلى تلگراف: ٤٥.

وأدت الخطوات والمباحثات إلى تأسيس مجلس باسم مجلس التعاون الخليجي في ٢٢/٣/١٩٨٠. المسأله المهمه والملفته هي زمن تأسيس هذا المجلس. فحينما أدركت أمريكا عدم قدرتها على شن هجوم عسكري مباشر وناجح على إيران، وعندما لم يتمكن الهجوم العسكري العراقي على إيران من إسقاط النظام الإسلامي؛ فإن فشل كل من هذين المجهودين، يُنبئ عن القدره العسكريه والأيدولوجيه للجمهوريه الإسلاميه، وأنّ البلدان المطله على جنوب الخليج الفارسي كانت تبحث عن نقطه ارتكاز تحافظ على حكوماتها من الثورات الداخليه المحتمله. ونظرا لطلب أمريكا من أجل تفعيل سياسه الحزام الأمني، كان هذا البلد يمثل الداعم الأكثر استعدادا والأكثر ملائمه، إلّا أنّ اللجوء العلني والواسع إلى هذه القوه يمكن أن يشكل سببا وداعيا للتشجيع على ثورات شعوب المنطقه وتسريعها. فكان بإمكان دول مجلس التعاون الخليجي ومن خلال التنسيق في السياسه الخارجيه لأعضائها التقليل من خطوره هذه المسأله وقمع الثورات الداخليه بشكل أقوى. (١)

لقد اعتبر هذا المجلس ومنذ البدايه أنّ الجمهوريه الإسلاميه تشكل تهديدا أساسيا للوضع القائم في المنطقه، وألقوا مسؤوليه الحركات الإسلاميه الشيعيه في بلدان الخليج الفارسي على عاتقها. (٢) ففي ٢٠ كانون الأوّل ١٩٨١ وقّعت كلّ من السعوديه والبحرين معاهده أمنيّه وتأسس عقب ذلك (درع الجزيره) في السعوديه والذي هو بمثابة الذراع العسكري لمجلس التعاون. (٣) فكانت البلدان تتوجّس من إيران طوال عقد الثمانينات لأجل خطابها الأيدولوجي بتصدير الثوره. فقد مهّد هذا الأمر أسباب العداة والقلق في عموم الدول العريبه وعلى الخصوص العراق، السعوديه، الكويت، مصر

ص: ١٣٨

١- (١). همايون الهى: خليج فارس و مسائل آن: ٢٤٧-٢٤٨.

٢- (٢). انظر: اطلاعات سياسى و اقتصادى: سال نهم، شماره دوم و چهارم، آذر و دى ١٣٧٣: ص ٥٢ - ٥٣.

٣- (٣). المصدر نفسه: ٥٢ - ٥٣.

والأردن. وأدت ردود أفعال هذه الدول إلى سوء علاقاتها السياسيه مع إيران أو تجميدها، وإقدامها على بعض الخطوات الانتقاميه. فقد فرض العراق الحرب على إيران. وقامت السعوديه مع الكويت وباقي بلدان الخليج القارسي بمساعدته العراق بخمسين مليار دولار. وعملت الدول العربيه المصدّره للنفط في الخليج الفارسي على إضعاف مكانه إيران في الأوبك، وألحقت الضرر بالاقتصاد الإيراني من خلال الاحتكار في إنتاج نפט الأوبك وتحديد أسعار زهيده له.

ومع كلّ هذا، وفي وقت كان أمراء الخليج يعيشون الخوف من انتشار الثوره الإسلاميه ويقفون إلى جانب العراق ضدّ إيران طوال حرب الثماني سنوات، لم يدركوا التهديد الحقيقي والآني الذي يمثله النظام العراقي الذي كانوا دعموه وشجعوه للوقوف بوجه إيران بمساعداتهم، وذلك عقب هجوم العراق على الكويت. فقاموا بتغيير اتّجاه بوصلتهم ١٨٠ درجه، ومدّوا يد الصداقه والتعاون باتّجاه طهران. (١) وعلى الرغم من شكوى إيران ممّا مضى، فقد سعت إلى ترميم علاقاتها مع البحرين، الإمارات العربيه المتّحده، قطر والسعوديه التي كانت قد تضعضعت إثر دعمهم العراق في حرب السنوات الثمان.

يقول المحلّل السياسي في مركز الدراسات الإستراتيجيه في جنيف شهرام جوبين في تأييده لهذه المسأله:

لقد مهّدت أزمه الخليج الفارسي (هجوم العراق على الكويت) الطريق لدول الخليج الفارسي التي كانت تعتبر إيران خطرا يهدّدها إلى ما قبل الحرب العراقيه الإيرانيه، فاصطفت مع العراق لمواجهة هذا الخطر، لاعتبار العراق هو الخطر الأساسي لهم حاليا وأنّ إيران تمثّل الكفه التي تقف في مواجهه العراق. (٢)

ص: ١٣٩

١- (١). محسن صفري: ما اعتراف مي كنيم: ١٤٥.

٢- (٢). المصدر نفسه: ١٤٤.

لقد كان مدى تغيير الثورة الإسلامية الإيرانية للوجه العام للشرق الأوسط بدرجة دعت الولايات المتحدة إلى استخدام كافة الوسائل المتوفرة لديها - أعم من مناصريها الغربيين والإقليميين - لعزل إيران.

حيث يرى الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون أنّ أكبر تهديد لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية والغرب في المنطقة يأتي من جهة إيران. ويضيف أنّ إيران تمتلك أكبر الإمكانيات للسيطرة على المنطقة. فهي بعدد سكانها المقدّر بستين مليون نسمة وباحتياطياتها المقدّره بـ ١٠٪ من نبط المنطقة، وبناها التحتية المتطوّره، وقدرتها العسكريه والاقتصاديّه تتفوّق قوّه على باقى دول المنطقة. إنّ الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه هى البلد الوحيد فى المنطقه والعالم الذى عارض ما يُصطلح عليه بسلام الشرق الأوسط بين العرب وإسرائيل. وقد مثّلت طهران مركزاً دولياً لمباحثات قاده المنطقه ودول العالم المختلفه عند هجوم العراق على الكويت فى الثانى من آب ١٩٩١؛ الأمر الذى يشير إلى الدور المهمّ الذى تلعبه الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه على مستوى المنطقه والعالم. فما من يوم إلّا وكانت أخبار منطقته الشرق الأوسط الحساسه تتصدّر صفحات وكالات الأنباء العالميه منذ انتصار الثورة الإسلاميه وحتى اليوم.

وبعد هذا التحليل العام لتداعيات الثورة الإسلاميه فى الدول العربيّه المطلّه على الخليج الفارسى، سنحاول فيما يأتى التعرّض إجمالاً وبشكل أخص لدراسه آثار الثورة على كلّ من هذه البلدان.

العراق

إشاره

تبلغ مساحه العراق ٤٣٧،٣٧٠ كيلومتر مربع وعدد نفوسه ٢٤.٦٨٣.٣١٣ نسمة. وتحده من الشمال تركيا، ومن الغرب سوريا والأردن، ومن الجنوب السعوديه والكويت والمنطقه المحايده ومن الشرق إيران. وتعدّ حدود العراق مع إيران هى الأطول مع

دول الجوار، حيث يبلغ طولها ١١٨٠ كيلومترا. والعراق هو البلد العربي الوحيد الذي لديه حدود أرضيه مع إيران.

وتتألف نفوس العراق قوميا بشكل رئيس من العرب، الأكراد، الإيرانيين، الآشوريين، الأرمن، التركمان والترك. حيث يشكل العرب الذين ينحدرون من العرق السامي (كاليهود والآشوريين) ٧٠٪ من عدد سكانه، أغلبهم من الشيعة. ويسكن الأكراد الذين ينحدرون من العرق الآري والذين حافظوا على مدى التاريخ على تقاليدهم، آدابهم، ثقافتهم ولغتهم في المنطقه الجبلية شمال العراق ويشكلون ما يقارب ١٨٪ من نفوس العراق، حيث إنّ أكثرهم من السنّة الشافعيه مع وجود مجموعه من الشيعة. وغالبا ما يعيش التركمان في كركوك والموصل. أما الآشوريين، الحكوانيون والأرمن الذين يشكلون الأقلّيه المسيحيه لهذا البلد، فتبلغ نفوسهم ٥٪ من سكان العراق، وهم يتركزون بشكل عامّ في الشمال. ويسكن اليهود في الغالب في المدن وعلى الخصوص بغداد. وقد نزح اليهود بشكل جماعي إلى إسرائيل بعد حرب ١٩٤٨ - ١٩٤٩ بين العرب واليهود وبلغ عددهم في إحصاء ١٩٧٥ أقلّ من خمسه آلاف نسمة.

ويسكن الشيعة العرب والإيرانيون بشكل رئيس في جنوب العراق. وأدى وجود المدن الشيعيه المقدّسه أمثال كربلاء، النجف، سامراء والكاظمية في العراق إلى هجره العديد من الإيرانيين إلى هذا البلد والاستيطان في ضواحي المدن المقدّسه خلال عدّه قرون. ومع أنّ الإيرانيين يشكلون أقلّيه صغيره إلّا أنّهم كأكراد العراق حافظوا على ثقافتهم وآدابهم وتقاليدهم. إنّ أرض العراق كان لها ومنذ ألفى عام تاريخ مشترك مع إيران قبل الإسلام وبعده، وأنّ أكثر نفوسه وكما الإيرانيين هم من الشيعة. هذا إضافة إلى أنّ وجود مرقد أئمّه الشيعة في هذا البلد كان يمثّل قوّه استقطابيه للإيرانيين الشيعة.

وكانت تربط العراق بإيران علاقات صداقه أثناء الحكم الملكي في العراق وذلك إلى ما قبل انقلاب عبد الكريم قاسم في عام ١٩٥٨، حيث كان الاثنان عضوين في

حلف بغداد. وتميّزت علاقات البلدين بالتوتر والصراع في عهد الحكومه البعثيه حتى عقد معاهده عام ١٩٧٥.

حيث تحسّنت علاقات الدولتين إلى حدّ ما بعد عام ١٩٧٥ وحتى انتصار الثوره. ولم يكن تحسّن العلاقات بين إيران والعراق في تلك المرحله بسبب الودّيه والتاريخ المشترك، بل كان بسبب المصالح المشتركه للطرفين. وكانت مسأله القرن الأفريقي ومنظّمه الأوبك من ضمن المسائل التي تشترك فيها آراء الدولتين.

لقد تذرّع حزب البعث ولأجل قمع الشيعه في العراق قبل عقد معاهده ١٩٧٥ في الجزائر بارتباطهم بدوله إيران. فكان يحاكم الشيعه المعارضين في هذه المرحله بشكل سرّي ويعدمهم بتهمه الارتباط بدوله إيران. وكان ينسب إليهم أيضا بعض أعمال التخريب. فكان خلاف النظام الإيراني والبعث العراقي بمثابة ذريعه لهذه الدوله لإيدانه المعارضين تحت مسمى التجسس لمصلحه إيران.

وبعد توقيع معاهده ١٩٧٥ وعلى الرغم من تحسّن العلاقات بين الدولتين، إلّا إنّها لم تترك أى تأثير على وضع الشيعه أو علمائهم الذين كانوا على الدوام يتعرّضون للضغوط، وبقيت مراقبتهم على حالها؛ إلى الدرجه التي كان يقف فيها النظامين في جبهه واحده للتضييق على العلماء في بعض الحالات.

ويمكن الإشارة إلى أهمّ تلك الحالات، وذلك في خصوص الإمام الخميني رحمه الله بعد نفيه إلى العراق. فقد كان يخضع للمراقبه على الدوام حيث كان وكلاء المخابرات العراقيه يراقبون تحرّكاته بدقّه متناهيه ويحولون دون إقامته علاقات عاديّه ومباشره مع شيعه العراق والعالم، وكانوا يضعون العراقيل في وجهه ويضيقون عليه.

وحيثما اكتشفت الحكومه العراقيه عدم وجود أى طريق للوصول إلى تفاهم مع الإمام أو تقييد تحرّكاته بشكل كامل، قرّرت إخراج الإمام رحمه الله من العراق بتاريخ ٢ / ١٠ / ١٩٧٨ فتوجّه صوب الكويت، لكنّ الكويت منعت دخوله الأراضي

الكويتيه. فرحل من العراق باتجاه باريس وتولّى قياده كفاح الشعب الإيراني ضد نظام الشاه بجدّ وحزم لا يوصف. (١)

تعامل العراق مع الثورة الإسلامية الإيرانية

لقد دخلت العلاقات الإيرانية العراقية مرحلة جديدة بانتصار الثورة الإسلامية في إيران وسقوط النظام البهلوي. فقد اعترف قادة حزب البعث في العراق بانتصار الثورة الإيرانية على مفض. حيث طالب أحد المسؤولين العراقيين بعوده الشاه إلى إيران والثورة في ذروتها. فقال:

كان من الممكن إصلاح الدستور الإيراني بنحو يجعل الشاه ملكا فحسب وليس حاكما.

إنّ العراق لا يدعم تغيير نظام الشاه كثيرا. ولهذا السبب كُنّا قد أوصينا قائد الثورة الإيرانية الذي أُبعد إلى العراق بترك العراق.

وفي الوقت نفسه، فإنّ الحكومة العراقية وبعد مرور يومين على انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية أعلنت اعتزازها وسرورها بانتصار الشعب الإيراني في رساله بعثتها إلى الحكومة الإيرانية المؤقتة وأشارت إلى سوابق الكفاح الثوري لبلدهم.

وفي تموز ١٩٧٩ وبعد تنحّي أحمد حسن البكر عن رئاسه جمهوريه العراق لحساب صدام، بعث رئيس وزراء إيران في ذلك العهد بريقيه تهنئه وأبدى رغبته في إقامة علاقات حسنه مع الجاره العراق. (٢)

وفي أيلول عام ١٩٧٩ وأثناء مؤتمر قمّه دول عدم الانحياز الذي عُقد في هافانا، عُقد لقاء بين الدكتور يزدي وزير الخارجه الإيراني و صدام حسين رئيس الجمهوريه

ص: ١٤٣

١- (١). على ايرانلو: از جنگ جهانی دوم تا جنگ ایران و عراق.

٢- (٢). انظر: بررسی تاریخی اختلافات مرزی ایران و عراق: ٥٠٤؛ محمد علی امامی: بررسی روابط سیاسی سوریه و عراق در

العراقيه الجديد. وردًا على طلب الدكتور يزدي في عوده العلاقات الطبيعيه، أجاب صدام بأنهم يرغبون أيضا بوجود علاقات طبيعيه مباشره، بشرط إعاده إيران الجزر الثلاث (طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبوموسى) وإعاده الجزء الذى استولت عليه من شط العرب بموجب معاهده ١٩٧٥ إلى حالته الأولى وضمان الحقوق القوميه للشعب العربى فى السعوديه. (١)

وقال صدام حسين فى المؤتمر المذكور للدكتور يزدي ما يلى:

إننى أتحدث معكم كأخ، وأرجو أن تقبلوا منى ما يجب على قوله لكم. لقد تصرّفتم وكأنكم متفضّلين على العالم وخصوصا العالم العربى والعراق. وهذا ليس منطقيا، فكان ينبغى أن تحدث ثورتكم قبل عشرين عاما من الآن، ومع ذلك فإنكم متأخرون ربع قرن عن مصر وعدّه سنوات عن سائر الدول العربيه. وكان من الضرورى لكم أن تزوروا العراق وسائر الدول التى تمتلك تجربه ثوريه. لتبينوا أهداف ثورتكم بغيه التعرّف على مواقفكم. (٢)

إنّ سياسه العراق بعد الثوره الإسلاميه الإيرانيه تستدعى التأمل الشديد.

فهو من جهه يبلى سروره بانتصار الثوره ويقصف القرى الحدوديه فى ذات الوقت، ومن جهه أخرى يثير مسأله الجزر الثلاث وأخيرا يستغل الفرص السانحه فى بدايه انتصار الثوره والنتاجه عن الظروف المضطربه وأوضاع ما بعد الثوره وتشجيع ودعم القوى العالميه والإقليميه وضعف القوات المسلحه الإيرانيه لخوض حرب مع إيران. (٣)

وقال صدام كذلك خلال خطاب مفصّل فى المجلس الوطنى العراقى فى خصوص استرداد الأراضى المدعاه:

لقد تمّ تأجيل الإجراءات المتعلّقه بإعاده الأراضى المذكوره إلى العراق بسبب ظروف النظام الإيراني السابق فى أعوام ١٩٧٩ و١٩٨٠. وقد وصل النظام الحالى

ص: ١٤٤

١- (١). انظر: بررسى علل ساختارى تعارضات منطقه اى در خليج فارس: پاين نامه: ١٤٨-١٤٩.

٢- (٢). المصدر نفسه: ١٤٩.

٣- (٣). المصدر نفسه: ١٥٠.

إلى السلطه فى وقت لازالت أراضينا تحت سيطره إيران. وقد تفهّمنا أنّ النظام الجديد بحاجه إلى وقت لتنفيذ التزاماته طبق الوثيقه المذكوره.

ويُضيف:

لقد أعطينا النظام الجديد الفرصه الكافيه لكى يُثبت اختلافه عن النظام السابق. ولكنّ النظام الجديد ومنذ وصوله السلطه برهن على عدم اختلافه عن النظام السابق فى طموحاته ومشاريعه التوسّيعيه. فالنظام الجديد وخلافا للعدل والإنصاف لازال يسيطر على جميع الأراضى التى كان قد غضبها الشاه من العراق. وهو يمتنع حتّى عن إعاده الأراضى التى كان الشاه قد وافق على إعادتها إلى العراق طبق اتفقيه ١٩٧٥.

وقال صدام حسين كذلك فى خطابه فى مؤتمر قاده الدول الأعضاء فى منظمه المؤتمر الإسلامى الذى انعقد فى الطائف بين ٢٥ إلى ٢٨ كانون الأول ١٩٨١:

إنّ إيران لم تُعدّ الأراضى العراقيه التى كانت سيطرت عليها قبل سقوط نظام الشاه. إنّ إعاده الأراضى المذكوره كان فى طريقه للتنفيذ فحدثت ثوره إيران، فتأجل تسليمها، وحينما وصل المسؤولون الجدد إلى السلطه لم يكن قد تمّ إعاده هذه الأراضى إلينا. وعلى هذا فإنّ إيران ما زالت تحتلّ الأراضى العراقيه التى نعتزّ بها. (١)

وقد وصفت صحيفه «الدبلى تلكراف» فى ٢١/٦/١٩٨٠ السبب الرئيس فى اعتداء العراق على إيران بنحو طريف جدًا:

إنّ سبب النزاع بين إيران والعراق، هو خوف صدام من الثوره الإسلاميه الإيرانيه ووصولها إلى الحدود العراقيه، وسعيه المستمرّ للوصول إلى أنّ يكون القوّه الأكبر فى منطقه الخليج (الفارسى). (٢)

ويعتقد كثير من الخبراء، أنّ سبب هجوم العراق على إيران لا يقتصر على منع انتشار الثوره الإسلاميه الإيرانيه إلى حدود هذا البلد، وإنّ كانت الحكومه تخشى حدوث

ص: ١٤٥

١- (١). المصدر نفسه: ١٥١.

٢- (٢). بررسى اختلافات مرزى ايران وعراق: ٥١٨.

ثوره إسلاميه فى العراق بقيادة علماء الشيعة، لكنَّ حبَّ صدام حسين للقوَّة والسلطه وكذلك الموقع الجغرافى لكلِّ من العراق وإيران كان سبباً أساسياً لبدء الحرب بين البلدين. فنظراً للساحل القصير الذى يطلُّ من خلاله العراق على المياه الحزّه، وفى المقابل الحدود الواسعه لإيران مع الخليج الفارسى وبحر عُمان، كانت على الدوام تمثّل سبباً لاعتداء هذا البلد على إيران. وكانت الخلافات التاريخيه والعرقيه بين البلدين تُعطى الإذن للعراق للسيطره على المياه والأراضى الإيرانيه بظهور أقلِّ علامه على ضعف الحكومه المركزيه فى إيران. ف- صدام حسين ونظراً لظروف الالتهاب الداخلى فى العراق وسخط الشعب على الحكومه البعثيه، وصول حكومه إسلاميه شيعيه إلى السلطه فى إيران، ضعف الحكومه المركزيه فى إيران (بسبب الثوره)، إضافه إلى الخوف من تصدير الثوره الإيرانيه إلى العراق، فقد رأى الظروف مواتيّه لاحتلال الأراضى الإيرانيه فبدأ بالهجوم عليها.

ووصفت صحيفه الأوبزرفر فى ١٩٨٠/١٢/٢٨ أهداف صدام حسين من الهجوم على إيران بهذا الشكل:

ربّما يكون الهدف الأساسى ل- صدام حسين هو إضعاف إيران بشكل لا يتمكّن معه هذا البلد من توجيه الثوره (التمرد) فى أوساط شيعيه جنوب العراق. وكذلك لما يرى من أنّه مذنب فى إعطائه امتيازات مخجله فى الأراضى العراقيه للشاه لإنهاء الحرب مع الأكراد. ولكن مَنْ يعرف صدام حسين يعتقد بأنّ له هدفاً ثالثاً... فحاكم العراق المفتون بالسلطه الذى حكم العراق بيد من حديد، يريد فرض تفوّق بلده فى الخليج (الفارسى) وقياده العرب. (١)

وكما بيّنا فى ما سبق، لم يكن شيعه العراق يمتلكون السلطه السياسيه، ولكنهم

ص: ١٤٦

١- (١). انظر: اسناد تجاوز به روايت مطبوعات خارجى: ديلى تلگراف: ٨٤.

من الناحية الثقافية كانوا مؤثرين جدًّا، وكان لشيعة البلدين إيران والعراق علاقات قويه أيضا (١)، ويُعدّ وجود الأماكن المقدّسه الشيعيه فى العراق من أهمّ أسباب هذه المسأله. فإنّ دفن أئمّه الشيعيه فى أربع مدن مقدّسه النجف، كربلاء، الكاظميه وسامراء أدّى إلى زياره باقى الشيعه لهذه الأماكن المقدّسه فى هذا البلد، الأمر الذى أدّى إلى تقويه العلاقه بين الشيعه. (٢)

وتتميّز مدينه النجف الأشرف من بين المدن المقدّسه بأنّها تُمثّل المركز السياسى الثقافى للشيعه فى العراق بضّمّها ضريح الإمام على ابن ابى طالب عليه السلام .

حيث بنيت هذه المدينه وسط قرىّ يستوطنها الشيعه. وكان هدف مؤسّسى هذه المدينه هو تحريك الغيره العراقيه للدفاع عنها فى قبال هجمات الفرق الأخرى، ولتكون رمزا لمذهبهم. وكان علماء الشيعه على مدى التاريخ يسعون للحفاظ على استقلالهم المذهبى والسياسى والامتناع عن الخضوع للحكومه المركزيه فى بغداد. ومن هنا، فمع مرور الأيام أضحت هذه المدينه مركزا سياسيا مهمًا وفعّالا لشيعة العراق وحتّى باقى البلدان.

إنّ ما يزيد فى الأهميه السياسيه للنجف هو كونها موطنًا لمراجع الشيعه العظام ونفوذ سلطتهم الروحيه منها على الشيعه ليس فى العراق فحسب، بل فى مختلف أرجاء العالم التى يتواجد فيها الشيعه. إنّ ما أدّى إلى نشوء مثل هذه السلطه لهذه المدينه هو وجود الحوزه العلميه الدينيه ونظامها الدراسى. فمن المزايا الخاصّه للنظام الدراسى للعلوم الدينيه فى النجف هو عدم خضوعه لسيطره ودعم الحكومات. وهو ما يمثّل العامل الأساسى فى استقلال المؤسسات الدينيه الشيعيه ومرجعيه النجف كما هو الحال فى الحوززه العلميه بقم. (٣)

ص: ١٤٧

١- (١) . المصدر نفسه: ٩٠-٩١.

٢- (٢) . عبد الوهاب فراتى: انقلاب اسلامى و بازتاب آن: ٤٩.

٣- (٣) . جويس ان. ويلي: نهضت اسلامى شيعيان عراق: ٢٤.

إنَّ المكانه المميّزه التي احتلّتها النجف الأشرف في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في مجال أداء دورها الديني - الثقافي، قد هيّأ في الحقيقة الأرضيه للقيام بدورها الديني - السياسي. فقد كانت هذه المدينه مركزاً للعواصف السياسيّه وموطأً للحركات المعارضه للعثمانيين والإيرانيين، وازدادت مركزيتها عمّا كانت عليه في اتّخاذ القرارات في القضايا المهمّه التي كان يواجهها المسلمون الشيعه في جميع أقطار العالم الإسلامي. فحيثما واجه الشيعه معضله كبيره؛ اتّجهت الأنظار صوب النجف لسمعوا ويطيعوا لما تصدره المرجعيه من أحكام وتتّخذ من القرارات. (١)

وتشير الحقائق إلى أنّ إيران قد أثرت تأثيراً عميقاً في الحياه الاجتماعيه في العراق عقب قبولها مذهب الشيعه الاثني عشري ودخولها فيه. فالعلاقات المستمره بين مراكز الفكر والعلم الشيعي في كلّ من البلدين أدّى إلى ثبات وتعزيز التأثير الإيراني في العراق. فهذا التعالق للأفكار الشيعيه بين العراق وإيران أدّى إلى ظهور ظاهره جديده في طبيعه الفكر الديني للعراق ذي الأغلبه الشيعيه، وانتقال الزعامه الدينيه إلى الإيرانيين أو مَنْ كان أصله إيرانياً. هذا فضلاً عن القاده الدينيين والوعاظ الذين كان لخطابهم نفوذاً واسعاً، وكان أكثر طلبه علوم المدارس الدينيه في النجف الأشرف من الإيرانيين أيضاً والذين يفضّلون الاستيطان في كربلاء والنجف بعد انتهاء دراستهم. وقد مثّل استيطان هذه المجموعه في هذه المدينه عاملاً لتأثر المجتمع العراقي بالعادات الإيرانيه.

ويمكن الإشاره إلى الموارد أدناه من بين النشاطات السياسيّه لعلماء شيعه العراق:

في تشرين الثاني ١٩٢٢؛ حرّم علماء الشيعه في فتوى أصدرها مشاركه الشعب في انتخابات المجلس الدستوري لإقرار العلاقه الانتدابه بين العراق وبريطانيا. وقامت بريطانيا ردّاً على هذه الفتوى بنفي الشيخ مهدي الخالصي ونجله الشيخ محمّد

ص: ١٤٨

١- (١). عبد الحلیم الرهیمی: تاریخ الحركه الإسلاميه فی العراق: ٩٩.

الخالصي وكذلك السيد محمّد الصدر الذين كانوا يقطنون الكاظميه. وتطوّرت هذه القضية إلى اتّخاذ بعض العلماء الآخرين وبضمنهم آية الله محمّد حسين النائيني والسيد أبو الحسن الأصفهاني قرارا بترك العراق أيضا والتوجّه إلى إيران. (١)

فقام بعض علماء العراق في طهران بتأسيس «المنظّمه العليا للنوّاب العراقيين» والتي عُرفت أيضا بجمعيه «ما بين النهرين» وذلك لتوحيد الجهود على طريق استقلال العراق. وكانت بريطانيا تسيطر سيطره كامله على العراق في تلك الحقبه، الأمر الذي اضطرّ معه العلماء للتأقلم مع هذه الحقيقه. وقد قام بعض المنفيين بتوقيع وثيقه على الابتعاد عن السياسه فسمح لهم البريطانيون بالعوده إلى العراق وذلك في عام ١٩٢٤.

ومع استقرار الأسره الهاشميه في العراق بشكل كامل، انخفضت شيئا فشيئا حدّه معارضه العلماء والشيعه للحكومه، وأخذ الشيعه بدخول المجلس الوطني العراقي تدريجيا وتسنّم مسؤوليات حكوميه. وقد تعاقب ولأوّل مره اثنين من الشيعه على رئاسه الوزراء وتشكيل الحكومه وذلك في عام ١٩٤٨.

العامل الآخر الذي أدّى إلى حدوث التقارب بين علماء الشيعه والحكومه في سنوات ما بعد الحرب العالميه الثانيه، هو المدّ الشيوعى في العراق، حيث أعلن الشيوعيون صراحه بكونهم لادينيين ومعارضتهم للدين. ومع وقوع انقلاب عبد الكريم قاسم وإعلان قيام الجمهوريه العراقيه، دخلت المواجهه بين الشيعه والحكومه مرحله جديده استمرّت حتى سقوط صدام حسين. إذ إنّ جميع الحكومات التي تعاقبت على حكم العراق بعد هذا الانقلاب كانت تعتقد بفصل الدين عن السياسه، وتسعى لإضعاف سلطه علماء الدين الشيعه؛ الأمر الذي أدّى إلى نشاط منظمات إسلاميه شيعيه مختلفه لإقامه حكومه إسلاميه.

ص: ١٤٩

وكما سبق وأن ذكرنا، فمع أنّ الشيعة يشكّلون ما نسبته ٦٠ إلى ٦٥ في المئة من نفوس العراق إلّا أنّ السلطه السياسيه لم تكن في أيديهم، حيث كانوا يُحرّمون بشكل منظم من الوصول إلى مناصب ومراكز السلطه، ولم يصل منهم إلّا عدد ضئيل جدًّا بعدد أصابع اليد - ولمدّه قصيره - إلى الوزاره أو رئاسه الوزراء. فشكّل هذا التمييز الواضح أرضيه مناسبه لسخط الشيعه. (١) وأدّت الحملات الدعائيه والضغط الشديده التي مارستها الحكومه ضدّ الشيعه إلى اتّجاههم نحو التحرك السياسى لإحقاق حقوقهم.

ويرتبط التحرك السياسى الشيعى الحزبى فى العراق ببدايه استقلال هذا البلد. فقد تولّى الشيعه فى عام ١٩٢٩ قياده الحزبين القومى والوطنى برئاسه جعفر أبو التمن و«النهضه» بقياده أمين البحر الجفيعى. (٢)

وتأسّس فى أواخر عقد الخمسينات الحزب الدينى الشيعى الذى سُمى ب- «حزب الدعوه الإسلاميه». ويقال أنّ الأعضاء الرواد لهذا الحزب هم ممّن انفصلوا عن حزب التحرير الإسلامى العراقى (الفرع العراقى لحزب التحرير الذى تأسّس سنه ١٩٥٢ على يد الشيخ تقى الدين النبهانى). (٣)

وقام تأسيس حزب الدعوه الإسلاميه على أساس قضيه رئيسه تتمثّل بتدهور المجتمعات الإسلاميه، وبعدها عن أحكام الإسلام. وهو ما دعى علماء الشيعه فى العراق ومنذ العقد الخامس من القرن الماضى إلى ترغيب وحثّ المسلمين على العوده إلى تطبيق الأحكام الإسلاميه.

ص: ١٥٠

١- (١). محمد على امامى: بررسى روابط سياسى سوريه و عراق در دهه ١٩٨٠: ١٥.

٢- (٢). حسين سيف: عراق ساختارها و فرآيند گرايش هاى سياسى: ٨٣.

٣- (٣). المصدر نفسه: ٢٢٣.

حيث كان يرى هؤلاء العلماء أنّ ممّا زاد في تمّيع المجتمعات الإسلاميّه هو نموّ المدّ القوميّ، العرفيّ والشيوعيّ. فالقوميّه التي تركز على الجغرافيه تتعارض والأيدولوجيه الإسلاميّه وتقف الشيوعيّه ذاتيا ضدّ الدين. (١)

ولأجل مواجهه هذه الحاله المتناميه، اجتمع مجموعه من العلماء في أواخر عام ١٩٥٧ في بيت عالم شاب يقطن النجف يدعى محمّدباقر الصدر. حيث كان يرى هؤلاء بلزوم ثبات الشباب على هويتهم الفكريّه - الدينيه ووعيمهم لأخطار النفوذ الأجنبيّ. وكان الصدر يعتقد أنّ بإمكان الاجتهاد أن يقوم بدور فعّال في مواجهه هذه الأخطار.

وحظي حزب الدعوه إثر انقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨ بدعم آيه الله محسن الحكيم، المرجع الدينيّ الرئيس في العراق.

وأخذ السيد مرتضى العسكري على عاتقه مسؤوليه تنظيم الشباب والمثقفين ممّن يرغبون بدعوه أبناء جلدتهم إلى الإسلام، ودعا في أوائل ١٩٥٨ أولئك الشباب والمثقفين الذين تحوّلوا إلى منظّمه تسمّى «الأيدى» للاجتماع مع العلماء.

ويوضّح السيد محمّدباقر الصدر في مقاله له كتبها ل- «صوت الدعوه» سبب اختيار هذا الاسم للحزب:

إنّ «الدعوه» تكشف بدقّه عن مسؤوليه هذه المجموعه في دعوه الناس إلى الإسلام وهدايه أكبر عدد ممكن من المسلمين إلى الإسلام. ويصف الصدر الحلقات التنظيميه بأنّها تمثّل جزءا من المرحله الأولى للدعوه إلى الإسلام والتي يتمثّل هدفها الأوّلان ب- «إعداد المؤمنين وتعبئه العلماء روحيا وفكريا». (٢)

وينحدر أغلب أعضاء حزب الدعوه من الطبقة المتوسّطه فما دونها والذين يتركّز أغلبهم في بغداد والمدن المقدّسه وجنوب العراق. وكانت تليغات الحزب تتمّ عن

ص: ١٥١

١- (١). عبد الوهاب فراتي: انقلاب اسلامي و بازتاب آن: ٥٠.

٢- (٢). حسين سيف زاده: عراق ساختارها و فرآيند گرايش هاي سياسي: ٢٢٤.

طريق المساجد والمدارس الدينية وبرعايه الحوزه العلميه فى النجف. وكان تنظيم الأعضاء الناشطين على درجه كبيره من النظام والتنسيق.

فمنذ عام ١٩٦٨ الذى استلم فيه حزب البعث السلطه، لجأ حزب الدعوه إلى استخدام العنف؛ إذ إنه كان يعتقد بأن السياسات اللادينية للحكومته موجهه ضد الإسلام. فأدت سياسات الحكومه المعارضه للإسلام إلى وقوف شيعه العراق خلف حزب الدعوه والمشاركه فى مجموعته مواجهات عنيفه ضد النظام. ففي مراسم عزاء الإمام الحسين عام ١٩٧٤، ردّت الحكومه على الاعتراضات السياسيه بالعنف والاعتقال والقمع. وفى أوائل شهر محرم عام ١٩٧٧ حينما سعت القوات الأمنيه التدخّل فى مراسم العزاء الشيعيه فى منتصف الطريق بين النجف و كربلاء، وصلت تحركات حزب الدعوه ذروتها. فقد هاجم الشيعه الغاضبون مقرًا للشرطه وردّوا شعارات ضد النظام. وعلى إثر هذه الأحداث قامت الحكومه باعتقالات واسعه فى صفوف الشباب وحتى المسنين الشيعه فأعدمت البعض وألقت البعض الآخر فى السجون. (١)

وبعد رحيل آيه الله الحكيم، بدأت الحكومه العراقيه إجراءات قمعيه ضدّ جميع الفئات وعلى الخصوص الشيعه، وفى أيلول عام ١٩٧٨ أصدر حزب البعث قرارا بوضع الإمام الخميني رحمه الله تحت الإقامة الجبريه فى داره (٢)، وقام بإخراجه من العراق بعد مدّه من ذلك.

لقد تركت الثورة الإسلاميه فى إيران تأثيرها على جميع مسلمى العالم، ولكنّ كان التأثير المباشر والأبرز والأهمّ هو ما كان يرتبط بمسلمى العراق وعلى الخصوص الشيعه. فقد عمّت الشباب الملتزم والمؤمن موجه عظيمه من المشاعر الإسلاميه

ص: ١٥٢

١- (١). هراير دكمجيان: جنبش اسلامى معاصر در جهان عرب: ٢٣٠ - ٢٣١.

٢- (٢). حسين سيف زاده: عراق ساختارها و فرآيند گرايش هاى سياسى: ٢٢٨.

المناهضة للبعث. فأصبح الشعب العراقي المظلوم والمضطهد أكثر أملاً بالخلاص من أتون هذا الظلم والاضطهاد بعد عقود من التسلط البعثي. فقد ساق حماس الشباب الذي أثر فيه نضال الشعب الإيراني والذي كان مستعداً للتضحية، باتجاه الوفود على قائد يوجههم ويرشدهم نحو هدفهم في تأسيس جمهوريه إسلاميه. فحشدوا طاقاتهم وأتجهوا زرافات صوب النجف وأعلنوا لآيه الله السيد محمدباقر الصدر استعدادهم للإقدام على أي عمل يكلفون به. (١)

إنَّ أهمَّ ما كان يميّز هذه المرحله من التحرك هو ابتداؤها في العراق إثر انتصار الثورة الإسلاميه الإيرانيه واستمرارها حتّى ابتداء الحرب المفروضه. ويُعدّ سعي السيد محمدباقر الصدر وحزب الدعوه للإطاحه بالنظام وإقامه حكومه إسلاميه نظير حكومه إيران إلى جمهوريه إسلاميه في العراق تقوم على ولايه الفقيه التي كان يراها الصدر، ذي أهميه فائقه. (٢)

وفي حزيران ١٩٧٩ وبعد عوده الإمام الخميني رحمه الله إلى إيران وانتصار الثورة الإسلاميه، وُضع آيه الله السيد محمدباقر الصدر تحت الإقامه الجبريه في منزله. فانتفض أنصاره ومؤيدوه في الثالث عشر من حزيران في ما سُمي بانتفاضه رجب.

حيث توجّهت أعداد غفيره من مختلف مدن العراق إلى النجف لإعلان بيعتها لمرجعيتها وقيادته. وقد شارك في الانتفاضه الرجبيه جموع غفيره من أساتذه الجامعات، الطلاب، العمّال والمزارعين. وقد قامت تظاهرات في مدن كربلاء والكوفه ومدينه الثورة ببغداد أيضاً. فأصدر آيه الله السيد الصدر من مقرّه في النجف فتوى أوجب فيها محاربه حزب البعث. ومنذ ذلك التاريخ ظهر حزب

ص: ١٥٣

١- (١). تاريخ سياسى عراق: شوراي نويسندگان: ٢٨١.

٢- (٢). مقالات سينما - انقلاب اسلامى و ريشه هاى آن: ٣٩١ / ٢.

الدعوة بصوره حزب سياسى بكل ما للكلمه من معنى. (١)

وعقب هذه التظاهرات وما طالبت فيه من إجراء إصلاحات اجتماعيه وإقامه حكومه إسلاميه؛ قامت الحكومه العراقيه ونظرا للتحريض العلنى على المواجهه من قبل آيه الله السيد الصدر بتقدم حزب الدعوه كطابور خامس يهدف إلى دمج العراق بإيران.

(٢)

وللردّ على المواجهات والمظاهرات الشيعيه، قامت الحكومه العراقيه بإعدام أو طرد أعداد كبيره من علماء الدين والمجاهدين الشيعه. فبعث آيه الله محمدباقر الصدر ردًا على ذلك، بيانا إلى صوت الدعوه جاء فيه:

إنّ الإسلام اليوم بحاجة إلى ثوره وليس استفتاء... المعركه الأساسيه المعلنه حاليا ترتبط بأعداء الإسلام... الطريق الوحيد للخلاص يكمن فى تغيير الحكّام. فدعوتنا منذ اللحظه هى الثوره والنهوض لإنقاذ الأُمّه من هذا الوضع المنحط. (٣)

لقد تولّى آيه الله السيد محمدباقر الصدر فى العراق الدور الذى تولّاه الإمام الخمينى رحمه الله فى إيران. ومن هنا، فلم تكن ثمّه حاجه لانتخاذ إيران والإمام الخمينى رحمه الله إجراءات لاستقطاب أو تحريك شيعه العراق. فقد كانت الزمالة والرفقه بين هذين العالمين الشيعيين المرموقين وآراؤهما المشتركه، تمثّل بذاتها الأرضيه المناسبه لتقبّل العراق هذا التأثير. فقد أعلن الشهيد الصدر دعمه الكامل للثوره الإسلاميه الإيرانيه واستحثّ الشيعه لإطاعه آيه الله الخمينى رحمه الله والوقوف خلفه. فهو يوصى أنصاره وأتباعه بقوله:

ذوبوا فى الإمام الخمينى رحمه الله كما ذاب هو فى الإسلام.

وقد كانت انتفاضه الشيعه فى العراق كما فى إيران تشدّد على العناصر الأساسيه أمثال الشهاده. فقد دعى آيه الله محمدباقر الصدر كلّ عراقى لبذل قصارى جهده وإنّ تطلّب

ص: ١٥٤

١- (١). حسين سيف زاده: عراق ساختارها و فرآيند گرايش هاى سياسى: ٢٢٨.

٢- (٢). هراير دكمجيان: جنبش اسلامى معاصر در جهان عرب: ٢٣١.

٣- (٣). حسين سيف زاده: عراق ساختارها و فرآيند گرايش هاى سياسى: ٢٣١.

الأمر التضحيه بنفسه للخلاص من شرّ صدام ، وقال:

لقد أعددت نفسى للشهاده، ولعلّ هذا آخر ما تسمعونه منى. (١)

وفى العام ذاته أعلنت جماعه العلماء دعمها لاستخدام القوّه ضدّ الحكومه، وتأسّس فى أواخر هذا العام الجناح العسكرى لحزب الدعوه. وفى يوم عاشوراء من هذه السنه أطلق طالب الأعدوان فى كربلاء وابلا من الرصاص على القوات الأمنيه ممّا أدّى إلى مقتل أربعة منهم، وإلقاء القبض عليه.

وقامت الحكومه فى آذار ١٩٨٠ وكرّد على هذه المواجهات باعتقال سته وتسعين عضوا من أعضاء حزب الدعوه وإعدامهم، ومن ذلك الحين أصبح الانتماء إلى حزب الدعوه عملا «إجراميا» يستحقّ صاحبه الإعدام. ونفّذ إثر ذلك أحد أعضاء منظّمه العمل الإسلامى عمليه اغتيال لمعاون رئيس الوزراء طارق عزيز والتي باءت بالفشل. الأمر الذى أدّى إلى إقدام الحكومه على خطوات أكثر تشدّدا فتّم هذه المرّه اعتقال آيه الله محمّد باقر الصدر وأخته العلويه بنت الهدى وذلك فى الثامن من نيسان ومن ثمّ إعدامهما. وهجّر فى هذا الشهر أكثر من ثلاثين ألفا من شيعه العراق إلى إيران. (٢) فمثّل الشهيد الصدر رمزيا، أحد الذين أضيفوا إلى شهداء الشيعة الاثنى عشرية باعتباره أحد أبرز مراجعهم. (٣)

ويمكن القول أنّ الشهيد الصدر كان له دور بارز ومؤثّر وبشكل مباشر وعملى فى تبلور وتنظيم الثورة الإسلاميه الإيرانيه بالنحو الذى أطلق فيه عليه رفيق الإمام الخمينى رحمه الله وعزّاب الثورة الإسلاميه الإيرانيه « خمينى رحمه الله العراق... فالثوره الإسلاميه الإيرانيه مدينه للتعاون والتفاعل الفكرى لهذين القائدين البلرزين. (٤)

ص: ١٥٥

١- (١). نرجس خاتون بر آهويى: اصول گرايى اسلامى ايران و تأثيرات منطقه اى آن: (پايان نامه): ٩.

٢- (٢). حسين سيف زاده: عراق ساختارها و فرآيند گرايش هاى سياسى: ٢٢٨ - ٢٢٩.

٣- (٣). هراير دكمجيان: جنبش اسلامى معاصر در جهان عرب: ٢٣٢.

٤- (٤). مقالات سيمينار انقلاب اسلامى و ريشه هاى آن: ٣٧٨ / ٢.

يقول هراير دكمجيان في هذا الإطار: تدلّ الشواهد على أنّ آية الله العظمى قدام مساعدته أساسيه لإطار أيديولوجيه النظام الإسلامى الإيراني. فطبقاً للتقارير فإنّ باقر الصدر وآية الله الخميني كانا على ارتباط دائم قبل الثورة وبعدها. فبعد برهه قصيره من العوده المظفره لآية الله الخميني رحمه الله إلى طهران في الأول من شباط ١٩٧٩، بعث باقر الصدر بسّته بحوث تحت عنوان «الإسلام يقود الحياه» لرفيقه تتضمّن النظرية الإسلاميه في مجال الدور الريادى للزعماء الدينيين [المراجع] في تقسيم المسؤوليات التنفيذيه والقضائيه وطرح نظريه الاقتصاد الإسلامى. (١)

ويعتقد دكمجيان كذلك أنّ الإمام الخميني رحمه الله والشهيد الصدر يصطفان إلى جانب واحد في اللحاظ الفكرى تنظيرياً وعملياً، ويرى أنّ هذه النظريات تمثّل ذروه التكامل المهمّ للفكر والعمل السياسى الشيعى. (٢)

وتولى قياده الحركه بعد استشهاد آية الله محمّد باقر الصدر آية الله محمّد باقر الحكيم . فتشكّل إثرها المجلس الأعلى للثوره الإسلاميه في العراق وذلك في تشرين الثانى ١٩٨٢. واتخذ هذا المجلس إيران مقراً له حتى سقوط صدام حسين ، وكان يقوم بنشاطاته باعتباره الجهاز الأعلى لقياده كفاح الشيعه في العراق. (٣)

وقد أبدت الحكومه العراقيه ردود فعل عنيفه تجاه نشاط المجلس الأعلى، ففي آيار ١٩٨٣ قامت بإعدام سّته أشخاص من أسره الحكيم الأب. ولجأ المجاهدون إلى القيام بعمليات فدائيه لتحقيق أهدافهم الدينيه فأصبح المجلس الأعلى من هذه الجهه رمزا للمعارضين الشيعه. (٤)

وقد قام المجلس الأعلى في عام ١٩٨٣ بإنشاء قوّاته العسكريه التى وصلت إلى ما

ص: ١٥٦

١- (١). هراير دكمجيان: جنبش های اسلامى معاصر در جهان عرب: ٢٣٩.

٢- (٢). المصدر نفسه: ٢٣٥.

٣- (٣). المصدر نفسه: ٢٣٩.

٤- (٤). حسين سيف زاده؛ عراق ساختارها و فرآيند گرايش های سياسى: ٢٢٩ - ٢٣٠.

يقارب ٢٠٠ متطوعاً فأتخذت من حاج عمران في منطقته كردستان العراقيه مقرّاً لها واستحثّت المقاتلين العراقيين على الانضمام إليها.

وكان لائتلاف المجاميع العراقيه هذا ثلاثه وحدات عسكريه: القوات الخاصه؛ القوات الاحتياطيه وقوات التعبئه. حيث تتولّى القوات الخاصه التي أُطلق عليها «فيلق بدر» العمليات الفدائيه داخل الأراضي العراقيه. لكنّها كانت تشارك أيضاً في العمليات العسكريه الإيرانيه. أمّا قوات التعبئه فقد تشكّلت من المتطوعين الذين دخلوا دورات عسكريه تمهيديه وجّهزوا بأسلحه خفيفه.

وعمل المجلس الأعلى أيضاً على تجهيز المجموعات الإسلاميه المستقله، وقد انضمّ إلى صفوفه في هذا المجال مجموعتين من الأكراد، وهما «الحركه الإسلاميه الكردستانيه» بقياده الشيخ عبد الرحمن نوراي و الملا- عثمان عبد العزيز، وحزب الله الكردستاني بقياده محمد خالد البارزاني. وأسّس في هذا الإطار أيضاً «اتحاد المرأه المسلمه» من قبل النساء ذات الاتجاه الإسلامى.

وفى عام ١٩٨٤ أعدمت الحكومه مجموعه من العلماء الأكراد الذين أثّرت الشكوك حولهم فى قياده «الحركه الإسلاميه الكردستانيه». وأُعدم كذلك عشره من أعضاء أسره الحكيم من الذين كانوا يقعون فى السجون العراقيه وذلك فى عام ١٩٨٥. وفى حزيران من نفس العام تسرّبت تقارير عن إعدام الحكومه ٥٥٩ عراقياً يشكّل الإسلاميون النشطاء أعداداً غير محدّده منهم. وفى ٩ نيسان ١٩٨٧ قامت مجموعه من قوات الشهيد الصدر التابعه لحزب الدعوه بالهجوم فى الموصل على قافله سائقى الدرجات الناريه المرافقه ل- صدام حسين، غير أنّ صدام خرج سالماً من ذلك الهجوم. وأصدر حزب الدعوه تقريراً فى نفس العام حول الابتداء بتنظيم نواه لحزب الله فى داخل العراق، ففى كانون الأول ١٩٨٧ أوضح أبو مجاهد أحد قادة حزب الدعوه وذلك فى مؤتمر دولى ضمّ قادة الحركه الإسلاميه أنّ «حزب الله» لا يمثّل مجرّد

حزب بل هو ذراع لتقوية الأحزاب الإسلامية العاملة في الساحة حيث يرتضى أعضاء هذا الحزب قياده حزب الدعوة والعلماء الشيعة.

وقامت مجاميع المقاومة الإسلامية والأكراد بتوسيع نطاق عملياتها لتمتدّ إلى خارج المنطقه الحرّه التي تسيطر عليها في شمال العراق وذلك في عام ١٩٨٨. وكانت القوات العسكريه للمجلس الأعلى تحت قياده محمّد تقى المولى ؛ ويقال أنّ عدد هذه القوات يكاد يصل إلى أربعين ألف مقاتل حيث يتمركز بعضهم في الشمال والقسم الآخر في أهوار جنوب العراق. وتمّ إعادته هيكله «فيلق بدر» فقسّم إلى فرقه مشاه، فرقه مدفعيه، فرقه مدرّعه ووحده فدائيه. وتضمّ الحركتين الإسلاميتين الكرديتين ما يقارب أربعة آلاف عنصر حيث يمثلون قسما صغيرا نوعا ما من كلّ القوات المسلحه الكرديه، إلّا أنّ القوات الإسلاميه تتمتع بدعم لا بأس به بين المواطنين الأكراد.

وبعد إعلان وقف إطلاق النار والمصالحة بين العراق وإيران، أصدر المجلس الأعلى بيانا في حزيران ١٩٩٠ أعلن فيه أنّه قام ببحث مسأله معارضه الحركات الإسلاميه للحكومه البعثيه ودعا الشعب العراقي فيه إلى الاستمرار في الكفاح حتّى «إسقاط صدام الظالم».

وبعد هزيمه العراق أمام قوات الائتلاف الدوليه (خلال أحداث احتلال الكويت) عمّت مرّه أخرى الثورات الشعيه الشمال الكردي والمدن الدينيه في جنوب العراق وهي ما عُرف بالانتفاضه الأولى، إلّا أنّ الرعب الذي تملك الأميركيين من وصول الثوريين إلى السلطه بعد الحكومه البعثيه، جعلهم يفسحون المجال ل- صدام مرّه أخرى، ممّا أدى إلى قيام الحكومه العراقيه بقمع تلك الحركه بقسوه، الأمر الذي أدى إلى فرار مجموعه أخرى من الشيعه إلى إيران.

واستمر الضغط على الشيعه حتّى سقوط صدام حسين الذي أعقب حادثه الحادى عشر من سبتمبر. إنّ أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ والتطوّرات التي أعقبته -

على الرغم من أهداف المسؤولين الأمريكيين - دعمت أسباب انتشار نفوذ الثورة الإسلامية والجمهوريه الإسلاميه، وقد ظهر هذا الأمر من خلال الهجوم العسكري الأمريكى على أفغانستان والعراق وسقوط حكومه طالبان فى أفغانستان والبعث فى العراق. فقد أدى ذلك إلى إسقاط عدوين لدودين للجمهوريه الإسلاميه من جهه، وقّلل إلى درجه كبيره من الضغط الاستثنائى على الشيعة ومريدى الثورة الإسلاميه فى هذين البلدين من جهه أخرى، ومهد الأرضيه لوصولهم إلى السلطه، فالأمريكان وعلى الرغم من إزاحتهم صدام حسين من الساعه، إلّا أنّهم واجهوا خطرا جاداّ تمثل بازدياد احتمال استلام الشيعة للسلطه ممّا يفسح المجال لتأسيس جمهوريه إسلاميه أخرى.

السعوديه

إشاره

السعوديه بلد عربى مسلم تصل مساحته إلى حدود ٢,١٤٩,٦٩٠ كيلومتر مربع وعدد سكانه يقارب ٢٢,٧٣٥,٠٠٠ نسمة، حيث يشكّل أهل السنّه الأغلبيه، والشيعة الأقلّيه فيه. أمّا نظام الحكم فى هذا البلد فهو ملكى مطلق الصلاحيات، ويُدّار من قبل مجلس حكومى يضمّ ٢٤ وزيراً. إلّا أنّ إدارته تتمّ من خلال الأوامر الملكيه، ولا يلعب المجلس الحكومى سوى دوراً شكلياً فى ذلك. وترتبط أغلب القبائل المعروفه بأسره آل سعود بشكل أو آخر. فقد اتّبع مؤسس السعوديه هذه السياسه منذ البدايه، فقام بإجراء عقود زواج متعدّده مع أسره آل الشيخ مؤسس الوهابيه والقبائل الحجازيه فى هذا السياق. وقسّم الملك مراكز السلطه بين الشخصيات القبليه المتنفّذه، لكن بقيت السلطه الحقيقيه فى يد أسره آل سعود. (١)

ولا توجد فى السعوديه أقلّيه قوميه، وذلك على خلاف كثير من الدول الإسلاميه، فالأقلّيه الوحيدَه فيه هى أقلّيه مذهبيه تمثّلت بالشيعة الذين يتراوح عددهم فى حدود

ص: ١٥٩

٧٠٠,٠٠٠ شخصا حيث يقطن بعضهم المناطق الشرقيه والبعض الآخر المدينه المنوره.

وتُبدى الحكومه الوهابيه للسعوديه توجّها شديداً تجاه الشيعة، وازداد هذا التوجّه بعد الثوره الإسلاميه، وقد زادت مسأله المنطقه التى يسكنها الشيعة والعمل الذى تتولاه هذه الأقلية فى الصناعات النفطيه للسعوديه من أهميه الدور الذى تحظى به.

العلاقه بين الحكومتين قبل الثوره

لقد قامت الحكومه الإيرانيه إثر تأسيس الدوله السعوديه الحديثه، بالاعتراف بها رسمياً وأقامت معها علاقات سياسيه. ومع أنّ ثمة تعاون حثيث بين الحكومتين الإيرانيه والسعوديه إلا أنه يمكن مشاهدته بعض التنافس فى علاقتهما مع بعضهما البعض أيضاً. فمع الانسحاب العسكرى البريطانى من شرق قناه السويس وتفويض الحكم السياسى للمشايخ المحليين، سعت السعوديه للقيام بدور الأخ الأكبر للإمارات الصغيره فى منطقته الخليج الفارسى من خلال استغلال نفوذها الثقافى. الدور الذى كان شاه إيران يعتقد به لنفسه على أساس مبدأ نيكسون؛ ولم تكن السعوديه فى المقابل تميل إلى أن تكون إيران القوه المسيطره على المنطقه. ومنذ مطلع السبعينات أخذت القدرات العسكريه لبلدان الخليج الفارسى بالتنامى يوماً بعد آخر، ولكن بقى التفوق الإيراني مشهوداً بشكل كامل فى كلّ الأحوال نظراً لكثافتها السكانيه. (١)

واقترحت إيران فى عام ١٩٧٠ تأسيس مجموعه دفاعيه للخليج الفارسى تضمّ العراق، لكنّ السعوديه رفضت هذا الاقتراح. (٢) ولجأت إيران بعد هذا العرض مباشره إلى متابعه نوع من التعاون الأمنى بين الدول المطله على الخليج الفارسى وعلى

ص: ١٦٠

-
- ١- (١). انظر: محمد قربانزاده آهنگرى: نقش عربستان در خاورميانه (پس از پیروزی انقلاب اسلامی)، (پایان نامه): ٢٦٠؛ نصرت الله کاراته آقامحمدى: سياست خارجى پادشاهى عربستان در قبال جمهورى اسلامى دهه ٨٠، (پایان نامه): ٦٨.
- ٢- (٢). اطلاعات، ١٣٤٩/١/٢٥.

الخصوص السعودي. ولكنها سرعان ما تركته وألقته جانبا بسبب عدم كونه عمليا من الناحية السياسي.

وكثر شاه إيران مجددا اقتراحه بعقد معاهدة أمنيّة بين جميع دول الخليج الفارسي عام ١٩٧٥، لكنّ الأمير فهد في المقابل بذل أقصى جهوده للحيلولة دون تحقيق ذلك. وبعد ثلاث سنوات من ذلك وحينما كان الشاه على وشك السقوط سعى مرّة أخرى لعقد معاهدة مشتركة بين إيران والسعوديه والعراق، حيث جوبه برفض سعودي كذلك. الجدير بالذكر أنّ البلدين الملكيين إيران والسعوديه يحكهما التعاون والتنافس أيضا وذلك في نطاق منظّمه الأوبك. فكلّما سارت السياسات النفطية في مسار واحد في ذلك العقد كلّما ارتفعت أسعار النفط. وكانت السعوديه تسعى ما سنحت لها الفرصه لخفض وعدم زياده أسعاره. ولهذا فقد كان التنافس بين البلدين في الأوبك يغلب على تعاونهما فيها. (١)

لقد أذى انتصار الدوله الإسلاميه في إيران وانهيار أسس الظلم والاستبداد إلى سيطره الرعب في أوساط أمراء منطقته الخليج الفارسي. حيث إنّ إيران وبما تمثّله من قوّه عسكريه كانت تؤمّن ثبات الخليج الفارسي بعد الانسحاب العسكري البريطاني في عام ١٩٧١ الذي تمّ وفق مبدأ نيكسون. فبعد سقوط الشاه أخذ هذا السؤال يتبادر إلى الأذهان، وهو من سيحلّ محلّ إيران؟ وهل تمّ احتمال بسقوط الرؤساء الآخرين في المنطقه بحسب نظريه الدومينو؟

وكان هذا السؤال يحظى بأهمّيه خاصّه لدى السعوديه التي تستحوذ على ربع المصادر النفطية المكتشفه في العالم. فسقوط الملكيه في إيران، جعل العروش والتيجان الأخرى في المنطقه وبضمنها المملكه السعوديه تواجه تهديدا أكثر من السابق.

ص: ١٤١

١- (١). نصرت الله كاراته آقامحمدى: سياست خارجى پادشاهى عربستان در قبال جمهورى اسلامى دهه ٨٠، (پايان نامه): ٦٨

- ٦٩.

حيث إن انهيار دعائم الاستبداد في إيران بثّ الرعب في بلدان المنطقه المحافظه والذي انعكس في السعوديه باضطرابات المنطقه الشرقيه، الاحتلال الدموي للمسجد الحرام في شهر محرّم الحرام عام ١٤٠٠ هـ، اكتشاف مؤامرة إسقاط طائره فهد ولي العهد السعودى آنذاك وانفجار قبله في الرياض وجدّه. (١) وكان التعامل الظاهري للسعوديه مع الجمهوريه الإسلاميه حيمى جدًا في تلك الظروف.

حيث أرسلت بعثه عليا يترأسها الأمين العام ل- «رابطه العالم الإسلامى» إلى إيران للتهنئه بانتصار الثوره الإسلاميه وإقامه علاقات مع إيران، غير أنّها لم تنجح في لقاء المسؤولين الكبار في الجمهوريه الإسلاميه على الرغم من طول إقامتها في إيران. (٢)

ولأجل التقليل من تأثير الثوره الإسلاميه الإيرانيه على المجتمع السعودى اتّخذت الحكومه السعوديه خطوات باهضه الكلفه. حيث مثل تأسيس مؤسّسات إعلاميه لتشويه صوره الثوره، تأسيس مجلس التعاون الخليجي، الدعم الشامل للنظام البعثى في الحرب المفروضه، عقود الأسلحه و... جزءا من إجراءات هذه الحكومه. وكانت الإجراءات الأمنيه في الداخل السعودى لوضع مؤيدى الثوره الإسلاميه تحت الضغط من الإجراءات الأخرى لهذا النظام.

وقامت الحكومه السعوديه ومباشره بعد انتصار الثوره الإسلاميه بإخراج الضباط والمراتب الشيعه من الجيش السعودى. وخفّضت من تواجد العسكريين الباكستانيين في الجيش السعودى بسبب تأثر الكثير منهم بالثوره وكيّهم المديح لها، وحرصت على استخدام القوات البنغاليه بدلهم. وطرّدت أو خفّضت رتبته الكثير من العمال والمتخصّصين الشيعه الذين كانوا يعملون في شركه أرامكو النفطيه، ومنعت استخدام

ص: ١٤٢

-
- ١- (١). انظر: محسن سويزى: اهميت ژئوپولتيك عربستان سعودى در سياست خاورميانه اى آمريكا (پس از يروزى انقلاب اسلامى)، (پايان نامه): ١٤٢؛ محمد قربان زاده آهنگرى: المصدر: ٢٤١ - ٣١٣.
 - ٢- (٢). بولتن شماره ١٨، دفتر مطالعات سياسى و بين المللى وزارت امور خارجه، ١٥/٣/١٣٦٧، ٦٧.

مكبرات الصوت والميكروفونات في مساجد الشيعة. واتخذت الشرطه السريه احترازا من أمنيته مشدده للتعرف على قادة الشيعة وللكشف عن منظماتهم. وتعرضت الدور والأشخاص المشتبه فيهم إلى التفتيش بشكل مستمر ومفاجئ. وقامت الحكومه السعوديه بالتزامن مع هذه الإجراءات، بالتشويش على برامج إذاعه وتلفزيون الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه. وسعت الحكومه السعوديه من جهه أخرى، للتقليل من جاذبيه الثوره الإسلاميه في عين المجتمع السنّي لكسب الطبقات المسحوقه وذلك من خلال ضخّ قدرات ماديه فيه.

وزاد الملك وولى العهد السعودى من عدد لقاءاته مع الناس، وتمّ زياده عرض المشاريع العمرانيه. وفى إجراء آخر، مُنع السعوديين والشيعة على الخصوص من السفر إلى إيران. (١)

ونظرا لاختلاف المواقف بين الرياض وطهران بعد الثوره الإسلاميه فى المسائل السياسيه والاقتصاديه، والاختلافات الأساسيه فى الفهم والاستنتاج الدينى للنصوص الإسلاميه، فقد أذى وصول اختلافات البلدين ذروتها فى المسائل السياسيه وعلى الرغم من طرح الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه شعار الوحده الإسلاميه، إلى قيام المسؤولين السعوديين ومن خلال الاستفاده من الوسائل الإعلاميه فى الداخل والخارج بالتحريض على الخلافات المذهبيه والتعرض للمقدّسات الإسلاميه ومعتقدات طيف واسع من الأُمّه الإسلاميه يتبع مذهب التشيع.

وتقف الجمهوريه الإسلاميه فى الجبهه المقابله، حيث تقوم رسالتها الثوريه على دعم حركات التحرّر وتصدير مفهوم الثوره الإسلاميه إلى البلدان المتواجده فيها والعالم الإسلامى وضخ شعوب هذه البلدان بالوعى لتمكينهم من اختيار حكوماتهم

ص: ١٤٣

١- (١). ابو الحسن زعفرى (رساله ارتقاى مقام): اثرات انقلاب اسلامى در تحول سياست هاى داخلى و خارجى عربستان: ٧.

وتقرير مصيرهم بأنفسهم. ولكنّ السعوديه التي طالما توجّست من ظهور ثوره في البلدان المجاوره لها وإشاعه الأفكار الثوريه بين المسلمين، سعت ما أمكنها ذلك للحيلولة دون حدوث مثل ذلك، حيث تبادر وبشكل سريع لاستقطاب أو حرف مثل هذه التحركات الثوريه والطلائعيه عند حدوثها.

إنّ السعوديه ومن خلال التحريض على الأحاسيس المذهبيه في بلدان أمثال الباكستان وإشعال المواجهات في الشوارع والتي غالبا ما ترافقها خسائر وأضرار جسيمه، وكذلك زيادتها من توظيف العلماء للسيطره الدينيه على الشعب، كانت تسعى لصدّ مدّ الثوره الإسلاميه الإيرانيه أو حبسها في الداخل الإيراني على أدنى تقدير. (١)

فقد سعت الحكومه السعوديه في هذا الطريق وببرامج محسوبه لتحريك الأحاسيس الجياشه للشباب السلفي المتدين والمتطرف ضدّ الشيعه. حيث يعود هذا المشروع بالفائده على حكومه آل السعود من جانب وعلماء الدين المرتبطين بالبلاط. إذ ستبقى حينها بمنأى عن ضغط الشباب السلفي ومطالبهم الإصلاحيه والأصوليه المتشدّده، وخروج العلماء التقليديون من عزلتهم ويتولّوا قياده طبقه الشباب.

فوفقا لهذا البرنامج، سيتمّ التبليغ على أنّ مذهب التشيع يتضمّن خرافات كثيره، وأنّ أتباع هذا المذهب مشركون ورافضيه، وقد تمّ في هذا السياق إصدار كتب وفتاوى كثيره في رفض التشيع. وتقوم الرئاسة العامه للفتوى والدعوه والإرشاد التي يتولّى رئاستها الشيخ عبد العزيز بن باز بتسديد الكلفه الباهضه لهذه النشريات. أضف إلى ذلك، أنّ منظّمه «رابطه العالم الإسلامى» التي تمثّل الذراع الإعلامى للوهابيه في العالم الإسلامى، استحدثت دائره خاصه تحمل عنوان «دائره مكافحه المدّ التبشيري» أى الدائره الخاصه لمواجهه انتشار الإعلام التشيعي، ووضعت لها ميزانه خاصه. (٢)

ص: ١٦٤

١- (١). المصدر نفسه : ٨.

٢- (٢). محمد ابراهيم انصارى لارى: ييشينه سياسى - فكري وهابيت: ٦٠.

وفي الأعوام الأولى للثورة وفي الوقت الذي كانت القوى الثورية الإيرانية تعتبر تصدير الثورة مسؤوليه تقع على عاتقها؛ كانت الصحف والمجلات توجه انتقادات وهجمات شديده اللهجه ضدّ الحكومات الرجعية في المنطقه وعلى الخصوص السعوديه؛ وقامت القوى الشعبيه في بعض هذه البلدان ومن بينها السعوديه والبحرين من جهه أخرى، ببعض التحركات التي بثت الرعب في أوساط هذه الحكومات والقائمين عليها. وفي مقابل ذلك، فإنّ السعوديه كانت تنتظر حدوث صراع على السلطه بين الجناح الليبرالي والمتطرّف داخل إيران، علاوه على ما قامت به من دعم وتقويه واسعه لقواتها العسكريه.

ومع خروج القوى الليبراليه من السلطه، وتحقيق إيران بعض الانتصارات في الحرب مع العراق وذلك في أواسط عام ١٩٨١، وتنامى الإعلام الإيراني في مجال تصدير الثورة، كانت السعوديه تتوقع كسب قوّه أكبر باتباعها أسلوباً مزدوجاً في سياستها مع إيران؛ فهي تقدّم بعض الامتيازات بيد، وتساعد العراق باليد الأخرى. فنرى الملك خالد على سبيل المثال يبذل مساعيه للاقتراب من الثورة الإسلاميه والإمام علّه يتمكّن من الحيلولة دون تصدير وتأثير الثورة الإيرانيه. ففي مناسك حجّ عام ١٩٨٠ أجلس ممثلي الإمام رحمه الله وطبقاً لتقاليدهم المتّبعه على يمينه وأخذ بالتحديث معهم بحاراه. ولكنّه في ذات الوقت وبالترامن مع ذلك قام ببعض المساعى ضدّ إيران من وراء الستار. ولكن وكما تمّت الإشارة إليه، فإنّ السعوديه كانت تأمل في هذه المرحله، باحتفاظ القوى المعتدله أو ما يسمى بالليبراليه بالسلطه في إيران، الأمر الذي دفعها إلى إقامة علاقات دبلوماسيه مع الجمهوريه الإسلاميه وتوسيعها. غير أنّ هذه المساعى قوبلت ببرود من قبل القوى الثوريه الإيرانيه. وبين أعوام ١٩٨٢ إلى ١٩٨٥ وبسبب انتقال السلطه في إيران من القوى الليبراليه إلى القوى الثوريه، وكذا بسبب تعيّر مسار الحرب المفروضه لصالح إيران، فقد السعوديون أملهم في تحجيم القوى الثوريه بواسطه القوى الداخليه في إيران. وبهذا لم يتبقّ طريق للسعوديه سوى تحرّك

العراق من الخارج لمواجهة إيران وتحجيم الثورة. الأمر الذي أدى إلى زياده بروده العلاقات بين البلدين وترافق ذلك مع الحرب الإعلاميه بينهما. ومع طرد القوائم بشؤون الحجاج الإيرانيين السيد موسى خوينيه من مكه في عام ١٩٨٢، الاشتباكات بين الحجاج الإيرانيين والشرطه السعوديه وإسقاط السعوديه طائره حريه إيرانيه، تفاقمت الأزمه بينهما. ومع أنّ المسؤولين الإيرانيين كانوا يحاولون تقليل خوف الحكومات الخليجيّه من الثورة الإسلاميه الإيرانيه، لكنّ المواجهه الإعلاميه لإيران التي ازدادت حدّتها بسبب المساعدات السعوديه وبلدان منطقه الخليج الفارسي الأخرى إلى العراق كانت قد زادت من خوفهم هذا. وفي عام ١٩٨٣ وصل سعود الفيصل وزير الخارجيه السعودى إلى طهران بدعوه من وزير الخارجيه الإيراني، ممّا أدى إلى ظهور بعض التحسّن فى علاقات البلدين حيث جاء فى تقرير وكاله الأنباء الألمانیه من جدّه، بأنّ وزير الخارجيه السعوديه أعرب عن سروره بنتائج المباحثات التي استمرّت يومين مع قاده إيران وأعلن قيامه بدعوه نظيره الإيراني لزياره الرياض.

فحدث بعض الانفراج فى علاقته البلدين إثر هذه اللقاءات، ولكن قوّرت السعوديه فى أواخر عام ١٩٨٥ حينما رأت زياده قوّتها العسكريه، مواجهه الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه وأخذت بالتقدّم خطوه خطوه لإضعاف إيران فى الحرب وإجبارها على القبول بالصلح والسيطره على الثورة الإسلاميه. وفى مطلع عام ١٩٨٦ أخذت السعوديه زمام المبادره وبالتعاون مع الغرب لخفض أسعار النفط. وشرعت فى المرحله اللاحقه بقتل الحجاج الإيرانيين فى مكّه المكرمه وإضعاف معنويات الشعب الإيراني، وانخرطت ضدّ إيران فى الاشتراك فى حرب السفارات لفرض العزله السياسيه على الجمهوريه الإسلاميه. (١)

ص: ١٦٦

١- (١). اطلاعات، مؤرخ ١٣٦٤/٢/٣١؛ نصرت الله كاراته آقامحمدى، سياست خارجى پادشاهى عربستان در قبال جمهورى اسلامى دهه ٨٠، (پايان نامه): ١٠٩ - ١١١، ١٨٦ - ١٨٧؛ لطف على لطيف باكده: بررسى علل ساختارى تعارضات منطقه اى در خليج فارسى، (پايان نامه): ١٤٦ - ١٤٨.

لا شكّ في أنّ موضوع الحجّ قد ترك أثراً مهمّاً على تصدير الثورة، وكذلك على العلاقات بين إيران والسعودية الأمر الذي ينبغي إيلائه عناية أكبر.

ففي عام ١٩٨٠ كان الحجّاج الإيرانيون يشكّلون نسبة أقلّ من السنوات السابقة على ذلك، وذلك بسبب بدء الحرب المفروضة؛ ولكنّ هذا العدد نفسه كان يحاول استثمار هذا التجمّع العالمي للمسلمين ولفت أنظار آلاف الحجّاج القادمين من أنحاء العالم إلى الثورة الإسلامية وتوعيتهم في هذا المجال. ولم تكن قد حدثت مشكله بين الحكومة السعودية والحجّاج في هذه السنّه. بل إنّ مسؤولي الحكومة السعودية كانوا قد رحّبوا بممثلي الثورة الإسلامية في الحجّ تلك السنّه. (١)

إنّ أوّل تظاهرات واسعة قام بها الحجّاج الإيرانيون تمّت في مناسك حجّ عام ١٩٨١، حيث أُجريت مراسم البراءة من المشركين في كلّ من المدينة ومكّه ولأوّل مرّه من قِبل الإيرانيين بعد قرون من التجميد، حيث أطلقوا شعارات ضدّ أمريكا، الاتّحاد السوفيتي وإسرائيل وفي الوحدة الإسلامية، الأمر الذي أدّى إلى حدوث اشتباكات وصدامات مع الشرطه. ومع تولّي حجّه الإسلام موسى خويّنيها شؤون الحجّاج الإيرانيين في عام ١٩٨٢ ازدادت شدّه هذه العمليه. (٢) فقد أعلن في خطاب له في المدينة في تلك السنّه بأنّه:

يجب أن تخرجوا فكره أن مكّه والمدينه هما ملككم وأنّ علينا الرحيل منهما، من رؤوسكم.

فتمّ اعتقاله من قِبل السلطات السعودية مباشره بعد خطابه، وتمّ إخراجه من السعودية باعتباره

ص: ١٤٧

١- (١). انظر: مارتين كريم: فاجعه مكّه يك فاجعه ديگر از تاريخ طولاني تنفر: ١١٤ - ١٢٠؛ لطف علي لطيف باكده: بررسي علل ساختاری تعارضات منطقه ای در خليج فارس (پايان نامه): ١٤٧.

٢- (٢). اطلاعات: ٢٢ / ١٣٦١/٥.

مثيرا للشغب. وقد قوبل هذا الإجراء باحتجاج شديد من قبل الحكومة الإيرانية.

وتّم الاتفاق بين البلدين بوساطه من معمر القذافي في عام ١٩٨٣ على اعتبار أنّ هذه المشادّات مجرّد حدث صغير. ولم تحدث أيّ مواجهه بين القوات الحكومه السعوديه والحجّاج الإيرانيين في عام ١٩٨٤ مع أنّ إيران أرسلت ١٥٠,٠٠٠ حاج إلى السعوديه، فأقيمت مظاهرات الإيرانيين بشكل مهيب في كلّ من مكّه والمدينه. ومع أنّ السعوديه عارضت إرسال ١٥٠,٠٠٠ حاج في عام ١٩٨٥ واقتصرت على قبول عدد أقل، لكنّه لم تحدث أيضا اشتباكات بين حجّاج الجمهوريه الإسلاميه والشرطه السعوديه.

و توصّلت إيران والسعوديه في أثناء مناسك حجّ عام ١٩٨٦ إلى اتّفاق ضمنى يسمح لإيران بالقيام بنشاطات سياسيه محدوده. وكان هذا الاتّفاق ينبع من محاوله إيران التخفيض من الدعم السعودى للعراق من خلال اتّباعها سياسه معتدله.

حيث نصّ هذا الاتّفاق غير الرسمى على السماح لممثّل الإمام والمشرف على شؤون الحجّاج الإيرانيين بإقامه تظاهرات إحداها في مكّه والأخرى في المدينه، ولكن على مسافه بعيده من الحرمين الشريفين. (١)

لكنّ عمر هذا الاتّفاق كان قصيرا جدّا. فقد جلبت مجموعه من الحجّاج الإيرانيين كانت مرتبطه بعصابه مهدى الهاشمى بعض المتفجّرات معها، فتّم كشفها من قبل الشرطه السعوديه وألقى القبض عليهم بمجرّد دخولهم السعوديه. (٢) غير أنّ التعاطى الحكيم للمسؤولين الإيرانيين مع هذه المسأله أدّى إلى إنهاء الموضوع من دون حدوث مشكله. إلّا أنّه وخلال تظاهرة للحجّاج الإيرانيين في عام ١٩٨٧ حدثت

ص: ١٦٨

١- (١). انظر: مارتين كريم: فاجعه مكّه يك فاجعه ديگر از تاريخ طولانى تنفر: ١١٤-١٢٠؛ لطف على لطيفى باكده: بررسى علل ساختارى تعارضات منطقه اى در خليج فارس: (پايان نامه): ١٤٧.

٢- (٢). اطلاعات: ١٥/٦/١٣٦٥.

اشتباكات عنيفه بين الشرطة السعوديه والحجاج تحوّلت إلى فاجعه دمويه راح ضحيتها أكثر من أربعمئه حاجّ إيراني. (١)

ومع حدوث مثل هذه الجريمة المرّوعه والإباده الجماعيه للحجاج الإيرانيين في مهبط الوحي وبيت الله الآمن - وفي شهر محرّم الحرام - تكون الحكومه السعوديه قد بلغت الذروه في مواجهتها المباشره لإيران الإسلاميه. فأقيم إثر ذلك في طهران المؤتمر العالمى للحجّ والذى شاركت فيه بعض الشخصيات الإسلاميه المستقلّه من مختلف أصقاع العالم، حيث تمّ فيه التنديد بجريمه آل سعود. وسمح الجانب الإيراني كذلك لمنظّمه الثوره الإسلاميه في جزيره العرب الاحتفاء بذكرى تمرّد أهالى المنطقه الشرقيه في السعوديه الذى أعقب انتصار الثوره الإسلاميه في عام ١٩٧٩، وذلك في قاعه الوحده في طهران، وسعى السعوديون في المقابل ومن خلال اللجوء إلى وسائل الإعلام الغربيه للتقليل من ضغط هذه الحادته والجنايه المرعبه وردود أفعال العالم الإسلامى والرأى العام للمسلمين تجاههم، واستطاعوا من خلال نفوذهم المادى والثقافى الذى يتمتّعون به في البلدان الإسلاميه - العربيه على الخصوص - استماله دعم الكثير من الدول باستثناء ليبيا. (٢)

لقد أدّت فاجعه مكه، إلى انخفاض مستوى العلاقات والتمثيل الدبلوماسى بين البلدين إلى أدنى مستوى له، وأغلقت السفاره السعوديه في طهران فعليا بهجوم المواطنين الإيرانيين عليها. فقرّرت السعوديه في هذه الظروف قطع علاقاتها الدبلوماسيه مع إيران بشكل كامل. (٣) واستمرّ هذا الوضع حتّى عام ١٩٩٠.

ص: ١٦٩

١- (١) . للاطلاع على أحداث تظاهرة عام ١٩٨٧ أثناء الحجّ انظر: اطلاعات، ١١ / ٥ / ١٣٦٦.

٢- (٢) . نصرت الله كاراته آقا محمدى: سياست خارجى پادشاهى عربستان سعودى در قبال جمهورى اسلامى ايران در دهه ٨٠: (پایان نامه).

٣- (٣) . بولتن دفتر مطالعات سياسى و بين المللى: رقم ١٧ و ١٨: فى ١٥ / ٣ / ١٣٦٧: ٧٠ - ٧١.

وكانت الحرب العراقية الإيرانية قد استحوذت على القسم الأساسي من العلاقات الإيرانية السعودية، وهو ما نشير إليه أدناه.

لقد أدت أحداث التمرد والاحتجاجات التي شملت البلدان الإسلاميه من أقصاها إلى أقصاها وبضمنها السعوديه (من قبيل التمرد في مكه المكرمه، الاحتجاجات في المنطقه الشرقيه و...) وذلك تأثرا بالثوره الإسلاميه، إلى أن تدخل السعوديه في صفوف المحرضين للعراق على شن الحرب على إيران وذلك للحيلولة دون تأثير الثوره الإيرانيه وخفض قدره هذا البلد على تصدير الثوره. (١)

فقد ازداد النشاط الدبلوماسي السعودى في الحقيقه بشكل استثنائي لمصلحه العراق ببدء الحرب العراقيه الإيرانيه. ففي تشرين الثاني ١٩٨٠ أى بعد شهرين من انطلاق الحرب المفروضه أعلنت السعوديه توقيع ست دول مطله على الخليج الفارسي معاهده أمنيه مشتركه، وبعد برهه صغيره من ذلك أى بضعه أشهر بعد الحرب عُقد مؤتمر القمه العربى في الطائف بدعوه من السعوديه وبمشاركه صدام حسين رئيس الجمهوريه العراقي لتتسيق مواقف العرب في المنطقه تجاه إيران. فكان التعامل مع الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه وعلى الخصوص بعد احتجاجات مكه (٢) من الأسباب التي دعت قاده السعوديه في الحقيقه للقيام بنشاط واسع لتعبئه الجامعه العربيه والمؤتمر الإسلامى لصالح المواقف الجديده المتخذة ضد إيران. وقام قاده الدول الست المذكوره بالاجتماع في العاصمه الكويتيه إثر مؤتمر الطائف وأعلنوا عن تأسيس مجلس التعاون الخليجي. وقام هذا المجلس الذى اتخذ من الرياض مقرا له بدور فعال في حرب العراق ضد إيران، وقد اعتبر بعض المحللين السياسيين أن مجلس التعاون الخليجي يمثل نتيجته طبيعيه لمساعي البلدان العربيه الستة في عقد السبعينات

ص: ١٧٠

١- (١). انظر: ترجمان سياسى: در مقاله پايان نامه اسلام گرايى طباطبايى: آذر ٧٩: ١٥ - ١٦.

٢- (٢). سنتطرق إليها في البحوث القادمه.

لِلوصول إلى الوحده فى المجالات السياسيه، الاقتصاديه والثقافيه. (١)

إلا أنه من الأفضل القول أنّ هذا المجلس كان نتيجته وانعكاسا للثوره الإيرانيه ولأجل الحيلوله دون تأثير وتصدير الثوره. (٢)

ولأجل التضييق على إيران ودعم العراق، فقد بذلت السعوديه قسارى جهودها ومساعدتها على مستوى منظمه المؤتمر الإسلامى أيضا، وكانت تسعى طيله الحرب لتأمين دعم العراق. (٣)

حيث تمثّلت أغلب جهودها بتأمين الدعم العسكرى والمالى للعراق، والحيلوله دون الهزيمه المباشره لهذا البلد من قبل الجمهوريه الإسلاميه. وتكتب أسبوعيه «بزنس ويك» (Business week) فى هذا الصدد:

إنّ السعوديه والكويت وبتحملهما الأعباء الحربيه للعراق وتسديدهما ٦،٤٥ مليار دولار كانتا تسعيان دون انتصار إيران. فمنذ أيلول ١٩٨٠، بلغ مجموع ما قدّمته السعوديه إلى العراق ٣٠ مليار دولارا والكويت ١٤ مليار دولارا. فقد كانت السعوديه قد تعهّدت ببيع ٧٠٠ ألف برميل من النفط لصالح العراق. ودفعت الكويت والسعوديه كذلك جميع تكاليف نقل المعدات إلى العراق وبضمنها المعدات الحربيه التى كانت تُرسل بطريق البر عبر البحر الأحمر ومن الأردن أيضا إلى هذا البلد. (٤)

يقول الأمير بندر بن السلطان السفير السعودى فى أمريكا ضمن لقاء صحفى فى ١٩٩٠/٨/٥:

لعب النظام السعودى فى السنوات الأخيره من الحرب العراقيه الإيرانيه دور

ص: ١٧١

١- (١). انظر: بهمن نعيمى ارفع، مبانى رفتار شورای همكارى خليج فارس در قبال جمهورى اسلامى ايران؛ محمد قربان زاده آهنگرى، نقش عربستان در منطقه خاورميانه، (پايان نامه)، ص ٢٥٧؛ اطلاعات، ١٠ / ٢ / ١٣٦١- مقاله اى از مؤسسه مطالعاتى عرب در لندن.

٢- (٢). انظر: سيد داود آقاىى، سياست و حكومت در عربستان سعودى: ٢٠٧-٢٠٩.

٣- (٣). انظر: محمد قربان زاده آهنگرى، نقش عربستان سعودى در منطقه خاورميانه، (پايان نامه): ٢٥٨.

٤- (٤). اطلاعات: ١٣٦١/٩/٢٤.

الوسيط بين واشنطن وبغداد ونقل إلى النظام في بغداد معلومات عسكريه قيّمه استقاها من المصادر المعلوماتيه الأمريكيه للتحركات الإيرانيه في جبهات الحرب... هذا في الوقت [السنوات الأخيره للحرب] الذي كان فيه العراقيون يطلبون أكثر من أى شىء آخر مساعده الجيش الأمريكى في مجال المعلومات والخطط والنصائح العسكريه لمواجهه إيران، وقد هتأت السعوديه جميع هذه الإمكانيات وأكثر منها لهم. (١)

الشعب السعودى والثوره الإسلاميه

إنّ نسيج المجتمع السعودى بمعزل عن النظام الحكومى والقبائل والأسر المرتبطه بالحكومته، لا يماثل المجتمعات الأخرى في العالم الثالث. فهذا البلد يضمّ شعبا محروما، كادحا، أمّيا بعيدا عن الثقافه والحضاره، ليس له أى دور في النظام الحكومى. وبسبب أنّ السعوديه ليس فيها مجلس تشريعى أو انتخابات فليس ثمّه أى مشاركه سياسيه لهذا الشعب. (٢)

ويعانى الشيعه الذين يغلب سكنهم في المناطق الشرقيه الغنيه بالنفط أكثر من غيرهم في هذا الوسط. فعلى الرغم من أنّ هذه الفئه تعيش فوق بحيره من النفط تضمّ أضخم احتياطي نفطى في العالم، غير أنّ هذه المنطقه تُعدّ من أكثر مناطق السعوديه حرمانا.

حيث إنّ القسم الأعظم من الأعمال التنفيذيه المتعلقه بالنفط يقوم بها الشيعه فعليا إلى الدرجه التى يمثّل الشيعه ٤٠٪ من عمال شركه آرامكو، فهم يقرّرون مصير الحكومه السعوديه - في مجال إنتاج النفط - إلّا أنّ عدم التوزيع العادل للثروه بين المناطق الشرقيه وسائر المناطق الأخرى يمثّل مظهرا من مظاهر الحقد والكراهيه التى

يمارسها الوهابيون تجاه الشيعه. (٣)

ص: ١٧٢

١- (١) . محسن صفري: ما اعتراف مى كنيم: ٦٢.

٢- (٢) . انظر: سيد داود آقايي: سياست و حكومت در عربستان سعودى: ٦١ - ٦٢.

٣- (٣) . المصدر نفسه: ٨٤ - ٨٦.

إنَّ أحدَ الأسبابِ التي أدَّت بشيعة السعودية وكذا المجتمع البائس لهذا البلد وكما هو الحال في سائر بلدان الخليج الفارسي للتأثر بالثورة الإسلاميَّة الإيرانيَّة هو تسويغ عدم مراعاة العدله معهم. الأمر الآخر هو أنَّ انتصار الثورة الإسلاميَّة باعتبارها ثورة شيعيَّة قد ساهم في ضخَّ الشيعة الذين يعانون الحرمان في أرجاء الدنيا بالجرأه والقوَّة، وهو ما أدَّى إلى احتلال مجموعته من الناقمين للمسجد الحرام في مكَّه في تشرين الثاني ١٩٧٩ حيث دعمهم في ذلك عدد كبير من الشعب أيضًا، وكانت هذه المجموعه تمثِّل أفرادا من السنَّة المتطرِّفين. وأعقب ذلك موجه من الاضطرابات عمَّت مختلف بلدان الخليج الفارسي.

حيث قرَّر شيعه الإحساء ولأوَّل مرَّة إقامه مراسم عاشوراء علنا، وذلك في ٢٨ تشرين الثاني ممَّا أدى إلى تدخُّل الحرس الوطني السعودي وحدث اشتباكات وأعمال شغب عنيفه. (١)

ويكتب أريك رولو محلِّ صحيفه «لوموند» الفرنسيه:

لقد اكتسب المتمردون الشيعة جرأه وعزيمه إثر الثورة الإسلاميَّة الإيرانيَّة وعقب التمرد المكِّي فأحيوا في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٧٩ مراسم يوم عاشوراء التي تُعدَّ ممنوعه في السعوديه. حيث حمل المحتشدون صوراً للإمام الخميني رحمه الله وهم يتجهون صوب القطيف، الإحساء وباقي مدن الولاية الشرقيه. فقتل إثر الاشتباكات التي حدثت مع الحرس الوطني ٣٦ شخصا منهم ممَّا جعل المحتشدين في حاله هيجان على مدى ثلاثه أيام كامله. حيث قاموا بإحراق المؤسَّسات الأخرى وترديد شعارات ضدَّ النظام الملكي. ودعت البيانات الناس إلى العمل على إسقاط النظام السعودي. وبعد إلقاء القبض على المئات، عاد

الهدوء أخيرا إلى المنطقه. لكن لم يتمَّ الاستجابه لمطالب الشيعة ولم تقدِّم الحكومه السعوديه سوى على التظاهر ببعض الإجراءات بغيه إثبات إسلاميتها.

ص: ١٧٣

١- (١). انظر: تشيع مقاوم و انقلاب: ٢٤٥ - ٢٤٦؛ غلام حسين ابراهيمي: بحران مشروعيت در عربستان سعودى: ٨٨.

حيث قامت بإغلاق دور حلاقه النساء وطرد المذيعات من التلفزيون الحكومي وعزل بعض المسؤولين الحكوميين في المنطقه الشرقيه. (١)

فعقب الإثارة والهيجان والسرور الذى عمّ جميع مسلمين العالم بعد انتصار الثورة، كان تأثير هذه الموجه قويا جدًا في منطقته الخليج الفارسي وعلى الخصوص في أوساط الشيعة إلى درجه أنهم قاموا بتقويه تنظيمااتهم وزادوا من نشاطاتهم يحدوهم أمل كبير في هذا الاتجاه. لكن لم يقتصر التأثير الشديد بالثوره الإسلاميه على الشيعة وحدهم، بل ظهرت بين الشباب السنّي (السلفي وغير السلفي) حركات لتطبيق الشريعة الإسلاميه تقوم على الجهاد الشعبى والمشاركه العامه. فالثوره الإسلاميه وفق رؤيه الشباب المسلم، تمثّل رمزا للعزّه والكرامه الإسلاميه في قبال الغرب والقوى الكبرى وعلاجا ناجعا لمشاعرهم الجريحه. إنّ الخطوه الكبرى التى خطتها المرجعيه الشيعيه طيله الثوره والتى استطاعت التغلب على أعظم قوى المنطقه من خلال الاعتماد على الدور المهم الذى تلعبه المساجد والصمود الثورى للمسلمين الإيرانيين الذى لا يعرف الكلل فى مواجهه الضغوط الأجنبيه وعلى الخصوص مواجهتهم التى تبعث على الفخر فى مقابل أمريكا من دون الوقوع فى أحضان الاتحاد السوفيتى، قد أوصل الشعب السعودى إلى حقيقه أنّ الإسلام الحقيقى هو ما تقوله إيران، وليس ما يدعمه النظام المرتبط بآل سعود. (٢)

تحظر السعوديه نشاط الأحزاب، الجماعات والكتل السياسيه وتعتبر أى انتقاد يوجه إلى المؤسّسات الحكوميه أو إلى سياسه الحكومه أو إلى مسؤولى النظام عموما

جرما يستحق العقاب. فقد وضعت طبقا لقانون الأمن الوطنى الذى تمّ تشريعه فى العام ١٩٦٥، عقوبات مشدده على من يعارض السياسات الرسميه للحكومه. ووفقا لبعض

ص: ١٧٤

١- (١). انظر: سروش: العدد ٣٠٧.

٢- (٢). حسن گليوند درویش: ساختار حكومت و بحران مشروعیت در عربستان سعودی: ١٢٢-١٢٣.

مواد هذا القانون، يُعدّ أيّ انتقاد يوجّه إلى الحكومه بشكل علني في الكتب أو الصحف أو في أيّ صوره أخرى جرماً. وكذا يُعدّ التدخل في المسائل السياسيه أو الميل نحو المنظّمات والجماعات السياسيه أو ترغيب وتحريض الآخرين على الاعتراض على الحكومه جرماً وإخلالاً بالأمن الوطني. وطبق مواد هذا القانون فإنّ التحريض على الاعتصام أو الاشتراك فيه يُعدّ جرماً أيضاً. (١) ومن هنا، فإنّ إيجاد تنظيمات ومجاميع سياسيه يتمّ بشكل سرّي على العموم.

ويمكن تقسيم هذه المنظّمات والحركات التي تأسست في السعوديه حسب التوضيح التالي وذلك وفق معتقداتها الأيديولوجيه:

- الجماعات والحركات السلفيه (أمثال الإخوان والسلفيين الجدد)؛

- الجماعات والحركات الشيعيه؛

- الجماعات والحركات السياسيه؛

- الجماعات والحركات التنويريه والإصلاحيه (المستغربون)؛

- الجماعات والحركات الإصلاحيه الدينيه (الجناح التنويري الديني).

اتّحد شعب جزيره العرب: تشكّلت هذه المجموعه من العسكريين الذين نشطوا تحت اسم أحرار جزيره العرب في عام ١٩٥٣، وباسم جمعيه «أبناء جزيره العرب» عام ١٩٦٢، وعُرفت بعد ذلك باسم اتّحاد «شعب جزيره العرب» بعد أن انظّمت إليها مجموعته أخرى. وإثر هزيمه العرب في عام ١٩٧٣، قل نشاط هذا الحزب وتوقّف عقب خطف قائده ناصر السعيد في ١٩٧٩/١٢/٧ في بيروت. (٢)

حزب البعث القومي: وتأسّس هذا الحزب في بدايه عقد الستينات، وأُلقي القبض على عدد من أفراده بعد اكتشاف محاولته القيام بانقلاب في عام ١٩٦٩. توقّف نشاطه

ص: ١٧٥

١- (١). تقرير منظمه ماده ١٩ المقيمه في لندن: ٩ - ١٠.

٢- (٢). انظر: كيهان، ١٣٧٣/١٢/٢، ١٤؛ مجله بقيق: العدد ٥٠: ٢١.

فعلياً بعد تحالف العراق والسعودية في أوائل الثمانينات وحرمانه من مساعدات قياده الحزب في العراق. (١)

حزب الشعب الديمقراطي: وكان قد تأسس في عام ١٩٦٩ واستمر نشاطه حتى أواسط السبعينات قبل اغتيال الملك فيصل، إلا أنه لم يعد يدعو إلى المواجهه السياسيه بعد ذلك وبعد صدور العفو عن المبعدين السياسيين في السعوديه. (٢)

حزب العمل العربي القومي: أنشأ في عام ١٩٧٢. وإثر تعزيز نشاطه في بدايه الثمانينات واجه مواجهه عنيفه من قبل الحكومه، حيث اعتقل أغلب أعضائه ومناصريه (عام ١٩٨٢)، وقد أفرج عن المعتقلين في نهايه تلك السنه ذاتها، ولكنهم اختاروا ترك العمل السياسى. وبذل قاده الحزب مساعٍ في عام ١٩٨٥ لإعاده تأهيله، لكنهم لم ينجحوا في ذلك، فأصدروا بياناً يعلنون فيه عن حلّه. (٣)

جماعه الدعوه المحتسبه (الإخوان الجدد): يعود تاريخ تأسيس هذه الحركه إلى أوائل القرن العشرين، وتولّى العتيبي قياده الحركه في السنوات التي تلت انتصار الثورة الإسلاميه الإيرانيه. وقد كان عابداً ويتبع منهجا ثورياً جديداً. (٤)

وبسبب أهميه هذه الجماعه السنيّه ودورها في ثوره عام ١٤٠٠ هـ، وتأثيرها في ذلك بالثوره الإيرانيه، سنقوم بتحليل أكثر في خصوص هذه الجماعه.

وقادت هذه الجماعه ثوره عام ١٤٠٠ هـ، التي أدت إلى احتلال المسجد الحرام.

وقد أثّرت نقاشات كثيره حول ثوره الجهيمان (قائد الجماعه). فقد نعته أنصار الحكومه بأنه يسعى إلى الرئاسه، وكان في صدد استغلال الأحاسيس الدينيه للشعب

ص: ١٧٦

١- (١). انظر: كيهان، ١٣٧٣/١٢/٢، ص ١٤.

٢- (٢). انظر: مجله بقیع، العدد ٥٠، تیر ماه ١٣٦٩، ص ٢٣.

٣- (٣). انظر: كيهان، ١٣٧٢/٢/٤؛ مجله بقیع، العدد ٥٠، تیر ماه ١٣٦٩، ص ٢٢.

٤- (٤). سيد داود آقائي: سياست و حكومت در عربستان سعودی: ٨٠.

بغية التمرد على الحكومه. في حال أن حركة جماعه الجهيمان كانت حركه سياسيه بالكامل. فهو كان قبل ذلك التمرد أحد أعضاء الحرس الوطنى السعودى، وقام بتدوين أفكاره وعقائده فى كتاب حمل عنوان الإمارة، الإطاعه والبيعه . وقد طالب فى هذا الكتاب بإقامه حكومه إسلاميه تقوم بالكامل على الشريعه. وتمثلت أهم انتقادات العتيبي لآل سعود فى: التحالف مع الغرب، الإسراف والتبذير بيت المال، فسق وفجور العائله الحاكمه وعدم اهتمامها بكثير من أصول وقوانين الشريعه الإسلاميه. (١)

وينبغى البحث عن أسباب وممهدات ثوره تشرين الثانى ١٩٧٩ فى مكّه فى نظام العائله الملكيه وقوّه المعارضين السياسيين والدينين. وقد وقع ذلك فى مطلع القرن الخامس عشر الهجرى حيث تجمّع مئات الشباب حول رجل فى الثلاثينيات من العمر فى المسجد الحرام، ولجأ آلاف الحجّاج إلى قبو المسجد الحرام استجابته لدعوتهم إلى الثوره. وكشف قائد المتمردين عن أنّه جهيمان بن محمد سيف العتيبي . وقام المتمردون بفضح فهد وأخيه فؤاد ودعوا الناس إلى الثوره. ففى الوقت الذى احتلّ فيه عدّه مئات من المسلمين المسجد الحرام فى العشرين من تشرين الثانى لم يستطع الجيش والحرس الوطنى للنظام الذى يدّعى حمايته للمنطقه من القضاء على هذه الثوره. فوجّه خالد طلبا إلى جيسكار دستان الرئيس الفرنسى حينئذ لإرسال قوّه على وجه السرعة.

وقد بعثت هذه الحادثه مسؤولى البلدان العربيه على الحيره والقلق. واشتركت كلّ من أمريكا والأردن إضافه إلى فرنسا فى الهجوم على المتحصّنين فى المسجد الحرام.

حيث وصل السعوديه فوج من الجندرمه الفرنسيه يقوده خمسه من المتخصّصين

فى مواجهه الاغتيالات، والذين كانوا دخلوا دورات خاصّه لمواجهه التمرد، وذلك فى ٢٣ تشرين الثانى. فقادت وشنت هذه المجموعه هجومها الأخير فى الثالث من كانون

ص: ١٧٧

١- (١). حسن كليونر درويشوند: ساختار حكومت و بحران مشروعيت در عربستان، (پايان نامه): ١٦٢.

الأول على مواضع المتمردين ففضت عليهم باستخدام غاز الأعصاب.

ومع وجود التعقيم الإعلامي الشديد على الأخبار، فقد ظهر أخيراً أنّ هذا التمرد كان واسعاً جداً وامتدّت مساحته إلى خارج مكّه. حيث تمّ الاتفاق بين جماعه دينيه باسم «السلفيون» (التي تغلغت في أوساط الشباب والحرس الوطني) والجيش وجزء من الحرس الوطني وعدّه قبائل من بينها قبيله «قحطان» و«العتيبي» التي مازالت ذكرى «الإخوان» حيّه في أذهانهم. فهو جمت المساجد في الطائف وعدّه نقاط أخرى بنحو مترام. وحدثت تحرّكات في كلّ من الرياض و«القطيف» ومدن وقرى شاطئ الخليج الفارسي.

حيث تقطن الأغلبه الشيعيه ومؤيّدو الثوره الإسلاميه هذه المناطق الغنيه بالنفط. وانطلقت تظاهرات في المنطقه الشيعيه الغنيه بالنفط «القطيف» في ذكرى تاسوعاء وعاشوراء. وخلال هجوم رجال الشرطه والجيش السعودى تمّ إلقاء القبض على ٦٠٠ من المشاركين من بينهم بعض زعماء الشيعه المعروفين كحجّه الإسلام السيد مرتضى القزوينى والشيخ حسن الصفار، وقتل ٣٦ وثلاثين آخرين. (١)

منظّمه الثوره الإسلاميه في الجزيره العريبه: لطالما كانت المنطقه الشرقيه من السعوديه مركزاً للأزمات. وتعود هذه المسأله إلى سياسه التمييز الدينى المتبعه منذ العام ١٩١٣ وحتى اليوم، إضافة إلى وجود نوع من الديكتاتوريه في النظام الحاكم وحرمان الشعب من المشاركة في الحكومه، فقد تسبّب هذا التمييز الدائر منذ ذلك الوقت وحتى اليوم والذي طال جميع أنحاء البلاد، في إبعاد أهالى المنطقه الشرقيه عن

الساحه السياسيه للبلاد، حيث يُعاملون كمواطنين من الدرجه الثالثه. وعلى الرغم من كلّ هذا لم يكن لشيعه المنطقه الشرقيه من السعوديه الذى يشكّلون الأغلبه الساحقه

ص: ١٧٨

١- (١). حسين حيدري: سياست عربستان سعودى در جزيره العرب از جنگ جهانى اول تا تشكيل شوراي همكارى خليج فارس، (پايان نامه): ١٤٢ - ١٤٣.

لهذه المنطقه مجاميع وتنظيمات دينيه وذلك حتى النصف الثاني من عقد السبعينات، حيث اقتصر النشاط الحركي على المجاميع والأحزاب التي تتبنى عقائد مختلفه، وكان ينشط فيها القوميون، البعثيون واليساريون المتطرفون. فبدا للشيعة في هذه المنطقه لزوم إظهار معارضتهم من خلال إطار تنظيمي، لكن ذلك لم يحدث حتى العقد الأخير الذي ظهرت فيه الحركة الإسلاميه. (١)

فقد قام آيه الله السيد محمد الشيرازي بتأسيس تنظيم منظمه الثورة الإسلاميه في الجزيره العرييه في عام ١٩٦٨، لكن لم يتم الإعلان عنها رسميا إلا في عام ١٩٧٥. ومع انتصار الثورة الإسلاميه في إيران قرّر قاده منظمه الثورة الإسلاميه إدخال عامه المسلمين الساحة السياسيه. وكان هذا القرار ينسجم مع هدف المنظمه المتمثل بإسقاط نظام آل سعود مع وجود حماس واندفاع للشعب السعودى في تلك السنه. فكان يكتب اسم المنظمه على جدران بيوت المنطقه الشرقيه وشوارعها. وكانت ثوره ١٤٠٠ هـ في المنطقه الشرقيه من ضمن نشاطات هذه المنظمه والتي لعبت دورا حاسما في تغيير معادلات مواجهه آل سعود. واستمرت المنظمه في نشاطاتها طيله عقد الثمانينات على الرغم من الاعتقالات الواسعه التي طالت أنصارها ومحبيها. (٢)

واستمرت المنظمه في نشاطها السياسى من خارج السعوديه من خلال إصدار مجله «الثوره الإسلاميه» في لندن عام ١٩٨٠ وحتى كانون الثانى ١٩٩١، مجله «البيوع» منذ عام ١٩٨٦ وحتى ربيع عام ١٩٩٣ في إيران، ومجله باللغه الإنجليزية تحمل عنوان «نداء مكه». (٣) فكانت تعكس هذه المجلات أهداف، أفكار ومواقف المنظمه، وتم استبدال مجله «الثوره الإسلاميه» بمجله «الجزيره العرييه» منذ عام ١٩٩٣، بينما عطلت

ص: ١٧٩

١- (١). كيهان: ١٣٧٢/١٢/٤، ص ١٢.

٢- (٢). مجله ببيع: العدد ٥١ و ٥٢، مرداد وشهريور ١٣٦٩، ص ٤٠.

٣- (٣). Mekka Calling.

المنظمة مجلاتها الأخرى. ويُعدّ الشيخ الصفار الزعيم والمتحدّث الرسمي باسم منظمه الثورة الإسلاميه فى الجزيرة العربيه حيث يعلن للصحف عن المواقف السياسيه لهذه المنظمه حول الأحداث المختلفه بشكل مستمرّ. ويبدو أنّه حينما أُوقف صدور مجلّه الثورة الإسلاميه وتولّى الجزيرة العربيه بدلها الإعلان عن مواقف وآراء المنظمه، قد حدثت تغييرات وتطوّرات فى آراء المنظمه.

حيث إنّ تغيير الاسم فى أواخر عام ١٩٩٠، يحكى عن نوع من التقارب والحوار والمفاوضات مع النظام السعودى، والابتعاد عن مواقفها السابقه، إلى أنّ أُعلن أخيراً وذلك فى عام ١٩٩٢ عن تغيير اسم منظمه الثورة الإسلاميه فى الجزيرة العربيه إلى «حركه الإصلاحيين فى الجزيرة العربيه».^(١)

ولخصّ الشيخ الصفار فى رساله التى كتبها إلى علماء شيعه المنطقه الشرقيه من السعوديه ونشرتها صحيفه «السفير» اللبانيه، بواعث المنظمه لخوض المباحثات مع النظام آل سعود فى الموارد الثلاثه أدناه:

١. يمكن للمحادثات مع النظام أنّ تكون وسيله ضغط يضمن من خلالها آل سعود مطالب المنظمه على أصعده مختلفه.
٢. إنّ جلوس الملك فهد على طاولة المفاوضات مع المنظمه، يمثّل نوعاً من الاعتراف الرسمى من قبل نظام آل سعود بمكانه ودور المنظمه فى المعادلات السياسيه للبلاد.

٣. إنّ الحوار مع النظام السعودى يجعل المنظمه وأعضائها بمنأى عن القمع الذى

تمارسه الشرطه ومنظمه المخابرات والأمن السعودى حيالها، وتمهّد الطريق لنشاط أكبر للمنظمه فى داخل البلاد.^(٢)

ص: ١٨٠

١- (١). كيهان: ١٣٧٢/١٢/٥، ص ١٤.

٢- (٢). المصدر نفسه: ١٣٧٢/١٢/٧، ص ١٤.

فقد طالبت حركة الإصلاحيين في مفاوضاتها مع فهد تنفيذ النظام السعودي بعض الشروط المذكوره أدناه في مقابل إيقاف المنظمه أنشطتها السياسيه والإعلاميه:

١. احترام النظام لمذهب التشيع باعتباره أحد المذاهب الرسميه، والاعتراف بحق الشيعه في ممارسه طقوسهم الدينيه.
٢. السماح للشيعه ببناء المساجد والحسينيات وإعمار وإعادة تأهيل مرآقد أئمتهم في البقيع.
٣. أن تكون التعاليم الدينيه في المناطق الشيعه وفق مذهب التشيع.
٤. السماح للشيعه بطبع الكتب واستيرادها من الخارج والسماح لهم كذلك بإصدار الصحف والمجلات طبق القوانين المعمول بها في البلاد.
٥. يحق للشيعه تأسيس الحوزات العلميه ومدارس العلوم الدينيه في البلاد.
٦. إيقاف الهجمات ضد التشيع والشيعه والسماح لهم بالدفاع عن مذهبهم.
٧. إعطاء الصلاحيه لمحاكم القضاء الشيعه كسائر المحاكم القضائيه في البلاد.
٨. حرّيه الشيعه في إقامة شعائرهم ومراسمهم الدينيه.
٩. القضاء على التمييز المذهبي في الجامعات والمؤسّسات التعليميه ودوائر الدوله أعمّ من أن تكون سياسيه، عسكريه وأمنيه.
١٠. إيلاء الأهميه لإعمار المناطق الشيعه والقضاء على الحرمان الذي تعانيه هذه المناطق. (١)

وفي مقابل تجميد النشاطات الإعلاميه والسياسيه لحركه الإصلاحيين وسفر مجموعه كبيره من قاده وأعضاء الحركه إلى البلاد، لم يقد نظام آل سعود بإجراءات مهمّه وملفته، فقد اقتصر على إطلاق سراح أربعين سجيناً وإعلان حرّيه سفر الشيعه من

ص: ١٨١

وإلى السعوديه. فيبدو أنّ حركة الإصلاحيين في الجزيرة العربية لم تحصل على مكاسب مهمّة في مقابل ما قدّمته؛ إذ إنّ الإفراج عن السجناء السياسيين ورفع الضغوط الأمنية يمكن أن يمثّل نتيجة لضغوط المنظّمات الدوليه لحقوق الإنسان وكذلك للنفق السياسى والاجتماعى الذى دخله النظام. فقد كان تغيير النظام السعودى مساره باتّجاه المعارضين مجرد تكتيك ليس إلّا، حيث لم يستمرّ عليه مدّه طويله. فيما أنّ النظام يعيش ضغوط الجيل الجديد من السلفيين للقيام بإصلاحات واهتمام بالأصول الدينيه، فقد انبرى للمساومه مع المعارضين الشيعة على أمل خفض الضغوط الشيعيه وإضعاف جبهه العلماء السلفيين من خلال ذلك. ومن جبهه أخرى، فإنّ النظام السعودى لم يفِ بالوعود التى أطلقها للشيعة، حيث تناساها بعد مدّه من ذلك. (1)

حزب الله الحجاز: أسّس حزب الله الحجاز حسب المعايير الدينيه، ويعتقد أنّ السبيل الوحيد لإسقاط النظام يمرّ عبر الكفاح المسلّح فحسب. حيث يرى هذا الحزب أنّ نظام آل سعود يعارض الدين، وقد اعتلى السلطه بدعم من الإنجليز، واستمرّ فى حكمه من خلال الدعم الأمريكى والأوروبى. وقد تشكّل هذا الحزب فى أوساط الطلبة السعوديين الدارسين بقم، وذلك فى عام ١٩٨٧. ويحدث فاجعه الحجّ فى مكّه عام ١٩٨٧ وسّع نطاق مواجهاته مع النظام السعودى، وأصدر بيانات تحمل توقيع «حزب الله الحجاز». فقد هاجم فى بياناته هذه إجراءات النظام السعودى، وأكّده على اتّباعه نهج الإمام الخمينى رحمه الله والجمهوريه الإسلاميه فى إيران. وقد قام الحزب

بإصدار نشره الفتح وذلك فى مدينه قم المقدسه. وقد شدّد فى هذه المجلّه على أنّ النظام السعودى نظام دموى يديره حفنه من «الكفّار» الذين يتمثّلون بالأسره السعوديه، وأنّ ليس بإمكان أحد القضاء على هذا النظام سوى أتباع حزب الله. وبعد إصدار عدّه

ص: ١٨٢

أعداد من مجلّه الفتح، تمّ تغيير اسمها وطُبعت باسم مجلّه «رسالة الحرمين». (١)

وقد قام حزب الله الحجاز بخطوات ونشاطات متعدّده في طريق مواجهه النظام السعودي، حيث يمكن الإشارة إلى الحريق الواسع في مصفى غاز ميناء «الجميمه» في شرق السعوديه وذلك في أواخر عام ١٩٨٧، وتفجير في مصفى نفط «رأس تموره»، ومعمل بتروكيماويات «الجميل»، واغتيال عدّه شخصيات دبلوماسيه سعوديه في الباكستان وتركيا ولبنان، من بين ذلك. وبعد سنه من ذلك قام النظام بحمله اعتقالات واسعه لإلقاء القبض على أعضاء وأنصار حزب الله في المنطقه الشرقيه من السعوديه. ومنذ حدوث أزمة الخليج الفارسي وهجوم العراق على الكويت وحتى الآن، لم يتم حزب الله بممارسات عنيفه ضدّ النظام واكتفى بالعمل السياسي والإعلامي. وقد اعتبر الحزب منذ نشأته المفاوضات مع النظام السعودي أمرا مرفوضا وسعى للنأى بنفسه عن مجموع المفاوضات. (٢)

تجمّع علماء الشيعة: أُسس هذا التجمّع في عقد الثمانينات بواسطه جمع وطلبه وعلماء شيعة السعوديه، وقد اتّخذ من لبنان وسوريا مقرّا رئيسا له. يغلب الطابع الثقافي والإعلامي على أنشطه هذه الجماعه. (٣)

لقد اتّبع النظام الملكي السعودي سياسه إصلاحيه وتوافقيه بشكل متزايد في السنوات الأخيره وذلك في مقابل معارضيه في الداخل والخارج.

فقد كانت سياسته الواسعه في إعطاء منح ماليه إلى خصومه ومعارضيه المنفيين والمبعدين خارج الوطن ناجحه إلى حدّ بعيد. ولكنّ الأعداء من ذلك هو التغلّب على المعارضين الإسلاميين المتنامين. أمّا في خصوص الشيعة، فإنّ سياسه العزل السعوديه

ص: ١٨٣

١- (١). مجله بقيق: العدد ٥١ و٥٢، مرداد وشهريور ١٣٦٩، ص ٤٢.

٢- (٢). كيهان: ١٣٦٩/١٢/٢٣، ص ١٢.

٣- (٣). مجله بقيق: العدد ٢٣، ص ٢٠.

ترافقت في ظاهرها مع التردد وعدم الرغبة. ومع أن عظمه المعارضة الداخليه والخارجيه للشيعة مع النظام ترتبط بوضع السياسات الإصلاحية، لكن ليس بإمكانها التقليل من معارضة الشيعة، إذ إن التشيع والوهابيه غير متناغمين في النهايه. (١)

الكويت

اشاره

تقع الكويت بنفوسها البالغ عددهم ٢,١٤٠,٠٠٠ نسمة ومساحتها التي تقدر بـ ١٧,٨٢٠ كيلومتر مربع في الشمال الغربي للخليج الفارسي، وكان عدد سكانها في حدود ١,٥٧٦,٠٠٠ نسمة في عام ١٩٩٥ حيث يشكل غير الكويتيين ٦٠٪ منهم. وتتميز الأقلية (الكويتيون الأصليون) بنسجها القبلي، حيث عاشوا فيها قبل وبعد تأسيس دولة الكويت في عام ١٩٦١.

ويعيش أغلب الكويتيين في المناطق التجارية أي في الشمال الشرقي منها أو في المناطق النفطية المهمه. ويشكل السنه ٧٠٪ والشيعة ٢٠٪ من مسلمي الكويت وهناك ٤٪ من المسيحيين ويختص أتباع سائر الأديان الأخرى بالنسبه الباقية.

النظام السياسي

انتخب صباح بن جابر عميد أسرهِ الصباح أميراً لهذه الإمارة منذ عام ١٧٥٦، و بقيت السلطه منذ ذلك العهد وحتى اليوم في أيدي هذه العائله. وفي عام ١٩٨٩ وضعت هذه الإمارة تحت الانتداب البريطاني بموجب معاهده مع الدوله البريطانيه. وفي ١٩ تموز

١٩٦١ وعقب مفاوضات بين وزير الخارجه الإنجليزى والشيخ عبد الله السالم الصباح أمير الكويت أُلغيت معاهده الانتداب لعام ١٨٨٩ وحلت محلها معاهده نُظمت في خمس مواد حيث نالت الكويت استقلالها بشكل رسمى. (٢)

ص: ١٨٤

١- (١). هراير دگمجان: جنبش های اسلامی معاصر در جهان عرب: ٢٢١.

٢- (٢). المصدر نفسه: ١٣٢.

وقد كتب الدستور الكويتي على منوال دساتير البلدان العربيّه حيث أقرّ من قِبَل المجلس التأسيسي في عام ١٩٦٢. حيث تكون الكويت وفق هذا الدستور دوله عربيّه يدير حكومتها أسره «الصباح» بنحو توارثي. وثمّه مجلس مشورتي يساعده ويتعاون مع أمير الكويت في إداره شؤون الإمارة، وتخضع أنشطه الحكومه لرقابه المجلس الوطني الكويتي. ويستطيع أمير الكويت عند الضروره حلّ البرلمان.

ويمكن القول أنّ الشعب الكويتي أكثر وعيا ونضجا سياسيا من بين سائر شعوب بلدان الخليج الفارسي العربيّه الأخرى، وكان للحزب النسبيّه للصحف المختلفه ووجود المجلس دورا مؤثرا في نمو هذا الوعي. وإثر تحرير الكويت من الاحتلال العراقي في عام ١٩٩١ استطاعت ست جماعات سياسيّه الاشتراك في انتخابات الدوره السابقه للمجلس الوطني وهى عباره عن:

١. التجمّع الشعبى الإسلامى، ٢. الحركه الدستوريّه الإسلاميه (إخوان المسلمين الذين يطالبون بتطبيق الشريعة)، ٣. الائتلاف الإسلامى الوطنى، ٤. التجمع الدستورى (مجموعه التجّار الأثرياء)، ٥. المستقلّون وجناح النوّاب ذوى الميول الإسلاميه، السنيّه والشيعيه والقبليه، ٦. المنبر الديمقراطي الكويتي، الذى يضمّ مزيجا من القوى القوميّه، اليساريّه والعلمانيّه.

علاقات إيران والكويت قبل الثوره الإسلاميه الإيرانيّه

لقد قام الشاه بطمأنه الكويت بالدفاع عن وحده واستقلال هذا البلد، وذلك في برقيه التهنئه التى بعثها بمناسبه إعلان استقلال هذا البلد في ٧ آب ١٩٦١. ومع حصول الاستقرار النسبي في الكويت، تمّ افتتاح السفاره الإيرانيّه في العاصمه الكويتيه وذلك في ١٢ كانون الثانى ١٩٦٢. وكان لتناغم الشاه مع السياسات الأمريكيّه والبريطانيّه ودعم هاتين الدولتين للكويت أثرا بليغا في توسيع علاقات طهران مع الكويت. فقد

وقفت إيران إلى جانب بريطانيا لدعم انضمام الكويت إلى منظّمه الأمم المتّحدة. (١)

ومع إعلان بريطانيا عن استعدادها لسحب قواتها من شرق قناة السويس عام ١٩٦٨، أكّد شاه إيران خلال إعلانه رسمياً استعداده لملء الفراغ العسكري في منطقته الخليج الفارسي، على لزوم عدم تدخّل أيّ دولة أجنبيّه في شؤون المنطقه. ولأجل هذا قامت إيران بطمأنه أمير الكويت في خصوص أمن الخليج الفارسي، وأنّ إيران ستدافع عن هذا البلد قبال أيّ اعتداء أجنبي يطاله.

حيث ترى إيران أنّ حضورها الفاعل في منطقته الخليج الفارسي وبحر عُمان يندرج في سياق ضمان مصالحها القوميّه. ومن هنا، ولأجل كسب دعم بلدان المنطقه لملء فراغ خروج القوات العسكريه البريطانيه والحفاظ على أمن الخليج الفارسي سعت إلى إقناع السعوديه والكويت للقبول بأفكارها حول هذا الموضوع. (٢)

وكان لرأي الغرب في تعزيز القدرات العسكريه الإيرانيه لضمان أمن المنطقه ومصالح البلدان الغربيه في هذه المنطقه الغنيه بالنفط، توافق السياسات الإيرانيه الكويتيه مع سياسه بريطانيا وأمريكا وأخيراً المطالبات العراقيه بالأراضي الكويتيه

وحاجه هذا البلد إلى كسب دعم القوى الإقليميه أمثال إيران، تأثيراً ملفتاً في توافق رأي الكويت مع إيران. ومع كلّ ذلك، فبمجرّد استعادته إيران سيطرتها على الجزر الثلاث طنّب الصغرى، طنّب الكبرى وأبوموسى، وقفت الكويت إلى جانب سائر البلدان العربيّه ضدّ إيران وسحبت سفيرها من طهران. وأدّى تضامن البلدان العربيّه مع بعضها البعض إلى بعث المسؤولين إلى جانب نظرائهم العرب شكوى إلى مجلس الأمن الدولي ضدّ إيران، وطالبوا إيران بسحب قوّاتها العسكريه من هذه الجزر. لكنّ كان استمرار هذا التنسيق بين الكويت وباقي البلدان العربيّه مرتبطاً بعدم وجود خطر أو

ص: ١٨٦

١- (١). المصدر نفسه: ١٣٣.

٢- (٢). المصدر نفسه: ١٣٣.

تهديد للأمن الوطني الكويتي من قِبَل العراق. ومن جانب آخر، فقد تحوّل الخلاف بين إيران والعراق حول شطّ العرب في الخامس من نيسان ١٩٦٩ إلى أزمة حادّة بين الجانبين. فحزم وزير الدفاع ورئيس الأركان الكويتي حقايبه متوجّها صوب بغداد على رأس هيئه للوساطه بين البلدين، غير أنّ الحكومه العراقيه طلبت من هذه الهيئه السماح للقوات العراقيه بالاستقرار في المناطق الشماليه للكويت بذريعه الهجوم المحتمل لإيران على ميناء أم قصر.

إنّ ما يبدو من سلوك المسؤولين الكويتيين، هو أنّ هذا البلد ينظر إلى علاقاته مع إيران بحسب ما تقتضيه مصالحه، فما لم يكن ثمّه تهديد على الأمن الوطني الكويتي - كقضية الجزر الثلاث - تصطفّ مع باقي الدول العربيه التي لها خلاف مع إيران، ولكن بمجرد إحساسها بالخطر - وعلى الخصوص من قِبَل العراق - فإنّها تهرع لإقامه أفضل العلاقات مع إيران. فالحكومه الكويتيه وبعد انخفاض حدّه الأطماع العراقيه في أراضيها، تسعى لاتخاذ مواقف أكثر انسجاما وإستراتيجيه أكثر ملاءمه في علاقته مع إيران، وذلك من خلال تشخيصها أنّ الاعتماد على قوّه إقليميه نظير إيران سيضمن ثباتها وأمنها الداخلي.

فقد قامت الدول العربيه الغنيه بالنفط على سبيل المثال بحظر تصدير البترول إلى

أوربا وأمريكا أبان حرب أكتوبر بين العرب وإسرائيل عام ١٩٧٣، إلّا أنّ إيران استمرّت في صادراتها النفطيه إلى البلدان الأوربيه والولايات المتّحده وحتىّ إسرائيل بزيادتها في سعر النفط. فالخطوه الإيرانيه هذه قد أثارت احتجاج البلدان العربيه الغنيه بالنفط وعلى رأسها السعوديه، ولكنّ الكويت وعلى خلاف الموارد السابقه اختارت هذه المرّه الصمت تجاه هذه الخطوه. (١)

وتدعم الكويت أيضا القرارات والسياسات الإيرانيه في منظّمه الأوبك لأجل أنّها

ص: ١٨٧

تتماشى ومصالح هذا البلد. وقد رحبت الكويت بتوقيع معاهده الجزائر عام ١٩٧٥ بين إيران والعراق أكثر من أى بلد آخر إلى الحدّ الذى صرّح فيه وزير الخارجيه الكويتى بأنّ هذه المعاهده تمثّل بدايه جديده لثبات وأمن المنطقه. وكانت الكويت تأمل من خلال عقد هذه المعاهده التقليل من الخطر الذى يشكّله العراق، حيث لم يعد للحكومه العراقيه دعوى حدوديه مع الكويت بذريعه احتمال المواجهه مع إيران. بيد أنّ الاعتماد الكويتى على إيران ومماشاتها لحكومه الشاه تعرّض للاهتزاز عقب ثوره الشعب على النظام الشاهنشاهى.

إذ إنّ الكويت التى ترى فى الشاه على أنّه شريك طبيعى، وأنّ النظام الحاكم فى طهران يمثّل قوّه إقليميه تحافظ على الوضع الموجود فى المنطقه، لم تكن ميّاله إلى حدوث تغيير فى الوضع السياسى - الأمنى القائم بحيث يؤثّر سلبا على الحكومه ووحده الأراضى الكويتيه وأمنها الوطنى. ومن هنا، فإنّ المسؤولين الكويتيين بادروا إلى منع الإمام الخمينى رحمه الله من دخول الأراضى الكويتيه وذلك فى سياق دعم الشاه والحيلولة دون بروز توتر داخلى. (١)

إنّ استمرار النظام الشاهنشاهى فى الحكم فى إيران كان على درجه من الأهميه بالنسبه للكويت دعت أميرها إلى إرسال ممثّل عنه إلى البلاط الإيرانى قبل عدّه أشهر من انهيار نظام الشاه، حيث أبرز خلاله أمله فى انحسار الأزمه الحاليه فى الساحه الداخليه الإيرانيه بأسرع وقت ممكن. ولكن لم تمض فتره طويله على ذلك حتّى انتصرت الثوره الإسلاميه فى إيران وأطاحت بالنظام الشاهنشاهى.

وكان لانتصار الثوره الإسلاميه فى إيران انعكاسات عالميه واسعه، وكانت تداعياتها ملموسه على مستوى المنطقه أيضا بطبيعه الحال. وكانت الحكومه الكويتيه

ص: ١٨٨

التي تميل في هذا الخضم إلى الحفاظ على الوضع القائم في منطقة الخليج الفارسي، مجبره على تغيير سياساتها وعلاقاتها المتبادله مع إيران.

حيث كان المسؤولون الكويتيون يعتقدون بأنه سيعايشون منذ الآن نظاما شيعيا وراдикаليا إيرانيا في مقابل نظامهم السنّي والمحافظ يختلف اختلافا فاحشا مع النظام الشاهنشاهي. (١) وقد تعاملت الكويت كسائر البلدان المطله على الخليج الفارسي باحتياط وحذر شديد مع الثورة الإسلاميه الإيرانيه، ولم تتخذ ابتداء موقفا صريحا ومعارضاً للجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه. (٢) وفي تموز ١٩٧٩ وبعد عدّه أشهر من انتصار الثورة الإسلاميه ليس إلّا، قام صباح الأحمد الجابر الصباح مساعد رئيس الوزراء ووزير الخارجيه الكويتي كأول مسؤول كبير في منطقه الخليج الفارسي بزياره إلى طهران التقى خلالها نظيره الإيراني في الحكومه المؤقته. وأكد الطرفان في بيان مشترك بعد انتهاء الزياره على الاحترام المتبادل بين البلدين لاستقلال ووحده أراضي كلّ منهما، وتحقيق أمن الخليج الفارسي من خلال بلدان المنطقه. إلّا أنّ التطوّرات

الداخليه على الساحة الإيرانيه كانت أوسع من أن يتم تأمين حاله الاستقرار والثبات في العلاقات بين البلدين.

حيث إنّ احتلال سفاره الولايات المتحده الأمريكيه في طهران في تشرين الثاني ١٩٧٩ والذي أعقبه استقاله المهندس بازرگان رئيس الحكومه المؤقته، أدى إلى تغيير الكويت سياستها تجاه الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه. (٣)

ومع بدء الهجوم العراقي على إيران في ٢٢ أيلول ١٩٨٠ تحوّلت منطقه الخليج الفارسي إلى بؤره للأزمات.

ص: ١٨٩

١- (١). المصدر نفسه: ١٣٨.

٢- (٢). مسعود اسلامي: ريشه يابی مواضع و عملکرد كويت در جنگ تحميلي عراق عليه ايران: ١٤١.

٣- (٣). المصدر نفسه: ١٤١.

فقد أعلنت الكويت التي كانت أقرب البلدان إلى منطقتي العمليات العسكريه للجيشين الإيراني والعراقي ومنذ الأيام الأولى لبدء الحرب عن الحياد تجاهها. ومع أنّ الحكومه الكويتيه كان يبدو عليها أنّها كانت على اطلاع على وقوع هذا الهجوم وذلك قبل مدّه من وقوعه، وكانت قد وافقت على تسديد مبالغ طائله لتكاليف الحرب إلى العراق في مؤتمر جدّه؛ غير أنّها دعت في أوّل تصريح رسمي حول الحرب، دعت الطرفين إلى وقف عمليتهما العسكريه. وقد بالغت خلال التطوّرات اللاحقه في اتّخاذ مواقف عدائيه تجاه إيران وعلى الخصوص في المسائل المتعلّقه بالحرب العراقيه الإيرانيه عند بلوغها ذروتها التي أخذت تُنبأ عن تفوّق وانتصار الجمهوريه الإسلاميه على النظام العراقي، والذعر الذي دبّ في نفوسهم من الخطر الذي بات وشيكاً، فدعمت النظام العراقي بشكل سافر وخفي، واتّخذت بعض الخطوات لإضعاف الجمهوريه الإسلاميه والقضاء عليها.

إنّ تأسيس مجلس التعاون الخليجي في عام ١٩٨١ والذي كانت الكويت أحد مبتكريه، يمثّل في حقيقته مواجهه للثوره الإسلاميه في إيران. ويعتقد المحلّلون والخبراء في المسائل الدوليه وعلى أساس دعم الولايات المتّحده لتأسيس هذا المجلس، أنّ وقوع الثوره الإسلاميه الإيرانيه لم يكن بعيداً عن المساعي الأمريكيه لإيجاد هذا المجلس ومطالب قاده بلدان المنطقه. وينبغي البحث عن أسباب العلاقات السياسيه والعسكريه الحميمه للكويت مع بلدان منطقتي الخليج الفارسي في السنوات الأخيره، في إطار أنشطه مجلس التعاون الخليجي. (١)

إنّ أوّل الموارد الذي حظي باتّفاق أعضاء مجلس التعاون الخليجي هو تقديم الدعم للعراق باعتباره دوله عربيه تمرّ في حاله حرب. وكان لتحرير خرمشهر

ص: ١٩٠

(المحمّره) من قِبَل قوات الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه، واضطرار العراق لآتخاذ مواقف دفاعيه يمثّل نقطه حاسمه في علاقات عضو مجلس التعاون الخليجي مع الطرفين المتنازعين في التطوّرات التي حدثت خلال الحرب العراقيه الإيرانيه.

إنّ الهزائم العسكريه للعراق في جبهات القتال والخطابات الناريه للمسؤولين الإيرانيين والموجّهه إلى حكومه الكويت، وضع هذا البلد في أتون رعب وذعر من وصول نظام شيعي للحكم في العراق في حال هزيمته. لتصل النوبه من بعده إلى سقوط النظام المحافظ والسّنى في الكويت. وقد وصل هذا الطراز من التفكير الكويتي ذروته حينما رفضت الحكومه الإيرانيه قرار مجلس الأمن الدولي. وكانت هذه ذريعه مناسبه للكويت وسائر البلدان الأعضاء في مجلس التعاون الخليجي لدعم العراق بشكل أكثر علنيه. (١)

إنّ إحدى أهمّ الخطوات التي قامت بها الكويت في هذا المقطع الزماني لدعم العراق، هي بيعها النفط لصالح هذا البلد. فالكويت والسعوديه ولأجل الضغط على إيران إقتصاديًا وإنهاء الحرب في الأعوام ١٩٨٥ و١٩٨٦ قامت بزيادة إنتاج النفط بنحو غير مسبوق من خلال التنسيق والتعاون مع باقي أعضاء مجلس التعاون الخليجي. (٢)

ومع سيطره القوات العسكريه الإيرانيه على شبه جزيره الفاو والتي تُعدّ من أهمّ الأحداث طيله حرب السنوات الثماني بين العراق وإيران، توقّعت الحكومه الكويتيه أنّ يكون ذلك بدايه لهزيمه العراق ليعقبها سقوط النظام المحافظ في هذا البلد. ولأجل ذلك خضعت أخيرا لوضع جزيره بويان تحت تصرّف العراق، وذلك بعد سنوات من الممانعه، حيث إنّها رأت تجمّعات القطعات الإيرانيه على بعد عدّه كيلومترات من أراضيها. وأعقب

ص: ١٩١

١- (١). المصدر نفسه: ١٤٣.

٢- (٢). المصدر نفسه: ١٤٤.

ذلك أيضا اتخذت الحكومة الكويتية بعض الخطوات على مستوى المنطقه والعالم بغيه التمكن من الحيلوله دون دوام الحرب التي كانت اقتربت من أراضيها. (١)

ويمكن القول عموما أنّ الكويت باعتبارها بلدا صغيرا وللعثور على مرتكز سياسى موثوق وقوّه عسكريه داعمه تستطيع الاعتماد عليها فى حالات الخطر للحفاظ على وجودها، ثباتها وأمنها، فقد أبدت ميولا تجاه أمريكا والمعسكر الغربى. ومع أنّ هذا البلد تربطه علاقات ومعاهدات مع الأتحاد السوفيتى والمعسكر الشرقى لتحقيق توازن القوى والابتعاد عن الأزمات، لكن وبحسب قول أسد عبد الرحمن أستاذ العلوم السياسيه فى جامعه الكويت؛ إذا اتجهت أوضاع المنطقه نحو الخطوره فمن المؤكّد أنّ الكويت ستختار طريقا يملئ عليها من قبل السعوديه. فاعتماد الكويت على الدعم العسكرى للولايات المتّحده لحلّ الأزمات الإقليميه فى السنوات الأخيره ينبغى أن يندرج فى سياق الطلب الكويتى من الحكومه الأمريكيه القائم على مرافقه وحمايه ناقلات البترول الكويتيه فى الخليج الفارسى إثر اتساع نطاق الحرب العراقيه وشمولها

هذه المنطقه. (٢)

وبعد موافقه الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه على القرار ٥٩٨ الصادر من مجلس الأمن الدولى وانتهاء الحرب وهدوء الأزمه فى المنطقه، نشط البلدان فى توسيع العلاقات المتبادله فى ما بينهما. وساهمت طبيعه تعامل إيران مع قضيه حرب النفط وإدانتها لهجوم العراق على الكويت فى تقويه الدور الإيراني وهيبته. إذ إنّ إيران ومن خلال حفاظها على الحياد فى هذه الأزمه، قامت بمساعدته الائتلاف الدولى وحظيت بامتيازات إيجابيه أيضا. هذا فى الوقت الذى كان يسعى فيه صدام إلى ترغيب إيران

ص: ١٩٢

١- (١). المصدر نفسه: ١٤٦.

٢- (٢). المصدر نفسه: ١٥٢.

بالوقوف معه بإعلانه التنازل عن جميع مطالبه الحدودية. (١)

بما أنّ الثورة الإسلامية ومنذ انطلاقتها الأولى اعتبرت أنّ أهدافها بمثابة مسؤوليه عالميه لابد لها من أن تنهض بأعبائها، الأمر الذى بادرت شخصيات النظام إلى عكسه فى جميع كلماتها، فقد تسبّب ذلك فى دعر وارتباك حكام كلّ من قطر، البحرين، عمان، الكويت والإمارات العربيه المتّحده.

حيث رحبت الأقلّيه الشيعيه فى الكويت والجاليه الإيرانيه فى هذا البلد بالتغيرات التى حدثت فى إيران وقيام نظام دينى إثر انتصار الثورة الإسلاميه وسقوط الشاه. فكانت نشاطات الشيعة والجاليه الإيرانيه مقلقه بالنسبه للمسؤولين الكويتيين. (٢) فالثوره الإسلاميه كانت قد استقطبت فى الحقيقه عامّه العرب.

فقد استلم حجّه الإسلام والمسلمين السيد عباس المهري الذى تربطه علاقه مصاهره مع الإمام الخمينى رحمه الله والذى يحمل الجنسيه الكويتيه، زمام المبادرة فى هذا البلد. ففى آب ١٩٧٩ اتّضح أنّ الإمام الخمينى رحمه الله كان قد نصب المهري ممثلاً شخصياً له فى الكويت. وقد تمثّل نشاط هذا العالم الدينى بالخطابات السياسيه العميقه، وقد انعكس ذلك أيضاً فى المساجد والحسينيات وذلك من خلال نشاط نجله الثانى وأقربائه والأساتذه. وقبل أن تترك هذه الخطابات أثرها على القسم الأعظم من الأقلّيه الشيعيه أقدمت الحكومه الكويتيه على اعتقال وطرده جميع أعضاء أسر المهري وذلك فى أيلول من ذلك العام، وتصوّرت أنّها قد انتهت من هذه المسأله. وقد أبدى قادة الثورة الإيرانيه احتجاجهم على هذا الاعتقال وقدموا الدعم المعنوى له.

(٣)

ص: ١٩٣

١- (١). سيد جواد موسى: علل تيرگى روابط ايران و مصر بعد از انقلاب اسلامى ايران، (پايان نامه): ٨١.

٢- (٢). المصدر نفسه: ١٣٨.

٣- (٣). تشيع، مقاوم و انقلاب: مجموعه مقالات كنفرانس بين المللى تل آويو: ٢٤٤ - ٢٤٥.

وقد ازداد في ذات الوقت تضامن وتوافق شيعه الخليج الفارسي مع الثورة الإيرانيه، إلّا أنّه حينما وصلت هذه الاضطرابات ذروتها في عام ١٩٨٠، نجح المجتمع الشيعي بتنظيم حنقه هذا على شكل حركة سياسيه. فالجماعات الشيعيه الراديكاليه المعارضه التي كانت محرومه من الدعم الشعبي والقيادي المتجدد والأصيل، ضلّت معتمده تمام الاعتماد على الدعم الخارجي من الذي تقدّمه إيران. (١) فشّن أكثر من ألف من شيعه الكويت هجوما على السفاره الأمريكيه خلال إحدى التظاهرات وذلك في الثلاثين من تشرين الأوّل.

حيث قامت القوات الأمنيّه بقمعهم وحكم على ٢٥ شخصا منهم مّمن له أصول إيرانيه بالسجن لمدد مختلفه. وفي الذكرى الأولى لعوده الإمام الخميني رحمه الله إلى إيران وذلك في الأوّل من شباط عام ١٩٨٠، قامت مجموعته بالتجمّع في مسجد القطيف، فتحوّل هذا التجمّع إلى تمرد. فقام المتظاهرون الشيعه الذين كانوا يحملون صور الإمام الراحل برمي اثنين من المصارف بالحجر وأحرقوا خمسين حافله وسياره وأضرموا النار في مكاتب شركه الكهرباء الكويتيه أيضا، حيث اضطرّ الحرس الوطني للتدخل مرّه أخرى ممّا خلف أربعة قتلى. (٢)

لقد أذى العنف والمواجهه الغاضبه لشيعه الكويت ضدّ السياسات التي يتّبعها الشيوخ حيال حرب الخليج الأولى ومعارضتهم للدعم الواسع الذي يقّمه المسؤولون الكويتيون للنظام العراقي ضد إيران (٣)، إلى حدوث تفجيرات متواليه هزّت الكويت يوم الثاني عشر من شهر كانون الأوّل عام ١٩٨٣.

حيث استهدفت بالأساس سفارات أمريكا وفرنسا وبرج المراقبه في مطار الكويت

ص: ١٩٤

- ١- (١). انظر: غلام على صنعتي: روابط ايران و كويت، دانشگاه تهران، (پايان نامه): ٨١.
- ٢- (٢). تشيع، مقاومت و انقلاب: مجموعه مقالات كنفراس بين المللي تل آويو: ٢٤٤.
- ٣- (٣). انظر: عباس خامه يار: تأثير انقلاب اسلامي بر جنبش اخوان المسلمين، (پايان نامه): ٢١.

الدولى، إحدى المجمعات الأمريكية، وزاره الماء والكهرباء ومنطقه الشعييه الصناعيه. ففى الهجوم على السفاره الأمريكيه، قام أحد السائقين الانتحاريين بتنفيذ عملته بواسطه شاحنه مليئه بعبوات الغاز تتصل بصاعق متفجر. (١) وأعلنت مجموعه سمّت نفسها «ألويه الثوره العربيه» مسؤوليتها عن تفجير مقهيين بحريين فى الثانى عشر من شهر تموز عام ١٩٨٥، حيث قتل ١١ شخصا وأصيب ٨٩ آخرين. وقد ادعى أنّ المهري يقف خلف قياده هذه المجموعه. وقد خُطّطت هجمه تموز بحسب الظاهر لقتل أحد المسؤولين الأمنيين الكويتيين الكبار والذى يتولّى عهده تنفيذ سياسه الحكومه فى قضايا الاعتقال والطرده. (٢)

فحكومه الكويت ولأجل السيطرة على الأقلية الشيعيه فى هذا البلد بادرت ابتداء إلى نزع الجنسيه الكويتيه والنفى؛ ومن ثم وبعد فتره من ذلك افتتاح المجلس الوطنى

مجدداً وتوزيع بعض الشيعه فى وزاراتها.

وفى مجال التعامل مع الجاليه الإيرانيه فى الكويت، فسرعان ما بادر المسؤولون الكويتيون لإخراج من يتعاطف مع التيارات السياسيه فى الداخل الإيراني ممن كانوا يطالبون بإحداث تغييرات فى الكويت.

ولم يكن ثمّه اتحاد فى الرؤى وتعاون منسق بين شيعه الكويت لمتابعه أهدافهم. ولأجل إلقاء الضوء حول هذا الموضوع يمكننا تقسيم شيعه الكويت إلى ثلاث مجموعات:

١. الشيعه الذين يطالبون بتغيير النظام السياسى الكويتى، وقد لجأت الحكومه الكويتيه إلى نزع الجنسيه الكويتيه منهم، وإخراجهم من الكويت فى مواجهتها لهم.

ص: ١٩٥

١- (١) . المصدر نفسه: ٢٤٨.

٢- (٢) . المصدر نفسه: ٢٤٩.

٢. الشيعة الذين يطالبون بحقوقهم ضمن إطار النظام السياسي الكويتي، حيث يرون أن أفضل طريقه لانتزاع حقوقهم تتمثل بالنشاط البرلماني والحضور في المجلس الوطني.

٣. الشيعة الذين يرغبون في الحفاظ على الوضع القائم والاقتراب من آل الصباح، وهم ممن يعيشون وضعاً مالياً ملائماً.

فالأُسرة الحاكمة في الكويت تستغل هذه المجموعه لفرض سيطرتها على شيعة الكويت. حيث أحسَّ المسؤولون الكويتيون بالخطر وأبدوا ردود أفعال شديده تَجاه نشاطات بعض أفراد الجاليه الإيرانيه التي تصبَّ في صالح الثوره الإسلاميه والترويج لأفكارها.

فالمسؤولون الكويتيون يعتقدون بأنَّ الجاليه الإيرانيه تحاول تغيير النظام السياسي الكويتي وتمتَّع بدعم من الحكومه الإيرانيه أيضاً. فكلَّما تسبَّبت التظاهرات أو التجمَّعات التي يقوم بها الإيرانيون في تدخُّل القوات العسكريه الكويتيه، تسارع

السفاره الإيرانيه إلى إجاره جاليتها وتحويل دون اعتقالهم. ولأجل مواجهه هذه الحاله تقوم الحكومه الكويتيه بإخراج الجاليه الإيرانيه من البلاد.

وقدَّرد عدد الجاليه الإيرانيه التي أُخرجت من الكويت في النصف الأوَّل من عقد الثمانينات بما يقارب الخمسه آلاف شخص. وقد أُخرج على مدى ثمانيه عشر شهراً فقط ألفين ومئتين وعشرين إيراني من الكويت، حيث عادوا أدراجهم إلى إيران. فصبَّ اتِّباع هذه السياسه في نهايه المطاف في صالح الحكومه الكويتيه. إذ إنَّ الإيرانيين الذين يتمتَّعون بمستوى معاشي جيِّد في الكويت لم يكونوا يميلون إلى ترك هذا البلد وتخليف مدَّخراتهم فيه، الأمر الذي أدَّى إلى انخفاض النشاط السياسي لشيعة الكويت تدريجياً. (١)

ص: ١٩٦

ما يفهم من لفظه البحرين اليوم، هو تلك الجزيرة الواسعه نسيبا والتي تقبع فى الزاويه الجنوبيه الغربيه من قاره آسيا وفى منطقه الشرق الأوسط فى ناحيه الخليج الفارسى. ويتكوّن مجمع الجزر البحرينيه من ٣٥ جزيره كبيره وصغيره تبلغ مساحتها ٦٩٥ كيلومتر مربع، وتعدّ العاصمه المنامه أكبر هذه الجزر. ولا- يرتبط هذا البلد بأى حدود أرضيه مع أى من البلاد الأخرى، ويحدّه من الجنوب والغرب السعوديه ومن الشرق والجنوب الشرقى قطر ومن الشمال الجاره إيران. (١)

ويبلغ عدد نفوس البحرين ٦٩٠٠٠٠ نسمة، حيث يشكّل الأجانب ثلث عددهم. ويحتلّ الإيرانيون صداره الجاليات الأجنبيه فى البحرين. وبسبب انخفاض العائدات النفطيه واجه البحرين انخفاضا فى مستوى المهاجرين الأجانب، ويشكّل سكاّن المدن ما نسبته ٨٣٪ من نفوس البحرين. وسكاّن القرى النسبه المتبقيه. (٢)

اللغه الرسميه للبحرين هى اللغه العربيه حيث ينطق عموم الشعب اللهجه العربيه الخليجيّه. وتستخدم اللغه الإنجليزيه على نطاق واسع فيها حيث تُدرّس فى المدارس الثانويه كلغه ثانيه.

وكانت البحرين أولى البلدان من خارج الجزيرة العربيه التى رحّبت بالإسلام إثر ظهوره، فهذه البلاد تمثّل المجتمع الثانى بعد المدينه الذى ارتضى الإسلام من دون الدخول فى حرب. ويمثّل الإسلام اليوم الدين الرسمى لشعب البحرين حيث تبلغ نسبه المسلمين ٩٨٪ يشكّل الشيعه أكثر من ٨٠٪ منهم. ويبدو أنّ شيعه البحرين هم ذريه أول من سكن هذه البلاد، ويشكّل المنحدرون من أصول إيرانيه عددا معتداً به منهم.

ص: ١٩٧

١- (١). وزارت امور خارجه: كتاب سبز بحرين: ١٥.

٢- (٢). المصدر نفسه: ٢٠.

وينتحل أهل السنّه في هذه البلاد المذهب المالكي والبعض منهم الحنبلي، ويعيش أغلبهم في المدن الكبيره. ويشكل العرب أو بالأحرى العرب الذين كانوا يعيشون في السواحل الجنوبيه لإيران القسم الأعظم من أهل السنّه. ولقد عدّت البحرين في الماضي وكما هو الحال في الإحساء من المراكز التقليديه للشيعة، إلّا أنّ التغييرات التي طرأت لأسباب متعدّده تاريخيه وجغرافيه جعلها تفقد هذه المركزيه.

وعلى الرغم من الأغلبيه العديديه الساحقه للشيعة، غير أنّ الحكومه وقعت في قبضه أسره آل خليفه السنّيه، ولأجل الفقر الواسع نسبيا لم يحتلّ شيعة هذه الإمارة مكانتهم اللائقه بهم في نظامها السياسى، ومع انتصار الثوره الإسلاميه ووصول الهيجان والشعور الشيعى ذروته والذي أدّى إلى تجدّد ظهور الدعاوى القديمه للأغلبيه الشيعيه في خصوص التمتع بحقوق متساويه في الحكم وإثارة ذلك ثانيه في الأعوام ١٩٧٩ - ١٩٨٠. وقد أدّت تصريحات بعض المسؤولين الإيرانيين غير الرسميين في مجال إعادته طرح دعوى حاكميه إيران على البحرين وإلحاقها بها بدورها، إلى زياده ضغط أسره آل خليفه على شيعة البحرين. وكان الدعم العملى الذى قدّمته حكومه البحرين للنظام العراقى في حربته مع إيران والتأييد التلميحي لحكومه آل خليفه لإعدام بعض أبرز قاده شيعة العراق، والذي أثار بطبيعته الحال معارضة أغلب شيعة هذه الإمارة لأسره آل خليفه، من بين الأسباب الأساسيه لتشديد النزاع في البحرين. وقامت القوات الحكوميه لهذه الإمارة أيضا ولبواعث سياسيه وعصبيه دينيه بقمع أىّ تظاهرات لشيعة البحرين. إنّ المواجهه العنيفه لقوات الحكومه البحرينيّه مع الشيعة والذي يُعدّ نوعا ما من نتائج حكم الأقلّيه كان من ضمن أسباب قمع التظاهرات الشيعيه في نيسان ١٩٨٠، والتي انطلقت اعتراضا على إعدام آيه الله السيد محمّد باقر الصدر من قبل النظام العراقى ووصلت ذروتها. (١)

ص: ١٩٨

لقد أعلنت بريطانيا في عام ١٩٦٨ ولأسباب مختلفه تمّت الإشارة إليها في ما مضى، أنّها ستسحب قطعاتها من «شرق قناه السويس» وبضمنها الخليج الفارسي. وقد نُقِذ هذا القرار في موعده المعلن. وبدأت البحرين في هذه الفتره بناء على طلب بريطاني بمفاوضات لتشكيل «اتحاد الإمارات العرييه» مع قطر والإمارات المحايده «الإمارات العرييه الحاليه». والتحقّت البحرين بحسب الظاهر إلى الاتحاد المذكور وذلك بعد عام ١٩٦٨، ولكن لأجل احتوائها على ما يعادل نصف عدد نفوس الاتحاد المذكور والمستوى المعاشي الاجتماعي والتعليمي الراقى الذي وصل إليه خلال أكثر من أربعين سنه، لم يتمّ الاتفاق مع أمراء وشيوخ الإمارات الثريه لكن المتخلفه المطله على الخليج الفارسي حول دستور الاتحاد وكيفيه تخصيص الموارد الماليه المشتركه وأمثالها.

كان النظام الإداري ونوع الحكم في البحرين استبداديا وفرديا بشكل مطلق، وكانت الحكومه البحرنيه منذ القرن الثامن عشر وحتى الآن في قبضه أسرهِ آل خليفه حيث حكمها منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم ذراري هذه الأسره على نحو توارثي. (١) وغير عنوان الإمارة أخيرا إلى مملكه، حيث يعتبر حاكم البحرين نفسه ملكا. ويختار نواب المجلس بشكل مباشر وعن طريق التصويت السري للشعب ولمده أربع سنوات (طبق الدستور). ووفق الماده ٦٥ من دستور البحرين، فإنّ بإمكان الملك حلّ المجلس النيابي. وفي هذه الحاله ينبغي أن تجرى الانتخابات اللاحقه وتشكيل المجلس الجديد خلال شهر. وبإمكان المجلس السابق إعادة تشكيل نفسه مجددا وإكمال دورته حتى النهايه. (٢) وقد تمّ تعطيل المجلس الوطني في عام ١٩٧٥ بذريعه إخلاله في شؤون البلاد، وفي عام ١٩٩٣ شكّل مجلس الشورى بثلاثين عضوا.

ص: ١٩٩

١- (١). المصدر نفسه: ٣٦٩.

٢- (٢). وزارت امور خارجه: كتاب سبز: ١٤٧.

حيث تبحث هذه الشورى المشاريع واللوائح المختلفه لتقترح على الدوله ما تراه مناسباً. ولا- تتمتع هذه الشورى بأى سلطه تشريعيه، حيث تتوقف جميع الأمور على رأى شخص الأمير ورئيس وزراء البحرين. (١)

وكان نشاط الأحزاب والجماعات السياسيه محظوراً فى البحرين إلى عدّه سنين سابقه، ولم يلاحظ أى نشاط حزبى مستمرّ، ولكن كانت ثمّه أحزاب تعمل فى خارج البلاد أو بشكل سرى فى البحرين.

ومع الحرّيه النسبيّه التى سُمح بها أخيراً، تشكّلت أحزاب مختلفه فى هذه البلاد. ومن ضمن هذه الأحزاب، جبهه التحرير الإسلامى البحرينيّه التى تعتنق التشيع، حيث شكّلت فى عام ١٩٧٩ بزعامه الشيخ العصفور والشيخ العسكرى . وتمثّل الأهداف

الأساسيه لهذه الجبهه فى القضاء على التدخّل الأجنبى، طرد جميع العمّال والمستشارين الأجانب. وفى بيان أصدرته هذه الجبهه فى ١٥ كانون الثانى ١٩٨٠؛ أعلنت فيه موافقتها على استقلال البحرين باعتبارها إحدى البلدان الإسلاميه، ولكنّها هاجمت فيه حكومه آل خليفه لعلاقتها المتقاربه مع النظام البهلوى، ومن ثمّ اتخذها مواقف مضادّه للجمهوريه الإيرانيه وقادتها، وأشار هذا البيان إلى عدد من الإجراءات التى اتّخذها المسؤولون البحرينيون ضدّ الداعمين للثوره الإسلاميه. وهاجم هذا البيان إضافه إلى ذلك المسؤولين البحرينيين لسماحهم لأمريكا الاستفاده من إحدى المقرّات لممارسه أنشطتها العسكريه، ودعت جميع المسلمين فى العالم إلى مؤازره المسلمين البحرينيين فى نزاعهم ضدّ أمريكا والصهيونيه. وفى كانون الأوّل ١٩٨١ خطّطت الجبهه لتنفيذ انقلاب ضدّ النظام البحرينى ولكنّه فشل ممّا تسبّب فى إلقاء القبض على بعض الأفراد وإبعاد آخرين.

ص: ٢٠٠

وفى الاضطرابات التي بدأت فى كانون الأوّل ١٩٩٤ شددت هذه الجبهة على المطالب السياسيه والاجتماعيه والاقتصاديّه للشعب من خلال إجراء لقاءات وإصدار بيانات. وأكد الأمين العام لهذه الجبهة الشيخ حمد على محفوظ على استمرار ثوره الشعب حتّى إذعان الحكومه بإجراء الانتخابات النيابيه. وقال فى تصريح له، أنّ نشوء نظام نيابى فى البلاد وتحقيق الديمقراطيةه ليس هو بمعنى انتهاء حكومه آل خليفه. (١)

جبهه التحرير الوطنى البحرينيه: لقد طرأت بعض التغييرات على التوجّهات السياسيه للشعب البحرينى فى أوائل العقد السادس الميلادى، وبدأت تظهر شيئاً فشيئاً الأفكار الناصريه والبعثيه على الحركات السياسيه البحرينيه. وعلى هذا، فقد أثمرت مساعى أحد العناصر الشيوعيه فى تأسيس جبهه التحرير الوطنى البحرينيه، وقد اعترف الأتحاد السوفيتى السابق بهذه الجبهه رسمياً. وتتخذ الجبهه حالياً من دمشق مقرّاً لها ولا تتمتع بقوّه سياسيه معتدّ بها. (٢)

العلاقات الإيرانيه البحرينيه قبل انتصار الثورة

بإعلان القرار البريطانى فى عام ١٩٦٨ بالانسحاب من الخليج الفارسى حتّى انتهاء عام ١٩٧١، أصرت إيران فى البدايه ومن خلال الاستناد إلى قرنين من حكمها للبحرين بشكل مستمرّ ومن دون منازع وذلك خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وكذلك من خلال الاستشهاد ببعض الوثائق التاريخيه، على استعادته حكمها لهذه البلاد، وقد عدّتها فى وقت من الأوقات المحافظه الرابعه عشره من إيران. ولكنها تخلّت عن مدّعاها هذا بشكل مفاجئ فى ٢٩ آذار ١٩٧٠ وبالتنسيق مع السياسات الأمريكيه والبريطانيه، فقد قبلت إيران ضمن اتفاق مع بريطانيا تخويل منظّمه الأمم المتّحده

ص: ٢٠١

١- (١). وزارت امور خارجه: كتاب سبز: ١٦٠-١٦١.

٢- (٢). المصدر نفسه: ١٦١.

وشخص أمينها العام البت في مسأله البحرين مقابل استعادته حكمها للجزر الإيرانيه الثلاث في مضيق هرمز (أى طناب الصغرى وطناب الكبرى وأبوموسى) فتكون بهذا قد أذنت عمليا باستقلال البحرين. (١)

وبعد قبول إيران باستقلال البحرين، افتتح فصل جديد فى العلاقات فى ما بين البلدين. فتوجهت فى ذلك الوقت (١٩٧٠) لجنه حسن النوايا الإيرانيه إلى البحرين، وبعد عودته هذه اللجنه أخذت العلاقات الإيرانيه البحرينية فى التوسع بشكل سريع. وقام الشيخ ابن سلمان أخو أمير البحرين ورئيس المجلس الحكومى (رئيس وزراء البحرين) بزيارته إلى طهران فى ١٣/٨/١٩٧٠ بناء على دعوته من وزير الخارجيه الإيراني. وكان من أهداف هذه الزياره إعداد مقدمات زيارته أمير البحرين إلى إيران.

حيث وصل عقب ذلك أمير البحرين طهران بتاريخ ١٨/٩/١٩٧٠ فى زيارته رسميه. وقد اتُخذت خطوات مهمه منذ زيارته لجنه حسن النوايا الإيرانيه البحرينية (١٩٧٠) لتطوير وتمتين العلاقات بين البلدين. ويمكن الإشارة إلى أهم هذه الخطوات فى ما يلى:

لقد أصبحت العلاقات بين البلدين متقاربه ووديه جدًا خلال هذه الفتره. وقد ساهمت الظروف الجديده التى أعقبت اتفاهيه الجزائر ١٩٧٥ بين إيران والعراق، وكذلك ظهور التقارب بين طهران والرياض فى منطقه الخليج الفارسى، ساهمت أكثر فى حصول التفاهم العام للحفاظ على أمن واستقرار المنطقه بأسرها، وتزامن ذلك مع اندحار التمرد فى ظفار، واقتراب المجاميع اليساريه والراديكاليه من الاضمحلال، والتضييق بشده على تحركات ومساعي العناصر الشيوعيه. ويُعد وقوع الثوره الإسلاميه فى عام ١٩٧٩ وحرب العراق وإيران ومن ثم أزمه حرب العراق مع قوات الائتلاف حول قضيه احتلال الكويت من أهم الأحداث المصيريه

ص: ٢٠٢

الحاسمه فى المنطقه الجيو - سياسيه للخليج الفارسى التى غيّرت الخريطه الديمغرافيه للبحرين وجعلتها فى مواجهه تطوّر جاد.

(١)

العلاقات الإيرانية البحرينية بعد انتصار الثورة

كان سقوط النظام البهلوى فى إيران مقلقا وغير سار بالنسبه إلى حكام البحرين من جهه حسن العلاقات التى كانت تربط النظام البحرينى به تحديدا. وازداد هذا القلق إثر تحرك ورغبة الشعب البحرينى العارمه من خلال التظاهرات التى قام بها وعلى الخصوص الشيعه منه لإبراز دعمهم ومؤازرتهم للثوره الإسلاميه الإيرانيه، وعلى الخصوص عقب التصريحات التى أطلقها بعض المسؤولين غير الحكوميين فى إيران بخصوص لزوم استعاده إيران حكمها للبحرين، الأمر الذى ساق العلاقات البحرينيه مع الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه إلى البرود بشكل متزايد. فزاد النظام البحرينى من الضغط على الجاليه الإيرانيه فى بلاده وشدد إجراءات دخول الإيرانيين إليها أيضا. وأدى تزايد قلق النظام البحرينى من تطورات الأوضاع فى الجمهوريه الإسلاميه فى السنوات اللاحقه، إلى عقد معاهده أمنيّه متبادلّه مع السعوديه. وكانت هذه المعاهده قد عقدت بين الطرفين باقتراح ومبادره من العربيه السعوديه، حيث أدى التحاق الكويت، قطر، عمان والإمارات العربيه المتّحده بهذه المعاهده فى آذار ١٩٨١ إلى إعلان تأسيس «مجلس التعاون الخليجى». وقبل ما يقارب الأسبوعين من اليوم الوطنى البحرينى وذلك فى كانون الأول ١٩٨١، قامت القوات الأمنيّه البحرينيه بإلقاء القبض على مجموعه من المسلمين البحرينيين بتهمه حمل وإخفاء أسلحه متنوّعه والتآمر لإسقاط النظام البحرينى فى اليوم الوطنى للبحرين. وأعلنت وزاره الداخليه البحرينيه

ص: ٢٠٣

فى بيان لها إثر ذلك، أنّ المجموعه المعتقله كانت قد تلقت تدريبات فى إيران قبل إرسالها لتنفيذ عمليات تخريبية فى البحرين.

ومع أنّ مسؤولى الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه قد نفوا هذا الاتّهام، إلّا أنّ حكومه البحرين طالبت بسحب القائم بالأعمال الإيراني فى المنامه واتّجهت العلاقات بين البلدين إلى البرود.

حيث أغلقت البحرين سفارتها فى إيران وذلك فى تشرين الثانى ١٩٨٣ وانخفض مستوى العلاقات الرسميه والدبلوماسيه من الجانب الإيراني إلى مستوى قائم بالأعمال، وذلك منذ آيار عام ١٩٨٣.

ومع بدء الحرب المفروضه واعتداء العراق على الأراضى الإيرانيه أعلنت البحرين حيادها رسميا، غير أنّ مواقفها الإيجابيه عمليا وسائر بلدان الخليج الفارسى تجاه العراق كانت من الوضوح بمكان، حيث تقوم وسائل إعلامها ووسائل إعلام سائر بلدان المنطقه بدعم العراق.

وبما أنّ العربيه السعوديه تمتدّ على الحدود القريبه المحاذيه للبحرين وكانت قد قدّمت وتقدّم مساعدات ماليه ضخمه إلى البحرين، فقد كانت من هذه الجبهه عاملا مؤثرا فى تحديد المسار السياسى لهذا البلد، ومن جبهه أخرى، فإنّ افتقاد البحرين لنظام دفاعى قوى وإحساسها بالضعف من هذا الجانب، دفعها إلى أنّ تميل وتعتمد على قوى أخرى، ومن هنا، فبالإضافه إلى اعتمادها على الغطاء الدفاعى للعربيه السعوديه وجيشها الصغير، فقد مدّت أنظارها باتّجاه القوى الأجنبيه على منطقته الخليج الفارسى - أمريكا وبريطانيا على الخصوص - (١).

وبعد موافقه الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه على القرار ٥٩٨ ووقف إطلاق النار فى

ص: ٢٠٤

١- (١) . المصدر نفسه: ١٧٧.

جبهات الحرب بين إيران والعراق، أخذت العلاقات بين البلدين إيران والبحرين بالتطور. فقد اتجهت العلاقات السياسييه بين إيران ودول مجلس التعاون الخليجي وبضمنها البحرين إلى التحسين، وأتخذت خطوات إيجابيه لتوسيع العلاقات السياسييه والاقتصادييه بينهما، ومع ذلك فقد ضلّ هذا التحسن في العلاقات ضعيفا وغير ثابت على الدوام. وبعد لقاءات متعدده بين مسؤولي البلدين ارتقت العلاقات بينهما إلى مستوى سفير وذلك في عام ١٩٩٠، حيث سلّم أول سفير للجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه أوراق اعتماده إلى ولي العهد ونائب أمير البحرين. وعلى هذا، فقد أصبحت العلاقات في ما بينهما أكثر جديّه مترافقه مع خطوات عمليه خلال عام ١٩٩٠. ويمكن الإشاره إلى زياره وكيل وزاره الخارجيه لتسليم رساله رئيس الجمهوريه الإسلاميه إلى أمير البحرين في هذا العام. وكذا زياره الدكتور ولايتي وزير الخارجيه أبان تلك الفتره إلى البحرين وذلك بتاريخ ١٩٩٠/٤/٢٨ و١٩٩٠/١٢/١٦. (١)

وأتجهت العلاقات السياسييه بين البلدين منذ الشهور الأخيره من عام ١٩٩٣ أتجاها عكسيا نحو فقدان التفاهم المتبادل. فقد مهد الامتناع عن إصدار تأشيره دخول للشخص الثاني في سفاره الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه في البحرين في كدوره العلاقات بينهما في ذلك التاريخ. وظهرت هذه الكدوره والاختلال في النصف الأول من عام ١٩٩٤، وأتجهت العلاقات مجددا نحو التدهور بسبب انحياز البحرين إلى الإمارات في الخلاف الإيراني الإماراتي حول الجزر الثلاث، وذلك من خلال خطاب وزير خارجيه البحرين في منظمه الأمم المتّحده (تشرين الأول ١٩٩٤).

فهذه الكدوره في العلاقات تمثّل في الحقيقه بدء فصل جديد في العلاقه بين البلدين. فقد اتجهت مسيره العلاقات منذ ذلك التاريخ نحو الإضرار بالعلاقات السليمه

ص: ٢٠٥

والشامله، فقامت حكومه البحرين فى ذلك العام بوضع سفاره الجمهوريه الإسلاميه تحت رقابه الشرطه حيث كانت تسيطر على الدخول والخروج منها وإليها. وينسب المسؤولون البحرينيون ظهور التحركات والاعتراضات الشعبيه فى الداخليه فى هذا البلد إلى إيران. وقد بعثت وزاره الخارجيه البحرنيه مذكره اعتراض إلى إيران فى خصوص إذاعه أخبار تلك الاعتراضات من محطه إذاعه وتلفزيون الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه. واستدعى السفير البحريني عقب ذلك من طهران وذلك فى ۱۹۹۴/۱۲/۲۳، ولكن بعد مرور ما يقارب ۸۵ يوما من استدعائه إلى بلاده عاد مجدداً إلى طهران وذلك فى شباط ۱۹۹۵. (۱)

وفى ۱۹۹۶ وإثر انقلاب حدث فى البحرين بتاريخ ۱۹۹۶/۶/۴، نسبت البحرين هذه المحاوله الانقلابيه التى استطاعت إحباطها وإلقاء القبض على ۴۴ شخصا من المعارضين البحرينيين، إلى إيران، وبدأت حمله إعلاميه قويه ضدّ الحكومه الإيرانيه. فازداد توّثر العلاقات بينهما، واستدعى الطرفان سفرائهما وقللاً التمثيل الدبلوماسى بينهما إلى مستوى قائم بالأعمال.

وقد نفى الدكتور ولايتى تهمة نسبه هذا الانقلاب إلى إيران، وأعلن عن استعداد إيران للوساطه بين الحكومه البحرنيه ومعارضيهها. وقام فاروق الشرع وزير الخارجيه السورى بوساطه لتحسين العلاقات بين إيران والبحرين، وقد أثمرت مساعيه باتفاق الطرفين الإيراني والبحرينى عن وقف الحملات ضدّ أحدهما الآخر فى وسائل إعلامهما الرسميه. (۲)

كانت سياسه الحكومه البحرنيه فى الماضى تقوم على أساس الامتناع عن

ص: ۲۰۶

۱- (۱) . المصدر نفسه.

۲- (۲) . المصدر نفسه: ۲۰۵.

الدخول في ما يمثل خصومه لإيران في الاجتماعات الدوليّة. وقد تعاملت بشكل معتدل في ما يخصّ المسائل الإيرانيّة في اجتماعات مجلس التعاون الخليجيّ. ولكن في ١٩٩٥ كانت أحد المؤيدين المصّرّين في هذا المجلس لإصدار قرار شديد ضدّ إيران. وفي عام ١٩٩٦ وعقب نسبه الانقلاب إلى إيران، اتّخذت موقفا معارضا لإيران في مؤتمر الجامعه العربيّه في القاهره، على نحو أدت جهود البحرين إلى تحذير هذا المؤتمر في بيان له من التدخّل الإيراني في الشؤون البحرينيّه. وقد أصبح موقف هذه الحكومه في الأعوام الأخيره وعلى الخصوص بعد استلام السلطه أمير جديد والتطوّرات الداخليه البحرينيّه، أكثر ليونه مع إيران، نظير امتناعها عن التصويت في آخر بيان صدر عن الأمم المتّحده في ١٩٩٦. (١)

وقد أكّدت الحكومه الإيرانيّه في ذات الوقت وذلك في سياق مواقفها العامّه، على ضروره وجود الثقه المتبادلّه بين بلدان المنطقه وإقامه علاقات الصداقه والتعاون معها باعتبارها ضمانا للسلام وتثبيتا للأمن في المنطقه، وأنّها ستسعى لدوام ذلك.

آثار الثورة الإسلاميّه على الشعب والحركات الشعبيّه

لقد مثلت البحرين مركزا للنهضه الشيعيه في بلدان الخليج الفارسي سواء قبل الثورة الإيرانيّه أو بعدها. وينبع هذا الأمر بشكل مباشر من الأوضاع الاجتماعيّه والسكانيّه والاقتصاديّه لهذه الجزيره. وفي مقارنه مع الحكام السنّه الذين يتحكّمون بهذا البلد، فإنّ الشيعه يتمتّعون بأغلبه سكانيّه. حيث إنّ أسره الحاكم الشيخ عيسى آل خليفه وأغلب النخب السياسيّه يتبعون المذاهب السنّيّه.

وكان لانحدار بعض أفراد المجتمع الشيعي من أصول إيرانيّه السبب الأكبر في ازدياد

ص: ٢٠٧

غربه المجتمع الشيعي (عن الحكومه)، إذ إنّ الشعور بالانحياز إلى إيران كان حاضرا على الدوام في أوساط شيعه البحرين. أضف إلى ذلك، أنّ الدعاوى الإيرانيه المتماديه في القدم في خصوص هذه الجزيره، قد زاد من الشرخ بين الشيعه والسنة. فمن خلال هذه السابقيه ظهرت الأصوليه الشيعيه إثر الثوره الإيرانيه كحركه قويه في الساعه. (١)

كان شيعه الخليج الفارسي يفتقدون تاريخا من المقاومه العنيداه في قبال الحكومات الظالمه وذلك إلى ما قبل ثوره الإمام الخميني رحمه الله . وكانوا يشعرون في كثير من الحالات بأنهم مهمشين. غير أنّهم لم يعبروا عن شكواهم وسخطهم على شكل ثوره وتمرد أبدا، ولم يسعوا أيضا إسقاط الحكومه عن طريق الانقلاب. وكانت ردود أفعال بعض هؤلاء أكثر ما تبرز تجاه المخترقين لمجتمعهم من الخارج، وذلك عن طريق التظاهرات والاضطرابات. إلى الحدّ الذي لم يعمل الشيعه لوحدهم في ذلك الزمن فقط، بل أكثر ما كانوا ينخرطون ضمن ائتلاف واسع للمعارضه. وقد ازداد السخط الشعبي خلال عقد السبعينات، حيث كان لسرعه التحديث والحداثه التي جرّبتها البلدان العربيه للخليج الفارسي دورا فاعلا في ظهور بعض المسائل الاجتماعيه التي كبلت الشيعه أيضا. ويمكن الإشاره إلى دخول مئات الآلاف من العماله الأجنبيه التي تنافس العماله المحليه والتي غالبا ما تترك آثارا إفراطيه من جمله هذه المسائل. فكان الشرخ الاقتصادي، الاجتماعى بين أصحاب رؤوس الأموال الناجحين الجدد والعمّال، وأيضاً الشرخ الثقافى المتّسع بين الأخصائيين الجدد والطبقه التقليديه، ظاهره توسّع المدن، اضمحلال القيم الاجتماعيه التقليديه والفساد، ممّا رافق هذا المسار. فشعر الشيعه غير المستطيعين وغير الأخصائيين بنوع من الاختلال الاجتماعى في هذه الظروف. وربما أثر الاستهلاك المفرط لرجال الدوله والكثير من الأسر الغنيه السنّيه،

ص: ٢٠٨

فى انزواء الشيعة أكثر. ومع هذا، فلم يكن هذا السخط الذى ظهر إثر الثورة النفطية من الممكن أن يبرز بشكل سياسى قبل الثورة الإيرانية. (١)

حينما انتصرت الثورة الإسلامية، رحّب بها المسؤولون البحرينيون وكالت الصحف المديح لقائدها. وصرّح ممثّل منظمه التحرير البحرينية خلال لقاء صحفى حول الثورة الإسلامية الإيرانية بأنّ الشعب المسلم البحريني كان يتابع العمليات والتظاهرات الكبيرة للشعب الإيراني المسلم منذ أوائل حركته ضدّ نظام الشاه المشؤوم، وكان ينتظر لحظه بلحظه للحصول على أخبار جديدته حول الأوضاع الداخليه فى إيران. وخلال حديثه عن العلاقات العميقة التى تربط الشعبين المسلمين الإيراني والبحريني أضاف قائلاً: الأمل الوحيد للشعب البحريني هو انتصار الثورة فى إيران، وكان لأخبار الثورة من الأهميه أنّ كلّ واحد من البحرينيين يعتقد بأنّ هذه الأحداث إنّما تجرى فى البحرين وتتعلّق بالشعب البحريني. (٢)

لقد انطلق الشعب البحريني فى تظاهرات حاشده تحمل لافتات تدعّم وتؤازر الثورة الإسلامية الإيرانية إثر انتصارها، وكان الارتباط والوحده التى أبداها الشعب البحريني مع الشعب الإيراني المسلم والثورى إلى درجه من العمق بحيث أنّ منظمه التحرير البحرينية باعتبارها ممثلاً لهذا الشعب كانت تقيم علاقات تعاون مع قادة الثورة الإيرانية قبل انتصارها.

وفى آب ١٩٧٩ أعلنت وسائل الإعلام الإيرانية أنّ هادى المدرسى قد عيّن ممثلاً شخصياً للإمام الخميني فى البحرين. وقد أدت خطابات المدرسى إلى قيام تظاهرتين فى البحرين.

ص: ٢٠٩

١- (١). بهروز اردلان راد: حركت هاى اسلامى در بحرين: ١٥.

٢- (٢). انقلاب اسلامى ايران از چشم انداز ديگران: ٨٠.

حيث أقيمت إحداهما بإذن من السلطات في ١٧ آب الموافق في اليوم الذي كان الإمام الخميني رحمه الله قد أعلنه يوماً عالمياً للقدس. وجاءت التظاهره الثانيه في ١٩ آب عقب اعتقاله، حيث طالب ٥٠٠ من المتظاهرين بإطلاق سراحه ممّا أدى إلى اعتقال ٢٨ شخصاً منهم. فقامت السلطات البحرينية حينئذ بإخراج المدرسي في ٣١ آب. ومع أنّ هذه الإجراءات أدت إلى هدوء الأوضاع نسبياً، إلّا أنّ موجة التظاهرات والاضطرابات ارتهن شكلها ومضمونها بما تفكّر وتخطّط له إيران. وعلى هذا، فالبيانات أو الشخصيات التي كانت تُلهم هذه التظاهرات، لم تكن تتمركز بالضرورة حول شكاوى وسخط الشيعة، وإنّما كانت في الغالب انعكاساً للمطالب السياسيّه الإيرانيّه. (١)

وقد أعلن آيه الله منتظري خلال إبدائه دعمه المعنوي للمدرسي عقب اعتقاله، بأنّ على دول الخليج الفارسي الاستجابه لدعوات ممثلي الإسلام بدل اعتقالهم. وكان المدرسي قد تحدّث حول نيه إيران في تصدير الثوره، واعتبر نفسه من الدعاه لتحقيق ثوره إسلاميه وإشاعه الثقافه الثوريه. وأخيراً، فإنّ قاده المواجهه في البحرين كانوا في الحقيقه ممّن يمثّل علماء الدين الذين تربطهم زماله دراسيه بالطبقه الحاكمه من رجال الدين في إيران. (٢)

ومع كلّ هذا فقد حظيت الثوره الإيرانيه باستجابه إيجابيه في أوساط الشيعه الأصليين لبلدان الخليج الفارسي. فقد كانت تظاهرات ١٩ آب ١٩٧٩ في البحرين مظهراً لما هو أكبر من استجابه عاديه لإثاره خارجيه. (٣)

وقد أعلن المسؤولون في ٣١ كانون الأوّل ١٩٨١ أنّه تمّ إحباط مؤامره خُطّطت ضدّ النظام الحاكم، وتمّ اعتقال العشرات ممّن اشتركوا في هذه المؤامره. واتّهموا

ص: ٢١٠

١- (١). تشيع مقاومته و انقلاب: ٢٤٤.

٢- (٢). المصدر نفسه: ٢٤٤.

٣- (٣). المصدر نفسه: ٢٤٥.

جبهه التحرير الإسلاميه فى البحرين بزعامه المدرسى بهذه المؤامره التى كان يديرها فى حينها وبشكل رسمى القسم الإذاعى لشؤون الخليج فى شبكه الإذاعه الإيرانيه.

وطبقا لادعاءات الحكومه البحرنيه، فإنّ مجموعه من القاطنين السابقين فى بلدان الخليج الفارسى تلقوا تدريبات على المواد المتفجّره والتخريب، قد دخلوا البحرين بشكل سرّى بمساعدته احتماليه من المسؤولين الإيرانيين. وكان مقرّرا لهم تخزين الأسلحه المستخدمه فى عدّه أماكن سرّيه قرب المنامه بواسطه مجموعه محليه تتّبع تعليمات إيرانيه. وكان من المقرّر حينها ارتداءهم زى رجال الشرطه ودعوه الناس إلى ثوره عامّه. وكان الهدف النهائى لهذه المجموعه هو إقامه جمهوريه إسلاميه بقياده المدرسى فى البحرين. واتّهمت السلطات الإيرانيه بالضلوع فى هذه المؤامره، وكان من ضمن ادّعاءاتها استعداد خمس حوآمات مليئه بالمسلّحين والمعدّات للانطلاق من بوشهر للمساعدته فى تنفيذ التمرد المذكور. وقد نفت الحكومه الإيرانيه هذا الادّعاء. (١)

وقد قام المسلحون البحرينيون تأثرا بالثوره الإسلاميه ودعمًا للثوار الإيرانيين، بعدّه تحرّكات ضدّ حكاهمهم. وقد أطلقت إيران مواجهه إعلاميه مركزه لتصدير الثوره إلى منطقه الخليج الفارسى، وكانت تحاول التأثير على عامّه المسلمين والشيعه على وجه التحديد من خلال إصدار كتيبات وبيانات إذاعيه «صوت الثوره الإسلاميه» باللغه العربيه وأشرطه وخطب. وفى ٩ نيسان ١٩٨٠ وعقب اعتقال وإعدام آيه الله السيد محمّد باقر الصدر، الزعيم الدينى لشيعة العراق، قام الشيعة بتظاهره فى المنامه عاصمه البحرين، حيث قامت الشرطه بتفريق المتظاهرين وألقت القبض على مجموعه منهم. وقد توفى أحد المعتقلين بعد عدّه أيام حيث قيل إنّه توفى جرّاء التعذيب الذى تعرّض له من قبل رجال الشرطه. الأمر الذى أذى إلى حدوث عدّه تظاهرات أخرى وذلك فى شهر تموز. (٢)

ص: ٢١١

١- (١). المصدر نفسه: ٢٤٨.

٢- (٢). المصدر نفسه: ٢٥٠.

وعلى خلاف التظاهرات الشيعيه فى الأعوام ١٩٧٩ و ١٩٨٠ فإنّ الاعتراضات اللاحقه للشيعه كانت عنيفه بالكامل تقريبا. وكان ازدياد العنف مرتبطا إلى حدّ كبير باشتعال الحرب العراقيه الإيرانيه فى أيلول ١٩٨٠، وبالتوجّهات اللاحقه لهذّه البلدان. فقد قدمت دول الخليج الفارسى مساعدات ماليه إلى العراق ووضعت تحت تصرّفه الأسلحه والمعدّات.

وخلال الأعوام ١٩٧٩ و ١٩٨٠ أخذت الأنظمه التى كانت تواجه اعتراضات قويه تصل إلى العنف فى بعضها، بالاهتمام بشكل لا مثيل له فى إطلاق حلول سياسيه مع التركيبيه الشيعيه. وكانت هذه الحلول تقوم على الترغيب تاره والترهيب أخرى. ففى السعوديه على سبيل المثال، تمّ تخصيص ميزانيه لإيصال الكهرباء إلى مستوىّ واسع، مشاريع تجفيف المستنقعات، إنشاء المدارس والمستشفيات فى القطيف وعامّه المدن الشيعيه. وأخذ الأعضاء البارزين فى الأسره الملكيه بالتوافد على هذه المنطقه للقاء وجهاء وزعماء الشيعه.

وتمّ تنفيذ برامج مشابهه فى سائر بلدان الخليج الفارسى أيضا. ولم يستبعد المسؤولون فى ذات الوقت أساليب اللجوء إلى القوّه لقمع التمردات الشيعيه. وأدى إخراج بعض الأفراد أمثال المدرسى ، إلى حرمان الشيعه الثوريين من قادتهم، الأمر الذى قد يكون وجه ضربه موجعه إلى التمرد الشعبى، ولو تجاوزنا ذلك، فقد تمّ قمع التحركات بقسوه وجرت بعض الاعتقالات التى غالبا ما يرافقها الخضوع إلى التعذيب.

فوصل قاده جبهه التحرير الإسلاميه فى البحرين إلى نتيجة أنّ التظاهرات الشيعيه لن تؤدى إلى إسقاط النظام مطلقا. ومن هنا، فقد لجؤوا إلى أساليب صداميه. وبناء على ما قاله زعيم الجبهه، فإنّ تظاهرات نيسان وتموز عام ١٩٨٠ التى أدت إلى «استشهاد» بعض المتظاهرين الشيعه، قد أقنعت الجبهه بأنّ تشكيل حركه شيعيه غير

كافٍ، وأنّ الردّ الأفضل هو في اللجوء إلى القيام بخطوات مباشره ضدّ الحكومه. وقد أعطت المنظّمات الثوريه الشيعيه باعتمادها الخطوات العمليه العنيفه، الذريعه اللازمه إلى الحكومه لتعزيز إجراءاتها القمعيه.

ومع أنّ المساعده التي قدّمها ممثلو الإمام الخميني رحمه الله قد أدت إلى تنميه التكتاف والتنسيق بين شيعه الخليج الفارسي مع الثوره الإيرانيه، غير أنّه حينما وصلت هذه الاضطرابات ذروتها في عام ١٩٨٠، لم ينجح المجتمع الشيعي في بلوره حنقه في حركه سياسيه منظمه. إنّ المجاميع الراديكاليه للمعارضه الشيعيه في الخليج الفارسي والتي كانت محرومه من الدعم الشعبي وقياده متجدّده وأصيله، بقيت معتمده بالكامل على الدعم الخارجى، فكانت إيران ووفقا لضرورتها الإستراتيجيه تؤمّن مثل هذا الدعم. (١)

وبما أنّ حكومات هذه الدول (بلدان الخليج الفارسي) لم تكن قد طوت بعد مراحل أزمات الهويه، المشروعيه والمشاركه، وأنّها كانت متخلفه جدّا بلحاظ النظام السياسى، فهى تعيش الحاله الأسريه، القبليه والتقليديه، فقد كان من الممكن أن تتعرّض فى أى وقت لتمرّد وأزمه عامه، وعلى الخصوص فى الأعوام الأخيره، حيث إنّ شعوب هذه الدول وبضمنها الجيل المتعلّم والمتخصّص أخذت تطالب بالمشاركه السياسيه.

وعلى الرغم من قيام حكّام هذه الدول بتأخير هذه الأزمه بطرق مختلفه من بينها استغلال العائدات النفطيه، فإنّ تواجد بعض العناصر المثيره أمثال قوّات الدول الأجنبيه، قد أدّى إلى ظهور أزمات أخرى إحداها أزمه المشروعيه التي أعقبتها أزمه المشاركه، وبهذا فقد أتحت ذلك دول المنطقه بأعمال شغب وفوضى واضطرابات. هذا مع أنّ مسأله المشروعيه والقوّه لديهم كانت تقوم على عائدات البترول فى العقدين الأخيرين. وقد هتأ هؤلاء أسباب المشروعيه الاقصاديه لحكوماتهم من خلال

ص: ٢١٣

استثمار هذه العائدات، ومن خلال تأمين الحاجات الاقتصادية للناس. غير أنّ ثمة عوامل أخرى، أمثال عدم زيادة العائدات النفطية، اختلال الأسعار والكميات المصدّره من النفط، واختصاص قسم كبير من تلك العائدات بالأسر الحاكمة سواء بطريق قانوني أم لا، أدى إلى عدم إمكان زيادة الدخول النفطية. وفضلا عن ذلك فإنّه قد لوحظ بأنّ الازدهار الاقتصادي، الاجتماعي والثقافي والرفاه النابع من زيادة العائدات النفطية لم يعد ملتبيا لحاجات ومطالب الشعوب. وفي النتيجة فإنّ مصدر المشروع لحكومات المنطقة والذي يمكن دراسته تحت عنوان المشروع والتعهد الاستمالي، قد سقط عن الاعتبار. وفي بُعد آخر، فإنّ تطوّرات المنطقه على العموم والتطوّرات الدوليّه في بعض حالاتها، قد أضرت بشدّه بمشروع الحكومات القائمة. وبسبب هذه العوامل فقد اتخذ أمير البحرين في الأعوام القليله المنصرمه بعض الإجراءات الإصلاحية، حيث سمح للشعب البحريني بحريّه أكبر؛ تمهيد الطريق لإمكانية اختيار ممثلين للشيعه في المجلس الوطني لهذا البلد؛ إطلاق سراح عامّه السجناء السياسيين وعوده المبعدين خارج البلاد. ويمكن ملاحظه تبلور هذه التطوّرات الدستوريّه في المظاهرات التي خرجت ضدّ أمريكا إثر حادثه ١١ سبتمبر ٢٠٠١ والهجوم الأمريكي على أفغانستان والعراق. ومع هذا فثمة بعض الشواهد التي تدلّ على عدم وجود استقرار للأوضاع في هذه الجزيره مستقبلا، نظرا للشرخ الموجود بين الحكومه من جهة والشعب من جهة أخرى، وأنّ هذه البلاد حبلى بأحداث قادمه.

إشاره

لقد أُطلق اسم بلاد الشام على هذه المنطقه منذ عهود بعيدة، وقد كانت تعيش قبل الإسلام في ظلّ الحكم الروماني، وهي تطلّ على الجانب الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، وتتكوّن من بلدان استُحدثت من خلال التقسيم الاستعماري إثر انهيار الإمبراطوريه العثمانيه. وهذه البلدان عباره عن سوريا، الأردن، لبنان وفلسطين.

سوريا

إشاره

تعتبر سوريا إحدى الدول العربيه والتي يبلغ عدى نفوسها ١٨،٤٤٤،٤٠٠ نسمة وتقدّر مساحتها في حدود ١٨٤،٠٦٠ كيلومتر مربع، وتتبع النظام الجمهوري، ويحكمها حزب البعث السوري. ويشكّل المسلمون السنّه أكثر من ٩٠٪ من عدد سكّانها، ويمثّل المسيحيون الأقلّيه التي تبلغ نسبتها ١٠٪ منهم. ويمثّل المسلمون السنّه أكثر من ٧٤٪ من نفوسها، بينما لا يشكّل الشيعة الإماميه سوى ٢ إلى ٣٪، حيث يتركّز أغلبهم في دمشق وبصرى وقرى ضواحي حمص وحلب. ويشكّل العلويون أكثر من ١٢٪ من عدد سكّان سوريا، حيث يُعدّ رئيس الجمهوريه السابق حافظ أسد من العلويين. (١)

ص: ٢١٥

١- (١). وزارت امور خارجه: كتاب سبز سوريه: ٥ و ١٠١؛ عبدالرضا فرجى: جغرافياى كسورهاي مسلمان.

أقيمت العلاقات السياسية بين طهران ودمشق منذ الإعلان عن استقلال سوريا في عام ١٩٤٦ وباعتراف الحكومة الإيرانية بها رسمياً. وقد استمرت هذه العلاقة من دون حدوث توتر حتى أواسط عقد الخمسينيات، وأدى قيام الشاه بتسويق آرائه التي تدعو لإحياء القومية الفارسية منذ النصف الثاني من الخمسينيات إلى وقوفه في مواجهه البلدان العربييه ذات التوجّهات القومية والتي تعتبر سوريا أحدها. (١)

وبالطبع فإنّ علاقته الشاه بإسرائيل كان مؤثّره في ذلك أيضاً. وإثر خطاب رئيس الوزراء السوري في خصوص محافظة خوزستان في أواسط عقد الستينات من ذلك العهد (٢)، ساد العلاقات بين البلدين توتر استمرّ حتى أوائل عقد السبعينات. (٣)

وقد مهّد دعم الشاه للبلدان العربييه في حرب وإسرائيل عام ١٩٧٣ وإرساله مساعدات ماليه وطبيّه، الأرضيه للتهدئه وإزاله التوتّر في العلاقات بين الدول العربييه ومن بينها سوريا وإيران، ووضعت العلاقات على سكة التحسّن بنحو قام فيه حافظ الأسد الذي كانت بلاده تعيش العزله، بزياره إلى طهران وذلك بعد عدّه أشهر من عقد اتّفاقيه الجزائر بين إيران والعراق. وقد جاءت هذه الزياره لتمثّل منعطفا حاسما في العلاقات بين البلدين. (٤) وبهذا اتّسمت العلاقات بين إيران وسوريا قبل عام ١٩٧٨ بالصدقه في ظاهرها.

ص: ٢١٦

١- (١). محمد علي امامي: سياست و حكومت در سوريه: ٢٣٢.

٢- (٢). فقد تطرّق يوسف زعين رئيس الوزراء السوري في تلك الفتره في خطاب له إلى خوزستان باعتبارها أرضا عربييه.

٣- (٣). مجمد علي امامي: سياست و حكومت در سوريه: ٢٣٣.

٤- (٤). المصدر نفسه: ٢٣٤.

إثر انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وفي وقت اتخذت فيه البلدان العربيّة الأخرى سياسه مزدوجه تّجاهها، حيث وضعوا بلدانهم في حاله إنذار قصوى خشيه من تأثير الثورة الإسلاميه، كانت سوريا من ضمن البلدان الإسلاميه التي لم تقتصر على الاعتراف بحكومته الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه فحسب، بل قامت بدعمها أيضا. فبمجرّد انتصار الثورة الإسلاميه قام حافظ أسد رئيس الجمهوريه السوري بإرسال رساله للمسؤولين الإيرانيين هنأهم فيها على هذا الانتصار، وعدّه بمثابة ضربه موجّه للإمبرياليه الأمريكيه والصهيونيّه. (١) فبدأت منذ بدايه عام انتصار الثورة علاقات سياسيّه حميمه بين إيران وسوريا. (٢)

وقد ساهم الدعم الإيراني السوري المشترك للمقاتلين اللبنانيين والفلسطينيين ضدّ الاحتلال الصهيوني وانخراط البلدين في جبهه واحده في مواجهه الصهيونيّه، ومعارضه كلّ من البلدين لتوسيع الأنشطة العسكريه الأمريكيه في الخليج الفارسي وإقامه قواعد في هذه المنطقه، وكذا الحاجات الاقتصاديّه للبلدين، في تقويه علاقات الصداقه بينهما. (٣)

وكانت حراره العلاقات بين إيران وسوريا واضحه وملموسه بشكل كامل منذ أواسط عام ١٩٧٩. حيث كان حافظ أسد يُشنى بشكل دائم على الثورة الإسلاميه بشكل علني. فكانت هذه الحاله تضطرّ المسؤولين السوريين في ذلك الوقت إلى تبرير

ص: ٢١٧

١- (١). ويمكن القول بالطبع أنّ هذا الدعم كان حاضرا أيضا قبل انتصار الثورة، فكان يقال على سبيل المثال أنّه حينما خرج الإمام الخميني رحمه الله عليه من العراق في تشرين الثاني ١٩٧٨ اقترح عليه حافظ أسد الرئيس السوري استضافته في دمشق.

٢- (٢). اطلعاتي دربارّه سوريه: ١٠٧ - ١٠٨.

٣- (٣). رضا نادمي: روابط سياسي ايران وسوريه از پيروزي انقلاب اسلامي تا امروز، (بايان نامه): ٧٦ - ٧٩.

مواقفهم أمام بعض البلدان العربيّه. ولقد فسحت سوريا المجال لعبور المتطوّعين الإيرانيين عن طريق أراضيها إلى لبنان، الأمر الذي يمكنهم من مقاتله إسرائيل. فأصبحت دمشق محطّة استراحة القوّات الشيعيه الناهضه في لبنان. (١)

وقد دفعت العلاقات السوريّه مع إيران، المشروعيه الدينيه لحكّام سوريا إلى درجات عليا. ولكنهم استغلّوا ذلك بأسلوب غير مباشر وذكي جدّا. فحينما يزور علماء الدين الاثنا عشريه، أيّ الأنصار والتلامذه المقربين من [الإمام] الخميني رحمه الله دمشق، كانت مباحثاتهم ترتبط بالجانب السياسي فحسب. فمع وجود معلومات معتدّ بها حول العقائد والمبادئ أو المراسيم الدينيه العلويه لدى هؤلاء، إلّا أنّهم لم يبدووا أيّ تصريح في هذا الخصوص، ويطلقون بدل ذلك الحديث عن التضامن السياسي ويطلبون من جميع المسلمين الاتّحاد وإلقاء الخلافات الدينيه جانبا لمواجهة المؤامرات الإمبرياليه. فهم يعلنون أنّ السوريين قدّموا تضحيات كثيره في حربهم مع هذه الشرور. فبحسب رأي علماء الدين الراديكاليين في إيران، أنّ هذا الالتزام الخاصّ هو الذي يمثّل جوهر الإسلام. ومن هنا، فهم لم يكلّفوا أنفسهم عناء البحث والاستفسار في هذا المجال. إذ إنّ مثل هذا العمل يؤدّي إلى إيجاد شرح بينهم وبين من يدعون شراكتهم في ذلك. (٢)

وقد أدركت إيران أنّها لن تستطيع مواصلة دعم الشيعه الناهضين في لبنان من دون التعاون السوري. وتدرّك سوريا أيضا أنّها ومن دون التعاون الإيراني لن تستطيع السيطرة على تلك الجماعه من شيعه لبنان التي تعتقد أنّها تخوض حربا مقدّسه ضدّ الغرب. فالشعور بالمصير المشترك وليس الإيمان المشترك هو الذي ربط بين هذين النظامين السياسيين. (٣)

فقد تطوّرت العلاقات الإيرانيه السوريّه بعد الثوره الإسلاميه في إيران بشكل جيد، حيث أظهر البلدان اهتماما خاصّا بتحسين العلاقات نظرا لمصالحهما المشتركه والموقع

ص: ٢١٨

١- (١). محمد علي امامي: سياست و حكومت در سوريه: ٣٤٥.

٢- (٢). تشيع، مقاومت و انقلاب: ٣٤٥.

٣- (٣). المصدر نفسه.

الذى يحتلّانه فى المنطقه والساحه الدوليه، فدعمت سوريا إيران فى المجتمع الدولى وبين بلدان المنطقه فى جميع الأحداث التى توالى بعد الثوره. فنمت العلاقات الاقتصاديه أيضا بين البلدين بعد الثوره أكثر من السابق وتطوّرت علاقاتهما فى مجال التجاره والنقل. (١)

وقد دخلت العلاقات بين إيران وسوريا مرحله جديده إثر بدء الحرب المرفوضه على إيران من قبل العراق، وتطوّرت تطوّرا عميقا. ونظرا لمجاوره سوريا للعراق والمشاكل العالقه بينهما منذ الماضى، فقد أثرت الحرب بين إيران والعراق تأثيرا مباشرا على ذلك. فلم يكن لانتصار الثوره الإسلاميه ومن ثمّ قطع العلاقه مع النظام الصهيونى وانضمام إيران إلى صفوف المقاتلين لإسرائيل ودعمها اللامحدود لحقوق الشعب الفلسطينى، وبدء الحرب مع العدو القديم لسوريا - أى العراق - من جهه أخرى، أن يكون عديم التأثير على علاقات الحكومه السوريه مع إيران.

فقد أصاب الحكومه السوريه الرعب فى بدء الحرب من الهجوم الواسع للعراق على إيران والانتصارات التى أحرزها عدوّها القديم فيها. ولهذا فقد امتنعت عن الإدانه العلنيه للحكومه العراقيه فى البدايه إذ إنّها كانت تتصوّر أن نوبه الهجوم ستصل إلى سوريا بعد الانتصار المقتدر للعراق على إيران. فاكثفت فى البدايه بإرسال كمّيات من الأسلحه والمعدّات إلى إيران فحسب وبشكل حذر، ولكنّها فى ذات الوقت ابتدأت بمساعدته الجماعات المعارضه لصدّام كالأكراد، الشيوعيين، الاشتراكيين و...؛ غير أنّها وبرؤيتها ازدياد مقاومه القوات الإيرانيه فى مقابل المعتدين العراقيين، غيرت من مواقفها باتجاه دعم الجمهوريه الإسلاميه ودعمت إيران وأدانت الحكومه العراقيه على بدئها الحرب والهجوم على إيران بشكل

ص: ٢١٩

١- (١). محمد على امامى: سياست و حكومت در سوريه: ٣٠ - ٣١ و ٢٥٤؛ روابط سياسى ايران و سوريه بعد از پيروى انقلاب: ١١٧.

صريح، واتهمت العراق باعتباره عميل للإمبريالية ببدئه الحرب لتأمين المصالح الأمريكية وحرف العرب عن مواجهه إسرائيل. (١)

ويتمثل الاختلاف بين النظام البعثي العراقي والسوري في أنّ النظام العراقي يعارض بشدّه الطائفه الشيعيه، غير أنّ الشيعه في سوريا يمثّلون أقلّيه صغيره ولم يشكّلوا خطوره في أيّ وقت على الحكومه السوريه، بينما يمثّل شيعه العراق أغلبيه السكّان. وفي النتيجة فإنّ صحوه المجتمع الشيعي وتحزّكه لم يكن في صالح العراق، حيث يُعدّ خطرا على الحكومه البعثيه فيه. ومن هنا، فإنّ الحكومه السوريه لم تشعر بالخطر من الجانب الإيراني بهذا اللحاظ، بل إنّها كانت مسروره جدّا لأجل الدعم الذي تقدّمه الثوره الإسلاميه للمقاتلين الفلسطينيين ومعارضتها ومعاداتها للاحتلال الإسرائيلي، فدعمت هذا التوضع الإيراني تجاه قضايا فلسطين ولبنان في مقابل البلدان العربيه الأخرى. (٢)

وقال حافظ أسد في دعمه لإيران والتوجّهات السياسيّه للثوره الإسلاميه وإدانتة ل- صدام حسين وذلك في تشرين الثاني ١٩٨٠:

إنّ أغلب البلدان العربيه تقيم علاقات جيّده مع إيران التي تعهدت بالوقوف إلى جانب العرب في مواجهه العدو الصهيوني. فمن العجيب أنّ تتعرّض مثل هذه الثوره لمثل هذا الهجوم. (٣)

فقد انحازت سوريا ومنذ البدايه إلى الجبهه المؤيّدّه لإيران والمعارضه ل- صدام حسين بنحو حالت ومنذ بدء الحرب دون تشكيل جبهه عربيه متّحده ضدّ إيران، وخالفت وجهه نظر بغداد في مسأله حرب العرب والعجم وسخرت من قادسيه صدام. الأمر

ص: ٢٢٠

١- (١). محمد علي امامي: سياست و حكومت در سوريه: ٢٣٨ - ٢٣٩ و ٢٤١؛ بررسی روابط سیاسی سوریه و عراق: ٢٥ و ٢٩.

٢- (٢). بررسی روابط سوریه و عراق: ١٧.

٣- (٣). المصدر نفسه: ٢٨.

الذي عرّض عقائد صدام حسين ودواعيه كذلك للبدء بالحرب مع إيران للتساؤل. (١)

وكان الدعم السوري لإيران قِيَمًا، إذ إنّ الكثير كانوا يعتقدون بأنّ حرب العراق وإيران التي وقعت بين بلد عربي وبلد غير عربي، تمثّل حربًا بين قوميتين وشعبيين، إلّا أنّ سوريا كانت تعطي لإيران في هذا الوسط زخمًا وغطاء عربيًا مهمًا وضروريًا. وربّما يمكن القول في سياق هذا الدعم، إنّ سوريا قد حصلت على النصيب الأوفى منه.

لقد أعقب الثورة الإسلاميّة وبدء الحرب بين العراق وإيران، وقوف البلدان العربيّة في المنطقه قاطبه إلى جانب العراق، فقد كانت في نيّه البلدان المحافظه والرجعيه في المنطقه بقياده العربيه السعوديه والأردن عقد مؤتمر عمّان لاستقطاب الدعم العربي للعراق في حربهِ ضدّ إيران وتعبئه هذه البلدان في هذا السياق وذلك في تشرين الثاني ١٩٨٠.

وقد وُجِه هذا الأمر بمعارضه سوريا وسائر بلدان جبهه الصمود (الجزائر، اليمن الجنوبي، ليبيا ومنظّمه التحرير الفلسطينيّه). إلّا أنّ سوريا لم تكن قويه بتلك الدرجه التي تحول دون عقد مثل هذا المؤتمر في العاصمه الأردنيه. على أيّ حال، فقد أدّت معارضه سوريا وسائر البلدان العربيّه التقدميه إلى أنّ يكون هذا المؤتمر حدثًا غير ذي بال وقليل الأهميه. (٢)

وعلى هذا، فإنّ سوريا كانت داعمه للجمهوريه الإسلاميّه الإيرانيّه منذ انطلاق الحرب، وأدانت العراق باعتباره بلدًا معتديًا. ممّا أدّى إلى ازدياد خلافات العراق مع سوريا. وزادت سوريا في المقابل من مساعداتها لمعارضى الحكومه العراقيّه. وفي عام ١٩٨٢ ودعما لإيران وتنفيذًا لطلبها، فقد قطعت إمدادات النفط العراقي من خلال أنبوب النفط الذي يمرّ عبر الأراضي السوريّه إلى البحر الأبيض المتوسط. (٣) فقد قدّم هذا

ص: ٢٢١

١- (١). المصدر نفسه.

٢- (٢). محمد علي امامي: سياست و حكومت در سوريه: ٢٤٠.

٣- (٣). كتاب سبز سوريه: ١٣٠ - ١٣٢؛ محمد علي امامي: سياست و حكومت در سوريه: ٢٤١ - ٢٤٣.

الإجراء فائده مباشره لإيران ووجه ضربه موجعه للاقتصاد العراقى الذى كان يعيش حاله حرب؛ وقامت إيران فى المقابل ولتعويض هذه المساعدة السورية وجبران الضرر الاقتصادى الذى تعرّضت له سوريا من خلال ذلك، بتأمين ما يعادل مقدار النفط الخام العراقى المحوّل إلى مصافى التكرير السورية ووضعه تحت تصرّفها بالمجان. (١)

واستمرّ الدعم السورى لإيران طيله الحرب حتّى كانون الثانى ١٩٨٧ حين دخلت القوّات الإيرانيه خلال عمليات كربلاء الخامسه بضعه كيلومترات فى مدينه البصره.

حيث وافق حافظ أسد جزاء الضغوط السياسيه والمساعدات الضخمه لعرب الخليج الفارسى الأثرياء على قرار مؤتمر عمّان الذى أدان إيران بنحو معتدل.

فكانت هذه المرّه الأولى منذ بدء الحرب بين العراق وإيران التى شاركت فيها سوريا فى إصدار قرار يدين إيران لاحتلالها أرضا عراقيه. إنّ سوريا التى خضعت لقرارات مؤتمر عمّان بسبب ارتباطها بالمساعدات التى تقدّمها لها البلدان العربيه الغنيه وهرعت لمواساه إيران إثر انقضاء المؤتمر المذكور، بعثت مرّه أخرى وزير خارجيتها لتوضيح الأمور. وعلى الرغم من الدعم الذى قدّمته سوريا لإيران طوال الحرب المفروضه، يمكننا ومن خلال مطالعه التقارير والصحف الدوليه فى تلك المرحله، استشفاف أنّ حافظ أسد كان قلقا أتمّ القلق من سقوط نظام البعث فى العراق، وذلك بلحاظ التوازن السياسى. إذ إنّ هذه المسأله ستؤدى إلى وجود عراق قوى بمحاذاه الحدود السوريه واقع تحت السيطره الإيرانيه. وتمثّل هذه المسأله كذلك ضربه لعزّه العرب ومن بينهم سوريا. ويأتى فى هذا الوسط المحلّلون الغربيون والعرب الذين لا- يودّون استمرار العلاقات الدافئه بين سوريا وإيران، للبدء بإعداد جدول للخلافات بين البلدين.

ص: ٢٢٢

ويُعدّ الاحتكاك بين دمشق وطهران في مجال عرض النفط، السياسة المتبّعة تجاه الجماعات الدينيه، الديون السوريه لإيران، مسأله سلوك الإيرانيين الذين يصلون سوريا للزياره ويحاولون تصدير الثوره الإسلاميه و... من بين نقاط هذا الجدول. وطالبت البلدان العربيه في هذا المجال بقطع المساعدات والدعم السوري لإيران. (١)

إثر انتهاء الحرب ولأجل خشيه سوريا من الهجوم العراقي، وكذا لأجل المصالح والآراء المشتركه نسبيا بين البلدين والمتعلقه بقضيه لبنان وفلسطين، فقد حافظت سوريا على علاقاتها الحسنه مع الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه. (٢) وبالطبع فإنّ الحضور السوري في مؤتمر سلام الشرق الأوسط لم يكن مرضيا لإيران، وقد قامت ببعث وفد إلى سوريا لاستيضاح هذه المسأله، ومع هذا، فإنّ العلاقات بين البلدين قد طوت مسيرتها الطبيعيه في سياق المصالح الإستراتيجيه للطرفين. (٣)

الجماعات والحركات

يمكن الإشاره إلى عوده حركه الإخوان المسلمين خلال أعوام ١٩٨٠ و ١٩٨٢ إلى تحركها باعتباره أفضل عينه لتأثير الثوره الإسلاميه الإيرانيه، والتي وسّعت من نطاق مواجهاتها وأنشطتها وبدأت معركه مسلّحه واسعه النطاق ضدّ البعث السوري بعد عقد من الركود، وذلك بتأثير من الثوره الإسلاميه. (٤)

فقد بادرت الحركه الإسلاميه لإحداث ثوره إسلاميه في سوريا تبعا لأسلوب الثوره الإيرانيه، وما ينبغى الإشاره إليه هنا، هو أنّ الخلافات بين الحكومه السوريه وحركه الإخوان المسلمين كانت قد بدأت في هذا البلد منذ مجيء حزب البعث إلى

ص: ٢٢٣

١- (١) . المصدر نفسه: ٢٤٥ - ٢٤٧.

٢- (٢) . المصدر نفسه: ٢٤٩.

٣- (٣) . اطلاعات: ١٣٧٠/٥/١٧.

٤- (٤) . رضا نادمي: روابط سياسي ايران و سوريه از بيروزي انقلاب اسلامي تا امروز، (پايان نامه): ٨٤.

السلطه، إلّا أنّ هذه المواجهات والخلافات دخلت مرحله أكثر حدائه وجدّيه بسبب الثورة الإسلاميه الإيرانيه، واتّجّعت صوب المواجهه العسكريه ضدّ الحكومه السوریه والتي تهدف إلى إسقاطها وتأسيس حكومه إسلاميه في هذا البلد. وأبدت الحكومه السوریه في المقابل ردّ فعل قوى ضدّ المعارضين وأقدمت على مواجهه وقمع المعارضين وحرکه الإخوان المسلمين بشدّه.

فالمناضلون السوريون الذين يعتقدون بأنهم محقّين في نضالهم وأنّه يصبّ في سياق تحقيق ثوره إسلاميه في سوريا، كانوا يأملون من جهه، المساعده والتعاون والتعاطف من قبل قاده الثورة الإسلاميه الإيرانيه، وكانوا يتوقّعون أنّ الثورة الإسلاميه ستدين الحكومه السوریه جزّاء قمعها المناضلين، ودعم وحمايه الحركات الإسلاميه السوریه، وكان زعماء وأعضاء حرکه الإخوان المسلمين يستفسرون دوماً خلال اللقاءات التي أجروها مع المسؤولين الإيرانيين وقاده الثورة عن موقف إيران من النظام السورى.

(١)

وإثر الإباده المرعبه التي حدثت عقب التمرد الشعبى والطّاعبى الواسع في مدينتى حماه وحلب في شباط عام ١٩٨٢، والذي استمرّت الاشتباكات فيه على مدى ثلاثه أسابيع، قام الجيش بقمع قوّات الإخوان المسلمين بشدّه، ووفق مصادر غير رسميه فإنّه قد قتل زهاء ٢٥٠٠٠ مدنى في هذه المواجهات التي تضمّنت قصفاً جويّاً لمدينه حماه. (٢)

وكانت القوى الإخوانيه تأمل تعاطف الثورة الإسلاميه معها وقطع الحكومه الإيرانيه علاقاتها مع الحكومه البعثيه السوریه إثر تصرّف الحكومه السوریه هذا، وقد بذلت مساعٍ محمومه في هذا السياق. فقامت منذ البدايه بنشر وإفشاء بعض المطالب تحت عنوان تحذيلات داخلية لحزب البعث حول الأهداف السوریه من علاقتها

ص: ٢٢٤

١- (١) . المصدر نفسه.

٢- (٢) . حماه: مأساه العصر: ١٩٨٣.

بإيران، وتطوّر الأمر إلى سفر بعض شخصيات الإخوان المسلمين إلى إيران لإقامه علاقته وكسب دعم الثورة الإسلامية. (١)

وقد استلهم الشعب والحركات السوريه أكبر البواعث من ثوره إيران من بين سائر البلدان العربيه والإسلاميه فى المنطقه من بعد الحركات الإسلاميه فى لبنان والعراق لإقامه حكومه إسلاميه فى سوريا. وقد تمّ تأكيد قاده وأعضاء الإخوان المسلمين السوريين على هذه المسأله عدّه مرّات أى تأثر الحركات الإسلاميه السوريه بالثوره الإسلاميه الإيرانيه، وقد أعلنوا مرارا متعدّده فى السنوات الأولى للثوره الإسلاميه دعمهم لها. ولقد قام الأستاذ عصام العطار أحد القاده البارزين والتاريخيين لحركه الإخوان المسلمين السوريه والذى اشتهر بإخلاصه وتفانيه الثورى وسابقته الجهاديه، حيث لم يساوم أى حاكم ولم يقترب من بلاط أى أمير طيله حياته، بتأليف كتاب جامع تطرّق فيه إلى تاريخ، أبعاد وجذور الثوره الإسلاميه بالاستدلال والتحليل. وهو الذى طالما وقف إلى جانب الثوره الإسلاميه الإيرانيه وبارك وهنأ بانتصارها بإرساله برقيات متعدّده للإمام الخمينى رحمه الله وأعلن فى ذلك دعمه لها. (٢)

وقد تمّ توزيع خطابات الأستاذ عصام العطار فى خصوص دعم وتأييد الثوره الإسلاميه الإيرانيه من خلال الأشرطة الصوتيه وعلى مستوى واسع بين الشباب المسلم كذلك. وكان لمجلّه «الرائد» التى يصدرها من ألمانيا دورا حيويا فى بيان آراء ومواقف الثوره الإسلاميه وتوضيح أهدافها. (٣)

وقد طبعت نشره «النذير» الناطقه باسم الجبهه الإسلاميه السوريه بيانا فى تموز ١٩٨٠ جاء فى مادّته الأولى:

ص: ٢٢٥

١- (١). عباس خامه يار: تأثير انقلاب اسلامى ايران بر جنبش اخوان المسلمين، (پايان نامه): ٢٨٠.

٢- (٢). المصدر نفسه: ٢٦٩.

٣- (٣). المصدر نفسه.

الثورة الإسلامية الإيرانية هي ثورة جميع الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي، وإن توزعت هذه الحركات على مذاهب فكرية مختلفة.

وجاء في مادته الثانية:

إنّ أيّ لجوء إلى القوّه ضدّ الثورة الإسلامية الإيرانية وأيّ خيانه لها من جهه أخرى، سيوجّه ضربه لجميع الحركات الإسلامية في كافّه أرجاء العالم في المستقبل. وقد دعم هذا البيان مطالب الجمهوريه الإسلامية الإيرانية في مقابل أمريكا والغرب خلال حادثه رهائن السفاره الأمريكيه في طهران، وطالب أمريكا بإيقاف حملاتها ضدّ الجمهوريه الإسلامية. (١)

وقد أكّدت الجبهه الإسلامية السوريه أيضاً، أنّه لم تحدث طيله ألف عام من تاريخ الإسلام الماضي حادثه نظير الثورة الإسلامية الإيرانية بقياده الإمام الخميني رحمه الله أوجدت مثل هذه الوحده بين المسلمين. وكانت هذه الجبهه أوّل حركه إسلاميه تستعمل مصطلح «الثورة الإسلامية» وأشارت في نشراتها إلى الثورة الإسلامية السوريه. واعتبر بيان الثورة الإسلامية في سوريا كذلك، أنّ الجمهوريه الإسلامية في إيران هي الحكومه الإسلامية الوحيدة الموجوده في العالم. (٢)

ويقول الأستاذ عصام العطار في إطار تأييده للثورة الإسلامية:

فلو كان هذا الأمر يختصّ بإيران فإنّه يتوقّع قبولها بحلّ وسط، غير أنّه يرتبط بالإسلام وجميع المسلمين في العالم. فالإسلام اليوم أمانه في أعناق الحكومه الإسلامية الوحيدة في العالم والتي اختارت حكومه الله على حكومه الطواغيت والاستعمار والصهيونيه العالميه من خلال تضحياتها بدماء أبنائها. وقد أشار هذا البيان

ص: ٢٢٤

١- (١). النذير: العدد ١٨، ص ٢٥ - ٢٦.

٢- (٢). عبد الوهاب فراتي: انقلاب اسلامي و بازتاب آن: ٨٠.

إلى آراء الثورة الإسلامية في خصوص مَنْ يسعى لإضعاف الثورة وهم مَنْ لا يتجاوزون عن أربعه أطياف:

أولاً؛ المسلمون الذين لم يستطيعوا إدراك عصر الإسلام والنهضة الإسلامية الماحقة، ولا زالوا إلى اليوم يعيشون مرحلة الاستسلام والذهنية المستسلمة. ثانياً؛ الخونة الذين يتوسّطون لصالح أعداء الإسلام وفي ما يضرّ المسلمين ويتابعون هدايتهم من خلال اللجوء إلى أساليب مختلفة. ثالثاً؛ فاقدو البصيره من المسلمين الذين لا يمتلكون أيّ إرادته وعقيده والذين يقوم الآخرون بتحريكهم. رابعاً؛ مَنْ له مصالح ربّما، فيقوم بالمزايدة بين هذا وذاك. (1)

وفي مقابل كلّ هذا الهيجان والشعور، لم يقدّم زعماء الثورة الإسلامية الإيرانيه ما يكفي من الدعم للمتمرّدين السوريين وحركه الإخوان المسلمين السوريه، وفَضّلوا الاستمرار في علاقاتهم مع الحكومه السوريه. ويمكن دراسته عدم الدعم هذا من عدّه زوايا وآراء:

إنّ المسأله المهمّيه هي أنّ السلامه الفكرية لحركه الإخوان المسلمين السوريه تحوم حولها الشكوك من قبل قاده الثورة الإسلامية، إذ إنّ قاده الإخوان المسلمين كانوا يؤيّدون في البدايه نوعاً من الراديكاليه الإسلامية، وكانوا يعتقدون بالاشتراكية الإسلامية في مواقفهم الاقتصادية. وقد طُرحت هذه الآراء الاشتراكية - الإسلامية في الكتاب الشهير للسباعي أوّل زعيم للإخوان المسلمين في سوريا، تحت عنوان الاشتراكية الإسلامية، حيث قام بتحليلها ودراستها. (2)

وقد نظر جماعه إلى مسأله عدم اهتمام قاده الثورة الإسلامية بحركه الإخوان المسلمين

ص: ٢٢٧

١- (١). عباس خامه يار: تأثير انقلاب اسلامي بر جنبش اخوان المسلمين، (پايان نامه): ٢٧٠.

٢- (٢). رضا نادمي: روابط سياسي ايران و سوريه از پيروزي انقلاب اسلامي تا امروز، (پايان نامه): ٨٥؛ حميد عنایت: اسلام و سوسياليسم در مصر: ٢٩.

فى سوريا من زاوية المسأله المذهبىة والاختلافات المذهبىة بين المسلمين، ويعود سبب هذا الاعتقاد إلى أن الثورة الإيرانية هى ثورة شيعيه، فى حال أن حركة الإخوان المسلمين هى حركة سنّيه المذهب. وتتصوّر هذه المجموعه من المنظرين أن أساس ذلك يعود إلى الاختلاف بين الشيعة والسنة. (١) فبحسب رأى عمانوئيل سيوان أن الشيعة قد حدّدوا بشكل أكبر ميادينهم التى تختلف مع السنة. مع أن تشديد إيران على ولايه الفقيه قد أثار حفيظه السنة. ويرى أحد قادة الحركة الإسلاميه السوريه ما يأتى فى خصوص ولايه الفقيه:

مع أننا نقرّ رسمياً بنشاط (الإمام) الخمينى رحمه الله باعتباره نائباً للإمام والذى كان سبباً لنجاحات الثورة الإيرانية، لكننا نأسف كثيراً على أننا لا يمكننا القبول مطلقاً بأصل الإمامه الذى كان نتيجة لحوادث تاريخيه. نحن نؤكد أن انتخاب القائد هو من حقّ الناس، وأنّ القائد لا يستمدّ مشروعيته من مصدر أعلى وخارجى.

ويصرّح سيوان فى مجال تأثير الثورة الإيرانية على المتطرّفين السنة، بأنّ ثورة إيران لم تُثر أىّ تعاطف لدى الراديكاليين السنة. ولكنّها على المدى القصير كانت نموذجاً ومصدراً للإلهام. فكثير من المتطرّفين المصريين قد أعلنوا تعلّمهم من الثورة الإيرانية؛ أن الشرطه والجيش ليس بإمكانهما القضاء على ثورة الشعب. ولكن كانت قد أُثيرت الأسئلة حول الهيئه الدينيه - الثوريه لإيران إثر إقامه العلاقات بين إيران وسوريا مباشره. فهذه المسأله وبغضّ النظر عن أن تكون تحت تأثير السلوك السياسى الإيراني، فإنّها بحسب قول الدكتور عنایت :

تنبع من الاختلافات الجوهريه بين الشيعة والسنة، وامتزاج الأيدولوجيات بالقوميه الأصيله. (٢)

وحلّل آخرون هذه القضية من زاويه حاجه الثورة الإسلاميه إلى دعم الدوله السوريه لإيران

ص: ٢٢٨

١- (١). نرجس خاتون بر آهوئى: اصول گرایى اسلامى ايران و تاثيرات منطقه اى آن، (پایان نامه): ٢٢٠.

٢- (٢). المصدر نفسه: ٢٢١ - ٢٢٢.

باعتبارها بلد عربي من بين سائر البلدان العربيّة الأخرى، وأناطوا سبب ذلك بالحاجه المتبادله بين الدولتين نظرا للظروف الزمنيه الخاصّه. إذ إنّ مسأله الحرب العراقيه الإيرانيه والخلاف السوري العراقي قد قرب بحدّ ذاته بين البلدين إيران وسوريا. فحينما يتكلّم بعض قاده الحركات الإسلاميه السوريه حول هذه المسأله، فإنّ عصام العطار على سبيل المثال يعتبر أنّه بالإمكان إدراك السياسه الخارجيه الإيرانيه في قبال سوريا من خلال مشاكل إيران في الحرب؛ وانتقد القاده الآخرون الذين هتّوا لدعم العراق وإدانه إيران. (١)

واستمرّت سوريا كذلك في الحفاظ على علاقاتها المتقاربه مع الجمهوريه الإسلاميه إثر وفاه حافظ أسد وتولّى نجله بشار السلطه. فهذا البلد في الحقيقه مازال يلعب دورا مهمّا باعتباره الجسر الارتباطي لإيران في تلك المنطقه وعلى الخصوص لبنان، وبقي البلد العربي والإسلامي الوحيد الذي حافظ على علاقات حسنه مع إيران طيله مرحله الخمس والعشرين سنه بعد انتصار الثوره الإسلاميه.

الأردن

اشاره

تحاذي الأردن بمساحتها البالغه ٨٨،٩٣٠ كيلومتر مربع سوريا، من الشمال والعراق من الشمال الشرقي والسعوديه من الشرق والجنوب. ويبلغ عدد سكّانها حاليا ٥،٦١٢،٠٠٠ نسمة. وكان قد استُبدل اسمها في ٢٥ تموز ١٩٤٦ إلى مملكه الأردن، بعد أن كان إماره شرق الأردن، وقد أُعد وأقرّ دستورها في شباط ١٩٤٧.

تاريخ العلاقات الإيرانيه الأردنيه

يعود بدء العلاقات الرسميه بين إيران وهذه البلاد إلى أيام سلاطين الدوله العثمانيه. فقد كان لدى إيران قنصلا يمثّلها في الشام في ذلك العهد، وإثر سيطره بريطانيا على

ص: ٢٢٩

١- (١). هراير دكمجيان: جنبش های اسلامی معاصر در جهان عرب: ١٨٧ - ١٨٨.

الأردن وفلسطين فقد استحدثت إيران قنصلية لها في القدس، حيث تحوّلت في ما بعد إلى سفاره. وبعد استقلال شرق الأردن قامت الحكومه الإيرانيه بالاعتراف بهذا البلد رسميا. وقام الملك عبدالله الملك الأردني في ذلك العهد بزياره إلى إيران عام ١٩٣٩ حيث عقد ميثاق الصداقه بين الطرفين. وفي أواخر عام ١٩٣٩ افتتحت السفاره الإيرانيه في العاصمه الأردنيه عمّان على مستوى وزير مّفوّض، وإثر زياره الشاه المخلوع إلى الأردن عام ١٩٤٩ وقّع اتفاق ثقافيا بين البلدين. وارتقى مستوى العلاقات الدبلوماسية بينهما إلى مستوى سفاره كبرى. (١)

وقد استمرّت العلاقات المتقاربه والحميمه جدّا بين بلاطى الدولتين حتّى انتصار الثورة الإسلاميه في إيران. وقد تبلورت العلاقات السياسيه في هذه الفتره في الأساس في العلاقات بين البلاطين الملكيين حيث يحدّدها رئيسى النظامين خلال اللقاءات الخاصّه بينهما.

وكانت هذه العلاقات الحسنه بين البلدين تصبّ في صالح الغرب، فيما أنّ علاقات زعيمى البلدين كانت قريبه جدّا من الغرب وعلى الخصوص أمريكا وبريطانيا فقد كانت العلاقات بين البلدين حميمه جدّا تبعا لذلك. وتنفيذا لهذه السياسه الحميمه، فقد قام الهلال الأحمر الإيراني إثر حرب العرب وإسرائيل عام ١٩٦٧ بإنشاء مخيم باسم الطالبية يتكوّن من ٢٠٠ وحده سكنيه، حمّام، مدرسه، ومستشفى في ناحيه زيزيا لإسكان النازحين الفلسطينيين، وتولّت هيئه إيرانيه إداره المستشفى في ذلك المخيم حتّى عام ١٩٧١. ويمكن الإشاره أيضا إلى الاتّفاقات الاقتصاديه والثقافيه والمعاهدات الخاصّه بالتعاون الجوى التي تمّ الاتّفاق عليها في عام ١٩٧٧ - ١٩٧٨ بين البلدين. فقد كانت العلاقات الاقتصاديه والثقافيه والاجتماعيه متناميه جدّا بين البلدين في موازاه العلاقات السياسيه.

ص: ٢٣٠

لقد اعترف الحكومة الأردنيّة بالجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة إثر قيامها بعد انتصار الثورة الإسلاميّة. فقد هنا الملك حسين في بيان له في شباط عام ١٩٧٩ مؤسس الجمهوريّة الإسلاميّة بانتصار الثورة الإسلاميّة. وقد زارت أوّل هيئته إيرانيّة بعد الثورة إلى الأردن في تموز عام ١٩٧٩ للمشاركة في مؤتمر الإسراء، وبموجب القرار الصادر في نهايه المؤتمر فقد تقرّر مثول هيئته تضم ثمانية أشخاص يرأسها كامل الشريف وزير الأوقاف الأردني والناطق الرسمي باسم المؤتمر أمام الإمام الخميني رحمه الله. وفي ٥ شباط عام ١٩٨٩ وصلت هيئته بعشره أشخاص يرافقها جمع من المفكرين وعلماء الإسلام الأردنيين طهران للمشاركة في احتفالات انتصار الثورة الإسلاميّة. ومع أنّ الحكومة الأردنيّة قد أعلنت في الظاهر سرورها بالثورة الإسلاميّة، غير أنّها كانت قلقه جدّا في الحقيقة من تصدير الثورة الإسلاميّة واحتمال اتّساع نشاط الإسلاميين. فقد اتّخذت الحكومة الأردنيّة ومنذ انطلاق الثورة الإسلاميّة نهجا عدوانيا تجاهها، ولكن بسبب الدعم الذي أبداه الشعب الأردني لهذه الثورة، اتّبع نهجا سلميا تجاهها في الظاهر. لقد ارتبط استمرار علاقات الجمهوريّة الإسلاميّة مع الأردن بعدم مشاركتها في مؤتمر كامب ديفيد ودعمها الظاهري لحقوق الشعب الفلسطيني في إطار التنسيق مع العالم العربي والإسلامي، ولكن بمجرد تغيير الأردن مسارها انخفض مستوى التمثيل الدبلوماسي الإيراني إلى مستوى قائم بالأعمال. (١)

وفي كانون الأوّل من عام ١٩٨٠ اتّهم حافظ أسد الأردن بالضلوع في دعم الحركات الأصولية للإخوان المسلمين لإسقاط النظام السوري. وقد تفاقمت الأزمة بين البلدين إلى حدّ التحشّد العسكري في الحدود المشتركة للطرفين، توتر العلاقات

ص: ٢٣١

إلى مستوى المواجهه المسلحه. وكان للعلاقات الحسنه للجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه مع سوريا، تؤثر العلاقات بين الأردن وسوريا وأتجاه الأردن صوب العراق، من العوامل التي أدت إلى قطع العلاقات بين البلدين عقب بدء الحرب المفروضه.

إنّ العوامل التي حدثت بالأردن إلى دعم العراق في عقد الثمانينات وطيله الحرب التي فرضها العراق على إيران، الدعم الذي كان مشهودا واستمرّ حتّى في أزمة الكويت، يمكن عرضها بالشكل التالي (1):

١. المساعدات الماليه العراقيه إلى الأردن، وكانت أغلب هذه المساعدات تأتي من الداعمين للعراق أمثال السعوديه والكويت والتي تُسدّد إليه عن طريق الأردن.

٢. التهديدات السوريه للأردن ودعم الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه لسوريا.

٣. حاجه العراق الشديده إلى ميناء العقبه التي من الممكن أن تعود بعائدات أساسيه على الأردن.

٤. كان الملك حسين ينوى أن يظهر بمثابه عربى في أحداث حرب العراق وإيران. ولا ينبغي نسيان أن العامل الحاسم للسياسه الخارجيه الأردنيه بحسب الظاهر هو القوميه والوحده العرييه ويأتى الإسلام في الدرجه الثانيه في الأهميه. فالملك حسين قد أعلن دعمه للعراق بإطلاقه شعار «نقف إلى جانب إخوتنا».

٥. كان الأردن يحاول استثمار العوائد الماديّه والمعنويه لهذه الحرب لصالحه. في حين أنه لم تُثمر سياسه الملك حسين أى ثمره سوى الخساره والأزمات الاقتصاديه والاجتماعيه لبلاده بانتهاه الحرب المفروضه وأزمه الخليج الفارسى.

وبعد مدّه وبسبب الدعم العلنى والكرم الذي قدّمه الأردن للعراق في حربيه ضدّ إيران ومعارضته العلنيه لإيران، قامت حكومه الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه بقطع

ص: ٢٣٢

علاقتها مع هذا البلد بصورة تامّة خلال مذكّره رفعتها في ١٩٨٠/٢/١.

لقد كان ردّ الحكومه الأردنيه على انتصار الثورة الإسلاميه في إيران غير مسرّ في الحقيقه نظرا إلى العلاقات الحسنه التي تربطه بشاه إيران، وللخوف من احتمال تأثير الثورة الإسلاميه في الأحداث السياسيه والدينيه في الأردن، وأن يكون مصيرها كمصير نظام الشاه. فمع أنّ الملك الأردني كان قد هنا مؤسس الجمهوريه الإسلاميه بانتصار الثورة، ولكنّه لم يكن يبداً مسرورا في الخفاء بهذا التطور الكبير في المنطقه، وقد أظهر عدم رضاه في مقابلاته وخطبه بين حين وآخر. فقد بين الملك حسين في تاريخ ١٩٨٠/٤/١٠ وخلال جلسه مجلس الوزراء موقف بلاده من أزمه العلاقات بين إيران والعراق كالتالي:

على العرب التعاون للاتحاد في ما بينهم، والحيلولة دون وصول الأخطار من أيّ مصدر كانت، فمسؤوليتنا هو أن يكون العالم الإسلامى مستقرًا ومتكاتفًا، نحن نريد لإيران أن تكون ظهيرا لنا وأن تكون مستقره وتتبع نهجا صحيحا. فالعراق بلد عربي وشقيق فلا ينبغي أن يكون معرضا لأيّ تهديد خارجي أو أن يتعرّض لضرر من أيّ مصدر كان. فنحن باعتبارنا عرب لا ينبغي لنا السماح بأيّ اعتداء من أيّ مصدر كان على أيّ جزء من الأراضي العربيه. (١)

وعقب مؤتمر الزعماء العرب في بغداد وتونس أخذت العلاقات بين العراق والأردن بالتقارب والتعمق يوما بعد آخر، وأعلن الملك حسين موقفه الصريح من دعم العراق ضدّ إيران، واستمرّ في دعمه هذا من خلال المساعدات السياسيه، الاقتصاديه والعسكريه الضخمه.

كانت منظومه النقل الوحيدة للعراق طيله حرب الثمان سنوات بين العراق وإيران تمرّ عبر الأردن. فتمّ في هذا الإطار إنشاء شبكه واسعه من الطرق بين البلدين ليقوم ميناء العقبه بنقل السلاح والمعدّات العسكريه الخفيفه والثقيله ووضعها تحت تصرّف

ص: ٢٣٣

١- (١). وزارت امور خارجه: گزارش های سفارت ایران در امان.

العراق. هذا إضافة إلى قيام الحكومة الأردنية بإرسال قوّاتها العسكريه إلى العراق حيث صرّح الملك حسين قائلاً:

إذا لزم الأمر فسنقوم بإرسال قوّات أكبر إلى العراق. (١)

وبعد انقطاع فى العلاقات دام عشره أعوام قرّرت الحكومة الأردنيه فى اجتماع المجلس الوزراء فى تاريخ ١٩٩٠/١/١٢ استئناف علاقاتها مع الجمهوريه الإسلاميه. فالحكومة الأردنيه التى كانت قد دعمت بغداد بقوّه فى أحداث الحرب المفروضه من قبل العراق على إيران، سعت فى آب عقب انتهاء هذه الحرب وإثر وساطه الأمم المتّحده لتحسين علاقاتها مع إيران. واستمرارا للعلاقات السابقه وإبراز رغبه المسؤولين فى الحكومة الأردنيه والجماعات الإسلاميه والشعبيه فى هذا البلد فى إعادة العلاقات الدبلوماسيه بين البلدين، اتّفق الطرفان على إعادة العلاقات بينهما بتوقيع سفيرهما فى نيويورك وثيقه لإقامه العلاقات السياسيه وافتتاح سفارتى البلدين فى ١٩٩٠/١/١٦. فقامت لجان من البلدين بتبادل الزيارات فى ما بينهما بعد إعادة هذه العلاقات. وكان من ضمنها زياره قائد الإخوان المسلمين فى الأردن إلى طهران وسفر نواب مجلس الشورى الإسلامى إلى الأردن ولقائهما المسؤولين السياسيين.

العلاقات الثقافيه والاجتماعيه

لقد أعلنت الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه استعدادها للتعاون فى إعادة بناء مقبره الصحابه وعلى الخصوص المسجد الأقصى ومسجد قبه الصخره. وتمّ الاتّفاق كذلك على أن يقدّم الأردن التسهيلات اللازمه لقوافل الحجيج الإيرانيين الذين يسافرون إلى السعوديه عن طريق الأردن.

ص: ٢٣٤

١- (١). مرتضى اسدى: جهان اسلام: ٥٩ / ١.

وتَمّ الاتفاق بين البلدين أيضا على دراسته إمكانيه افتتاح المكاتب الإعلاميه فى كلّ من البلدين والتمهيد لبحث إمكانيات البلدين فى مجال الإنتاج التلفزيونى المشترك.

الجدير بالذكر أنّ أغلب الاتفاقات قد تمّت فى النصف الثانى من عام ١٩٩١، وما زال الكثير منها لم يصل مرحله التنفيذ، حيث يعمل الطرفان على تحضير الآليات اللازمه لذلك. ولم يتمّ حتّى الآن تبادل السفراء إثر إعادته العلاقات مجدّدا بين البلدين، حيث تعمل سفارتى البلدين على مستوى قائم بالأعمال فقط. (١)

ونظرا للموقع الجغرافى للأردن الذى تحدّه بعض البلدان العربيه الإسلاميه وإسرائيل كذلك، ومع الوضع القائم فى الداخل الأردنى الذى ينشط فيه الإخوان المسلمون، وتنامى الوعى اليومى لدى مسلمى هذا البلد والنازحين الفلسطينيين القاطنين فيه، والذى يمكن أن يكون مهيبًا بشكل واسع لتصدير الثوره واتّساع ثقافتها حيث يمكن إقامة علاقه جيده مع الأُمّه الإسلاميه فى الأردن، فإنّ الحكومه الإيرانيه سعت للحفاظ على علاقتها الدبلوماسيه مع هذا البلد.

ويُعدّ الإخوان المسلمون أهمّ الحركات الإسلاميه العامله فى الأردن والذين تتطابق مواقفهم مع مواقف الثوره الإسلاميه فى المسائل السياسيه المختلفه، وهم يشغلون فى الوقت الحاضر ٣١ كرسيا من أصل ٨٠ كرسى فى مجلس النواب الأردنى. وقد أثنى البرلمان الأردنى على مواقف إيران من حرب الخليج الفارسى، ودعا جميع العرب والمسلمين إلى مواجهه هذا الهجوم الوحشى وتوجيه الضربات إلى القوّات المهاجمه ومصادرها فى أمريكا والبلدان المهاجمه الأخرى. (٢)

ويشغل الإخوان المسلمون ٦ وزارات فى وزاره الأردنيه، حيث أُقيل أو استقال ٤

ص: ٢٣٥

١- (١). لائحته المعاهدات الإيرانيه المعتبره مع سائر الدول.

٢- (٢). تقارير مكتب رعايه المصالح الإيرانيه فى عمّان.

وزراء منهم بضمنهم وزير الخارجيه عن مناصبهم اعتراضا على مؤتمر ما يسمّى بالسلام العربى الإسرائيلى.

وقد قال الملك حسين خلال هجوم عنيف شتّه على المسلمين الأصوليين:

إنّما قاطع الإخوان المسلمين الحكومه الأردنيه الجديده بزعامه المصرى خوفا من التورّط فى مباحثات السلام مع إسرائيل.

وعلى الرغم من طبيعه العملائيّه للملك حسين وخليفه الملك عبد الله ، فإنّ الوضع الداخلى للمسلمين، البرلمان والإخوان المسلمين يتطلّب إلى حدّ بعيد توسيع العلاقات بين البلدين. ثمّه إمكانيه لمساعدته النازحين الفلسطينيين المقيمين فى الأردن فى الدرجه الأولى، ومساعدته القوى الجماعات السياسيه الفلسطينيه الفعّاله فيه، والمجاميع الإسلاميه الأردنيه المناصره للثوره الإسلاميه - الإخوان المسلمين خصوصا - بواسطه ذلك. وبطبيعته الحال فإنّ العربيه السعوديه تقدّم فى الوقت الراهن مساعدات ماليه إلى حركة الإخوان المسلمين فى البلدان المختلفه ويضمّنها الأردن، وذلك لمواجهة نفوذ الثوره الإسلاميه والأصوليه. (1)

أسباب تقارب الأردن مع البلدان الكبرى فى المنطقه ومن بينها إيران

يتمثّل أحد أسباب تقارب الأردن مع دول المنطقه الكبرى ومن بينها إيران، بالخطر الأساسى لإسرائيل على الأردن. فهذا البلد يعتقد أنّ من بين طرق خفض الخطر الإسرائيلى تجاهه، هو التقارب وإيجاد علاقته معها. ومن الواضح للعيان للعلاقات السريّه ونصف السريّه لهذا النظام مع إسرائيل. وكانت أزمه الخليج الفارسى من أسباب عوده رغبه الأردن وإقباله على إقامة علاقات جديده مع إيران. فبعد اعتداء العراق على الكويت واحتلاله لهذا البلد بواسطه الجيش البعثى، تعرّض الأردن للعزله

ص: ٢٣٦

فى العالم العربى لأجل دعمه النسبى لهجوم العراق على الكويت، حيث تعرّض لضغوط كبيره إقتصاديه، سياسيه وغيرها، وأدى اعتداء العراق إلى تعرّض الأردن للتهديد من قبل النظام الإسرائيلى. ومن هنا، فقد قرّر النظام الأردنى ملء فراغ دعم دول المنطقه له من خلال تحسين العلاقات مع إيران التى هى من البلدان غير المعنيه بالأزمه وتملك نفوذا سياسيا وعسكريا فى المنطقه. أضف إلى ذلك أنّ إيران ترى إسرائيل عدوّا للمسلمين. الموضوع المفلت هو أنّه بمجرّد مواجهه العالم العربى للعراق وانهباء جيش هذا البلد وظهور الضعف على النظام العراقى وعوده أمير الكويت إلى بلده، بدأت الحكومه الأردنيه نشاطها لتحسين العلاقات مع الكويت، السعوديه وغيرها، وأبقت لأجل ذلك العلاقات مع إيران على المستوى الذى وصلت إليه خلال أزمه الخليج الفارسى، حيث كانت مسأله إبقاء العلاقات على مستوى قائم بالأعمال أمرا ملموسا جدا. (1)

لبنان

اشاره

لبنان بلد صغير حيث تبلغ مساحته ٢٣٠،١٠ كيلومتر مربع وعدد سكّانه ٤،٣٦٧،٠٠٠ نسمة. غير أنّه يُعدّ بلدا حسّاسا ومهمّا جدّا من الناحيه الإستراتيجيه. ويُعدّ البلد الأكثر نفوسا فى الشرق الأوسط قياسا إلى مساحته. وهو من الناحيه السكّانيه، يعتبر ذا نسيج غير متجانس، حيث يتألّف من طوائف و فرق كثيره ومتعدّده ومتنوّعه. وتنوّع سياسته أيضا تبعا لهذا التنوّع السكّانى. ويتشكّل لبنان من مجموعه من الأسر الواسعه، حيث يسعى كلّ عضو من أىّ منها إلى المصالح والقضايا التى يخبّدها.

ووفق إحصاء عام ١٩٣٢، فإنّ المسيحيين يشكّلون ما نسبته ٥١،٢٪ من عدد السكّان، والمسلمين ٤٨،٨٪ منه. وبالطبع فإنّ الدرروز قد احتسبوا من ضمن المسلمين

ص: ٢٣٧

١- (١). مقابله مع أحد الخبراء فى الشؤون الأردنيه فى وزاره الخارجيه.

فى هذا الإحصاء. ويشكل الشيعة ٢٠٪ من عدد المسلمين فيه.

وبحسب إحصاء عام ١٩٧٥، فإنّ التركيبة السكانية تضمّ ٤٠٪ مسيحيين و ٦٠٪ مسلمين. حيث شكّل الشيعة ٢٧٪ من المسلمين والسنة ٢٦٪ منهم والدروز ٧٪. (١) ومع أنّه ليس هناك إحصاءات دقيقة عن نفوس لبنان فى الوقت الحاضر، غير أنّه طبق الإحصاءات غير الرسمية فإنّه يبلغ عدد الشيعة أكثر من مليون شخص من عدد سكانه البالغ أكثر من ثلاثة ملايين، فهم يتمتّعون بالأغلبية النسبية فيه.

إنّ هذا البلد بتركيبته السكانية الخاصّة وموقعه الجغرافى، كان من أكثر الدول إثارة للأزمات فى العالم طيله العقدى الماضىين.

ونظرا للدور الأساسى والمكانة المميّزة التى يحتلّها هذا البلد فى التطوّرات السياسيه والعسكريه لمنطقه الشرق الأوسط، فهو يتمتّع بأهمّيه فائقة الخطوره فى عمليه التحرّكات والأحداث السياسيه لهذه المنطقه، وعلى الخصوص المسأله الفلسطينيه، إلى الحدّ الذى لا يمكن معه الوصول إلى حلّ كامل فى المنطقه من دون أخذه بنظر الاعتبار.

ونظرا لعدم ثبات الحكومه وجميع المؤسسات السياسيه، الاقتصاديه، العسكريه والأمنيه طوال المرحله السابقه وعلى الخصوص فى العقدى السابع والثامن، فقد كان للأحزاب والجماعات فى لبنان دورا بارزا وحاسما، إذ إنّها تؤثر حتّى على مصالح الدول والقوى الإقليميه والدوليه.

أمّا فى المرحله الجديده وبعد عقد اتّفاق الطائف (٢)، أى منذ عام ١٩٨٩ وما بعده،

ص: ٢٣٨

١- (١). همايون عزيزاده: كتاب سبز لبنان: ٧ - ٨.

٢- (٢). اتّفاق الطائف؛ اتّفاق المصالحه بين المجاميع اللبنانيه المختلفه، عُقد فى الطائف عام ١٩٨٩ بتدخّل من الجامعه العربيه وعقدتها لقاءات مشتركه بين تلك المجاميع، وقد اشتهر باتّفاق الطائف الذى تشكّلت الدوله اللبنانيه الحاليه بموجبه.

فإنه يمكن ملاحظته الانخفاض التدريجي والمستمر في دور الأحزاب، مع التزايد النسبي لقدره سوريا في الساحة الداخليه اللبنانيه، وبالطبع مع وجود استثناء مهم وحاسم. وما يعرض من الطروحات السياسيه في الساحة السياسيه اللبنانيه في الوقت الراهن يمثل إقرارا لمشروع التنظيم الجديد للأحزاب اللبنانيه.

حيث يُطرح في هذا المشروع الذى يقوم على أساس مميزات المرحله الجديده للبنان؛ لبنان غير الطائفي، لبنان غير الديني، لبنان المتّحد الذى يتمتّع بتكاتف وطنى. فتمه فكره تشكيل أحزاب غير دينيه وغير مذهبيه؛ أحزاب تضمّ كافة الطوائف والمذاهب.

(١)

تاريخ العلاقات الإيرانيه اللبنانيه قبل الثوره

إنّ المسأله التى تحظى بالأهميه هنا، هى بحث موضوع أنّ الثوره أو أىّ حركه أخرى مقتدره يكون لها تأثير على مجتمع وبلد بشكل أوسع من سائر المجتمعات والبلدان، تتأثر بدورها تأثيراً أكبر بذلك المجتمع؛ أى أنّ هذه المعادله تتضمن تفاعلاً متبادلاً. فلأجل دراسته علاقته شيعه إيران ولبنان وما يعقبها من تأثير الثوره الإيرانيه في لبنان، يلزمنا التعرّض لدراسه تاريخ هذه علاقته المتبادله - ولو بنحو الإيجاز -.

تعود العلاقات بين شيعه البلدين إلى سنوات بعيدة جداً، ومن الأفضل القول إنّ أكثر شيعه إيران يدينون في كونهم شيعه إلى شيعه وعلماء لبنان الشيعه، إذ إنّه وفي العهود السابقه وبعد مدّه من سيطره الحكام السنّه على إيران، كان الشيعه يمثلون أقلّيه تعيش تحت وطأه الأغلبيه السنّيه. الزمن الوحيد الذى تحسّنت فيه أوضاع الشيعه قليلاً هو زمن المغول الذين سيطروا على إيران واعتنقوا خلاله مذهب التشيع، (٢) ومع وصول

ص: ٢٣٩

١- (١). مستلّ من آراء السفير الإيراني الأسبق في لبنان السيد على زاده.

٢- (٢). انظر: مهدي فراهاني منفرد: مهاجرت علمای شيعه از جبل عامل به ايران در عصر صفوى: ٢٦ - ٣٢؛ لقاء مع السفير الإيراني الأسبق في لبنان السيد على زاده.

الصفويين إلى السلطه في إيران تغيّرت فيه أوضاع الشيعة بشكل كامل. ومن جهة أخرى، فإنّ شيعة منطقته جبل عامل في لبنان وبسبب سيطره حكومه سنّيه متشدّده (عثمانيه) فقد كانوا يعيشون تحت ضغط شديد. ولأجل ذلك فقد هاجر مجموعه من علماء جبل عامل إلى إيران لدراسه أوضاعها وظروفها، وبعد الاتّفاق مع الدوله الصفويه، نحت هذه الهجره منحاً أوسع. وقامت الدوله الصفويه أيضاً بالترحيب بعلماء جبل عامل وذلك بسبب خلافها مع الدوله العثمانيه وكذلك لحاجتها إلى الاستحكام والانسجام الفكري العام في المجتمع الإيراني، حيث أدّت الحاجه المتبادله لدى الطرفين للتعاون في ما بينهما. فسمحت الدوله الصفويه لعلماء جبل عامل بممارسه التبليغ وترويج مذهب التشيع.

لقد لعب تبليغ العلماء الشيعة المهاجرين من جبل عامل إلى جانب حدّ السيف الذي شحذه ملوك الصفويه، دوراً بالغاً في ازدياد قوّه المجتمع الإيراني. فقد أضحى شيعة إيران مدينتين لعلماء شيعة جبل عامل، وبقيت هذه العلاقه والارتباط العميق بين إيران وجبل عامل قائمه على مدار التاريخ. (١)

لقد تعرض شيعة لبنان لضغوط كبيره في العقود الماضيه حيث تحوّلوا إلى أضعف طبقات المجتمع اللبناني، وقد تمّ إرسال الإمام موسى الصدر الذي ولد في مدينه قم بإيران، من قبل الحوزه العلميه إلى لبنان لأجل الاهتمام بشؤون الشيعة وأخذ بممارسه نشاطاته هناك. (٢)

ويمكن ملاحظه العلاقه الشديده بين المجتمع الشيعي في كلّ من إيران ولبنان

ص: ٢٤٠

- ١- (١). مهدي فراهاني منفرد: مهاجرت علمای شیعه از جبل عامل به ایران در عصر صفوی: ٩ - ١٢، ٣٢ - ٩٦؛ لقاء مع السفير الإيراني الأسبق في لبنان السيد علي زاده.
- ٢- (٢). علي حجتی: نگاهي به تاريخ جنگ های داخلی لبنان: ١٨؛ دکتر مسعود اسد الهی: از مقاومت تا پیروزی تاریخچه حزب الله لبنان: ٣١.

والتعاون والتضامن في ما بينهما في المرحلة المعاصره وبوجود الإمام موسى الصدر وباقي الإيرانيين المناضلين في صفوف شيعه لبنان. أي أنّ حاحه شيعه لبنان إلى تواجد عالم شيعي لمساعدتهم وإيجاد التلاحم والوحده بينهم؛ أيّ عكس المعادله التي كانت سائده في مرحله الصفويين.

إنّ لبنان لم يظهر حتّى الآن بصوره دوله وشعب، وعلى العكس من المجتمعات الأخرى التي يشكّل «الفرد» أصغر وحده اجتماعيه، فإنّ الطائفه هي التي تشكّل أصغر عنصر في لبنان. فإذا ما سُئل أيّ فرد في هذا البلد من أنت؟ فسيعطيك عنوان طائفته. فكلّ طائفه تعيش في منطقتها ولها أسلحتها للدفاع عن طائفتها وفي النهايه عن دينها الذي تدين به.

إذاً، ففي مثل هذا المجتمع المتفكك الذي دائما ما تدور فيه رحى حرب بين طوائفه المتعدّده، فإنّ المجموعه الضعيفه ستُسحق لا محال. ففي الوقت الذي تولّى الإمام موسى الصدر مهمته الحساسه والمصيريّه في لبنان من خلال حيطه المجتمع العلمائي في قم، كان شيعه لبنان يعيشون مثل هذه الحاله. (١) أيّ أنّهم كانوا أضعف طبقه في المجتمع إلى الدرجه التي ارتبط فيها شبابهم بالأحزاب اليساريه والشيعويه للخلاص من هذا الوضع المأساوي، حيث يمثّل الشباب الشيعه أكثر أعضاء الأحزاب اليساريه. (٢) إذ إنّ الشيعه لا يمتلكون أيّ عامل من العوامل التي تحتاجها السلطه في المجتمع اللبناني. فالعامل الأوّل للسلطه في لبنان يتمثّل في القدرات الذاتيه للطائفه، والثاني بالدعم الخارجي، وأنّ جميع الطوائف والقبائل في لبنان ترتبط ببلد خارجي بحسب نوع مذهبها.

وبتواجد الإمام موسى الصدر وجهوده في توحيد الشيعه على مرّ الأيام وتقويه

ص: ٢٤١

١- (١). مقابله مع السيد على زاده.

٢- (٢). گزارش از لبنان (رساله من الدكتور جمران إلى المهندس بازرگان): ١٠؛ دكتور مسعود اسد الهی: از مقاومت تا پیروزی تاریخچه حزب الله لبنان: ٣٣.

حركه استعاده الشيعة المحرومين لحقوقهم في هذا البلد، يكون قد حَقَّق العامل الأوَّل. فهو بتأسيسه المجلس الشيعي الأعلى الذي كان منفصلاً عن المجلس الإسلامي لأهل السنَّة، قد خطا الخطوه الأولى في قياده وتوحيد الشيعة في لبنان. فقد بذل مساعيه لسنوات طويله لتوحيد الشيعة واعتراف البرلمان اللبناني بالمجلس الشيعي الأعلى. وقد انتُخب رئيساً له وطُرح على أنه زعيم الطائفة الشيعيه في لبنان.

وقد اتَّبع الإمام موسى الصدر أسلوب جديد في قياده واستقطاب المجاميع الشيعيه المختلفه، وكان على تماس قريب على مدى هذه السنوات مع الحوزه العلميه والمجتمع الشيعي في إيران. وتولَّدت خلال هذه السنوات الحاجه إلى تنظيم سياسي للدفاع عن الشيعة المحرومين في جنوب لبنان بسبب المسأله الفلسطينيه وتواجد اللاجئين الفلسطينيين في تلك المناطق وما يعانوه من ألم وعذاب، فأسس في عام ١٩٧٢ تنظيمًا سياسيًا تحت اسم حركة «المحرومين» وأطلق ذراعها العسكري تحت عنوان أفواج المقاومه اللبنانيه (أمل). وهى المره الأولى في تاريخ لبنان تُثبت فيه الطائفة الشيعيه وجودها في إطار تنظيم سياسي مستقل غير مرتبط بالآخرين. ويمكن ملاحظه تواجد ودور علماء الدين الإيرانيين طيله هذه المراحل وتأثيرهم في ذلك، وملاحظه أنَّ الفرد الإيراني قد تحوَّل إلى أحبِّ الأشخاص في أوساط شيعة لبنان. (١)

ولأجل هذا فإنَّ أيَّ شيعي في لبنان يعتبر نفسه أنه جزء لا يتجزَّء من إيران. وعلى أساس هذا الارتباط العقائدي التاريخي والثقافي القديم بين شيعة لبنان وإيران، فقد استلهم شيعة لبنان توجهات عميقه من إيران بعد انتصار الثورة الإسلاميه، وأوجد ذلك ميداناً رحباً لإيران للعمل في أوساط شيعة لبنان. فشيعه لبنان وإثر عودتهم مجدداً إلى مرحله الحيره عقب حركتهم الاتحاديه، ومن ثمَّ فقد هم زعيمهم، ها هم قد وجدوا في

ص: ٢٤٢

١- (١). مقابله مع السيد على زاده، وللإطلاع أكثر انظر: دكتور مسعود اسد الهى: از مقاومت تا پیروزی تاریخچه حزب الله لبنان: ٣٤ - ٣٧؛ نگاهى به اوضاع لبنان: ٧ - ١٢؛ راينيوچ : جنگ برای لبنان: ٩٥.

الثوره الإسلاميه ضالتهم الجديده، وقد كان مدى تأثرهم الإيجابى بها إلى درجه أصبح فيها لبنان من أخصب الأراضى لتنامى واتساع الحركه الإسلاميه فى المنطقه. (١)

الجدير بالذكر أنّ العامل الثانى للسلطه أى الدعم الخارجى قد تمهد لشعه لبنان إثر انتصار الثوره الإسلاميه الإيرانيه، إذ إنّ جميع الطوائف كانت مدعومه من قبل إحدى البلدان الأجنبيه ولم يُستثن من ذلك سوى الشيعه فقط، ومع أنّهم كانوا يتلقون الدعم من جانب العلماء والشعب الإيراني، ولكن بما أنّ حكومه الشاه كانت منفصله عن الشعب، فلم يكن شيعه لبنان يتمتعون بدعم حكومى، الأمر الذى حصلوا عليه بعد انتصار الثوره. (٢)

دراسه تأثير الثوره على لبنان بعد انتصار الثوره الإسلاميه

وكما كان متوقّعا، فإنّ العلاقات بين إيران ولبنان تطوّرت تطوّرا واسعا، وكان لقاده وزعماء الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه علاقات قويه مع قاده الحركات الشيعيه فى لبنان. ولم تكن هذه المسأله بعيده عن التوقّعات بطبيعته الحال، إذ لم تكن هذه العلاقه وليده الثوره عام ١٩٧٩، وإنّما كانت علاقه عميقه ومتجدّره. وكما تقدّم ذكره، فإنّ زعيم ومنقذ شيعه لبنان كان قد وصل من إيران وبدعم من علماء الشيعه فيها؛ ومن جهه أخرى، فإنّ اهتمام قاده إيران بلبنان ودعمهم اللامتناهى لشيعه هذا البلد كان طبيعيا أيضا، إذ إنّ، أولا: إنّ شيعه إيران يدينون لشيعه وعلماء لبنان سابقا، وكانوا قد ترعرعوا فى أوساط المجموعات الشيعيه المناضله فى لبنان ودخلوا دورات عسكريه فيها. فهذه المسأله وبالترافق مع الدين والتاريخ الدينى المشترك قد أضافت علاقه عاطفيه وكذلك تأثيرا متبادلا بينهم وبين شيعه لبنان شاءوا أم أبوا. فكما أنّ أشخاصا

ص: ٢٤٣

١- (١). حميد قربانى تونكابنى: بررسى جاىگاه شيعيان در ساختار سياسى اجتماعى لبنان، (پايان نامه): ١١٤.

٢- (٢). مقابله مع السيد على زاده.

أمثال الشهيد جمران ، الشهيد محمّد منتظري ، المرحوم الحاج أحمد الخميني و... كانوا قد تلقوا تدريبات في لبنان؛ فإنّ قاده الحركات الشيعيه كانوا تلامذه للإمام موسى الصدر وتربطهم علاقه عاطفيه مع إيران.

ونظرا لما بيّناه آنفا، فلا شكّ في أنّ الثورة الإيرانيه بزعامه الإمام الخميني رحمه الله قد تركت أثرا عظيما على شيعه لبنان وبعثت فيهم الأمل بالمستقبل.

لقد استُخدم سقوط النظام البهلوي في إيران في شباط ١٩٧٩ بمثابة نموذج مهمّ ويّين على أنّ بإمكان حركه إسلاميه ناجحه ومنظّمه بشكل جيد ولديها بواعث محفّزه، إنجاز الكثير في مواجهتها للظلم واللاعداله. وعلى هذا الأساس لم تكن علاقات إيران ولبنان تقوم على دفاع إيران عن كامل التراب اللبناني في مقابل إسرائيل وإدانه احتلاله لجنوب لبنان فحسب، بل إنّ الجمهوريه الإسلاميه ترى نفسها ملزمه بالدفاع عن مسلمي هذا البلد، وعلى الخصوص الشيعه منهم الذين يُعدّون من أكثر الطبقات الاجتماعيه حرمانا، مع أنّهم يشكّلون الأغلبيه فيه.

فلطالما أدانت الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه الاعتداءات الصهيونيه وتواجد القوى الغربيه فيه خلال عقد الثمانينات الذي كان لبنان فيه ما زال غرضا للحروب الداخليه واعتداءات النظام الصهيوني، ولم تكن الحكومات الممسكه بزمام السلطه فيه مكتسبه للمشروعيه المطلوبه، وطالبت بإنشاء نظام في لبنان يضمن حقوق الأغلبيه الشيعيه في هذا البلد - المسلمين وعلى الخصوص الشيعه -. وعرضت الجمهوريه الإسلاميه في هذا السياق مساعدات واسعه للشعب اللبناني كان من ضمنها: إنشاء مستشفى، مستوصف، صيدليه، مركز صحّي، مراكز ثقافيه وتعليميه، أسواق تعاونيه، شبكات الماء وتغطيه حاجات أسر الشهداء والمستضعفين. إنّ هذه المواساه والمساعدات والدعم الذي قدّمته الجمهوريه الإسلاميه قد ترك أثرا عميقا في أوساط المسلمين اللبنانيين والشيعه على وجه التحديد. (١)

ص: ٢٤٤

١- (١). كتاب سبز لبنان: ١٤٢؛ عبد الوهاب فراتي: انقلاب اسلامي و بازتاب آن: ٤٥.

إنّ الجمهوريه الإسلاميه إلى جانب دعمها للمقاومه الإسلاميه فى الجنوب اللبناى، سعت فى إطار تعزيز علاقاتها مع الحكومه اللبنايه. ويمكن الإشاره فى هذا السياق إلى زياره المسؤولين السياسيين اللبنايين إلى إيران وزياره وزير الخارجيه الإيرانى إلى لبنان الذى استقبل من قبل الشعب والفعاليات الدينيه أيضا، وتأسيس لجنه مشتركه للتعاون الاقتصادى وافتتاح طريق جوى مباشر بين طهران وبيروت.

ومما لا شكّ فيه أنّ الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه باعتبارها أحد أقوى بلدان الشرق الأوسط، ومصدر إلهام للمسلمين اللبنايين، تتولى دورا مهماً جدّاً فى إقرار الهدوء والثبات السياسى فى لبنان. (١)

لقد ابتدأ تواجد الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه فى لبنان من خلال النشاطات العسكريه، السياسيه، الثقافيه وتأمين الإمكانات والحاجات الأوليه لمسلمى لبنان، ومن ذلك الحين وحتىّ اليوم طُرحت على الدوام على أنّها أحد العوامل المؤثره فى المسائل السياسيه والعسكريه والاجتماعيه فى لبنان. وبما أنّ الجمهوريه الإسلاميه ترى أنّ تصدير قيم الثوره الإسلاميه إلى البلدان الإسلاميه يمثّل مسؤوليتها الأساسيه، فكان هذا أحد الأهداف الأساسيه وطويله الأمد لسياستها الخارجيه فى لبنان.

حيث إنّ إنشاء حزب الله لبنان الذى هو فى الحقيقه وليد الثوره الإسلاميه الإيرانيه، يُعدّ أحد آثار التواجد المعنوى للجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه فى هذا البلد. ويشير أحد أعضاء حزب الله لبنان إلى:

أنّا مظهر الثوره الإسلاميه فى لبنان، إنّ الثوره الإسلاميه فى إيران ملهمتنا. والإمام الخمينى رحمه الله قائدنا الأكبر، فهو الملهم لزعمائنا. (٢)

ص: ٢٤٥

١- (١). للاطلاع أكثر انظر: رضا نادى: روابط سياسى ايران و سوريه از بيروزي انقلاب اسلامى تا امروز، (پايان نامه): ١٦٦؛ كتاب سبز لبنان: ١٤٢ - ١٤٣.

٢- (٢). رضا نادى: روابط سياسى ايران و سوريه از بيروزي انقلاب اسلامى تا امروز، (پايان نامه): ١٥٨.

ويقول السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله لبنان في هذا الإطار كذلك:

نحن جزء من الثورة الإسلامية، وهذا ما أعلنه بوضوح منذ عشره أعوام خلت. ومن هنا فالثورة الإسلامية الحق في مساعدتنا: إذ إن الإمام الخميني رحمه الله كان قد أعلن حينما كانت مواجهه للظلم، فنحن موجودون. (١)

إنّ القرب والاتّجاه الشديد لشيعة لبنان من الثورة الإسلامية يمثّل أحد العوامل المهمّة في قرب لبنان من الثورة الإيرانية، وهو ما أثر بشكل غريب على المجتمع الشيعي اللبناني إلى الدرجة التي لم يساهم في إزاله الضعف في الحركة الشيعية والناشئ من فقد الإمام القائد موسى الصدر فحسب، بل فإنّه من الناحية الكميّة أدّى إلى انسجام المجتمع الشيعي اللبناني وعامّة المستضعفين في هذا البلد أيّما انسجام والتحاقهم بحركات التحرّر ومضادّه صهيته لبنان، وساهم من الناحية الكيفيه في الكشف عن النوايا السيئه والأفكار الانحرافية التي تخلّلت الصّفّ الشيعي وعزلها وأوجدت تيارا فكريا إسلاميا خالصا. (٢)

دور الأحزاب والحركات في لبنان

وكما تمّت الإشارة إليه في ما مضى، فإنّ رؤيه ونظرة الحكومه اللبنانيه، هي رؤيه طائفية مذهبيه أو حزبيه، وأنّ ردود أفعالها تأتي تبعا لسلوك الأحزاب والمجاميع في هذا البلد.

ونظرا إلى أنّ الثورة الإسلامية الإيرانية كانت الأقرب إلى الحركات الإسلامية في لبنان، فإنّنا سنتعرض إلى دراسته علاقتها بإيران في بحثنا حول الحركات وتأثير الثورة الإسلامية.

ص: ٢٤٤

١- (١). المصدر نفسه: ١٥٨ - ١٥٩.

٢- (٢). حميد قرباني تونكابني: بررسى جاىگاه شيعيان در ساختار سياسى اجتماعى لبنان، (پايان نامه): ١١٢ - ١١٤.

لقد تأسست حركة أمل في لبنان على يد الإمام موسى الصدر وتحوّلت خلال برهه قصيره جدًا إلى حزب مهمّ وناشط. فقد طالب الإقطاعيين الكبار بإعطاء العمال أجور عادله. وانتزع كذلك القوّه من الفدائيين الفلسطينيين الذين كانوا حتّى ذلك اليوم يُمسكون بزمام القوّه المطلقة في المنطقه. ولأجل ذلك فقد حدثت بعض المواجهات بين منظمه التحرير الفلسطينيه والشيعه، وفي عام ١٩٧١ حينما ازداد الضغط السوري على الفلسطينيين تولّى حافظ أسد قياده سوريا. (١)

ويعتقد البعض أنّ المنبع الأساسي للآثار والعلامات الأولى للثوره الإسلاميه الإيرانيه يمكن العثور عليه في لبنان. حيث يشير هؤلاء إلى تواجد الدكتور مصطفى جمران في لبنان كنموذج على ذلك، حيث كان يتولّى مسؤوليه الإشراف على مركز تعليمي للشيعه في مدينه صيدا، وكان يقوم بمساعده الفدائيين والمناضلين الشيعه في لبنان وتولّى بعد الثوره منصب وزاره الدفاع.

وكان مصطفى جمران الذي كان تلقّى تعليمه الهندسي في الولايات المتّحده، يقوم بالإشراف على مؤسّسه فيه قام بإنشائها الإمام موسى الصدر وتُعرف بمؤسّسه «البرج الشمالي».

ولقد ساهمت ثلاثه أحداث وقعت بين شهري آذار ١٩٧٨ وكانون الأوّل ١٩٧٩ في تعزيز مسار التعبئه في لبنان وساعدت في تثبيت النفوذ السياسي للشيعه واستعادت أمل حياتها من جديد. فمع إلغاء اسم حركة المحرومين في آذار ١٩٧٨ قامت إسرائيل بأوّل هجماتها والتي حملت اسم «عمليات نهر الليطاني». وفي آب ١٩٧٨ اختفى الإمام موسى الصدر خلال زيارته لليبيا، وفي شباط ١٩٧٩ أسقطت الثوره الإسلاميه الشاه.

ص: ٢٤٧

فوقوع هذه الحوادث الثلاث أدت إلى استعاده أمل دورها من جديد ومكنتها من القيام بدور مهم في السياسة اللبنانية. (١)

إنّ الجمهوريه الإسلاميه وعلى الرغم من الجهود الكبيره التي بذلتها في المنطقه لأجل توحيد هذه القوى وتثبيت موقعها داخل حركه أمل، لم تستطع نيل النجاح اللازم في مواجهتها لبعض مشاكل قياده أمل والمواجهه مع إسرائيل. فإنّ عدم الرضا الإيراني من الاعتدال النسبي لحركه أمل من جهه، والدعم الأكبر الذي تقدّمه للتيارات الشيعيه المنافسه التي تأسست بتأثير مباشر من الثوره الإسلاميه الإيرانيه، قد أوجدت بعض الحساسيات بين إيران وحركه أمل.

فثمّه من قَبَل من شيعه لبنان السير خلف الجمهوريه الإسلاميه؛ ومنهم من فضّل العمل كمستقلّ؛ وثمّه من يعمل بشكل منحرف في حركه أمل. وأخيرا فقد تمّ إخراج بعض القوى من حركه أمل بتهمه الازدواجيه بين اتّباع القياده والولايه التي تقصدها إيران؛ والبعض باعتباره جاسوسا لإيران وحزب الله؛ وعدّه أخرى باعتبارهم معارضين لقياده أمل؛ ومجموعه أيضا بتهمه الارتباط بالمجاميع الفلسطينيه.

حتّى أنّ الشيخ محمد مهدي شمس الدين نائب المجلس الشيعي الأعلى الذي كان على خلاف مع نبيه بزّي قبل عام ١٩٨٢، قد دعا الكثير من أعضاء حركه أمل إلى الخروج منها. ووصل الأمر إلى معارضه واعتراض جمع من الطلبة اللبنانيين والأجانب عمليا لسياسه نبيه بزّي، واعتبروا حركه أمل غير إسلاميه، وأعلنوا أنّ حركه أمل لم تكن حركه إسلاميه في أيّ يوم من الأيام.

وقد واجه الشيخ إهمالا- إيرانيا بعد أن أصبحت الكثير من مواقفه مخالفه لخطّ الإمام وسياسه الجمهوريه الإسلاميه. فأحسّ بالحاجه إلى الاتّحاد مع حركه أمل للدفاع عن

ص: ٢٤٨

مواقفه في مواجهه المواقف الثوريه للجمهوريه الإسلاميه ووليدها في المنطقه أئى حزب الله. فألقى جانبا جميع خلافاته مع نبيه برى فتّمّت المصالحة بينهما. (١)

وكان الشرخ الذى حدث بين حركة أمل والثوره الإسلاميه قد مثّل فرصه لمجموعه من أنصار حركة أمل بزعامه السيد حسين الموسوى والذين كانوا قد طُردوا منها قبل مدّه لتشكيل مجموعته تحمل عنوان الأمل الإسلامى. فالأمل الإسلامى تتكون من الشيعة الذين يتبعون بقوّه توجّهات الثوره الإسلاميه وسياسه الجمهوريه الإسلاميه، وهم يرون أنفسهم أنهم سائرون على خطّ الإمام الخمينى رحمه الله سياسيا ودينيا. وبهذا بقيت أمل الإسلاميه بصوره تنظيم سياسى فى مقابل حركة (أمل) فحسب، ثمّ التحقت بعد مدّه من ذلك بمجموعه حزب الله التى تعتبر أهمّ جماعه شيعيه تناصر الثوره الإسلاميه. (٢)

حزب الله

بعد لقاء قياده أمل مع بشير الجميل وتأييدها لجبهه الإنقاذ الوطنيه، وعدم نجاح المؤمنين فى أمل فى الحيلولة دون مشاركته أمل فى هذه الجبهه، وتبلور نسيج وآليه قياده أمل مع الأفكار والهويه غير الإسلاميه التى تتناسب والسياسات الإقليميه والدوليه، تنحّى عدد من الكوادر والمسؤولين فى حركة أمل ممّن تأثروا بالثوره الإسلاميه وعارضوا المسار الذى بلور سياسه أمل فى تعاملها مع المسائل المحليه والإقليميه، وارتبط مصيرهم بالثوره وأُخرج بعضهم من الحركة.

فمن الناحيه العمليه ظهر قطبان متعارضان فى الطائفه الشيعيه، أحدهما يدعم السياسات الدوليه والإقليميه ويتحرّك فى إطار قوانين الدوله اللبنانيه للحصول على

ص: ٢٤٩

١- (١). حميد قربانى تونكابنى: بررسى جاىگاه شيعيان در ساختار سياسى اجتماعى لبنان، (پاىان نامه): ١٣٧.

٢- (٢). عبدالوهاب فراتى: انقلاب اسلامى و بازتاب آن: ٤٦ - ٤٧.

منزله أفضل للشيعة، وآخر يتبع الفكر الأصولي للإسلام والثورة الإسلامية ويواجه الاستكبار العالمي في جميع المجالات والأبعاد.

(١)

ظهور حزب الله في الساحة السياسية – العسكريه اللبنانيه

إثر هجوم إسرائيل على لبنان، دخلت هذا البلد مجموعه من قوات الحرس الثوري لمواجهة الاعتداءات الإسرائيلية وذلك بقرار من مجلس الدفاع الأعلى في الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه، وبدأت عملها الشامل منذ ٥ حزيران ١٩٨٢. إلّا أنه وبعد قرار الإمام وإطلاقه شعار طريق القدس يمرّ عبر كربلاء (٢)؛ تغيّرت مهمّة القوات المرسله من قبل الحرس الثوري وألغى قرار المشاركة المباشره، ولكن بسبب الحاجه الشديده للتدريب العسكري، فقد تولّى الحرس الإيراني تدريب القوى العسكريه اللبنانيه. (٣)

لقد تأسّس حزب الله في الساحة الجنوبيه والشرقيه من مدينه بيروت وبين أوساط الشعب المحروم خاصّه، وذلك إثر الهجوم الإسرائيلي على لبنان واحتلاله مناطق واسعه من أراضي هذا البلد، وتأثراً بالثوره الإسلاميه ومساعدته وعون الجمهوريه الإسلاميه للحفاظ على مكاسب الثوره وصيانته الإسلام في المنطقه وضمان حقوق المسلمين اللبنانيين ولمواجهه إسرائيل وعملائها في المنطقه، وذلك من قبل عدد من الشباب وعلماء الدين المناضلين والمخلصين اللبنانيين الذين كان أكثرهم أعضاء ومسؤولين قدماء في حركه أمل.

وقد تلقت القوّات الظمّاء للثوره الإسلاميه في هذه الحركه تدريباتها بالتعاون مع الحرس الثوري واستخدمت في طريق التعبئه والتنظيم العسكري ضدّ العدو الصهيوني،

ص: ٢٥٠

١- (١). حميد قرباني تونكابني: بررسى جاينگاه شيعه در ساختار سياسى اجتماعى لبنان، (پايان نامه): ١٣٢.

٢- (٢). المصدر نفسه: ١٣٢-١٣٣.

٣- (٣). دكتور مسعود اسد اللهى: از مقاومت تا پيروزي تاريخچه حزب الله لبنان: ٦٤ - ٦٥.

وقامت بتنفيذ عدّه عمليات ضدّ إسرائيل في جنوب لبنان، حيث طغى على أغلبها الجانب الاستشهادي والفدائي. واستطاعت بالاعتماد على هذا النجاح استقطاب قسم أساسي من شيعه لبنان الذين يأسوا من سياسات قياده (أمل) وتناقضاتها العمليه مع ميثاق الحركة الذي حدّده الإمام موسى الصدر، والتمتع بدعم باقي مسلمي لبنان باعتبارها تمثّل التيار الوحيد الذي يؤمن الأهداف الإسلاميه في لبنان.

المرحلة الثانيه من تطوّر حزب الله والتي استمرّت من عام ١٩٩٠ وحتى عام ١٩٩٦، كانت عباره عن مرحله لبننه المجتمع باعتبارها أداه لتوحيد وانسجام الواقع السياسي الاجتماعي للبلد.

وقد انتهت الحرب الداخليه في ظروف إقليميه جديده وذلك بالتزامن مع اتّفاق الطائف في عام ١٩٩٠. فقد كان هذا التاريخ يمثّل نهايه إستراتيجيه تصدير الثوره الإيرانيه ونهايه الحرب العراقيه الإيرانيه. وسهّلت حرب الخليج الفارسي عام ١٩٩١ وبدء محادثات السلام في مدريد التي شاركت فيها سوريا، الظروف لإيجاد فضاء سياسي مفتوح وإمكانيه انطلاق نشاط جماعات سياسيّه جديده في لبنان. فسمح هذا الظرف لحزب الله من خلال ممارسه عمليه المقاومه والقيام بعمليات عسكريه ناجحه، للبروز في الساحة واضطراد محبوبيته الشعبيه بمرور الأيام. (١)

وكما سبق وأنّ أشرنا، فإنّ حزب الله والحركة الشيعيه عامه لعبت دورا فعّالا في توحيد المجموعات الشيعيه. فقد قاتلت القوات المناضله لحزب الله بأرواحها وقلوبها لتحرير أراضيها من الاحتلال الصهيوني، وقد مثّلت مواجهات ومعارك قوّات حزب الله مع القوى الاحتلاليه وعلى الخصوص أمريكا وإسرائيل صفحه جديده في تاريخ المجتمع القومي - القبلي اللبناني ونضالاته. إذ كانت كلّ طائفه تدافع عن نفسها وأبناء

ص: ٢٥١

١- (١). مانيرو دووار: حزب الله مستقر مي شود: مجله ترجمان سياسي، سال ششم، العدد ١٥، ص ١١؛ حميد قربان تونكابني: بررسی جایگاه شیعیان در ساختار سیاسی اجتماعی لبنان، (پایان نامه): ١٢٨ - ١٢٩.

عقيدتها حتى ذلك التاريخ، ولم يكن ثمه مفهوم يحمل اسم النضال لأجل الوطن والبلاد في قاموسها. فلم يشهد لبنان طائفه ضحّت بنفسها للدفاع عن الطوائف الأخرى حتى ذلك الوقت.

ومع أنّ الشيعة يشكّلون الأغلبية في جنوب لبنان، غير أنّ هناك مناطق وقرى أيضا تختصّ بطوائف ومذاهب وأديان أخرى؛ بيد أنّ قوات حزب الله دافعت عن جميع الطوائف من دون الالتفات إلى التقاليد الطائفية الغابرة، وناضلت لتحرير وإنقاذ الأرض اللبنانية قاطبه. فساهمت هذه المسألة في اقتراب المجتمع الطائفي اللبناني من الوحدة خطوه أخرى. ومن جهة ثانية، فإنّ اكتساب المجتمع اللبناني دورا وهيبه في أوساط المجتمع الدولي يُعدّ من أهمّ آثار ذلك. الأمر الذي استطاع الشيعة وحزب الله على وجه التحديد من تحقيقه. وهو ما أدّى إلى أنّ يُنظر إليهم بمثابة منقذين للبنان.

حيث استطاعوا في نهايه المطاف من ضمان فرار القوّات المحتلّه من دون تقديم أيّ تنازلات، وذلك من خلال التضحية بأرواحهم واستغلال جميع طاقاتهم وقواهم ضدّ الاحتلال الإسرائيلي. (١)

ولا ينبغي لنا في هذا الإطار إغفال تأثير ودور إسرائيل في تنظيم العلاقة بين إيران ولبنان. فحينما غزت إسرائيل لبنان قامت إيران بإرسال قوّه إلى لبنان على الرغم من أنّها كانت تخوض غمار الحرب مع العراق.

وبعد الخطاب التاريخي للإمام رحمه الله استمرّ تدفق المساعدات الفكرية، المعنوية والمادّية وكذا تنظيم القوى المناضله اللبنانيه، وكانت حاجه القوى اللبنانيه إلى إيران، والدعم الذي قدّمته إيران في أوانه، ودور الشيعة الذين تدعمهم إيران والذين تمتدّ

ص: ٢٥٢

١- (١). فصلنامه مطالعات فلسطين: سال دوم، شماره سوم، بهار ١٣٨٠، ویژه مقاومت اسلامی: ٣٣ - ٤٩؛ الدكتور طلال العتريسي: مقاومه النظام الصهيوني، النموذج اللبناني؛ از مقاومت تا پیروزی: ١٤٦ - ١٧٧.

علاقتهم وتقاربهم مع شيعة إيران إلى زمن بعيد، على مستوى كبير من الأهميه في مواجهه المحتلين الإسرائيليين وقدرتهم على تحرير الأراضي المحتله. (١)

وكان الدعم الذى قدّمته الثورة الإسلاميه الإيرانيه قد تجاوز بكثير الحركات الإسلاميه الشيعيه فى لبنان. حيث قامت بدور واسع فى تأسيس حركه التوحيد الإسلامى بزعامه الشيخ سعيد شعبان وحتّى المنظّمات الثوريه الفلسطينيه.

وباختصار، فإذا لزم ذكر عينه بارزه لبلد وشعب وقع تحت تأثير وتدايعيات الثورة الإسلاميه، فليس ثمّه شكّ فى أنّه لبنان، وعلى الخصوص الشيعه فيه. فعلى الرغم من البعد الجغرافى فقد تركت الثورة الإسلاميه أكبر الأثر على المجتمع اللبنانى. فالذين عرفوا على أنّهم أضعف الطبقات الاجتماعيه وأكثرها حرمانا قبل انتصار الثورة الإسلاميه، قد أوجدوا تركيبه قويه أثّر صداها ليس على لبنان وحتّى فلسطين فحسب، بل طرّحوا فى ساحه العلاقات الدوليه أيضا على أنّهم لاعبين إقليميين أقوياء.

فقد استطاع حزب الله ومن دون أن يجلس على طاولة المفاوضات، من تحرير البلد من سيطره القوّات المتعدّده الجنسيات نظير أمريكا، فرنسا، بريطانيا، إيطاليا وعلى الخصوص إسرائيل. فهذا الحزب يؤدّى دوره اليوم باعتباره تنظيمًا عسكريًا - سياسيًا قويا فى ساحه التطوّرات الوطنيه، الإقليميه وحتّى الدوليه. وحزب الله الذى هو فى الحقيقه وليد الثورة الإسلاميه قد حمّل إسرائيل هزيمه نكراء لوحظت آثارها وتدايعياتها فى الأراضي المحتله مباشره وذلك بواسطه القوى الجهاديه الفلسطينيه.

فلسطين

اشاره

لطالما كانت فلسطين بمثابه أحد أعقد مسائل العالم الإسلامى والشرق الأوسط العربى وأكثرها دراماتيكيه على مدى التاريخ. حيث بدأ هذا التعقيد والحساسيه إثر التطوّرات

ص: ٢٥٣

١- (١). عباس خامه يار: تأثير انقلاب اسلامى بر جنبش اخوان المسلمين، (پايان نامه): ١٦٩.

السياسيه، العسكريه، الاقتصاديه، الاجتماعيه والثقافيه المؤسفه طيله العهود الماضيه وعلى الخصوص فى النصف الثانى من القرن الأخير. فقد وصلت إلى السلطه خلال هذه القرون المتماديه حكومات ونُظم سياسيه وفكرية من خلال استغلالها لاسم الأرض الفلسطينيه، وكم من الأنظمه قد أُسقطت ووضعت ملفاتها فى أرشيف التاريخ تحت هذا الاسم. وقد أريقت باسم فلسطين دماء مئات الآلاف من أبناء الأُمّه الإسلاميه فى المنطقه، وسجن أو قتل بأبشع أنواع التعذيب خيره أبناء هذه الأرض فى أقسى سجون ومطامير الاحتلال الإسرائيلي. ومع كل هذا، فقد النظام الصهيونى قام مرّه أخرى باحتلال أجزاء من هذه الأرض ووسّع من الكيان غير الشرعى لـ «إسرائيل» بسبب عجز الحكّام العرب.

تاريخ وجغرافيا فلسطين

تبلغ مساحه فلسطين ٢٠،٣٣٠ كيلومتر مربع ويقدر عدد سكّانها بـ ٥٥٦،٦،٠٠٠ نسمة، ويحدّها من الغرب البحر الأبيض المتوسط، ومن الشمال لبنان، ومن الشرق نهر الأردن وسوريا، ومن الجنوب شبه جزيره سيناء. وبما أنّها من الناحيه الجغرافيه تشكّل القسم الجنوبي لسوريا، فقد يُطلق عليها أحيانا سوريا الجنوبيه. وتقع فلسطين فى قلب الأراضى العربيه والإسلاميه وهى تمثّل فى الحقيقه جسرا يصل البلدان الإسلاميه فى آسيا بالبلدان العربيه - الإسلاميه فى أفريقيا، وطريقا يربط الجزيره العربيه بالبحر الأبيض المتوسط. (١)

وكانوا يُطلقون على فلسطين فى الحقب الماضيه أرض كنعان، إذ كانت ومنذ فجر التاريخ وطنا للعرب الكنعانيين، الأمر الذى جعلهم يسمّون هذه الأرض بفلسطين. وتبرز أهميه فلسطين أكثر من خلال سابقتها التاريخيه - الدينيه التى ارتبط بها الأنبياء بنحو أو آخر.

ص: ٢٥٤

١- (١). أكرم زعيتير: ماضى فلسطين: ٦٧ - ٦٨.

حيث يقع قبر إبراهيم عليه السلام في مدينة الخليل، وتعدّ مدينة بيت لحم مسقط رأس عيسى المسيح عليه السلام . وقد ولد إسحاق ويعقوب في هذه الأرض أيضا. وقد حمل يوسف حفيد يعقوب من هذه الأرض إلى مصر، ووصل إلى الحكم فيها. وبعد أن عبر موسى عليه السلام نهر النيل بعث مجموعته من قومه مع يوشع إلى فلسطين. وحكم في هذه الأرض داود عليه السلام على مدى أربعين عاما، وبنا ابنه سليمان عليه السلام الهيكل في مدينة أورشليم ودُفن بعد موته في جبل صهيون. وكان سليمان عليه السلام ملكا للعبرانيين أيضا وذلك طيله ٢٥ عاما، حيث كان مقرّه في فلسطين. وكانت مدينة القدس أوّل قبله للمسلمين حيث عرج منها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى السَّمَاءِ. ويقع قبر هاشم بن عبد مناف جدّ النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي غَزَاهُ. وكانت تمثّل إحدى أهمّ الحوافز بالنسبة للصليبيين الذين حاربوا قرنين للسيطره عليها، فيمثّل كلّ هذا، الأهمّيه التي تحظى بها هذه الأرض من الناحية الدينيه. وكان عدد سكّان فلسطين في عام ١٩١٧، ٧٠٠ ألف نسمة لا يتجاوز عدد اليهود منهم ٥٠ ألف شخص. وفي عام ١٩٤٧ وعقب تنفيذ السياسه الإمبرياليه لبريطانيا والصهيونيه شكّل اليهود ٥٦٠ ألف شخص من عدد سكّانها البالغ ١,٨٠٠,٠٠٠ نسمة أي أقلّ من الثلث. (١)

وكانت فلسطين جزءا من الإمبراطوريه العثمانيه قبل الحرب العالميه الأولى وهزيمه وانهيار الدوله العثمانيه، وخضعت منذ عام ١٩١٩ للانتداب البريطاني. ففي تلك المرحله قامت بريطانيا بالتمهيد لهجره اليهود إلى هذه الأرض وتسببت في التشرّد والتطهير العرقي للعرب المسلمين. الأمر الذي أحدث أزمه في هذه الأرض ما زالت مستمره حتّى اليوم.

حيث وعد اللورد بلفور وزير الخارجيه البريطاني في ذلك العهد في مذكره

ص: ٢٥٥

وجَّهها لروتشيلد أحد الصهاينة الأثرياء، وذلك في عام ١٩١٧ بإنشاء وطن لليهود في أرض فلسطين. وكانت هذه المذكّره أساس قيام النظام الصهيوني الإسرائيلي، فبدأ منذ ذلك الحين تاريخ تدفّق المهاجرين اليهود واغتصاب أراضي المسلمين وتشريدهم. فتهيّأت في تلك المرحلة الأرضيه لتمرد وثوره الشعب الفلسطيني عامّه من خلال إيجاد ظروف الاغتيال والرعب من قبل الحكومه البريطانيه والصهاينه، والتي كان من أهمّها ثوره الشيخ عزّ الدين القسام في عام ١٩٣٦. وفي عام ١٩٤٩ سيطرت بريطانيا على القسم الأعظم من هذه الأرض، وتمّ تأسيس دوله إسرائيل وإعلان قيامها على الرغم من أنّ اليهود لم يشكّلوا سوى ثلث سكّان فلسطين في تلك الحقبه، وتمت مصادقه منظّمه الأمم المتّحده على قرار تقسيم فلسطين وتأسيس هذه الدوله التي أقامها الاستعمار. واعترف نظام الشاه في إيران بها أيضا في لائحتين أصدرهما.

فمنذ ذلك التاريخ دخلت الأزمه الفلسطينيّه مرحله جديده وأصبحت مسأله لا تخصّ العالم العربي فحسب بل الإسلامي أيضا، ولم تظَلْ مسأله فلسطينيه فحسب، بل خرجت من حالتها الوطنيه والإقليميه لتصبح أحد المعضلات الدوليه. فقد مرّت هذه الأرض بأربعه حروب إقليميه ودوليه في هذه المرحلة وكان للدول الأخرى دور في هذه الحروب أيضا. ويمكن الإشارة إلى حرب الدول العربيّه ضدّ إسرائيل عام ١٩٤٨، حرب فرنسا، بريطانيا، إسرائيل ضدّ مصر عام ١٩٥٦، حرب ١٩٦٧ المعروفه بحرب الأيام الستّه التي شنتّها إسرائيل على مصر، الأردن وسوريا، وحرب ١٩٧٣ التي شنتّها مصر على إسرائيل وعُرفت بحرب رمضان. وقد شكّلت الأراضي الفلسطينيّه والاختلاف حول هذه الأراضي محورا لجميع هذه الحروب.

وإلى جانب هذه الحروب الدوليه، تبلورت حركات التحرّر، الأيديولوجيات المختلفه والمتّفقه في ذات الوقت على هدف تحرير الأرض الفلسطينيّه من براثن

الصهيونية، على شكل عمليات فدائية وحرب عصابات. وإذا ما أغفلنا حركة الشيخ عز الدين القسام التي كان لها صفه إسلاميه، فإنّ جميع الحركات اتّسمت بالصفه العلمانيه والقوميه عموماً، ولم يتمّ استثمار المعتقدات الدينيه للناس بشكل مفيد، فواجهت غالبيتها الهزيمه والانكسار. وقد أوكل العرب هذه المشكله فى إحدى المراحل إلى الدول العرييه التي كانت ضعيفه ومرتبطة بالغرب عموماً، ونظر العرب إلى مسأله فلسطين فى مرحله القوميه العرييه التي وصلت ذروتها بقياده جمال عبد الناصر على أنّها جزء من مشاكل العالم العريي، ورأوا أنّ حلّها يرتبط بحلّ مسأله وحده العالم العريي، ونُظر إليها فى أحد الأوقات فى إطار القوميه الفلسطينيه واستعادته الأراضى الفلسطينيه.

يقول توفيق الطيّب فى كتابه ما بعد النكبتين:

إنّ هزيمه عام ١٩٤٨ تُعدّ فى الحقيقه هزيمه للأفكار الليبراليه العرييه، فى حال أنّ هزيمه عام ١٩٦٧ تسمّى هزيمه الفكر الاشتراكي والثورى العريي. وكانت الهزيمه العسكريه والهزيمه الفكرية يتأمّ ويلازم أحدهما الآخر، لذا فالتحليل النهائى هو أنّ أصل هزيمه العرب فى الحروب الماضيه كانت هزيمه الأفكار الليبراليه والاشتراكيه التي يحملونها. وبعبارة أدقّ هزيمه الأفكار والاتجاهات الفكرية العرييه الحديثه، فنحن قبل أن نفقد أراضينا ونقيم المآتم على ترابنا، جلسنا نبكى على أفكارنا وتوجهاتنا، وربّما كانت مصيبه فكرنا مقدّمه لمصيبه ترابنا. (١)

لقد أدّى انتصار الثوره الإسلاميه عام ١٩٧٩، إلى أنّ يكون للدين دور مهمّ وبارز فى تحقيق الأهداف وتأصيل البنى التحتيه للأنظمه السياسيه ومشروعيتها فى أوساط المجتمعات التي تسعى للخلاص من شرّ الأنظمه المهزومه وغير الكفوءه واستبدالها فى ذات الوقت بنظام كفوء ومستقر.

ص: ٢٥٧

١- (١). توفيق الطيّب: الحلّ الإسلامى ما بعد النكبتين، ١٩٧٩؛ توفيق الطيّب كاتب مسلم ألف كتابه هذا فى عام ١٩٦٨، وهو يُعدّ من أهمّ الكتب التي أُثرت حولها ضجّه بعد هزيمه العرب فى حرب حزيران ١٩٦٧، إذ إنّّه يحلّل أسباب وجذور هزيمه العرب بشكل موضوعي، (فتحى الشقاقى، الخمينى الحلّ الإسلامى البديل، القايره، مجلّه المختار الإسلامى).

إنّ الجماعات، الشخصيات وعلماء الدين وكثير من زعماء المسلمين في العصر الراهن ممّن لديهم توجّهات تقليديه، يرون أنّ إسرائيل باعتبارها «مشكله ثانويه» قد زُرعت في قلب العالم الإسلامي إثر انهيار الخلافة العثمانية. وتقوم فكره هذه المجموعه على أنّ المشكله الأساسيه للمجتمعات الإسلاميه تتمثل في افتقادها دوله دينيه مقتدره ترفع رايه الجهاد عالياً وتقاتل لطرده الغاصبين من الأراضي المحتلّه.

ويصرّح مؤيدو هذا النوع من الفكر لتبرير مواقفهم بأنّهم إنّما يتبعون أسلوب النبيّ صلّى الله عليه وآله؛ إذ إنّّه وبعد إتمام مرحله الإعداد والتربيه التي بلغت ثلاثه عشر عاماً هاجر من مكّه إلى المدينه وأسس فيها دوله إسلاميه؛ فأصدر للمسلمين حينذاك أمر القتال والجهاد، فأبى سعى لتحرير هذه الأرض يرتبط بظهور دوله إسلاميه قويه في المنطقه.

لقد عرض انتصار الثورة الإسلاميه في إيران بوضوح مرحله جديده من تركيبه الدين والسياسه واعتمادهما معا وعدم الفصل بينهما، وطرح مره أخرى «الإسلام السياسي» في ميدان النظريات المتعلّقه بالسياسه والحكومه. فقد استطاعت الثورة الإسلاميه من تصوير أنموذج سلس ومناسب لأنظمه السياسيه التي أصابها اليأس والإحباط النابع من فقد الهويه الدينيه.

فالثوره الإسلاميه إضافه إلى أنّها تمكّنت من عرض عيّنه مناسبه للحكومه الإسلاميه، فقد أدت إلى إحداث تغيير وتطوّر في أيديولوجيه الحركات النضاليه - على الخصوص في الأراضي الفلسطينيه - بنحو أذعن خلاله قاده هذه الحركات لمسأله أنّ الثوره الإسلاميه في إيران استطاعت إيجاد تطوّر كبير في أساليبهم النضاليه وبلوره حركات جديده يمهد لإقامه نظام حكومى يعتمد البنى الإسلاميه.

ينبغي للعلاقات بين إيران ومنظّمه التحرير أن تتحرّك في ضوء عدّه متغيّرات في عهد النظام البهلوي؛ ويتمثّل أحد هذه المتغيّرات بعلاقة المنظّمه مع القوى المعارضة للنظام البهلوي. المتغيّر الثاني يرتبط بتقارب الحكومة الإيرانيه مع النظام الإسرائيلي الذي أدّى إلى حدوث توتّر بين حركات التحرير الفلسطيني وحكومة الشاه. وعلى العموم فإنّ علاقات الحكومة الإيرانيه بقدر ما كانت متباينه ومتعارضه مع منظّمه التحرير الفلسطيني بقدر ما كانت متقاربه مع النظام الإسرائيلي.

على أيّ حال، فإنّ العداوه بين حكومة الشاه ومنظّمه التحرير والدعم المادّي والمعنوي الذي يقدمه الشعب والعلماء للحركات الفلسطينية المناضله، أحدث اختلافا بين الشعب وعلماء الدين من جهة وحكومة الشاه من جهة أخرى. حيث إنّ جرائم الصهيونية والمظلوميه المتزايدة للفلسطينيين دفعت العلماء والشعب إلى الرغبه أكثر في مساعده الفلسطينيين.

يقول ميشال سالومون المحلّل السياسي في مقاله له في صحيفه «ها آرتص» الإسرائيليه بتاريخ ١٣ تشرين الثاني ١٩٧١:

كانت المنظّمات الفلسطينيه تتمتع بدعم فعلى من إيران في عام ١٩٦٧ و١٩٦٨ سواء كان من عامه الناس أم من المحافل الحكوميه حتّى، وبعد حرب الأيام الستّه التي كانت فيها المنظّمات التخريبيه أكثر نشاطا، سعت لزوج إيران في الخلافات السياسيه والعسكريه....

وكان قاده الشيعه في العراق قد أوصوا شيعه العالم بمساعده المنظّمات الفلسطينيه بعنوان أداء فريضه دينيه. وأتهم آيه الله الخميني رحمه الله أحد الزعماء الدينيين المعارضين للحكومة والذي يعيش في منفاه في العراق حاليا، الحكومة بالتعاون مع الصهاينه المستعمرين ومعارضه المجاهدين العرب. (١)

ص: ٢٥٩

ويستمرّ الكلام حول علاقته ونفوذ المنظمات الفلسطينية في إيران ودعم الإمام رحمه الله وجميع الطبقات لها:

النجاح الأساسي لفتح في إيران يتمثل في استثمار التطرف الديني لطلبة الجامعات وطلبة العلوم الدينية في قم ومشهد الذين لازالوا متأثرين بآية الله الخميني. حيث يُطلق هؤلاء الطلبة أحيانا مظاهرات صاحبه للجهاد أئى الحرب المقدسه ضد اليهود. ولن تستطيع الشرطه الإيرانيه التدخل ما دامت هذه التظاهرات تُقام في داخل المساجد، غير أنّ أعضاء السفاك واثقون من أنّ هذه المظاهرات التي تظهر على أنّها ضد الصهيونية، هي بحقيقتها الفعلية ضد الشاه. (1)

الثوره الإسلاميه وتداعياتها في فلسطين

لقد تمثّلت إحدى الشعارات الأولى في حركة الإمام الخميني رحمه الله بقضيه الدفاع عن المظلومين والتي تأتي مسأله فلسطين ودعم الفلسطينيين لتصدّر هذا الهدف، إذ إنّ الثوره الإسلاميه الإيرانيه ثابتة على المعتقدات الإسلاميه للشعب، وتمثّل مسأله فلسطين جزءا من هذه المعتقدات. وكان الصهاينه على اطلاع كامل على هذه المسأله بنحو أنّ الجنرال مالبراينت الذي نصب في عام ١٩٦١ رئيسا لجهاز مخابرات الجيش الإسرائيلي بدلا من هرزوك ، أوصى بن غوريون و غولدا مائير عند عودته من زياره لإيران ولقائه مسؤوليها الكبار، بإقامه اتصال خارج نطاق الهيئه الحاكمه في إيران. وذكر أنّ إسرائيل ممقوته في أوساط الشعب الإيراني وينبغي التفكير في المستقبل والتعويل عليه. (2)

ومع وصول الحركة الشعبيه ذروتها، فقد شكّلت مسأله محاربه الصهيونية وإدانه علاقات الشاه مع إسرائيل أحد أوجه النضال الفلسطيني. فطالما قبح الثوريون علاقات الشاه والصهاينه ودعوا الشعب لمساعدته الفلسطينيين. فالمنظمات التي

ص: ٢٦٠

١- (١). المصدر نفسه: ٢٥٩.

٢- (٢). عبدالرضا هوشنگ مهدوى: تاريخ روابط خارجي ايران: ٢٩٢-٢٩٣.

اختارت طريق مواجهه النظام، استهدفت بهجماتها مكاتب الممثلات الإسرائيلييه وسائر المصادر التي تمولها إيران. (١) إذ مثلت مسأله محاربه الصهيونيه وإسرائيل العنصر المشترك لجميع المناضلين.

ومع أنّ النظام كان يوجّه خطابه إلى الشعوب المسلمه فى خطاباته المتعلقة بالقضيه الفلسطينيه ويدعوها لدعم ومسانده الشعب الفلسطينى فى إحقاق حقوقه؛ غير أنّه كان يدعم منظّمه التحرير الفلسطينيه أيضا ما دامت ثابتة فى طريق مواجهه إسرائيل. وسعى ياسر عرفات أيضا لتعميق علاقته بالثوريين، فقد بعث ياسر عرفات رئيس منظّمه التحرير رساله تسليه إلى الإمام إثر شهادته الحاج مصطفى الخمينى رحمه الله . وقد وجد أجاب الإمام بدوره على ذلك فى برقيه بعثها إليه. ومع العوده المظفره للإمام رحمه الله فى ٢ شباط ١٩٧٩ خرجت تقارير وكالات الأنباء لتكشف عن القلق الشديد للحكومه الإسرائيلييه من عودته التى من الممكن أنّ تهتدّد مفاوضات السلام فى كامب ديفيد.

وقام النظام الثورى فى إيران بقطع العلاقات مع إسرائيل بعد انتصار الثورة، وحوّل سفاره إسرائيل إلى سفاره لفلسطين. وأعلن المتحدّث الرسمى باسم النظام الصهيونى أيضا أنّ قطع العلاقات السياسيه والاقتصاديّه بين إيران وإسرائيل تسبّب فى أضرار جسيمه للاقتصاد الإسرائيلي. (٢)

وطالبت الحكومه الإيرانيه الجديده جميع الإسرائيليين بمغادره إيران فورا. وشمل هذا القرار الأعضاء والهيئات التى تمثّل إسرائيل، الوكاله اليهوديه وأعضاء شركه الخطوط الجويه الإسرائيلييه (العال) وممثلى شركات المقاولات الإسرائيلييه. (٣)

ص: ٢٤١

١- (١) . غلام رضا نجاتى: تاريخ سياسى بيست و بنج ساله ايران: ٤١٣ - ٤٢٨.

٢- (٢) . تقويم تاريخ انقلاب اسلامى ايران ٥٦ - ٥٨: ص ٤٥.

٣- (٣) . المصدر نفسه: ٢٨٢.

وتّم افتتاح سفاره فلسطين فى محلّ السفاره الإسرائيلىه وذلك فى آذار ١٩٧٩. حيث حضر مراسم الافتتاح زعيم منظمه التحرير ونجل الإمام. (١)

الثوره الإسلاميه ونضال الشعب الفلسطينى

إنّ مسانده المظلومين والدفاع عن الأراضى الإسلاميه المقدّسه كانت من الأهداف التى مهّدت الأرضيه لتأثير الثوره الإسلاميه فى العالم الإسلامى. حيث إنّ وقوع الثوره الإسلاميه كان قد أبرز أكثر الأصول المشتركه بين المسلمين، وزاد من التأثير على البلدان والحركات الإسلاميه نظير فلسطين فى خصوص الأهداف التى تتبنّاها. فلطالما شدّد علماء الإسلام على الدفاع عن فلسطين وشعبها المظلوم من خلال التذكير بالخطر الإسرائيلى. وكان التعاون بين النظام البهلوى وإسرائيل يثير حفيظه واعتراض علماء الدين أمثال آيه الله الكاشانى والأمام الخمينى رحمه الله .

فقد شنّ الأمام الخمينى رحمه الله أعنف الحملات ضدّ أمريكا وإسرائيل بدخوله ساحه النضال السياسى ضدّ الشاه. إنّ الإمام باعتباره رمزا لعلماء الدين فى القرن الأخير كان قد وجّه هجومه ضدّ إسرائيل فى عصر عاشوراء عام ١٩٦٣. وأرجع فى مواقف أخرى له جميع مصائب الشعب الإيرانى إلى إسرائيل. وأصدر فى عام ١٩٦٨ فتوى تُجيز استخدام جزء من الحقوق الشرعيه (الزكاه والصدقات) فى تسليح وإعداد المجاهدين الفلسطينيين، وطالب بلدان المواجهه مع إسرائيل فى عام ١٩٧٣ بالاستمرار والثبات فى حربها مع إسرائيل. وقد اعتبر أنّ أحد أسباب ثوره المسلمين الإيرانيين ضدّ الشاه دعمه المتواصل لإسرائيل إلى الحدّ الذى حدا بالكتور فتحي الشقاقى الأمين العام لحركه الجهاد الإسلامى الفلسطينى أن يقول:

ص: ٢٦٢

لقد احتلت أخطر قضايا القرن (المسألة الفلسطينية) صداره اهتمامات رجل القرن الخارق الإمام الخميني رحمه الله . (١)

ويبين الإمام الخميني رحمه الله خصيصة مناهضة الحركة الشعبية في الثورة الإسلامية لإسرائيل قائلا:

إنَّ أحد الأسباب التي أدت بالشعب الإيراني المسلم للثورة على الشاه هو دعمه المتواصل لإسرائيل الغاصبه. (٢)

ومع انتصار الثورة الإسلامية أصبح شعار «اليوم إيران، غدا فلسطين» ولزوم مواجهه إسرائيل حتى محوها من الوجود من أكثر سياسات قادة الشعب الإيراني محوريه. وكانت العلاقة مع الجماعات والحركات الشعبية الفلسطينية، السعي لتوحيد جهود المسلمين في العالم للدفاع عن الشعب الفلسطيني، تحوّل المسألة من اتجاهها القومي إلى مسألة إسلاميه بامتياز وفتح طريق الإنقاذ الإسلامي للشعب الفلسطيني المظلوم، من المواضيع المحوريه للشعب الإيراني المسلم منذ بدء انتصار الثورة الإسلامية.

وتمثّل مسائل أمثال قطع العلاقة مع إسرائيل، مواجهه السياسات التوسّعية لذلك النظام، السعي لإحلال ممثلي الشعب الفلسطيني محلّ إسرائيل في النظام الدولي، السعي لتضامن البلدان والشعوب الإسلامية لدعم الشعب الفلسطيني من خلال جعل آخر جمعه من شهر رمضان في كلّ عام يوما عالميا للقدس، إقامة الملتقيات الإقليمية وتأسيس جمعيات الدفاع عن الشعب الفلسطيني، نماذج من إجراءات قادة الثورة الإسلامية للدفاع عن الأرض الفلسطينية وشعبها.

وقد تركت الثورة الإسلامية أثرا عميقا على الشعب الفلسطيني المسلم في مجال العوده إلى التعاليم الدينيه، الأمل بقدراته الذاتيه، اتّخاذ المناضلين الفلسطينيين النظام

ص: ٢٤٣

١- (١) . فتحى الشقاقي: الانتفاضه والطرح الإسلامى: ١٠٥ - ١٢٠.

٢- (٢) . فلسطين از دیدگاه امام خمینی: ٣٨.

الإسلامي قدوه لهم، جعل المسجد مركزا أساسيا لمواجهة العدو، تنظيم وحدتهم حول محوريه الإسلام وتشكيل المجاميع الجهادية أمثال (حماس والجهاد الإسلامي)، حيث كانت الانتفاضه نتاجا أساسيا لتأثر مناضلي الشعب الفلسطيني بالثوره الإسلاميه.

ولأجل خروج الانتفاضه الفلسطينيه من الطريق المسدود الذي وصل إليها نضال الفلسطينيين، فإنها باتخاذها الثوره الإسلاميه أسوه لها، وجدت أنّ الإسلام هو الأداة الوحيده الكفوءه في هذا المضمار، وكما أعلن وصرّح قاده الانتفاضه مرارا وتكرارا من أنّ:

الإسلام فقط هو طريق الخلاص لتحرير فلسطين. وأنّ حركه الجهاد الإسلامي تعتقد أيضا أنّ المسأله الفلسطينيه هي مسأله إسلاميه وليست قومية ترتبط بالفلسطينيين وحدهم أو مسأله عربيه تتعلق بالعرب وحدهم، بل إنّها تخصّ جميع المسلمين. (١)

لقد مثّلت مناهضه الاستعمار وكسر هيئه القوى السلطويه وإحداث موجّه من الصحوه بين الشعوب وعلى الخصوص المسلمين من أكثر مكاسب الثوره الإسلاميه الإيرانيه أهميه. والشعب الفلسطيني المسلم بابتعاده وإلقائه الفكر القومي والعلماني الذي أثبت عجزه خلال عدّه عقود جانبا، وتوجّهه صوب الصحوه الإسلاميه تأثرا بالثوره الإسلاميه عاد مرّه أخرى إلى هويته الإسلاميه والقيم المشتركه بين الأمه الإسلاميه، وجعل من فكره الاعتماد على الإسلام والتحرّك الذاتي مناطا له. (٢)

ومن جهه أخرى، فإنّ سقوط الشاه باعتباره أهمّ داعم لإسرائيل في المنطقه وتأسيس الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه قد غير بنحو ملموس توازن القوى في المنطقه في ضرر إسرائيل. (٣)

فقد استطاعت هذه الثوره من عرض نموذج إسلامي مناسب حيث يمكن أتباعه،

ص: ٢٤٤

١- (١). مركز تحقيقات اسلامي نمايندگي ولي فقيه در سپاه: فصلنامه حصون: ١٩٥.

٢- (٢). جميله كديور: پشت پرده صلح: ١٦٠.

٣- (٣). جميله كديور: انتفاضه، حماسه مقاوم فلسطين: ٢٣.

وكسب القوّه من خلاله بسهولة. (١) وعلى الخصوص بعد الانتصار الباهر الذى حققه حزب الله على القوى الاحتلاليه بضمنها إسرائيل فى جنوب لبنان، ممّا ساهم فى إقدام الفلسطينيين وجرأتهم أكثر وأن يكون نهج الثورة الإسلاميه طريقا وحيدا لإنقاذ أراضيهم.

وبحسب ما كتبه أبو عمرو فقد:

كان للثوره الإسلاميه الإيرانيه أثر مهمّ على الحركات الإسلاميه فى كلّ مكان ومن بينها الحركات الإسلاميه فى الأراضي المحتلّه، فقد جاءت هذه الثوره لتقدّم دليلا على إمكانيه انتصار الإسلام فى العصر الراهن على الظلم والجور، والأهمّ من ذلك إمكانيه إقامة دوله إسلاميه تمثّل أنموذجا لجميع الحركات الإسلاميه. (٢)

لقد تبلور فى عقد الثمانينات اتّجاهان أساسيان يحملان معايير إسلاميه قاما بدور مهمّ فى التطوّرات اللاحقه فى الأراضي المحتلّه. وقد تمثّل هذان الاتّجاهان بحركه الجهاد الإسلامى الفلسطينى وحركه حماس التى تمثّل استمرارا لحركه الإخوان المسلمين - وبالطبع بأهداف وإستراتيجيات جديده - وبدأت نضالها ضدّ إسرائيل بلا هواده.

وبدا تأثير حركه الصحوه الإسلاميه فى الشرق الأوسط واضحا وجليا بين أوساط الطلبة الفلسطينيين فى الضفه الغربيه وقطاع غزّه فى الأعوام الأولى من عقد الثمانينات.

حيث حصل طلبه الجامعات المؤيّدون لـ «المعسكر الإسلامى» على المرتبه الثانيه وأحيانا الأولى فى الانتخابات الطلابيه فى أكثر الجامعات الفلسطينيه. وقد تحوّل المعسكر الإسلامى إلى منافس عنيد لحركه فتح، الجماعه البارزه للمقاومه الفلسطينيه. إذ جاء الطلبة الإسلاميون فى المرتبه الثانيه بعد حركه فتح خلال المعارك الانتخابيه لشغل مقاعد مجلس الطلبة وألحقوا الهزيمه بالقوى اليساريه وحلفائها. وكانت قوّه

ص: ٢٦٥

١- (١). زياد أبو عمرو: جنبش اسلامى در کرانه باخترى و نوار غزه: ١٥٣.

٢- (٢). زياد أبو عمرو: جنبش های اسلامى در فلسطين: ١.

الجناح الإسلامي في بعض الجامعات يوازي أو حتى يتفوق على أنصار فتح. وكانت قوّة الجماعات الإسلامية في جامعه هبرون (الخليل) الإسلامية والجامعه الإسلامية في غزّه مشهودا أكثر من سائر الجامعات، فقد استحوذ الجامعيون المؤيّدون للاتّجاه الإسلامي على ٧٥٪ من مقاعد المجلس الطلابي لجامعه غزّه. (١)

وكان قد ذكر أحد قادة الجماعات الطلابيه في أحداث تلك الانتخابات قائلا:

لقد جرّبنا القوميّة والشيوعيّة، ونحن نعتقد الآن بأنّ الطريق الوحيد التي تمكّنا من الانتصار على إسرائيل هي طريق الإسلام. (٢)

وبالإضافة إلى الحركة الطلابيه، فتمّه مجاميع إسلاميه متعدّده بدأت نشاطها في الأراضي المحتلّه بعد انتصار الثورة الإسلاميّة، ويمكن الإشارة من بينها إلى (أسره الجهاد في الخليل)، (أسره الجهاد في الخليل والقدس) وكذلك (شباب النضال الإسلامي)، والتي تمّ كشفها في الأعوام ١٩٨٠ و ١٩٨٣ من قبل المنظومه الأمنيّه الإسرائيليّه. إلّا أنّ ثمة مجموعتين أساسيتين (الجهاد الإسلامي الفلسطيني) و(حماس) تقومان اليوم بدور محوري من بين جميع الحركات الإسلاميّه العامله في فلسطين واللّتان أعلنتا عن وجودهما في عقد الثمانينات إثر انتصار الثورة الإسلاميّه الإيرانيّه. (٣)

مهمّات تبلور حركة الجهاد الإسلامي

لقد انتقل عدد من طلبة الجامعات المرتبطين بحركة الإخوان المسلمين وطلبه جامعيين فلسطينيين آخرين من قطاع غزّه إلى الجامعات المصريّه وذلك في أوائل عقد السبعينات. وكان لتواجد هؤلاء الطلبة في مصر وقريبا من حركة الإخوان المسلمين

ص: ٢٦٦

١- (١). عبدالوهاب فراتي: انقلاب اسلامي و بازتاب آن: ٦٦.

٢- (٢). كيهان: ٦٦/٥/٧.

٣- (٣). جميله كديور: انتفاضه، حماسه مقاومه فلسطين: ١٦١.

فى أن يكون لهم دور مؤثر فى تبلور الأفكار الإسلاميه الحديثه. وكان أحد الأسباب الذى تسببت فى خروج هؤلاء من حركه الإخوان المسلمين الأم، عدم حصولهم على إجابات كافيه ومقنعه عن مطالبهم وأهدافهم فى خصوص الكثير من القضايا المعاصره أمثال المسأله الفلسطينيه.

وكان قد أثير خلال الفتره من عام ١٩٦٧ ولغايه ١٩٧٠ هذا التساؤل فى أذهان الأعضاء الشباب للإخوان المسلمين، وهو؛ ما هو موقف الحركه تجاه الحرب المسلحه مع النظام الصهيونى؟ وكان قاده الإخوان المسلمين يصرّحون فى الإجابه عن هذا التساؤل بأنهم فى الوقت الحاضر منهمكون فى التربيه والتعليم والإعداد، وبسبب أن قياده المواجهه ليست فى يد القوى الإسلاميه، فليس بمقدورهم دخول ساحه الكفاح المسلح. وإضافه إلى هذا التبرير غير السليم؛ فتّمّيه بواعث وعوامل أخرى دعت مناصرى الاتجاهات الإسلاميه الحديثه لقطع علاقاتهم مع حركه الإخوان المسلمين. ففى اعتقاد الشباب المنفصلين أن أحد أسباب خروجهم يتمثل بالانهيار الأخلاقى الذى طوّق رقبه الإخوان المسلمين ولم يسمح بطرح انتقادات بّناءه وإشاعه أجواء الفكر والتأمل.

فالميول الإسلاميه الحديثه كانت قد بدأت على العموم فى منتصف السبعينات، وهى بحسب وجهه نظر حركه الجهاد الإسلامى، كانت تمثّل ردّ فعل طبيعى وأصولى تجاه مراحل عدم الاستقرار السابقه التى أدت فى أقلّ من عقدين إلى إمساك فاجعتين مهولتين وهزيمتين مرعبتين بخناق الأممه الإسلاميه. (١)

تبلور وتأسيس حركه الجهاد الإسلامى

على الرغم من أن انتصار الثوره الإسلاميه كان له أثر مهمّ فى ظهور حركه الجهاد الإسلامى الفلسطينيه، بيد أن ظهور الأفكار والبواغث المحرّكه لإيجاد هذه الحركه

ص: ٢٤٧

١- (١). زياد أبو عمرو: جنبش اسلامى در كرانه باخترى و نوار غزه: ١٥٦ - ١٥٧.

الإسلاميه الأصوليه فى قطاع غزّه والضفه الغربيه لم يستند إلى انتصار الثوره الإسلاميه فى إيران فحسب. فقبل أن يتم تأسيس حركه الجهاد الإسلامى رسمياً، كانت بعض التيارات الفكرية تظهر داخل حركه الإخوان المسلمين نوعاً ما، وتجسد عملياً حاله الحيره والاضطراب والخلافات الفكرية الداخليه لهذه الحركه. ولم يكن ظهور هذه الاتجاهات الفكرية الحديثه بخافٍ على أذهان مؤسسى حركه الجهاد الإسلامى. ففى بلد مثل مصر على سبيل المثال، والتي تلقى فيها مؤسسى الجهاد الإسلامى تعليمهم الجامعى، قد انفصلت مجاميع أخرى أيضاً من التنظيم الداخلى للإخوان المسلمين وأنشأوا تنظيمًا مستقلاً لهم فى عقد السبعينات. وهذه التنظيمات هى عباره عن جماعه التكفير والهجره، جماعه الجهاد، خليه صالح سريه الذى كان عضواً فى حزب التحرير الإسلامى فى السابق وقاد هجوماً على الأكاديميه العسكريه الفنيه فى القاهره عام ١٩٧٤. (١)

وقد مارست حركه الجهاد الإسلامى الفلسطينيه التى كانت فرعاً من حركه الإخوان المسلمين المصريه فى بدايتها وقبل تبلورها كحركه نشاطات ثقافيه واجتماعيه فى قطاع غزّه. وبما أنّ مواجهه الصهاينه لم يكن ضمن برنامج وجدول أعمال الإخوان بنحو جاد، فقد انخرط الشباب الثورى الذين كانوا يطالبون بالمواجهه الفعلية والمسلّحه مع النظام الصهيونى فى الجماعات العسكريه الفلسطينيه المختلفه بضمنها حركه فتح. غير أنّ هذه المجاميع التى تتسم بالفكر والاتجاه الاشتراكى أو القومى، وقليلاً ما تلاحظ فيها ميول إسلاميه أصابت الشباب الثورى المسلم الذى كان يمارس نشاطه فى صفوف الإخوان المسلمين باليأس والحيره والإحباط. وكان للهزيمه العسكريه للاتجاهات والأساليب الاشتراكيه

ص: ٢٤٨

والقومية مع إسرائيل إثر مهمّ في ازدياد الحيره لهذه المجموعه من الشباب. فكانوا بانتظار فرصه وطريقا للخلاص من هذه الحاله والارتباك. فجاءت الثورة الإسلاميه في إيران لتحيى هذا الأمل في قلوبهم من أنّه بالإمكان الاستفاده من الإسلام وتعاليمه، والابتداء بفصل جديد في مواجهه النظام الصهيوني من خلال الاعتماد على البواعث والإيمان الإسلامى الراسخ.

وكان انتصار الثورة الإسلاميه بدايه لإقامه علاقته معنويه ونفسيه بين هذه المجموعه والجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه ومن ثمّ توسيع هذه علاقته، إلى المستوى الذى يخلق ارتباطا عميقا جدّا وإستراتيجيا فى ما بينهما من خلال النفوذ الاستثنائى لإيران عليها، هذا إضافة إلى الأثر العميق الذى تركته الثورة الإسلاميه منذ البدايه على هذه الحركه.

وبعبارة أخرى، فإنّّه وبمجرّد انتصار الثورة الإسلاميه فى إيران فقد سعى مؤسسى الحركه لاستلهاام دروسها وعبرها بغيه تطبيق ذلك فى الساحة الفلسطينيه. وبحسب قول قاده الجهاد الإسلامى فإنّ ما فتح لنا عصرا جديدا وأدى إلى أن نركّز نظرنا على المسأله الفلسطينيه من الزاويه الإسلاميه خاصّه إنّما هى الثورة الإيرانيه. وطُرحت منذ ذلك الحين أسس الجهاد، الشهاده، التضحيه فى طريق الأهداف التى كانت تمثّل رمزا للشيعه وشعارات الثورة الإسلاميه الإيرانيه باعتبارها الأعمده الأساسيه لحركه الجهاد الفلسطينيه.

ومع تأسيس حركه الجهاد الإسلامى فى فلسطين، فقد بدت تظهر صورته جديده للإسلام السياسى فى تلك الأرض. فقد بدأ زعماء الجهاد المواجهه المسلّحه ضدّ المحتلّين من خلال ربطهم الدين بالسياسه.

حيث يُنظر إلى أيديولوجيه الجهاد ضدّ الصهاينه، القضاء على إسرائيل وإقامه دوله إسلاميه فى فلسطين باعتبارها جزءا من الجهاد المقدّس. فالمسأله الفلسطينيه فى رأى

زعماء الجهاد الإسلامي هي مسأله إسلاميه وليست مجرد مشكله عربيه أو قوميه. (١)

وقد أسّست حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينيّه بشكل رسمي عام ١٩٨٠، وذلك من قبل شابين فلسطينيين في غزّه باسم فتحى الشقّاقى و عبدالعزیز عوده . ولم تكن التنظيمات والأجنحه المختلفه لحركه الجهاد الإسلامي في سائر أرجاء العالم الإسلامي تتمتع بتنظيم مركزى ومنظم على الرغم من وجود نوع من التنسيق والتعاون والأيدولوجيه المشتركه بينها؛ فحركة الجهاد الإسلامي لم تكن منظمه إقليميّه في الأساس، حيث إنّ كلّ جناح منها يقتصر على العمل في حدود منطقتّه.

وكان الدكتور فتحى الشقّاقى يحمل ميولا ناصريه (القوميّه العربيّه) في عام ١٩٦٧. وقد أدّت الهزيمه النكراء التي لاقاها العرب في حرب حزيران من نفس العام إلى إيجاد تغيير عميق في نفسيّته وفكره. فحينما بدأت حركة الإخوان المسلمين إعادته هيكله تنظيميّا إثر هزيمه العرب من قبل إسرائيل انخرط الدكتور فتحى الشقّاقى في صفوفها. إلّا أنّه لم تمض فتره طويله حتّى اختلف معها فانفصل عنها ما بين عام ١٩٧٤ - ١٩٧٥.

وكان قطاع غزّه يمثّل المركز الرئيس لتواجد حركة الجهاد الإسلامي، لكنّ هذا لم يمنع من تنامي تواجدها في الضفه الغربيه لنهر الأردن. (٢) وقامت حركة الجهاد الإسلامي في عام ١٩٨٤ و١٩٨٧ بعده عمليات عسكريه ضدّ القوّات الإسرائيليّه حيث تُعدّ عمليات أكتوبر عام ١٩٨٧ في منطقه الشجاعيه من مدينه غزّه أهمّ تلك العمليات، فهي التي مهّدت لانتفاضة كانون الأوّل عام ١٩٨٧. (٣) وكذلك العمليات المسلّحه التي اشتهرت باسم «باب المغاربه» في عام ١٩٨٦ والتي نفّذتها أحد خلايا حركة الجهاد

ص: ٢٧٠

١- (١) . روبرت سايكون: الإسلام والانتفاضة الفلسطينيّه: مجله الفتح، العدد ٦ و٧ كانون الأوّل ١٩٨٨: ص ٣٤ - ٣٥.

٢- (٢) . المصدر نفسه: ١٥٨ - ١٥٩.

٣- (٣) . روبرت سايكون: المصدر نفسه.

فى الضفه الغربيه لنهر الأردن. فكان ذلك علامه أخرى على التواجد الواسع لحركه الجهاد الإسلامى فى الضفه الغربيه. ويمكن عدّ المظاهرات الاحتجاجيه بمناسبه مقتل الحجاج الإيرانيين فى مكّه عام ١٩٨٧، والتي أقيمت فى المسجد الأقصى بمثابه تضامن من قبل حركه الجهاد الإسلامى مع إيران.

وكانت الثوره الإسلاميه قد تركت أثرا استثنائيا على أهداف ونفسيات قاده الجهاد الإسلامى. فقد أُلّف الدكتور فتحى الشقاقى كتابا حمل عنوان الخمينى رحمه الله الحلّ والبديل (١) وذلك فى أوائل عقد الثمانينات، أثنى فيه على الثوره الإسلاميه. وقد لخص فى هذا الكتاب أفكاره السياسيه وأيديولوجيته على أساس آراء سماحه الإمام.

وإضافه إلى الدكتور فتحى الشقاقى، فإن الشيخ عبدالعزيز عوده الزعيم الآخر لحركه الجهاد الإسلامى قد أعلن مرارا تأثره بالثوره الإسلاميه. فقد أكد فى عدّه مقابلات على أنه ينبغى الاقتداء بالثوره الإيرانيه. وهو يعتقد بأنّ الأنظمه العربيه والمنظّمات المرتبطه بها هم أعداء الشعب الفلسطينى، ويرى أنّ الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه تهتمّ أكثر من غيرها من دول الشرق الأوسط بحركات التحرير ونشاطاتها. (٢) ومن جهه أخرى، فإنّ الدكتور الشقاقى قد حتّ فى كتاباته وخطاباته الشباب والشعب الفلسطينى على الاقتداء بالشعب الإيراني فى مواجهه إسرائيل وتحرير فلسطين. (٣)

وبما أنّ هذه الحركه تولّت دورا مهمّا فى التعبئه الإسلاميه فى قطاع غزّه، فقد قامت الحكومه الإسرائيليّه بنفى قادتها ومن ضمنهم عبدالعزيز عوده وفتحى الشقاقى إلى لبنان. وإثر إقامه قاده حركه الجهاد الإسلامى فى لبنان أخذوا بالاقتراب أكثر فأكثر من الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه والجماعات المؤيده للثوره الإسلاميه فى

ص: ٢٧١

١- (١). الخمينى الحلّ البديل.

٢- (٢). المصدر نفسه: ٣٥ - ٣٦.

٣- (٣). نشره الإسلام وفلسطين: العدد ٨، أكتوبر ١٩٨٨، ص ٢٦ - ٢٧.

لبنان، حيث قاربوا بين مواقفهم ومواقف إيران في خصوص فلسطين. وقد قام عبدالعزيز عوده بزياره لإيران عام ١٩٨٩ وأجرى مفاوضات مع قاده الجمهوريه الإسلاميه، وزار الدكتور فتحى الشقاقى طهران أيضا عدّه مرات، حيث بين مواقف حركة الجهاد حول القضية الفلسطينيه. (١)

حركة المقاومة الإسلاميه (حماس)

وترى هذه الحركة نفسها على أنّها رائده الحركة الإسلاميه التى لن تتحقّق النهضه الإسلاميه من دونها. وكما استطاع سيد قطب تزريق أسلوب فكرى واتّجاه حديث داخل حركة الإخوان المسلمين خلال فتره حياته، فإنّ حركة المقاومة الإسلاميه الفلسطينيه حماس تدعى بأنّها تتابع نفس الدور الذى قام به سيد قطب فى الماضى. (٢)

وتصل النوبه إلى الشيخ عزّالدين القسّام من بعد سيد قطب . فهو يمثّل الرمز الأوّل لفلسفه وجود و جهاد حركة حماس. ونظرا إلى أنّ حركة المقاومة الإسلاميه الفلسطينيه تعطى الأولويه فى المرحله الراهنه لقضيه الجهاد فى فلسطين، فهى تعرّف عزّالدين القسّام على أنّه مصدر إلهامها والرائد الأوّل لحركة المقاومة الإسلاميه الفلسطينيه حماس، وأوّل قائد للانتفاضه المسلّحه فى فلسطين فى التاريخ المعاصر لهذه الأرض والمؤسّس الحقيقى للثوره الفلسطينيه المسلّحه.

وكان عزّالدين القسّام قد دعا منذ البدايه الشعب إلى مواجهه الاستعمار البريطانى واستيطان اليهود فى فلسطين. وكان خطابه واضحا فى ذلك ومن دون رتوش: الجهاد ضدّ بريطانيا وعمالئها الصهاينه. ومما لا شكّ فيه فثمّه تشابه واشتراكات كثيره بين ثوره عزّالدين القسّام وأتباعه ضدّ الاستعمار البريطانى وخطوات حركة المقاومة

ص: ٢٧٢

١- (١) . كيهان: ١٣٦٨/٣/٢٠.

٢- (٢) . المصدر نفسه: ١٦٦ - ١٦٧.

الإسلاميه حماس بقيادة الشيخ أحمد ياسين في مجال مواجهه المحتلين الصهاينه. (1)

وفي مجال آثار وانعكاسات الثورة الإسلاميه الإيرانيه على فكر وأيديولوجيه حركه المقاومه الإسلاميه حماس، فإنه ينبغي القول بأن الثورة الإسلاميه كانت مصدر إلهام ومادّه فكر في المجالات النظرية والعملية لحركه حماس. بالنحو الذي سعى فيه مؤسسها الشيخ أحمد ياسين ومنذ البدايه القبول بأفكار وتوجيهات الإمام الخميني رحمه الله. فالإمام الخميني رحمه الله بحسب رأيه لا يمثّل رمزا ومصدرا للإلهام وقائدا للثورة الإسلاميه الإيرانيه فقط، بل إنه يحمل هذه الخصائص على كافه المستويات. وبهذا الشكل حاول قاده المقاومه أخذ العبره من تجارب الثورة الإسلاميه الإيرانيه وتطبيق هذه التجارب في الساحه الفلسطينيه. فوفق رأى حركه المقاومه الإسلاميه فإنّ الإسلام كان بعيدا عن ساحه الصراع والمواجهه إلى ما قبل انتصار الثورة في إيران، ومن هنا، فقد اتّضحت قضيه أنّ الإسلام هو طريق الحلّ الوحيد وأنّ الجهاد أفضل وسيله مناسبة وذلك من خلال انتصار الثورة الإسلاميه. فحركه المقاومه الإسلاميه حماس تستلهم مواقفها الأساسيه في خصوص الجهاد في فلسطين من ثلاثه محاور أساسيه في الحقيقه. وهذه المحاور عبارته عن:

١. الثورة الإسلاميه الإيرانيه؛

٢. إرث الإخوان المسلمين (وعلى الخصوص أدبيات سيد قطب)؛

٣. تجارب حركه الجهاد الإسلامى في مصر.

فقد استطاعت الثورة الإسلاميه أن تجعل من النظر إلى القضيه الفلسطينيه برؤيه إسلاميه أمرا ممكنا. وهى الرؤيه التي عدّتها حركه المقاومه الإسلاميه حماس أفضل طريق للحلّ. فالدين الإسلامى بحسب رأى الإمام الخميني رحمه الله هو ذلك الدين الذي

ص: ٢٧٣

١- (١). زياد أبو عمرو: جنبش اسلامى در کرانه باخترى و نوار غزه: ١٠٦ - ١٠٧ و ١٧٤.

وفي عقيدته منظرى المقاومة الإسلامية؛ فإنّ الخطر الإسرائيلي لا يقتصر على احتلال فلسطين وإذلال شعبها ونشر ثقافه الصهيونيه، بل إنّ هذا المشروع هو جزء من مخطّط كامل لتمزيق الأُمّه الإسلاميه وسوق المسلمين نحو الغربنه، الاستعمار، الاستغلال والعبوديه وشلّ إرادتهم. (٢)

فمن وجهه نظر أتباع حركه المقاومة الإسلاميه حماس، فإنّ أولئك الذين أخرجوا القوات الإسرائيلييه من جنوب لبنان قد اعتمدوا المعتقدات الإسلاميه فى ذلك؛ ويرون أيضا أنّ المواجهه مع النظام الصهيونى الذى يحمل التوراه شعارا له، لا يمكن تعميقه من دون الرجوع إلى الإسلام واتباع المعتقدات الإسلاميه الأصيله واللجوء إلى حرب التحرير الشعبيه. إنّ المنهج العالمى الشامل للإسلام باعتباره دينا كاملا وصانعا للتاريخ، والذى يتضمّن ثقافه، حضاره ونظاما سياسيا هو الوحيد القادر على إدراك أبعاد هذه الأزمه؛ وأنّ يواجهها ويتعامل معها بشكل أصولى؛ ويتولّى قياده الحركه التحرّريه ويحلّ فى النهايه هذه المساجله والجدليه.

فجماعه الإخوان المسلمين فى رأى حركه المقاومة الإسلاميه تتركز جهودها حول إعداد وتربيه الكوادر لمواجهه الاتّجاهات القوميه التى تعتمد المواجهه المسلّحه. فالإخوان المسلمين اختاروا طريق الهدايه (الإيمان والعقيده) وتركوا طريق الجهاد جانباً، فى حال أنّ الاتّجاهات القوميه قد اختارت طريق النضال وابتعدت عن طريق الهدايه، ومن هنا فإنّ ميزه حركه المقاومة الإسلاميه تتلخّص فى تأكيدها على الارتباط الشديد وعدم إمكانيه الفصل بين هذين الطريقتين (طرق الجهاد وطرق الهدايه) والعمل وفقهما.

ص: ٢٧٤

١- (١) . المصدر نفسه: ١٧٥.

٢- (٢) . المصدر نفسه: ١٧٦.

فمن وجهه نظر حركة المقاومة، أنّ مشكله فلسطين هي مشكله الأُمّة الإسلاميه، وأنّ أفضل طريق لتحرير هذه الأرض، هي تعبئه جميع الطاقات والقوى الإسلاميه فى حرب تحرير إسلاميه وشعبيه تنتهى بالقضاء على إسرائيل وتأسيس دوله إسلاميه. (١) وإضافه إلى ذلك، فإنّ مواقف وآراء حركة المقاومة الإسلاميه تتطابق إلى حدّ كبير مع مواقف وآراء بعض الاتجاهات الوطنيه الفلسطينيه والقوميه العربيه التى تعتبر قضيه فلسطين قضيتها الأساسيه، بيد أنّ حركة المقاومة تصرّح بأنّ الظروف المؤلمه التى ألمّت بالقضيه الفلسطينيه فى واقعها الحاضر، كان بسبب سلوك القاده غير الإسلاميين الذين يقودون تحركات العوام بشكل انتهازى، وكذلك بسبب مجيء أنظمه مسكت بزمام شؤون البلاد الإسلاميه فى بدايه القرن الفعلى (٢) إثر سقوط الدوله الإسلاميه، فصبّ هذا البلاء على فلسطين من خلال ممارساتها الخاطئه. (٣)

فحركة الجهاد ترى أنّ هزيمة القاده والمسؤولين غير الإسلاميين فى أحداث عام ١٩٤٨، كان بسبب عجزهم عن إدراك ماهيته المواجهه وكيفيه استمرارها بنحو صحيح. وقد اتضحت هذه الهزائم وهذا الفشل فى ممارسات وادّعاءات بعض القاده الفلسطينيين بجميع اتجاهاتهم. فالمشاريع والاقتراحات التى يطرحونها لحلّ القضيه الفلسطينيه تبين بوضوح طريقهم المسدود الذى وصلوا إليه. (٤)

آراء ومواقف حركة المقاومة الإسلاميه حماس حول الثورة الإيرانيه

تتمثّل مواقف وآراء قاده حركة المقاومة الإسلاميه حماس فى خصوص الثورة الإيرانيه بأنّها تعدّ بدايه فصل جديد لتغيير ثورى واسع. هذا فى حين أنّ آراء الإخوان

ص: ٢٧٥

١- (١). المصدر نفسه: ١٨٤.

٢- (٢). يقصد القرن العشرين، (المترجم).

٣- (٣). القضيه الفلسطينيه من منظور إسلامى: شهرية المختار الإسلامى، مصر، حزيران ١٩٨٠.

٤- (٤). زياد أبوعمر: جنبش اسلامى در کرانه باخترى و نوار غزه: ١٨٤-١٨٥.

المسلمين فى الثورة الإسلاميه تختلف وآراء حركه المقاومه الإسلاميه. ومع أنّ موقف الإخوان المسلمين كان إيجابيا فى بدايه انتصار الثورة، غير أنّ هذا الموقف تغيّر بعد بدء الحرب العراقيه الإيرانيه.

ويعتقد أنصار حركه المقاومه الإسلاميه أنّ بعض الأنظمه المعارضه للثوره الإيرانيه لم تكن قادره فى البدايه على القيام بمواجهه الثورة بشكل علنى ولأجل ذلك اختارت الصمت حيالها، أو أنها قامت بتأييدها فى الظاهر، إلى أنّ وقعت الحرب بين إيران والعراق، فبدأت هجومها الإعلامى والتحريضى ضدها. ويشير أنصار المقاومه إلى مسأله أنّ النظام الأردنى قد وجّه ضغوطات كبيره على الإخوان المسلمين فى هذا البلد كى يطلبوا من الإخوان المسلمين فى الأراضى الفلسطينيه المحتلّه تغيير مواقفهم تجاه ثوره إيران. ويُضيف هؤلاء بأنّ الإخوان المسلمين أخذوا بشحن الخلافات الشيعيه السنّيه لتكون هذه المسأله وسيله لانتقاد مواقف مناهضه للثوره الإسلاميه الإيرانيه. (١)

الانتفاضه، ذروه تأثير الثورة الإسلاميه على فلسطين

إنّ الانتفاضه فى معناها اللغوى تعنى الحركه التى تترافق فيها القوّه والسرعه معا. أمّا سياسيا واجتماعيا فهى عباره عن السلوك والممارسه الشجاعه والاعتراضيه المستمره للشعب الفلسطينى الأعزل فى قبال النظام الإسرائيلى الغاصب والمدجج بالسلاح. فقد استخدم الفلسطينيون المعترضين الحانقين الحجاره لمواجهه الصهاينه، فهم يرمونها باتّجاههم دفاعا عن أنفسهم. ولهذا السبب يُطلق على الانتفاضه «ثوره الحجاره».

وقد انطلقت الانتفاضه الأولى فى ٨ كانون الأوّل عام ١٩٨٧ واستمرّت لغايه صيف ١٩٩٢ التى عُرفت بـ «الانتفاضه الكبرى» وطوت طريقها التكاملى لاحقا من خلال العمليات الاستشهاديه.

ص: ٢٧٦

إنّ بدء الانتفاضه الكبرى جاء لعدّه عوامل نظير يأس الفلسطينيين من القاده العرب والبلدان العرييه؛ ويأسهم من المنظّمات السياسيه الفلسطينيه أمثال منظّمه التحرير والسياسات القمعيه واستمرار الإباده الجماعيه وقتل الشعب الفلسطينى البرىء وكذلك انتصار الثوره الإسلاميه فى إيران. وقد اتّخذ نضال الشعب الفلسطينى ضدّ النظام الإسرائيلى شكلا جديدا مع انتصار الثوره الإسلاميه عام ١٩٧٩. يقول زعيم حركه الجهاد الإسلامى فى خصوص دور الثوره الإيرانيه وتأثيرها على نضال الشعب الفلسطينى:

ليس ثمّه شىء يمكنه إثارة الشعب الفلسطينى وتحريك أحاسيسه وإحياء الأمل فى نفسه بقدر ثوره الإمام الخمينى رحمه الله . فقد وجدنا أنفسنا بانتصار الثوره الإسلاميه وأدر كنا أنّ بالإمكان هزيمة أمريكا وإسرائيل، وفهمنا أنّه بإمكاننا خلق المعاجز باستلهامنا الدين الإسلامى، ولأجل ذلك فإنّ الشعب المجاهد فى فلسطين ينظر إلى الثوره الإسلاميه والجمهوريه الإسلاميه بعين التقدير، ويعتقد بأنّ الإمام الخمينى رحمه الله هو من القاده الخالدين فى التاريخ الإسلامى. (١)

إنّ وقوع الانتفاضه، دعا الحكومه الأمريكيه إلى إقامه مؤتمر مدريد عام ١٩٩١ بهدف فرض السلام فى المنطقه. وكان من نتيجته هذا المؤتمر اتّفاق منظّمه التحرير الفلسطينيه مع الصهاينه وتوقيع اتّفاق أوسلو فى عام ١٩٩٣. (٢)

فقد توصل الطرفان عقب مفاوضات المبعوث الخاصّ لمنظّمه التحرير الفلسطينيه أبو العلاء مع الحومه الإسرائيليه فى الأيام من ٢٠ إلى ٢٢ كانون الثانى عام ١٩٩٣ فى أوسلو عاصمه النرويج، إلى اتّفاقيه بين منظّمه التحرير وتل أبيب لإنهاء المواجهات فى الأراضى الفلسطينيه المحتلّه وتشكيل دوله مستقلّه فيها.

إنّ مفاوضات أوسلو التى استؤنفت فى لقاء بين ممثّل منظّمه التحرير والنظام الصهيونى فى لندن، تمثّل الحجر الأوّل للبناء الفعلى لما يُسمّى بعملية السلام بين أكبر

ص: ٢٧٧

١- (١). زياد أبو عمرو: جنبش اسلامى در فلسطين: ١.

٢- (٢). بولتن سيمنار فلسطين: اسفند ماه، ١٣٨.

التنظيمات الفلسطينية والنظام الصهيوني، والتي أكدت على حق إقامة دوله فلسطينيه مستقله في قطاع غزّه ومنطقه أريحا من الأراضي المحتلّه، وكذلك ضمان أمن الكيان الصهيوني من قبل الفلسطينيين.

حيث تعترف منظّمه التحرير في هذه الاتّفاقيه بدوله إسرائيل ليقوم الصهاينه بالاعتراف بهذه المنظّمه مقابل ذلك. وانتهت هذه الاتّفاقيه إلى إقامة دوله فلسطينيه مستقله وانسحاب إسرائيل من المدن المهمّه في قطاع غزّه والضفه الغربيه، وأخيرا قيام حكومه مستقله في حدود تعيين رئيس للشرطه ورئيس بلديه في بعض المناطق؛ من دون أن يتطلّب ذلك خروج القوات المحتلّه من تلك المناطق.

ومع بدء مفاوضات السلام الإسرائيليّيه الفلسطينيه اتّجهت شراره الانتفاضه نحو الانطفاء، غير أنّه وبسبب أن الفلسطينيين لم يتمكّنوا من نيل حقوقهم عن طريق المفاوضات، تبلورت بعد مضي سبع سنوات على ذلك، الانتفاضه الثانيه التي تُسمّى بانتفاضه القدس وذلك عقب زياره شارون للمسجد الأقصى. ومع وصول أزمه المسجد الأقصى ذروتها وردود الأفعال الاحتجاجيه للشعب الفلسطينى الغاضب، توسّعت دائره الأزمه لتتعدّى حدود النظام الصهيوني ممّا دعت أكثر بلدان المنطقه والعالم إبداء ردود أفعالها باعتبارها مشكله دوليه. وبسبب وجود ارتباطات دينيه وعريقه فقد تسببت في إثارة مشاعر العالم الإسلامى والعربى أكثر من باقى القضايا.

ففى مثل هذه الظروف، تحوّل السعى لإنهاء النزاع والتمهيد لظروف المفاوضات من أجل تحقيق السلام، إلى هدف عالمى مشترك، ووضع اللجوء إلى إستراتيجيات إقليميه ودوليه على لائحته نشاط المنظمات والمجامع الدوليه، ومن بينها منظّمه الأمم المتّحده باعتبارها أكبر المؤسّسات السياسيه والدوليه، فاتّخذت مواقف مختلفه على مستوى مجلس الأمن، الجمعيه العموميه ولجنه حقوق الإنسان.

١. بدأت الانتفاضه الأولى فى الضفه الغربيه لنهر الأردن وقطاع غزّه، فى حين أنّ أمواج الانتفاضه الثانيه انطلقت واتّسعت من داخل الأراضي المحتلّه فى عام ١٩٤٨، أى المناطق التى يقطنها العرب الإسرائيليين.
٢. بدأت الانتفاضه الأولى عقب حادثه غير سياسيه (مقتل عدّه فلسطينيين بواسطه شاحنه إسرائيليّه)، فى حين أنّ الانتفاضه الثانيه بدأت من القدس إثر حدث سياسى (تفقد أرييل شارون للمسجد الأقصى).
٣. لم يكن للانتفاضه الأولى ثّمه انعكاس مهمّ على مواقف البلدان العربيه، فى حال أنّ الانتفاضه الثانيه ونظرا للتجارب الخائبه لمفاوضات الشرق الأوسط على مدى عدّه سنوات والدعم الواسع لطلبه مصر، الأردن، سوريا، الكويت، الإمارات العربيه المتّحده وقطر، فقد هيأت أسباب ردود أفعال شديده وأثّرت على بلدان العالم العربى والإسلامى.
٤. لقد وقعت الانتفاضه الأولى خلال فتره سياده نظام القطبين، وفى مرحله كانت تصدر فيها القرارات السياسيه من مركز النظام الدولى (الاتّحاد السوفيتى وأمريكا)، لتُفعّل فى الأنظمه الإقليميه، هذا فى حين أنّ الانتفاضه الثانيه بدأت بعد انتهاء الحرب الباردة.
٥. لقد تبلورت الانتفاضه الأولى فى أحضان نظام اللاعبين الكبار أو النظام الرسمى، حيث تُعدّ الدول هى اللاعب الأساسى فى النظام الدولى، فى حين أنّ الانتفاضه الثانيه ظهرت فى أحضان نظام اللاعبين الصغار أو النظام الشعبى، الذى أخرج فيه اللاعبين غير الرسميين ومن ضمنهم حزب الله، حماس وحركه الجهاد الإسلامى إداره الأزمات من يد اللاعبين الرسميين (الدوله اللبنانيه، منظمه التحرير الفلسطينيه والنظام الصهيونى).

٦. لقد شهدنا في الانتفاضة الأولى تسييس وسائل الإعلام، غير أن أعلمه السياسة إن صحّ التعبير كان ملموسا بالكامل في الانتفاضة الثانية. وبعبارة أخرى، فإن وسائل الإعلام والأقمار المخبراته والاتصاليه قد أدت إلى أن يتمّ تقرير السياسة من خلال الصورة المنقوله. فقد تسبّب عرض المشاهد المأساويه لمقتل الفلسطينيين عن طريق وسائل الإعلام العالميه في إدانه النظام الصهيوني على المستوى العالمى.

٧. كان الإدراك الإسرائيلي للخطر خارجيا في الغالب في الانتفاضة الأولى، فهي ترى أن الجمهوريه الإسلاميه تشكّل مصدر تهديد لها من خلال ذلك باعتبارها تدعم الانتفاضة؛ بيد أن الإسرائيليين في الانتفاضة الثانيه كان ذعرهم من الخطر الداخلى أكبر، هذا إضافة إلى خشيتهم من الخطر الخارجى. (١)

إنّ موضوع الانتفاضة والثوره الشامله للشعب الفلسطينى المسلم ضدّ المحتلّين كان بلا شكّ متأثرا بثوره الشعب الإيرانى المسلم. الثوره التى قام بها الشعب الإيرانى ضدّ ديكتاتوريه الشاه وسيطره الاستعمار الأمريكى. وبتعبير المحلّين الغربيين، كانت الثوره الإسلاميه زلزالا هزّ منطقه الشرق الأوسط بعنف. إنّ انتصار الدم على السيف وإسقاط النظام المدجج بالسلاح من قبل الشعب الغيرانى الأعزل ومن دون أى دعم خارجى، قد غدا قدوه لمسلمى المنطقه وعلى الخصوص فى لبنان وفلسطين باعتباره أنموذجا ناجحا. لقد تسبّب انتصار الثوره الإسلاميه الإيرانيه فى ثقه الإسلاميين بأنفسهم وتقويه روحياتهم وضخّ دماء جديده فى عروقهم.

لقد شهد رواد الحركه الثوريه المسلمين فى كلّ من لبنان وفلسطين خيبه وفشل الحركات والتيارات الاشتراكيه والقوميه فى مواجهتها للصهيونيه. ممّا دعاهم إلى تأسيس منظمات ذات اتّجاه إسلامى لمواجهه النظام الاحتلالى والاحتلال، حيث بدأوا

ص: ٢٨٠

١- (١). محمدرضا دهشيري: انتفاضة دوم فلسطين؛ بازخوانى سناريوهاى فصلنامه مطالعات فلسطين، سال ٢، شماره ١، پائيز ١٣٧٩، ص ٤٥ - ٤٨.

ذلك بتأسيس «حركة الجهاد الإسلامي» في فلسطين و«حزب الله» في لبنان ومن ثمّ «حماس» في فلسطين أيضا. فهذه المجموعات الإسلامية بدأت تحرّكات ناجحه ضدّ إسرائيل، حيث تُعدّ الهجمات المسلّحه وتنفيذ العمليات الاستشهاديه ضدّ هذا النظام من أهمّ تلك التحرّكات. وتأتى بموازاه ذلك النشاطات الثقافيه، استقطاب وتنظيم الشباب المتلهّف المسلم. وقد أدّت مجموع هذه الخطوات في النهايه إلى تحرّك وثوره الشعب الفلسطيني المسلم عامّه في ما يُعرف بـ «الانتفاضه» في عام ١٩٨٧. إنّ دراسه هذه الانتفاضه التي أثّرت بقوّه على مسيره التسويه، يبيّن عمق وقوّه تأثير الثوره الإسلاميه على مسار هذه الانتفاضه وعلى مسيره عمليه السلام في النتيجة. (١)

ص: ٢٨١

١- (١). محمدباقر سليمانى: بازيگران روند صلح خاورميانه: ٢٦٣.

إشارة

إنّ هذه الدولة بنفوسها البالغ عددهم ٧٤،١٠٠،٠٠٠ نسمة وبمساحتها التي تُقدَّر بـ ٩٩٥.٤٥٠ كيلومتر مربع، تُعدّ من جهه سعتها، موقعها الجغرافي، التاريخي، عدد السكّان والتقدّم من أهمّ وأكبر البلدان العربيّه. فنثقافه هذا البلد هي الثقافه الإسلاميه الثريه حيث يشتغل علماء ومفكّرون كثر ومنذ عهود متماديه في أشهر جامعته فيه (جامعه الأزهر). وتتعبّد أغلبيه الشعب المصري بالمذهب الشافعي الذي يُعدّ من أقرب مذاهب أهل السنّه إلى الشيعه الاثني عشرية، الأمر الذي أدّى بالشعب المصري إلى التمتع بوحده مذهبيه جيده.

علاقات إيران ومصر قبل الثورة

لقد قامت علاقات قديمه وطويله بين هذين البلدين الإسلاميين الكبيرين، سواء كان ذلك على مستوى الدولتين أم على مستوى الشعبين أم المفكّرين. ونظرا إلى نفوذ بريطانيا وسيطرتها على كلّ من الدولتين في القرن العشرين، فقد تطوّر الأمر بينهما إلى

نشوء ارتباط أسرى بين الأسرتين الملكيتين اللتين تحكمان البلدين. فقد تزوجت فوزيه أخت فاروق ملك مصر زواجا سياسيا من محمدرضا بهلوى ولي العهد الإيراني، والذي لم يُقدّر له الاستمرار طويلا وانتهى بالانفصال. وقد أدى انقلاب ١٩٥٢ الذى قام به الضباط الأحرار فى مصر بقيادة جمال عبدالناصر وانقلاب ١٩٥٣ فى إيران اللذان تسببا فى سقوط النظام الملكى فى مصر وتثبيت النظام البهلوى فى إيران، إلى توتر العلاقات بين الدولتين بشده إلى درجة أدت إلى قطع العلاقات بينهما.

حيث اتهمت إيران حكومه عبدالناصر بعلاقتها فى أحداث ٥ حزيران ١٩٦٣ فى إيران، وتعرض النظام البهلوى بدوره إلى هجوم وسائل الإعلام المصريه بسبب علاقاته الوطيه مع إسرائيل. واستمرت هذه الحاله حتى وفاه عبدالناصر فى عام ١٩٦٩؛ ولكن مع مجيء أنور السادات واتجاهه الشديد نحو أمريكا، أخذت العلاقات بالتحسن مجددا بين الدولتين ووصلت مستوى بحيث أن مصر كانت أول محطه لشاه إيران إثر فراره من بلده، ودفنه فى نهايه المطاف فيها بعد موته فى إحدى مستشفيات القاهره.

وقد جاء انتصار الثورة الإسلاميه فى عام ١٩٧٩ التى تزامنت مع مفاوضات كامب ديفيد، وعلى الخصوص توقيع المعاهده الدائمه الصيت بين مصر وإسرائيل وخروج مصر على إثرها من منظومه دول المواجهه مع النظام الغاصب، لتغير الظروف إلى الدرجه التى تم فيها قطع العلاقات بين البلدين والذي ما زال سارى المفعول حتى اليوم.

حيث إن توقيع معاهده كامب ديفيد، الاعتراف بإسرائيل، السماح ل- محمدرضا بهلوى باللجوء إلى مصر واستقباله فى القاهره قد أجاج النزاع بين طهران والقاهره. واستخدمت مصر منذ ذلك الحين كافة إمكانياتها لاحتواء الثورة الإسلاميه الإيرانيه. وتمثلت إحدى هذه الخطوات بقمع المجاميع الإسلاميه المتهمه بتلقى الدعم من الجمهوريه الإسلاميه.

وقد اتهمت الحكومه المصريه إيران بتصدير ثورتها إلى العالم العربى فقامت

بدعم معارضى إيران من العرب. ومع أنّ مصر كانت تعيش العزله فى العالم العربى بسبب عقد معاهده كامب ديفيد والاعتراف بإسرائيل، إلّا أنّ إحساس العرب بالخطر من جانب الثورة الإسلاميه الإيرانيه والمواقف المصريه تجاه سياسات الجمهوريه الإسلاميه قد هتأ أفضل وسيله لخروج مصر من عزلتها العربيه. وقد ساعد على هذا الأمر كثيرا أيضا، دعم مصر للعراق فى حربته مع إيران. (١)

وإثر الثورة الإسلاميه الإيرانيه وبسبب عوده الجماعات الإسلاميه المعارضه للحكومته المصريه إلى تحرّكاتهما، اتهمت حكومه هذا البلد إيران بالضلوع فى دعم هذه الجماعات واعتبرتها عميله لإيران، الأمر الذى زاد من الخلافات بين البلدين. (٢)

وبما أنّ الوجه الأهمّ للثورة الإسلاميه كان فى تشديدها على دور الإسلام فى إنشاء حكومه، فإنّ هذه المسأله قد بعثت الحركات الإسلاميه على النشاط الدائب لإقامه حكومات إسلاميه فى بلدانها. فقد بدأت الحركات الإسلاميه التى كانت فعّاله فى مصر منذ أمد بعيد، نشاطا واسعا بتأثير من الثورة الإسلاميه الإيرانيه ووضعت ثوره إيران نصب عينيه لتأسيس حكومه إسلاميه.

ومع بدء عقد الثمانينات واجهت الحكومه المصريه معارضه جادّه من الجماعات الإسلاميه. ولأجل الدعم الذى تقدّمه إيران لهذه الحركات، فقد اتهمت الحكومه المصريه الجمهوريه الإسلاميه بدعم هذه المجموع وكذلك التدخّل فى الشؤون الداخليه المصريه. (٣)

ص: ٢٨٥

١- (١). سيد جلال دهقانى فيروزآباد، سيد مجسن هاشمى: اهميت روابط فرهنگى ايران و مصر در عصر گفت و گوى تمدنهما: مجله مطالعات آفريقا، ويژه ايران و مصر، سال بنجم، شماره دوم ٦١٣٧ - ٦٥؛ كتاب سبز: ٩٨ - ٩٩.

٢- (٢). مجله مطالعات آفريقا: ويژه ايران و مصر: ٦٤ - ٦٥.

٣- (٣). سيد جواد موسوى: علل تيرگى روابط ايران و مصر بعد از انقلاب اسلامى ايران (پايان نامه): ١٨٨؛ مجله مطالعات آفريقا ويژه نامه ايران و مصر: ٣٦.

من العلائم والحقائق البارزة التي لا يمكن إنكارها في المجتمع المصري، قابلية وجداره هذا الشعب في موافقته للحركات الإسلامية وتكاتفه معها. فربما تكون هذه المسألة مرتبطة بسجيه الشعب المصري بسبب ارتباطه العاطفي العميق مع الإسلام مما يدعوه إلى تأييد وموافقته الحركات الإسلامية. ومن جهة أخرى، فإن وجود جامع الأزهر التي يمتد عمرها إلى عده مئات من السنين التاريخيه المتألقه، ودورها في تعليم وتربيه الكوادر الإسلاميه وإرسال المبلّغين الدينين إلى البلدان المختلفه وقبول الجامعيين والمتقدّمين لدراسه المعارف من جميع أرجاء العالم؛ ضاعف من أهميه ودور وتأثير هذا البلد في العالم الإسلامى والعالم قاطبه.

ونظرا إلى أنّ المجتمع المصري يتمايز عن باقى البلدان العربيه من الناحيه الدينيه بخصوص موقفه من مذهب التشيع وإن كان مذهبه هو أحد مذاهب أهل السنّه، إذ إنّه يكتن احتراماً خاصاً لأهل بيت النبى الأكرم صلّى الله عليه وآله، وحتى أنّ علماء الدين المصريين يشدّدون دائما على ضروره الاقتداء ب- الحسين بن على والتأسى ب- زينب الكبرى عليهم السلام، وإظهارهم النفور من ظلم وجور يزيد. ومن هنا، فهذه الصفات التي يتمييز بها قريبه جدّا إلى الشيعه. (١) ويعتقد كثير من علماء مصر كالشيخ شلتوت أنّ الشيعه هم أتباع أحد المذاهب الإسلاميه الخمسه، ويؤكّدون على الوحده بين المذاهب. (٢)

لقد حدثت الثورة الإسلاميه فى إيران فى وقت قد تبلور فيه نوع من عوده المجتمع المصري إلى الإسلام. ويمكن القول إنّ هذه العوده بدأت إثر هزيمة مصر على يد إسرائيل، فكان الشعب المصري مهيبًا للقبول بأى أفكار إسلاميه ثوريه. ومع

ص: ٢٨٤

- ١- (١). عباس خامه يار: تأثير انقلاب اسلامى ايران بر جنبش أخوان المسلمين (پايان نامه): ٤-٥.
- ٢- (٢). نظرات خانم زينب الغزالى در تأثير انقلاب اسلامى ايران بر...، ص ١٠٨.

وجود المراقبه الشديده لرجال الدوله، فإنه تقع كل يوم حادثه جديده في هذا البلد، ويتنامى تحرك الطبقات الشعبيه المختلفه ضد الحكومه، بنحو أنه كان كثيرا ما يُطرح سؤال في بدايات انتصار الثوره؛ حول إمكانية حدوث ما وقع في إيران بقياده علماء الإسلام في مصر؟

فكان تعامل الشعب والمجتمع المصري مع الثوره الإسلاميه الإيرانيه تعاملًا إيجابيًا على العموم. وعلى الرغم من إطلاق عباره إحياء الشعبيه من قبل بلد أعجمي، من هنا وهناك وذلك للسخرية من الثوره الإيرانيه، غير أن الشواهد تشير إلى أن الأغلبه ترى في الثوره الإيرانيه على أنها ثوره إسلاميه وليست ظاهره شيعيه. وما كانت تلك التعاملات إلا لأجل إحباط تأثير الثوره الإسلاميه الإيرانيه من قبل المعارضين لها. (١)

يقول هيكل الصحفى المصرى الشهير:

في عام ١٩٧٨، وحينما كانت الثوره الإسلاميه الإيرانيه تعيش ذروتها، قامت الحكومه المصريه بدعم نظام الشاه حتى أنه قد أصدر بعض علماء مصر فتوى دينيه تتحدث عن لزوم إطاعت ولى الأمر بحيث أن الإمام الخميني رحمه الله سألتني بمراره أثناء المقابله التي أجريتها معه في باريس [قبل انتصار الثوره] والمقابله اللاحقه معه في قم [بعد انتصار الثوره] لماذا يصدر بعض علماء الدين في مصر فتاوى ضد الثوره الإسلاميه. في حال أن العرب كانوا يشكون من مشاركه الشاه في المشاريع الغربيه في المنطقه، والثوره الإسلاميه الآن لم تخرج من هذه المشاريع فحسب، بل إنها برزت لمواجهتها. أضف إلى ذلك أن العرب كانوا يشكون من علاقات إيران مع إسرائيل وقد قطعت هذه العلاقات الآن وسلم مقر ممثل إسرائيل إلى منظمه التحرير الفلسطينيه. ومع كل هذا فإن تأثير الثوره الإسلاميه على عامه الناس والحركات الإسلاميه مما لا يمكن إنكاره. (٢)

ص: ٢٨٧

-
- ١- (١). على منتظمي: پی آوردهای انقلاب اسلامی ایران در مصر: ٢٤ - ٤٩؛ سيد جواد موسوى: علل تيرگی روابط ایران و مصر بعد از انقلاب اسلامی ایران (پایان نامه): ٥٢ - ٥٦.
 - ٢- (٢). جميله كديور: مصر از زاويه ای ديگر: ١٢.

إنَّ أوَّل ردود الأفعال تَجاه الثورة الإسلاميه الإيرانيه كانت قد صدرت عن جماعه الإخوان المسلمین. فقد أثنت هذه الجماعه فی بیان لها فی عام ١٩٧٩ على الثورة الإسلاميه الإيرانيه ورَحبت بها بقولها؛ إنَّ الروح التي كانت تتحرَّك خلف الثورة الإسلاميه تشبه تلك الروح التي هدت المسلمین الأوائل إلى الإسلام. وأعلنت كذلك أنَّ لا-وجود للفصل بین الدین والسیاسه فی الإسلام، وأنَّ الإسلام دین کامل يتضمَّن قوانین لهذا العالم والعالم الآخر وينظِّم جمیع شؤون الحیاة. (١)

وقد أدَّت الضغوط التي مارستها الحكومه المصريه على جماعه الإخوان المسلمین بعد الثورة الإسلاميه الإيرانيه إلى انتقالهم إلى النشاط السرى. فضمن اتِّخاذ هذه الجماعه الثورة الإسلاميه الإيرانيه قدوه لها، قامت بأحداث بعض التغيرات فی إستراتيجيتها، ودعت إلى انتفاضه شعبیه فی الجامعات والشوارع، غیر أنَّ نقطه ضعف هذه الجماعه تمثَّلت فی عدم استطاعتها تحريك الجماهير معها ففشلت فی ذلك. (٢)

وكانت الجهاد إحدى الحركات الراديكاليه التي تحظى بشعبیه واسعہ أيضا فی مصر، حيث أُغتيل أنور السادات الرئيس المصري فی أكتوبر ١٩٨١ بواسطه أحد أعضاء هذه الجماعه الذي يدعى خالد الإسلامبولی . ويعتقد البعض أنَّ التأثير الأكبر للثوره الإسلاميه كان على حركه الجهاد من بین الجماعات المصريه، إذ إنَّ هذه الجماعه تسعى للسير على خطوات ثوره إيران. حيث اعتمدت اللجوء إلى العمليات المسلَّحه للوصول إلى أهدافها، وقام قادتها بالتخطيط للانتصار فی مصر من خلال تحليل الثورة الإسلاميه وكيفیه انتصارها.

ويعتقد عبود الزمر ، أحد قادة هذه الحركه بأنَّه ينبغي أن تكون هناك مواجهه مسلَّحه، حيث لن تتمكَّن الحكومه المقاومه فی مقابل المواجهه المسلَّحه والتحرُّك

ص: ٢٨٨

-
- ١- (١) . سيد جواد موسوی: علل تیرگی روابط ایران و مصر بعد از انقلاب اسلامی ایران، (پایان نامه) ص ٨٩.
 - ٢- (٢) . جمیله کدیور: انتفاضه، حماسه مقاومت فلسطين: ١٧٠؛ سيد جواد موسوی، علل تیرگی...، (پایان نامه) ٦٩.

الشعبي الواسع باعتمادها على القوات المسلّحه. وهو يستند في ذلك إلى الثورة الإيرانيه، ويعتقد بأنّ القوات الحكوميه المسلّحه ستنضمّ إلى جموع الشعب بالتدرّج وستعرض صفوفهم للانقياد. وقد قامت حركة الجهاد بدراسه كيفيه انتصار ثوره إيران بشكل جيد من خلال مطالعتها كتابات الثوريين الإيرانيين، بحيث إنّ القوات الحكوميه قد عثرت على خلاصه مدوّنه لكتاب الحكومه الإسلاميه للإمام الخميني رحمه الله أثناء إلقاءهم القبض على بعض أعضائها، ومسودّه ملخّصه حول ثوره إيران وكتب الدكتور شريعتي. (١) واتخذت الحكومه المصريه من ذلك ذريعه لاثّهام الحكومه الإيرانيه بالتدخل في الشؤون الداخليه في مصر وإحداث توتر في هذا البلد.

وكانت النشرات والمطبوعات الإيرانيه تقوم بنشر أخبار عمليات الجماعات المصريه كلّ يوم وتثني عليها وترحب بها إلى الحدّ الذي أطلقت حكومه الجمهوريه الإسلاميه أسماء شهدائهم على أسماء الشوارع الإيرانيه، وقام القاده والمسؤولين في الثوره الإسلاميه أيضا بالترحيب بعملياتهم وإجراءتهم تلك.

فالإمام الخميني رحمه الله على سبيل المثال، دعا في خطاب له في آذار ١٩٧٩ الشعب المصري إلى الثوره على حكومه السادات . حيث ناشد في هذا الخطاب الشعب المصري بأنّه يجب عليه النهوض لإقامه حكومه إسلاميه وطرد السادات من البلاد. وكان هذا أول موقف رسمي للحكومه الثوريه الإيرانيه يتحدّث بصراحه عن المطالبه بإسقاط حكومه السادات .

ومن الحركات والجماعات المصريه الأخرى التي تأثرت بالثوره الإسلاميه الإيرانيه، حركة اليسار الإسلامى. فهذه الجماعه وكما الجهاد تُعدّ من ضمن الجماعات النضاليه الراديكاليه. وهى بالإضافة إلى ثنائها على الثوره الإسلاميه الإيرانيه، أطرت

ص: ٢٨٩

١- (١) . جميله كديور: انتفاضه... ص ١٦٢ - ١٦٣؛ سيد جواد موسى، علل... ، ص ٨٢، ٩٠ - ٩٢؛ عبدالوهاب فراتى: انقلاب اسلامى و بازتاب آن: ٧٤ - ٧٥.

كذلك على روحه المواجهه التي يتسم بها المذهب الشيعي أيضا، ورأت أن أحد أسباب الثورة الإيرانية هو اتسام مذهب التشيع بالفكر، العقل والاجتهاد، مما جعله مذهبا متجددا في المجتمع. وأكثر ما طغى على هذه المجموعه ولعها بدور الفكر الشيعي في الثورة الإسلاميه الإيرانيه، فترجمت في هذا السياق عددا من كتب الإمام الخميني رحمه الله والدكتور شريعتي إلى العربيه، وقامت بنشرها وألّفت كتبا حول الثورة الإسلاميه أيضا. (١)

إنّ جماعه الإخوان المسلمين تمثّل أكبر جماعه دينيه مناضله في مصر، ويمكن القول إنّها تعتبر ممثله للحركات السنيّه في هذا البلد. ولهذه الجماعه أقسام في البلدان العربيه - الإسلاميه المختلفه؛ كما هو الحال في الثورة الإسلاميه الإيرانيه التي تمثّل أكبر حركه شيعيه، فكلا الحركتان تُعدّان مجدّدتان للحركات الإسلاميه.

ولزعماء هذه الحركه في مصر نفوذا واسعا على باقى أقسام الجماعه في البلدان المختلفه. ولم يكن انتصار الثورة الإسلاميه الإيرانيه من دون تأثير على هذه الحركه كما الحركات الأخرى، فأدّت إلى إحداث بعض التحركات في هذه الحركه التي واجهت ركودا على مدى عقد من الزمان تقريبا، وكانت قد تحوّلت إلى حزب برلماني وحكومي. (٢)

لقد استطاعت الثورة الإسلاميه الإيرانيه أن تترك تأثيرها على حركه الإخوان المسلمين بدرجة ما، بحيث إنّ الأمانه العامه للتنظيم الدولي للإخوان المسلمين في مصر بادرت إلى الاتّصال بمسؤولي الثورة الإسلاميه الإيرانيه بمجرّد

ص: ٢٩٠

١- (١). نرجس خاتون برآهوني: اصول گرايي اسلامي ايران و تأثير منطقتها آن، (پايان نامه)؛ ٩٤-٩٥؛ عبدالوهاب فراتي: انقلاب اسلامي و بازتاب آن: ٧٥.

٢- (٢). سيد جواد موسوي: علل تيرگي روابط ايران و مصر بعد از انقلاب اسلامي ايران (پايان نامه)؛ ٣٩-٥٧؛ عباس خامه يار: تأثير انقلاب اسلامي بر جنبش اخوان المسلمين، (پايان نامه)؛ ٢٥٩.

انتصارها، فزارت هيئه من الأجنحه المختلفه للإخوان المسلمين إيران، وهنأت المسؤولين الإيرانيين بانتصار الثورة، وأجرت مباحثات وحوارات في خصوص طرق التعاون بينهما. في نفس تلك السنه ١٩٧٩، قامت ايران باختيار رابط اتصال فقام بدوره بالاتصال بممثل التنظيم الدولي للإخوان المسلمين في لوكانو في سويسرا، وخلال التخطيط للقيام بهذه الزيارة والبحث حول العلاقات مع إيران، اتّخذت على وجه السرعة بعض القرارات واتّفق الطرفان حول المسائل أدناه:

ألف: تشكيل لجنه مشتركه من ممثلى الإخوان المسلمين لزياره إيران وتقديم التهنته بمناسبة انتصار الثورة الإسلاميه وسقوط نظام الشاه. (زارت هذه اللجنه إيران في حزيران ١٩٧٩).

ب: إصدار الإخوان المسلمين كتيباً للتعريف بالثوره وبيان مكاسبها وإنجازاتها ونشر تصريحات ومواقف قياده الثوره.

ج: إيجاد علاقه منظمه مع حركة الطلبة الإيرانيين من خلال الاتحاد العالمى للطلبه المسلمين والقيام بترجمه آثار مؤلفى الطرفين وعلى الخصوص آثار الإخوان المسلمين من العربى إلى الفارسى وبالعكس.

د: وضع الإمكانيات والنشاطات الثقافيه والصحفيه للإخوان المسلمين فى خدمه إيران للاستفاده منها فى المراكز الصحفيه ومؤسسات الثوره فى البلد. (١)

ومن جهه أخرى، فقد قام الإخوان المسلمين بإصدار بيانات متعدده حول دعم وتأييد الثورة الإسلاميه الإيرانيه. فقد أحيث الثورة الإيرانيه الإحساس فى قلوب أعضاء حركة الإخوان المسلمين بأن الانتصار قريب جداً، وأنه لن تستطيع أى قوه قمعيه المقاومه والصمود فى وجه الإسلام والمعتقدات الإسلاميه.

ص: ٢٩١

١- (١). عباس خامه يار: تأثير انقلاب اسلامى بر جنبش اخوان المسلمين، (پايان نامه): ٢٥٦-٢٥٧.

وقد قام الإخوان المسلمون أيضا باتخاذ موقف تجاه استقبال الحكومة المصريه لشاه ايران وأسرتة، وأقامت مأتما لشهداء ثوره إيران وثمنت تضحياتهم. (١)

ويمكن القول بصفه عامه؛ أنّ حركة الإخوان المسلمين اعتبرت الثورة الإسلاميه حركه في إطار المواجهه العالميه بين الإسلام والكفر، وذلك في السنوات الأولى بعد انتصار الثورة الإسلاميه. وقامت في عام ١٩٧٩ كذلك بنشر كتاب يحمل عنوان البديل الإسلامى واعتبرت فيه أنّ أسلوب الإمام الخمينى رحمه الله والجمهوريه الإسلاميه يمثّل طريق الحلّ الإسلامى للخلاص من الأنظمه العميله. (٢)

ومع مرور عامين على انتصار الثورة الإسلاميه الإيرانيه، فإنّ الدعم الابتدائى الذى قدّمه قاده الإخوان المسلمين لها أخذ بالانخفاض. ويمكن إرجاع أحد أسباب البروده في العلاقات إلى بدء الحرب العراقيه الإيرانيه التى أدت إلى ترك القضايا المذهبيه أثرها على آرائهم.

حيث يعتقد البعض داخل حركة الإخوان المسلمين بأنّ الثورة الإيرانيه هى ثوره شيعيه أعجميه تريد السيطرة على جميع العالم الإسلامى، فبدأوا بنشر الكتب المضاده للشيعه والهجوم على ثوره إيران. وشكّكت النشرات المرتبطه بهم أيضا بالثوره الإيرانيه كثوره إسلاميه وتعزّضوا لها بالنقد. (٣) وكان أحد الأسباب الأخرى لتغيير الإخوان نهجهم هو الضغوط التى تمارسها البلدان العربيه على هذه الحركه. (٤)

هذا ومع مرور أكثر من ربع قرن على انتصار الثورة الإسلاميه، فإنّ تأثير الثورة قد

ص: ٢٩٢

١- (١). المصدر نفسه: ٢٥٩.

٢- (٢). المصدر نفسه: ٢٥٩.

٣- (٣). المصدر نفسه: ٢٧١، ٢٧٦ و ٢٧٧؛ سيد جواد موسى: علل تيرگى روابط ايران و مصر بعد از انقلاب اسلامى ايران، (پايان نامه): ٥٤ و ٥٥.

٤- (٤). عباس خامه يار: تأثير انقلاب اسلامى ايران بر جنبش اخوان المسلمين، (پايان نامه): ٢٧٣.

غدا أعمق وأوسع على عامّة الشعب وحتّى الطبقات الجامعيه، العلماء والمثقفين. ويمكن ملاحظه ذلك في المظاهرات العامّة للطلبه والناس العاديين في المناسبات المختلفه. ومع كلّ هذا فإنّ الحكومه المصريه استطاعت حتّى الآن من التغلّب على هذه الحركات وقمعها.

تونس

أشاره

تبلغ مساحه تونس ١٦٣،٦١٠ كيلومتر مربع وعدد سكانها ٧٢٢،٩٧٤،٩ نسمة، ويحدّها من الشمال والشرق البحر الأبيض المتوسط، ومن الغرب الجزائر ومن الجنوب الشرقي ليبيا، وهي تتمتع بموقع استراتيجي جيو-سياسي مهم.

لقد كان الشمال الأفريقي عامّة موضعا لأطماع القوى الأوروبيه منذ أمد بعيد، وذلك لأجل موقعه الجغرافي. إنّ الطريق الملاحى للبحر الأبيض المتوسط، حدا بالقوى الاستعماريه إلى السباق في ما بينها لتعزيز سيطرتها على هذه المنطقه ومن ضمنها تونس، ومن هنا فإنّ الأهميه الأكبر للموقع الجيو-سياسي لتونس يعود إلى وقوعها في جنوب البحر الأبيض المتوسط.

ويشكّل أتباع المذهب المالكي ٩٨٪ من سكان تونس البالغ عددهم عشره ملايين نسمة.

وتعود العلاقات بين إيران وتونس ثقافيا إلى القرون الأولى للإسلام، حيث هاجر الكثير من الفقهاء والعلماء الإيرانيين في عهد الخلافة الفاطميه إلى تونس، ولم تصل هذه العلاقات إلى مستواها الأدنى إلّا في مرحله السيطره العثمانيه على تونس بسبب الخلافات الموجوده بين إيران والإمبراطوريه العثمانيه.

وقد تبلورت سياسات البلدين إيران وتونس على أساس قومي اتّخذ طابعا أيديولوجيا، وذلك إثر استقلال تونس. وكانت هذه الأحاسيس القوميه شديده وقويه

وعلى الخصوص فى العالم العربى الذى كان واقعا تحت السيطره الاستعماريه آنذاك؛ بنحو أذى إلى ابتكار فكر تحت يافته القوميه العربيه. وبالتزامن مع ذلك فقد انتشر الفكر القومى فى إيران كذلك، وذلك فى ظلّ السياسات المضادّه للإسلام التى انتهجها النظام السابق وعلى الخصوص فى مشروع القوميه الإيرانيه الإيجابيه.

وفى عام ١٩٥٧، أقيمت العلاقات بين إيران وتونس ووصلت إلى مستوى مناسب بحيث زار بورقيه ايران، وشاه إيران تونس، وكانت إيران من أوائل الدول التى اعترفت باستقلال تونس. (١)

واستمرّت مسيره تمتين العلاقات بين البلدين فى الحدود الممكنه، أى ارتباط ايران بالقطب الأمريكى وارتباط تونس بالقطب الفرنسى من العالم الغربى حتّى انتصار الثوره الإسلاميه الإيرانيه.

لقد كانت الثوره الإسلاميه الإيرانيه ظاهره جديده فى العالم المعاصر، ثوره غائيه، هدفه، إسلاميه وذات شموليه عالميه استرشدت ونجحت من خلال اعتمادها على قائد عالم وعارف، فيلسوف وفقه جامع للشرائط ومدرك لظروف الزمان والمكان ومقتضياتهما. فقد هبّت هذه الثوره باعتمادها القيم الدينيه لمواجهة المذاهب الإلحاديه المسيطره على العالم وتحوّلت باعتمادها على الرؤيه والأيدولوجيه الإسلاميه إلى وسيله لتحقيق الأهداف الإسلاميه.

وقد رحّبت شعوب بلدان الشمال الأفريقي وعلى الخصوص تونس بانتصار الشعب الإيراني المسلم؛ إذ إنّ هذا الشعب كان قد ناضل ضدّ الإستعمار على مدى أعوام طويله، وكان من أهمّ الأسس والأهداف التى تبنتها حركه الاستقلال التونسيه فى سنوات النضال السياسى، هو الحفاظ على الهويه العربيه والإسلاميه وإقامه نظام

ص: ٢٩٤

١- (١). سيد نعمت الله قادري: مشروح ميزگرد مشترك ايران وتونس، مطالعات آفريقا، شماره ٤، پایيز وزمستان ٨٠: ص ١٩٤.

ديمقراطى يترافق مع توفير الحرّيات المشروعه لعامة الشعب ومشاركتة فى تقرير مصير البلاد وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى ظلّ العدالة الإجتماعية، ولطالما شدّدت النخب السياسية لحركة الاستقلال التونسيه ومن بينها زعيم الحركة على هذه الأهداف للحصول على الاستقلال. ولهذا فقد أولى المسلمون التونسيون اهتمامهم بخطاب الثورة الذى مثل الحرّية، الاستقلال، الدفاع عن حقوق الإنسان ووحده وتكاتف العالم الإسلامى. (١)

غير أنّه ينبغي أخذ هذه المسألة بنظر الاعتبار وهى أنّ تعامل دول الشمال الأفريقي كما هو الحال فى تونس يختلف بشكل كامل واتّجاه الشعب. (٢) فى الوقت الذى أبدت شعوب المنطقة علاقه عميقة ومتنامية تجاه الثورة الإسلاميه الإيرانيه، اعتبرت الحكومه التونسيه خطاب الثورة تهديدا لها، بحيث أنّها أغلقت سفارتها فى طهران فى عام ١٩٨٢ بذريعه الاقتصاد فى النفقات ومعارضتها للحرب المفروضه، وسمحت لسفاره الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه بالاستمرار فى نشاطها فى تونس. وقد رافق هذا التواجد من جانب واحد ضغوطا ومضايقات متعدده فخفّضت الجمهوريه الإسلاميه بنحو عملى تمثيلها الدبلوماسى إلى مستوى قائم بالأعمال. وبمحاذاه هذه الأحداث، أخذت النشريات والصحف الصهيونيه والدوليه والقوى التى تعرّضت مصالحها للخطر بتسميم العلاقه مع الجمهوريه الإسلاميه فى البدايه بنشرها أكاذيب ملفّقه أمثال البيانات العسكريه للنظام البعثى فى العراق التى تشير إلى شراء الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه أسلحه من النظام الاحتلالى للقدس. واستمرّت هذه العمليه بالتزايد إلى أنّ اتّخذ المسؤولون الكبار فى تونس فى النهايه مواقف صريحه فى مجال العلاقه مع

ص: ٢٩٥

١- (١). المصدر نفسه: ١٩٥.

٢- (٢). جورج جافى: عوامل بالقوه همكارى بين ايران و مغرب: مطالعات آفريقا، شماره ٣، تابستان ٥٨٧.

الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه وعى الخصوص فى إطار الحرب المفروضه ودعموا بشكل علنى موقف العراق، وأخذوا بالتصويت ضدّ إيران فى أروقه المؤتمرات الدوليه خاصّه فى ما يتعلّق بقضايا حقوق الإنسان.

الصحوه وإحياء الاتّجاه الإسلامى

لقد دلّت الثوره الإسلاميه بقياده الإمام الخمينى رحمه الله للشعوب المظلومه بأنّه يمكنها بالتوكّل على الله، الثبات والاستقامه وعدم الارتباط بالمذاهب المادّيه الشرقيه والغربيه والاعتماد على الدين الإسلامى المنقذ، من الانتصار على أعتى الأنظمه المرتبطه بالاستكبار. فهذا الانتصار قد أحدث ميلا- ورغبه عجيبه بين الشعوب المظلومه، حركات التحرّر وجميع أحرار العالم ولعب دورا بالغا فى صحوه، أمل وثقه المسلمين بأنفسهم - بغض النظر عن القوميه أو الميول السياسيه للشعوب -. فكان انتصار الثوره الإسلاميه بمثابة انتصار الإسلام فى الأرض الإسلاميه قاطبه من أندونيسيا وحتى المجتمعات الإسلاميه فى الغرب، وأوضح قدره الإسلام على قياده الشعوب المقهوره لمواجهه الأنظمه الفاسده الخاضعه للأجانب. فالثوره الإسلاميه التى هى بمثابة منعطف حاسم لإحياء الفكر الإسلامى وتطبيقه على أرض الواقع، قدّمت للمسلمين أملا وحركه وأحيت الإسلام من جديد من خلال إحداثها تغييرات عميقه فكريه وثقافيه، وتجلّت فكره تأسيس الحكومه الإسلاميه باعتبارها الحاجه الملحّه فى حياه الناس. ومن هنا، فقد هبّ مسلمو أفريقيا ومناضلو هذه القاره برغبه عارمه لمعرفه الثوره التى تتمتع بقيمه وقديسه كبيره، وظهر التيار الإسلامى ونمو الصحوه الإسلاميه باعتبارهما مؤشرا أساسيا ومهمّا فى منطقه شمال أفريقيا. وقد لعب تاريخ الحضاره الإسلاميه الضاربه فى القدم والتزام شعوب المنطقه بالإسلام دورا مهمّا أيضا فى تنامى الحركات الإسلاميه، بحيث جعل من هذه المنطقه بؤره للسعى لاستعادته الهويه الإسلاميه للشعوب والعوده إلى

الإسلام المتجدد والفعّال. وتأتى دراسته الحركات الإسلاميه فى تونس فى هذا السياق لتمثل علاقته بارزته على تجديد الفكر والوعى الإسلامى فى هذا البلد.

لقد تبلورت الحركة الإسلاميه التونسيه بعد مرور ١٥ عاما على استقلال البلاد. وقد قام مناصرو الغرب بإضعاف المؤسسات الإسلاميه للمجتمع خلال هذه الأعوام وقضوا على بعضها الآخر. فقد قاموا بإغلاق المحاكم الشرعيه والأوقاف على سبيل المثال، وحالوا دون دراسته الشباب التونسي فى جامعته «الزيتونه» - كانت من المراكز العلميه المهمه جدا - التى خرّجت الكثير من المفكرين الإسلاميين فى الشمال الأفريقي وعلى الخصوص الجزائر، المغرب وتونس وأثاروا النعرات القبليه والعائليه. (١)

فهذا النموذج قام بتنفيذه الحبيب بورقيبه منذ استقلال البلاد فى عام ١٩٥٦، وعلى الرغم من المساعى التى بُذلت لإلقاء المشروعيه على سياساته باعتبارها تمثل الإسلام، فقد أدت إلى حدوث أكبر موجه علمانيه فى تونس نسبه إلى أى بلد عربى آخر. فقد أقر فى قانون الأحوال الشخصيه على سبيل المثال المساواه بين المرأه والرجل فى مسأله الطلاق، ونُقذ كذلك منع تعدد الزوجات. (٢)

ففى هذا الفضاء السياسى - الاجتماعى ولدت الحركة الإسلاميه التونسيه. فقد كان اليساريون والقوميون - التياران المتعارضان - قد سيطرا على ساحه السياسه التونسيه فى عقد الستينات. ووصلت بهما الأمور إلى حدّ الأتحاد فى بدايه عقد السبعينات، وأسّسوا فى عام ١٩٧٨ أتحاد الشغل. (٣) غير أنّ مسيره معارضه الحكومه اتّجهت فى بدايه عقد الثمانينات بشده نحو الأسلمه، وتسببت النشاطات الإسلاميه فى تونس إلى حدوث أزمة. وبدأت الأزمة فى المدينه الجنوبيه غفا، وأدت فى عام ١٩٨٧ إلى إقاله الحبيب

ص: ٢٩٧

١- (١). تونس ونهضت اسلامى: هفتة نامه بعثت، ٢٦ آذر ١٣٧٣.

٢- (٢). Bruce. Maddy-weitzmaan ، The Islamic Challenge in north Africa-Middle East .
.Review of international affairs ، Voll No.٢ July ١٩٩٧

٣- (٣). تونس ونهضت اسلامى: هفتة نامه بعثت، ٢٦ آذر ١٣٧٣.

بورقيه الذى كان قد أراد إعدام زعيم «الحركه الإسلاميه». (١) وعلى هذا الأساس فقد أعلن زين العابدين بن على رئيس الوزراء فى بيان له، نفسه رئيساً للجمهوريه وقائداً عامياً للقوات المسلحه، ونحى بورقيه عن السلطه. وتفاءل الشعب التونسى والجماعات الداخليه المعارضه بهذا التغيير والتطور وأعربوا عن فرحهم وسرورهم بذلك؛ وشمل ذلك حتى الجماعات الإسلاميه حيث أتت مجيء بن على للسلطه وأعلنت تعاونها مع النظام الحاكم. وقد وعد بن على بإلغاء نظام الحكم الفردى وإجراء إصلاحات إقتصاديه واجتماعيه. وطرح مسأله تعدد الأحزاب ونشاط المجاميع السياسيه وأعلن التزامه بالأسس الديمقراطيه. ولقد كانت هذه الوعود جذاباً جداً بالنسبه للشعب التونسى الذى قضى سنوات عديده وهو يعانى الشده والقسوه. بيد أن هذا الوضع لم يستمر إلا لفته قصيره حيث لم يتعد ربّما من ٧ تشرين الثانى ١٩٨٧ وحتى إجراء الانتخابات النيابيه وراثسه الجمهوريه فى نيسان ١٩٧٩.

فقد سمح النظام للإسلاميين بالمشاركه فى هذه الانتخابات بشكل مستقل. وبصفه عامه فتمه حكومات كثيره فى العالم الإسلامى كانت تعتقد أبان عقد الثمانينات بأنّ الفعاليات الإسلاميه تفتقد دعم الشعب، وتدعى أنه فى ما إذا أُجريت انتخابات فإنّها لن تحصل على شىء معتدّ به. وأبدت عدّه دول تصميمها لاختبار هذه الدعوى التى أذهلت نتيجه العالم الإسلامى والغربى. (٢) وكانت تونس من بين تلك الدول؛ حيث إنّ الانتخابات النيابيه التى أُجريت فى ١٩٨٩ وشارك أعضاء الحركه الإسلاميه بقائمه مستقله؛ نجحوا من خلال تواجدهم السياسى بتعبئه الكثير من الناس ونالوا أغلبه الآراء فى أكثر مناطق البلاد وعلى الخصوص المدن الكبرى. الأمر الذى جعل النظام يلجأ إلى التزوير لحسم المسأله.

ص: ٢٩٨

١- (١). جورج جافى: عوامل بالقوه همكارى بين ايران ومغرب: مطالعات افريقا، شماره ٣، تابستان ٣٧٧.

٢- (٢). John Esposito-Political Islamic: Beyond the Green Menace.

حيث احتسب لنفسه جميع مقاعد مجلس النواب البالغه ١٤١ مقعداً، وأعلن رسمياً بأن القائمة المستقله التي تدعمها الحركة الإسلاميه لم تحصل سوى على ١٧٪ من الآراء.

وكانت هذه نهايه المرحله الأولى من الهدوء الظاهري بين الطرفين وبدايه مرحله المواجهه العلنيه من قبل الحكومه التونسيه ضدّ الحركة الإسلاميه التي سمّت نفسها «نهذا» أو حركة النهضه الإسلاميه، حيث بان لها ما كانت تتمتع به من مقدره وقوّه ومحبوبيه بين الجماهير. ولأجل ذلك فقد قامت الحكومه بإيصال بعض العناصر من الشيوعيين والقوى اليساريه والعلمانيه التي اشتهرت بعداؤها للإسلام إلى مقاعد الوزارات والوزارات الخطيره نظير وزاره التربيه والتعليم وزاره الثقافه والإعلام والصحف الحكوميه والإذاعه والتلفزيون بغيه إعداد برامج تلفزيونيه في سياق البرامج الواسعه المضادّه للدين وإلغاء المفاهيم الإسلاميه كالجهاد، الوحده الإسلاميه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها من البرامج التعليميه واستبدالها بمفاهيم صاخبه أمثال حقوق الإنسان، الديمقراطيه الغريبه و... ولأجل استقطاب الشباب نحو الثقافه الغريبه المبتدله، قامت في هذا السياق بنشر الفساد والتحليل بينهم ووضعت هذه السياسه في طور التنفيذ من خلال طبع الكتب، النشريات وبثّ الأفلام المستهجنه.

وبعد مضي عامّ على هذا المشروع، دخل النظام بدعم من الغرب وموافقه والقوى العلمانيه والانتهازيين من اليساريين في مواجهته الحركة الإسلاميه في مرحله قمعيه شديده، وأبدى الإسلاميون سخطهم على الاغتيالات السياسيه في الشوارع وإقامه تظاهرات للاعتراض على تواجد القوات الأمريكيه ضدّ الأممه الإسلاميه وتدنيس الأرض المقدّسه للحرمين الشريفين خلال أزمه الخليج الفارسي. فبادر النظام التونسي إثر ذلك لإلقاء القبض على الشباب وجميع مؤيدي وأنصار الحركة الإسلاميه ومن له ارتباط بها، وعرضهم لأقسى أنواع التعذيب؛ واستمرت هذه الهجمه من الاعتقالات،

وترى الحكومه التونسيه أنّ ظهور الحركات الإسلاميه فى شمال أفريقيا يمثّل جزءا من مؤامرات الإسلاميين فى كلّ من إيران والسودان، لذا فقد انطلقت لمواجهه هذه الحركات بعنف، واتّخذت مواقف عدائيه تجاه الإسلاميين. ففى هذا المجال، وعلى الرغم من أنّ الحكومه التونسيه تواجه سخطا متزايدا فى خصوص حاله حقوق الإنسان، فإنّها تتمتع بدعم كامل من قبل الأوربيين، إذ إنّه وبسبب السابقه الاستعماريه للأوربيين، فقد كان لدول المنطقه ارتباط تقليدى خاصّ بأوربا، وعلى الخصوص البلدان الواقعه فى جنوب هذه القارّه، فما زالت أنظمتها متأثره سياسيا، اجتماعيا واقتصاديا كما فى السابق بهذا الارتباط. إذ لا يمكن دحض التأثير المتبادل بين الدول المطلّه على جهتي البحر الأبيض المتوسط، حيث تعتبر بلدان المنطقه من وجهه نظر الأوربيين العمق الاستراتيجى والحديقه الخلفيه لهم، وأنّها تفى بحصّه أساسيه من ازدهار واستمرار حيويه إقتصاد جنوب أوربا.

ومن جهه أخرى، فإنّ التطوّرات فى بلدان هذه المنطقه ومن بينها مصر، تونس والجزائر وتأثير هذه التطوّرات بالنظر للزيارات المتبادله بين شعوب ضفتى البحر المتوسط وتواجد أكثر من ثلاثه ملايين من مواطنى شمال أفريقيا وأوربا فى البلدان الجنوبيه لها على وجه التحديد، أدت إلى بذل أوربا مساعيها لإقامه تعاون إقتصادى، سياسى وأمنى مع المنطقه. فخوف أوربا من تأثير مسار المطالبه بالإسلام والنهوض الإسلامى الذى يُعدّ بحسب نظرهم أمر لا يمكن تلافيه، يعرّض مصالح الغرب للخطر.

حيث إنّ الفكر والأصوليه الإسلاميه القائمه على ضروره منع سيطره الأجانب على السوق، الموارد والثروات الإلهيه للمسلمين يقف على نقيض الأطماع

ص: ٣٠٠

الاقتصادي والسياسي الطويله الأمد للغرب في الشمال الأفريقي. فتصريحات الأمين العام لحلف الناتو في مجال لزوم تعاون بعض بلدان المنطقه لمواجهه إجراءات الأصوليه الإسلاميه خير دليل على هذه المسأله التي ابتعد الناتو من خلالها عن أصل إنشائه والمتمثل بمواجهه الشيوعيه، ليَتخذ من مواجهه الاتجاه الإسلامى هدفا أساسيا له. فهذا السعى يوضّح ذروه القلق الذى تعيشه أوروبا والغرب من الخطوات المتناميه للصحوه الإسلاميه فى المنطقه. (١)

فقد جعلت حركة الصحوه الإسلاميه هذه والتي أعقبت الثورة الإسلاميه الإيرانيه الغرب يواجه ظاهره دينيه وإن لم تكن جديده فى حدّ ذاتها حيث تمتدّ إلى ١٤٠٠ عاما فى التاريخ، إلاّ أنّه ومن خلال إدراك الغرب للمسائل الدوليه واستنتاجاته الخاطئه للحركات الدينيه وعلى الخصوص الإسلاميه، لم تكن مبرّره لديهم على الإطلاق، إذ فوجئ القاده والمحلّين الغربين بها.

فهذه الظاهره تُعدّ لغزا محيرا للغرب، وينظر إليها على أنّها حادثه تتجاوز إدراكه واستيعابه ومهدّده لمصالحه، ومن هنا، فقد أطلقوا عليها «الأصوليه الإسلاميه». ويقول الدكتور دكمجيان أحد المحلّين الغربيين المعروفين فى كتابه الإسلام فى طور الثورة فى هذا المجال:

لقد غدت الأصوليه الإسلاميه جزءا من المصطلحات السياسيه، الإعلاميه والجامعيه فى الغرب لعدّه سنوات بعد سقوط الأسره البهلويه فى إيران. فهناك فى الحقيقه سلسله من الأحداث المحزنه أدت إلى التفات العالم إلى استعاده الإسلام حياتة من جديد، وأخذ إلى جانب ذلك يعيش القلق من نتائجها السياسيه والاقتصاديه، ومن الطبيعى أنّ المسؤولين، الجامعيين والإعلام الغربى

ص: ٣٠١

١- (١). حسين شيخ الاسلام: بررسى تحولات شمال و شاخ آفريقا و جاىگاه آن منطقه در سياست ما: مطالعات آفريقا، سال اول، شماره ٣، تابستان ٧٤، ص ٢٩.

لم يكونوا ملتفتين أبدا لها إلى ما قبل دخولها مرحلتها الهجومية مع بدء الثورة الإسلامية الإيرانية. (١)

إن هذه الاعترافات الصريحة حول النهوض الإسلامى فى منطقته الشرق الأوسط تبين فى الواقع حقيقته أن الغرب كان قلقا جدا ومذعورا من المسار المتنامى للصحوه الإسلاميه فى المنطقه فى أول مواجهه له مع هذه الحركه، فلا عجب أن يضع الناتو مخططات خاصه للحيلولة دون المسيره المتناميه للإسلام فى شمال أفريقيا؛ بحيث تم لقاء بين الأمين العام للناتو مع سفراء تونس، مصر، المغرب، موريتانيا والكيان الصهيونى فى بروكسل أواخر عام ١٩٩٤ وذلك للإعداد لمواجهه التوجه الإسلامى. (٢)

النقطه الأخرى التى يمكن الإشاره إليها هى أن نمو الحركات الإسلاميه الشعبيه فى المغرب الكبير (المغرب، تونس، ليبيا، الجزائر وموريتانيا) يستوجب إيجاد توافق بين الأنظمة الموجوده وذلك لأجل تعرض وجود جميع أنظمة المنطقه للخطر. الأمر الذى أنجب مجلس المغرب العربى من خلال اجتماع قادة الدول الخمس الأعضاء فى شباط ١٩٨٩ فى مدينه مراكش وتوقيع معاهده تضمنت مقدمه و١٩ مادّه وبيان مشترك. وكان أحد محاور التعاون بين هذه الدول هو التنسيق والتعاون بين الأجهزة الأمنية لمواجهه التوجهات الإسلاميه. ووفق اتفاق لم يعلن عنه، تعهدت دول المنطقه بعدم السماح لأى تيار إسلامى بممارسه نشاط رسمى. ومع أن التعاون الأمنى قد وقع فى بعضه تحت تأثير مسائل أخرى، إلا أنه عمليا لم تسمح أى من هذه البلدان بنشاط للإسلاميين. (٣) وعلى الخصوص بعد فوز جبهه الإنقاذ الإسلامى فى الجزائر وذلك إثر

ص: ٣٠٢

R.H.Dekmejian Fundamentalist Theories Typologies and Trends Middle East . (١) -١

.Review vol xvii No٤. Summer ١٩٨٥

٢- (٢) . بهرام امير احمدى: چشم انداز زئوپلنيك شمال أفريقيا: مطالعات أفريقيا، تابستان ٧٤، شماره ٣، ص ٢٣٣.

٣- (٣) . على اصغر خاجى: اتحاديه مغرب عربى: مطالعات أفريقيا. سال اول، شماره ٢، زمستان ٧٣، ص ٢١٧.

المؤتمر الرابع لهذا المجلس، حيث واجهت الدول الأعضاء توجهات إسلاميه مشابهه فى داخل بلدانها ممّا أقلقها كثيرا وأدى إلى تقويه مواقفها العدائيه ضدّ الإسلاميين.

إنّ الموجه الإسلاميه النابعه من الثوره الإسلاميه الإيرانيه قد شملت العالم الإسلامى وبضمنه تونس، واستهوت أفئده مواطنى هذا البلد وأدت إلى تجديد نشاط الحركات الإسلاميه فيه. والحكومه التونسيه ولأجل مواجهه حظر الأصوليه الإسلاميه قامت بزياده قدراتها والتجاوز على حقوق الناس وقمعهم والذى ترافق مع دعم مراكز القرار الغربى والدولى أيضا.

النموذج العملى للحكومه الإسلاميه

إنّ انتصار الثوره الإسلاميه التى اتّخذت من الإسلام محورا لها باعتبارها أيدولوجيه لها، وعرضها طريقا جديده فى مرحله يأس البشرىه من المذاهب الماديه شريكه وغريبه كان مدهشا حقّا. ففى قرن لم يكن فيه ثمّه تصوّر للحكومه الإسلاميه فى أوساط المفكرين والمصلحين الإسلاميين سوى بشكلها النظرى وبتلك الصوره المحدوده والخاضعه للظروف المختلفه، حدثت الثوره الإسلاميه وسنحت الفرصه لحركه جادّه من أجل تطبيق الأحكام الإلهيه فى المجتمع. فقد أبطلت الثوره الإسلاميه دعوى أنّ الإسلام ليس ديننا للحياه. وقد تجلّت بشكل كامل العلاقه التلفيقيه بين الدين والسياسه فى حركه الإمام الخمينى رحمه الله وانتصارها، تأسيس الحكومه الإسلاميه والعمل وفق الأصول والمباني والأحكام الإسلاميه فى خطاباتّه وأوامره وسلوكه، حيث يمكن ملاحظه ذلك بوضوح. وقد أثار طرح فكره ولايه الفقيه من قِبل الإمام الخمينى رحمه الله بشكلها النظرى والعمل الموافق للأصول الإسلاميه وحاجات المجتمع الإسلاميه، إعجاب بعض مفكرى أهل السنّه أيضا؛ ومن بينهم راشد الغنوشى المفكر البارز والثورى التونسى وزعيم حركه النهضه الإسلاميه الذى يقول:

إن دور الإمام الخميني رحمه الله في تأسيس الحكومه الإسلاميه الإيرانيه كان في الحقيقه عظيمًا بشكل استثنائي. فقد استطاع مخاطبه الإيرانيين بلغه العامه وكان من نتيجه ذلك تمكّنه من تعبئتهم ضدّ أعداء الداخل والخارج على مدى التاريخ، وقد استطاع الإمام الخميني رحمه الله ونهجه إعادته الشيعه إلى مكائتهم الحقيقه في تاريخ الإسلام بعد عدّه قرون. فقد تمكّن من القيام بهذا العمل من خلال إحيائه فلسفه غيبه الإمام في قالب «ولايه الفقيه»... لقد كانت ظاهره الإمام الخميني رحمه الله مرآه لتطوّر مهمّ على المستوى الدولي والإقليمي. فلا يمكن حقيقه بيان ظاهره بهذه السعه ببعض كلمات. (1)

ويقول أيضا في إجابته عن سؤال يتحدّث عمّا أضافته الثوره الإسلاميه إلى تجارب الحركه الإسلاميه التونسيه:

إنّها المرّه الأولى في التاريخ الإسلامى المعاصر التى تكسب فيه الحركه الإسلاميه مثل هذه القوه التى بلورت ثوره وفعلتها على أرض الواقع بأسلوب شعبي؛ الخلاصه أنّه يمكن القول بأن الإسلام استطاع أن يجد له مصداقا من الناحيتين النظرية والعملية، وذلك من خلال الحركه الإسلاميه للشعب الإيراني.

حيث تتجلى الأبعاد الاجتماعيه للإسلام فى جميع مراحل الثوره الإسلاميه الإيرانيه وقاوم الإيرانيون بقوه فى ذات الوقت فى قبال المعتدين والاستكبار العالمى الذى استخدم الحصار الاقتصادى كأداة لإضعاف الثوره فنشروا بأنفسهم ألم الفاقه والعوز. ويمكن القول فى النهايه أنّ الثوره السياسيه والاجتماعيه الإيرانيه بلحاظ مقاومتها للاعتداء الخارجى وكذلك فى بعض أبعادها الاجتماعيه نظير المذهب، تتمتع بمكانه بارزه ومتألقه بين سائر الحركات الإسلاميه. إنّ التأكيد الشديد على مسأله الإيمان يؤدى فى الحقيقه إلى تربيّه مسلمين يتألّمون لآلام البشره عامه، وربّما لا تثير مسأله رواج عقيدته فى أوساط المتدينين البارزين مفادها أنّه من الأفضل اختيار الجانب الأمريكى فى المقارنه بين أمريكا والاتحاد السوفيتى، العجب؛ إذ أنّ الأمريكين لديهم كتاب سماوى على أضعف التقادير، فى حين أنّ الروس لا يعتقدون بأى شىء.

ص: ٣٠٤

فلا يوجد في الثورة الإسلامية الإيرانية مَنْ يعطى أهمّيه للعلاقات الاجتماعيه الأنفه مع الكنيسه أو غيرها، فهم يعتقدون بأن أمريكا وروسيا (سواء كانا مع الله أم من دون الله) قامتا بتقسيم العالم في ما بينهما في الاعتداء والظلم. فليس ثمة فرق بينهما ماهيه. إنّ الشعار القرآني الذي يطالعنا في أوّل النصوص «السلفيه» لمحمد بن عبد الوهاب «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا».

وكان الإخوان المسلمين يقولون في أثناء حياه سيد قطب: (إنّ الذين لا يؤمنون بالله ضالّون).

غير أنّ أهمّ شعار للإيرانيين في الثورة الإسلامية هو: «ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمه ونجعلهم الوارثين». إنّ هذا الشعار القرآني أضاء للنضال الإسلامي آفاقا جديده. (١)

يمكننا اكتشاف خطوط ظريفه لأسلوب رؤيه النخب الأفريقيه للثوره الإسلاميه الإيرانيه في هذا الحديث، والتي ربّما لا يمكن الوصول إلى مثلها من خلال النظر إلى الثوره من الداخل بواسطه الإيرانيين. وعلى هذا الأساس فإنّ تنتصار الثوره وتبلور سلطه سياسيه دينيه في إيران ووجود شخصيه علمائيه على رأسها، يمكن أن يكون عاملا مؤثرا على الحركه الإسلاميه في تونس.

وتتجلّى أهمّ آثار الثوره الإسلاميه في اهتمام الناس أكثر بدور الوحده والهويه الإسلاميه. فقد تسببت الثوره الإسلاميه في عرض الإسلام باعتباره ديناً، الشعور بالقرابه والتضامن والقراءات المتعدّده عن الإسلام، حيث إنّ المشتركات الإسلاميه العامه يمكنها إيصال المسلمين إلى الوحده في ذات تكثّهم والإحساس بالمسؤوليه في خصوص المسائل المتعلّقه بالعالم الإسلامي.

حيث شاهدنا في هذا الإطار التظاهرات التي قام بها الشعب التونسي كاعتراض على تواجد القوات الأميركيه ضدّ الأئمه الإسلاميه، وتدنيس أرض الحرمين المقدّسه أثناء أزمه الخليج الفارسي والتي أدت إلى اعتقال

الكثيرين من قبل رجال الدوله.

ص: ٣٠٥

١- (١). راشد الغنوشي: حركت اسلامي تونس: بولتن سياسي، وزارت امور خارجه، ١٩/٩/١٥: ص ٤٧.

وتأتى المسأله الفلسطينيه والنظام الصهيونى لتكون إحدى الموارد المهمه فى هذا السياق، حيث لعبت الثوره الإسلاميه دورا مهماً فى توعيه شعوب العالم فى مقابل المؤامرات الصهيونيه وحمايتها الرئيسيين فى أفريقيا ومواجهتها؛ استعاده المسلمين الاعتماد على دينهم وتعرف بعضهم على البعض الآخر، استعاده الهويه الإسلاميه. فالحركه الإسلاميه التونسيه قد أعلنت باستمرار إثر ذلك، بأن الأرض الفلسطينيه هى من الحقوق المؤكده للأمة الإسلاميه، وإن غصّ النظر عنها من الأمور المستحيله، وطالبت بتحرير هذه الأرض من نير المحتلين الصهاينه. وبأدانه هذه الحركه صلح العرب وإسرائيل، تكون قد أعلنت معارضتها لأى معاهده جائره مع النظام الاحتلالى للقدس. (١)

وأدانت الحركه الإسلاميه بشده فى هذا السياق النشاطات الصهيونيه، بحيث أكد راشد الغنوشى مرارا بأنّ عداء الغرب للإسلام إنّما هو بسبب النشاطات الصهيونيه، فلأجل المحافظه على مساعده ودعم الغرب فهى تسعى لإقناع الغرب بأنّ الإسلام هو الذى ظهر على شكل قوه خبيثه جديده عقب انهيار الشيوعيه وضعف القوميه العربيه. (٢)

فهو يصرح بحده فى المؤتمر الإسلامى قائلا:

ليس العرب والمسلمين هم وحدهم مرمى للصهيونيه، بل جميع القيم التى بلورتها الإنسانيه، حيث تقبع الصهيونيه خلف كلّ خبيث فى العالم، ولا نغالى إذا قلنا إنّ كلّ خبيث موجود فى العلم يختفى خلفه إسرائيلى. (٣)

هذا فى حين أنّ الإعلام الصهيونى العالمى يُظهر أنّ الخوف من الأصوليه هو شبيه الخوف من الشيوعيه، وقد ضمت دول تونس، الجزائر ومصر صوتها إلى صوت

ص: ٣٠٦

١- (١). تونس و نهضت اسلامى: هفت نامه بعثت، ٢٦ آذر ١٣٧٣.

٢- (٢). Al-Shira ، Oct. ١٩٩٤- MSANEWS. July ٨. ١٩٩٥. Text of speech at the Royal Instithtte .of international Affairs. Chatham House ، London. May. ٩

٣- (٣). Speech at Conference of Islamic Commitec for Palestine Cited by. S.Enerson in . Testimony of House International Reations Committee ، Sub- Committee of Africa-April ٦. ١٩٩٩

إسرائيل في إعلانهم عن الخطر الذي يشكّله الإسلاميون وجعلوا من ذلك سبباً لاستدراج العطف والمساعدته والاهتمام بقمع الإسلاميين. (١)

علاقات إيران وتونس بعد انتصار الثورة

لقد رحّب الشعب التونسي بانتصار الشعب الإيراني المسلم واهتمّ بخطاب الثورة الذي هو يدعو للحريّة، الاستقلال والدفاع عن حقوق الإنسان، وكذلك وحده وتضامن العالم الإسلامي؛ غير أنّ وسائل الإعلام الصهيونية والعالمية والقوى التي تعرّضت مصالحها للخطر أوحّت بأنّ بلاغ الثورة يمثّل خطراً حتّى على أصدقاء إيران. فهذه الريبه وسوء الفهم منع من نموّ وتوسيع العلاقات، وأدّى في بعض الموارد إلى قطعها أيضاً. فقد كانت العلاقات بين إيران وتونس على مثل تلك الحالة في هذه المرحلة، بحيث أنّ الحكومة التونسية قامت في عام ١٩٨٢ وبذريعه الاقتصاد في النفقات ومعارضتها للحرب المفروضه بإغلاق ممثليتها في طهران. وقامت إيران بدورها بخفض تمثيلها الدبلوماسي عملياً إلى قائم بالأعمال، ورافقت هذه الأحداث المواقف الصريحة التي أطلقها المسؤولون الكبار في تونس بصوره علنيه حول العلاقة مع الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه، وعلى الخصوص في إطار الحرب المفروضه، ودعموا بشكل علني موقف العراق وأخذوا بالتصويت ضدّ إيران في الاجتماعات الدوليه - وعلى الخصوص في ما يتعلّق بمسائل حقوق الإنسان -.

ويُعدّ هروب محمّد الفرالي رئيس الوزراء التونسي السابق في عام ١٩٨٥ وحلول هادي البروك محلّ القائد السبسي وزير الخارجيه التونسي السابق إثر ذلك، يمثّل منعطفاً حاسماً في مجال تدهور أكبر في العلاقات بين البلدين، واتّخاذ مواقف سلبيه من قبل تونس تجاه الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه، والتي انتهت باستدعاء القائم

ص: ٣٠٧

بالأعمال الإيرانية إلى وزارة الخارجية في تاريخ ١٩٨٧/٣/٢٦ وإبلاغه بلزوم مغادره الأراضي التونسية مع جميع أعضاء البعثة الإيرانية. وبهذا تكون العلاقات بين الجانبين قد قطعت بالكامل. وبعد ثلاث سنوات من قطع العلاقات بين الطرفين تمّ إعادتها مجدداً بإصدار بيان مشترك في تاريخ ١٩٩٠/٩/٢٢.

ينبغي الالتفات إلى أنّ نوع العلاقات التي أقامتها البلدان الأفريقيه مع الحكومه الإسرائيلييه كانت مؤثره مئه بالمئه في طبيعه علاقته الجمهوريه الإسلاميه مع هذه البلدان. فالجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه إلى جانب اهتمامها بالمسائل الأفريقيه المختلفه، نبهت شعوب هذه القارّه إلى مخاطر اتّساع النفوذ الإسرائيلي في أفريقيا. وهذا ما جرى في السنوات الأخيره أيضاً، فعلى الرغم من بدء مفاوضات ما يسمّى بالسلام بين العرب وإسرائيل وخروج الحكومه الصهيونيّه من عزلتها، لازالت الجمهوريه الإسلاميه تعتقد بأنّ أحد محاور توسيع العلاقات مع البلدان الأفريقيه يتمثّل في نوع علاقته هذه البلدان مع إسرائيل. وعلى هذا الأساس، فلم تنطلق حتّى الآن العلاقات السياسيّه بين إيران ومصر، وثمّه شيء من البرود يخيم على علاقات إيران مع كلّ من تونس والمغرب أيضاً.

وأعلنت الحكومه التونسيّه أيضاً في المؤتمر الخامس لهيئته رئاسه مجلس المغرب العربي الذي عُقد في تشرين الثاني ١٩٩٢ في موريتانيا، دعمها لوحده الأراضي العراقيه والكويتيه وأعربت عن قلقها من المصاعب التي يعيشها الشعب العراقي جرّاء الحصار، ودعمت دعاوى الإمارات العربيّه المتّحده حول الجزر الثلاث المتعلّقه بالجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه؛ فكانت جميع هذه الموارد مؤثره في برود العلاقات بين البلدين. (١)

ص: ٣٠٨

١- (١). على أصغر حاجي: اتحاديه مغرب عربي: مطالعات آفريقا، سال اول، شماره ٢، زمستان ٧٣، ص ٢١٨ و ٢١٩.

تقع الجمهوريه الديمقراطيه الشعبيه الجزائريه البالغ عدد سكانها ٣.٧٧٧.٢١٨ نسمة وبعاصمتها الجزائر، في شمال أفريقيا وتطلّ على ساحل البحر الأبيض المتوسط وتقدّر مساحتها ب- ٢.٣٨١.٧٤٠ كيلومتر مربع. ويُعدّ هذا البلد الثاني في أفريقيا من حيث المساحة بعد السودان. وتحدها من الشرق تونس وليبيا ومن الجنوب الغربي مالي وموريتانيا ومن الشمال الغربي المغرب ومن الشمال البحر الأبيض المتوسط. (١)

ويدين غالبية الشعب الجزائري بالإسلام ويتبعون المذهب المالكي. وقد وصل الإسلام إلى شمال أفريقيا أو منطقه المغرب - تشكّل الجزائر الحاليه جزءا منه - في أواسط القرن السابع الميلادي (الأول الهجري). وقد ترافق تنامي قدره هذا البلد مع إحياء الإسلام والذي عُدّ فريدا من نوعه.

وتعدّ الجزائر بلدا غنيا من ناحيه الموارد الطبيعيه، ويحتلّ المرتبه الثالثه في أفريقيا بعد ليبيا ونيجيريا بامتلاكها احتياطيها نفطيا يُقدّر بمليار ومئه مليون طن، وهي الدوله الوحيده المنتجه للزئبق في القاره الأفريقيه حيث تنتج ١٥٪ من احتياجات العالم منه. (٢)

وكانت أحلام احتلال الجزائر تراود الفرنسيين منذ القدم. ولا يرتبط هذا الأمر بالصراع على السيطره على البحر الأبيض المتوسط فقط، بل إنّه كان يرتبط بفكره الاستغلال بأنواعه المتعدده.

وتعود الفكره العمليه لاحتلال الجزائر من قبل فرنسا إلى عام ١٨٢٧ والتي تعزّزت

ص: ٣٠٩

١- (١). على مجيدي: كتاب سبز الجزائر: ١٣٧٥.

٢- (٢). مؤسسه مطالعات و پژوهش های بازرگانی الجزائر: ضميمه شماره ١، تيرماه ١٣٦٣، ص ٩.

عقب إقدام نابليون بونابرت على احتلال جزيره مالطا، وبدأت المؤسّسات الفرنسيه ذات العلاقه منذ عام ١٨٠٨ بتنفيذ أوامر نابليون الأوّل لإعداد خطّه ومشروعاً كاملاً لاحتلال الجزائر.

وفى تموز ١٨٣٠ احتلّت القوات الفرنسيه الجزائر، وأُخرج إثرها المسؤولين العثمانيين الذين كانوا يحكمونها منها. وشهد الربع القرن اللاحق من تاريخ الجزائر إحكام سيطره فرنسا عليها وضمّها بصوره كامله إلى فرنسا، والذى تمّ إجراؤه على الرغم من المعارضه الشديده للشعب المقهور.

وتعتبر فرنسا الأراض الجزائريه وبسبب كونها فتحت بعمليات عسكريه فى حكم أرضها الحقيقيه تقريبا. وبحسب قول فرانتس فانون فى خصوص الجزائر، فقد وجدت علاقات منذ البدايه على أساس التشابه والتماثل. واستمرت حرب المجاهدين ضدّ الفرنسيين حتّى القرن العشرين، واشتدّت قوتها بعد الحرب العالميه الأولى بقيادة العلماء المسلمين، الطلبة ومن ثمّ بمشاركه الشعب. وكان دور العلماء أمثال الشيخ الإبراهيمى و ابن باديس حاسما فى المواجهه والجهاد. (١)

ورسّخ العلماء بهذا نفوذهم فى ساحه المعارضه المترايده خلال الأعوام من ١٩٣٣ وحتّى حزيران ١٩٣٦؛ غير أنّ الحرب العالميه الثانيه تركت أثرا سلبيا على الشعب الجزائرى بحيث اعترضت موجه توجّه الشعب نحو الإسلام موانع متعدّده. وقام الفرنسيون بالتعاون مع العناصر المحافظه التى أكملت دراساتها فى فرنسا بتهميش دور العلماء فى الساحه. وكان من أشهر هذه العناصر فرحت عباس الذى ضمّ جمهوريه الجزائر إلى دول الأتحاد الفرنسى من خلال تأسيس حزب «الأتحاد الديمقراطى الجزائرى». وبالطبع فإنّ هذا الأتحاد خرج عن المجلس الفرنسى فى أيلول ١٩٤٦.

ص: ٣١٠

١- (١). مرتضى سعدى: ١٣٧ - ١٤١ و عباس خامه يار: الجزائر ٢٥ سال بعد از استقلال.

لقد فتح استقلال الجزائر فصلا جديدا في الحياه السياسيه لهذا البلد. وكان هذا الاستقلال ثمره نضال المجاميع والطبقات المختلفه للمجتمع الجزائري، حيث كان لأطراف واسعه من الأفكار أعم من الماركسيه، القوميه، الإسلاميه و... دورا في قطف الثوره ثمارها. غير أنه كان للجناح اليساري والمفكرين الاشتراكيين التأثير الأكبر في كتابه الدستور، وفشلت جهود الأحزاب والمجاميع السياسيه الأخرى نظير الأتحاد الديمقراطي الجزائري وجماعه العلماء اللذان يمثلان أهم المجموعات السياسيه في ذلك الوقت، في تضمينه الأصول والقواعد الإسلاميه - على الخصوص في الشؤون الخارجيه -.

وقد جعلت الجزائر من دعم الحركات المناهضه للإمبرياليه والتحرّريه العالميه أهم أسس سياستها الخارجيه، ومن هنا، فقد أصبح هذا البلد بعد استقلاله مركزا لنشاط المجموعات المناضله المختلفه، من الحركات المناهضه للعنصريه وحركات التحرّر العالميه. (١) إلى الدرجه التي تواجد ممثلو حدود ٢١ منظمه تحرّريه في الجزائر كحدّ أدنى وذلك في أواخر عام ١٩٦٤.

العلاقه مع إيران

استمرّت العلاقات بين البلدين في مستواها العادي وترافقت مع مواقف محتاطه للبلدين تجاه بعضهما البعض على العموم، وذلك خلال الأعوام التي سبقت الثوره الإسلاميه في إيران. ويمكن تحديد سبب هذه الحاله في العلاقات باعتراف الشاه في لائحتين بالنظام الصهيوني في تموز ١٩٦١، ومن بعد ذلك بفترة سيطره القوّات الإيرانيه على الجزر الثلاث في الخليج الفارسي، الامر الذي أثار معارضه الجزائر للحكومه الإيرانيه.

ومثلت وساطه بومدين في حلّ الخلافات الحدوديه بين إيران والعراق عام ١٩٧٥

ص: ٣١١

والتي أدت إلى توقيع معاهده مشتركة، منعطفًا حاسمًا في العلاقات بين البلدين. بيد أنه على الرغم من وجود العلاقات الرسمية بين البلدين، لم تكن ثمة حراره وحركه بارزه في علاقات البلدين، فإضافه إلى الآراء المختلفه بشكل تامّ بين الطرفين حول المسائل الدوليه، فإنّ إقامه مجموعه من معارضى نظام الشاه في الجزائر ودعم هذا البلد لحركات التحرّر كان له أهمّيه خاصّه في جمود العلاقات بينهما. (١)

وإثر انتصار الثورة الإسلاميه، والتحاق إيران بركب الدول المناهضه للإمبرياليه والرائده في العالم، تهيأت إمكانات واسعه لتوسيع العلاقات بين البلدين في المجالات المختلفه. فالحكومه الجزائريه كانت من بين أوائل البلدان الإسلاميه التي أسّست لعلاقات صداقه مع الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه. ويقول الشاذلى بن جديد الرئيس جزائرى خلال مقابله فى شباط ١٩٧٩:

إنّ سبب مخالفه الجزائر لمواقف شاه إيران هو نظامه الديكتاتورى ومواقفه ضدّ البلدان العربيه والمصالح الفلسطينيه ودعّمه لإسرائيل. ولأجل ذلك فإنّ موقفنا تجاه الثورة الإيرانيه هو موقف الدعم والتأييد. إذ إنّنا نعتقد بأنّ موقف الثورة الإيرانيه يصبّ فى صالح الثورة الفلسطينيه ومعارضه المعاهدات التي لا تلبى المصالح الفلسطينيه.

فأخذت العلاقات بعد الثورة الإسلاميه فى الاتّساع والتعاون القائم على أسس الصداقه بين البلدين. وقامت الجزائر باتّخاذ مواقف داعمه للجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه نظير حادثه طبس، الحصار الاقتصادى وغيرها، ولعبت دور الوساطه فى النزاع بين الجمهوريه الإسلاميه وأمريكا وحادثه الرهائن، وتولّت رعايه مصالح الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه فى أمريكا بعد قطع العلاقات معها. غير أنّ موقفها حيال الحرب المفروضه كان مختلفًا إلى حدّ ما. وعلى الرغم من التصريحات المختلفه وأحيانًا

ص: ٣١٢

١- (١). على اصغر شهماوند: سياسه خارجى الجزائر (١٩٦٢ - ١٩٧٨)، (پایان نامه) ص ١٣١.

المهمه للمسؤولين الجزائريين، يمكن القول باختصار أنّ مواقفهم حول حرب العراق ضدّ إيران كانت تتخذ طابعا حياديا مترافقا مع الاحتياط على الدوام، بغية عدم إثارة أيّ من الطرفين، كي يمكنهم القيام بدور الوساطه.

واستمرّت العلاقات بين البلدين على حالتها حتّى عام ١٩٩٣، إذ عرّضها نموّ التوجّه الإسلامى فى الجزائر إلى أزمة. ففى نيسان ١٩٩٣ أعلنت اللجنة الحكوميه الجزائريه العليا قطع العلاقات الدبلوماسيه مع إيران ضمن بيان علنى. وأرجعت الأسباب إلى نسبه تزايد التوجّهات الإسلاميه إلى إيران ودعمها للمجاميع الإسلاميه.

وفى حزيران ١٩٩٩ شارك مسؤول الشؤون الأفريقيه فى وزاره الخارجيه الإيرانيه ولأوّل مرّه فى مؤتمر القمّيه الأفريقي فى الجزائر، وفى تموز ١٩٩٩ أثنى الرئيس الإيراني على الجو السياسى الذى شهدته الجزائر بعد انتخاب عبد العزيز بوتفليقه ووصفه بجو التفاهم، الإصلاح والصدقه. وفى آب ١٩٩٩ صرّح الرئيس الجزائرى فى أبو ظبى:

إنّ الخلاف مع إيران لا يستمرّ إلى الأبد وأنّ الجزائر لا تتأمر على أحد ولا تقبل التدخّل فى شؤون الآخرين و... .

فهو يصرّح بأنّ هذا الموضوع لا يتنافى مع تعاطف الجزائر مع الثوره الإيرانيه و... حيث قام بإعاده العلاقات مجدّدا بين البلدين.

(١)

نمو الحركه الإسلاميه فى الجزائر

عقب حدوث فضاء سياسى مفتوح فى عهد حكومه الشاذلى بن جديد عام ١٩٨٩ الذى كان وصل إلى سدّه الحكم للمرّه الثالثه، أخذت المجاميع الإسلاميه بدك ركائزها بالتدرّيج، وأخذت بممارسه نشاطاتها. لقد كان للأزمه الجزائريه التى جاءت

ص: ٣١٣

١- (١). بانك اطلاعات اداره كل مطبوعات و رسانه هاى خارجى: الزمان، انگلستان، ١١ سبتمبر ٢٠٠٠.

نتيجة اتساع نطاق تحركات الجماعات الإسلامية في هذا البلد أبعاد داخلية ودولية. وتلاحظ نقاط متشابهة في كثير من الموارد بين الحركة الإسلامية الجزائرية والحركات في باقي البلدان العربية عند دراسته هذه الأبعاد. فلا ريب في أن النهضة الإسلامية في هذه البلدان وفي منطقته الشرق الأوسط عموماً، كانت من أكثر ظواهر الساحة السياسية العالمية أهميته طيله عقد الثمانينات والنصف الأول من التسعينات. فقد ظهرت واتضحت بشكل جيد الأبعاد الواسعة للتأثير الناشئ من ظهور الإسلام السياسي، وعلى الخصوص في الشرق الأوسط وفي القرارات الداخلية والخارجية لحكومات المنطقه والسياسه الخارجيه للقوى العظمى. فالحركات والجماعات الإسلامية التي تجسّد نهضة الإسلام السياسي، لم تدخل ساحه المواجهه مع حكومات المنطقه لأجل الخلاف الشديد في المجالات الأيديولوجيه، أسلوب إداره الحكومه وتنفيذ السياسه الداخليه والخارجيه فحسب، بل انبرت لمواجهه الممولين الأجانب لهذه الحكومات، أي أمريكا وشركائها الغربيين أيضاً.

تشير الدرسته العميقه للمحيط العربي - الإسلامي للمجتمع الجزائري إلى وجود أزمة ذات أبعاد متعدده. الأزمة الأولى، أزمة الهويه التي حدثت في العالم العربي بشكل عام والجزائر بشكل خاص نتيجة لوصول الجهود القوميّه لتحقيق أهدافها إلى طريق مسدود.

إن الإحباط الذي واجهته القوميّه الذي كان نتيجة لبعض العوامل نظير هزيمه العرب في حرب ١٩٦٧ وموت عبدالناصر في ١٩٧٠، سرعان ما مهّد الطريق لانتهاه فكر القوميّه العربيّه، وأدى في المقابل إلى بذل مساعٍ جديده لأيديولوجيه بديله. فظهر طيله العقد الأخير وعقب انتصار الثوره الإسلاميّه في إيران، النهج الإسلامي باعتباره الخليفه المهم ذات القدره الفائقه.

وأدت أزمة الهويه في الجزائر إلى أزمة المشروعيه وزوال مشروعيه النخب

والمؤسّسات الحاكمة فى عين الشعب. حيث كان التفاوت الطبقي والتوزيع غير العادل للثروات من باكوره نتائج عدم كفاءه النخب الحاكمة. وأججت أزمة الثقافه بسبب الاستيلاء العميق للثقافه الفرنسيه وأسلوب الحياه الغريبه التي تسوّق من قبل بعض المجدّدين هذه الأزمه. إنّ المجتمع الجزائري ولكونه مسلما لم يستطع التعايش مع النهج الاشتراكي والليبرالى، ومن هنا فلم يكن زعماء جبهه الإنقاذ الإسلاميه - باعتبارها أهمّ حزب معارض للحكومه - مؤيدين للأسلوب الاشتراكي المفروض من قبل النظام الحاكم بعد الاستقلال، ولم يتعاونوا معه فى هذا النطاق. فلطالما أبدوا اعتراضهم على تنفيذ السياسات المناهضه للإسلام.

وبالطبع فإنّ قاده هذه الدوله سعوا دائما لتهدئه الجماعات الإسلاميه من خلال الحوافز الاقتصايه، السياسيه والرمزيه، وهم فى ذات الوقت يقصدون الفصل بين الدين والسياسه بدرجات متفاوتة.

لقد أتبع الأنظمه الحاكمة فى هذا البلد نهجا لادينيا بشكل مطلق، مع أنّها تؤكّد على وفائها للإسلام. فالجزائر باعتبارها وليده حرب تحرير طويله، جعلت شعارها مزيجا من الأيديولوجيه الإسلاميه الإصلاحيه والاشتراكيه، غير أنّها لم تكن موفّقه فى تطبيق ذلك. فالرئيس أحمد بن بلا الذى أودع السجن فى عام ١٩٦٥ إثر انقلاب نفذه بومدين ، وبعد إطلاق سراحه عام (١) ١٩٨٠ انتقل إلى الخارج وبعد مدّه من إعادته النظر فى آرائه السياسيه، وصف النظام الحاكم فى الجزائر بأنّه نظام غير إسلامى - غير محلّى ومرتبطة بالغرب. وتولّى قياده مجموعه المحرّكه من أجل الديمقراطيه فى الجزائر أو الحرکه من أجل الديمقراطيه.

ومع أنّ بومدين كان متدينا ولم يكن يميل إلى النهج الاشتراكي، غير أنّ

ص:٣١٥

١- (١). وقد تأسست فى ذلك الحين مجموعه باسم الحرکه الإسلاميه بزعامه مصطفى بولعللى: عام ١٩٨٠ وكانت تهدف إلى إقامة حكومه إسلاميه عن طريق الجهاد المسلح.

مخالفته الأكبر تركّزت حول الأيديولوجية الماركسيه. وقد تمّ تقوية النظام الاشتراكي في مرحله الذروه الإسلاميه في ذات الوقت الذي كانت تسعى فيه الحكومه لمحاصره الإسلام، وتمّ في ذلك الحين منع نشاط الجماعات الإسلاميه نظير «القيام» وأهل الدعوه.

إنّ الجذور الثوريه للحكومه الجزائريه، وكذلك انسجامها النسبي مع الإسلام. وضعت تحت تصرّف أداه تعمل لإحباط الدعايه الإسلاميه. وجاء القاده اللاحقين للجزائر ليزيدوا من النزاع الفكري في أوساط الشعب باتخاذهم وارتضائهم النظام الاشتراكي.

إنّ الإسلام في الحقيقه، كان من الشعارات التي ضحى من أجلها الآلاف من شهداء حروب التحرير الجزائريه التي خاضوها ضدّ الكتائب الفرنسيه، غير أنّه يبدو أنّ الاستعمار قد عاد من النافذه كما يقول فانون . فمن خلال المفهوم أخذ قاده الجزائر بقمع هذه الحركات الإسلاميه الأصليه بدل إدراك الواقع الموضوعي.

إنّ ظهور الحركات المطالبه بالإسلام باعتبارها قوى اجتماعيه - سياسيه مهمه، جعل الحكومه الجزائريه تواجه نزاعا لا سابقه له كان من نتائجه النهائيه، ذوبان الأسس الأخلاقيه لسلطه ومشروعيه النخب الحاكمه في هذا البلد.

وكانت الثوره الإسلاميه في إيران العامل الأهمّ في إلهام الحركه الإسلاميه الشعبيه في الجزائر، حيث إنّ انتصار الثوره الإسلاميه في إيران وتأسيس الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه بخطابها وبلاغها ورسالتها المميّزه أحيّا الأمل في قلوب المحرومين والمستضعفين لسائر البلدان للقضاء على التفاوت الطبقي وإنشاء مجتمع تسوده العداله. فالشباب المناصر للتّجاه الإسلامى اتّبع نهجا هجوميا في مقابل الأنظمه الحاكمه وذلك من خلال تأثره بنموذج الثوره الإيرانيه، والذي يمكن عدّ المواجهات التي قامت بها المجاميع الطلابيه المسلمه وحركه العلماء والمثقفين الدينيين في الجزائر من أهمّ مواردها.

ويلاحظ التأثير المباشر للثورة الإسلامية الإيرانية على الحركة الإسلامية الجزائرية بنحو واضح في مواقف جبهه الإنقاذ الإسلامية في هذا البلد. فقد أعلنت هذه الحركة في النهاية أنّ هدفها يتمثل في إقامة «حكومة إسلامية». وبهذا لم يكن يقتنع المناضلين الإسلاميين بأقلّ من إقامة جمهوريه إسلاميه في الجزائر، وهذا يبيّن أنّ التجربه الثوريه للجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه كانت نموذجا ناجحا في ذلك.

وكانت المواقف المعاديه للصهيونيه من مؤشرات السياسيه الخارجيه الجزائريه أيضا في عهد بن بلا- وما بعده. وتقوم فكره معارضه إسرائيل باعتبارها دوله يهوديه في المنطقه على أنّ وجود إسرائيل يعد حائلا دون تحقيق الوحده العربيه.

فكانت مخالفه إسرائيل من ضمن الأفكار القوميّه، لكنّها لم تستطع إنهاء أزمه فلسطين والمجتمعات العربيه. ومن هنا فقد اتّخذت الحركات الإسلاميه من ضعف النظام العربى في مقابل إسرائيل سلاحا قويا للهجوم على جميع القاده العرب. وأدّت العلاقه الأمريكيه الإسرائيليّه وعلاقه أمريكا بالدول العربيه المهمّه إلى إضعاف مشروعيه القاده السياسيين في الجزائر أيضا. فقد كانت العلاقات العسكريه للجزائر مع فرنسا وأمريكا تتمّ في ظلّ المهانه العسكريه الدائمه للعرب في مقابل إسرائيل والنفوذ الاقتصادى والثقافى الغربى. ومما زاد في ذلك الاتّفاقات السريّه والعلنيه بين القاده العرب وإسرائيل والغرب. فقد كانت التراجيديا العربيه تقوم في الحقيقه على عدم وجود أيديولوجيه دائمه منذ عهد زوال القوميّه. وهذه المره لم يكن ثمّه إطار مطروح سوى الإسلام بمفهومه الحقيقى. ومن هنا فإنّ تأثير الثورة الإسلاميه وبقاء المسأله الفلسطينيه عصيه على الحلّ من جمله عناصر حركه المطالبه بالإسلام في الجزائر. وقامت الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه نظرا لأسس سياستها الخارجيه - دعم حركات التحرّر الوطنيه والحركات الإسلاميه خصوصا - بتأييد الحركه الإسلاميه للشعب الجزائري، الأمر الذى أدّى إلى مواجهته من قبل قاده تلك الدول وقطعهم العلاقات معها.

لقد تبلورت وأسّست جبهه الإنقاذ الإسلاميه فى أيلول ١٩٨٩ وسرعان ما استقطبت مئات الآلاف من الأعضاء الذين يشكّل الشباب الفقير والمستضعف عمودهم الفقرى. الشباب الذين يلتفون حول عباس مدنى ومساعدته على بلحاج بالآلاف فى المساجد وأطرافها كلّ جمعه.

وفى حزيران ١٩٩٠ يقود مدنى قوّاته المتحمّسه لأوّل نصر انتخابى، وكسب آراء أوّل انتخابات محلّيه شاركت فيها عدّه أحزاب، ولكن جبهه الإنقاذ الإسلاميه طُرحت فى ذلك على أنّها «الأمينه على مشروعيه الشعب» فى مقابل جبهه التحرير الوطنيه - الحزب الواحد السابق الذى أصبح مستهلكا بعد ٣٠ عاما من السلطه المطلقه -.

ثمّ أعقب ذلك، تأسيس أحزاب إسلاميه أخرى من بينها «حركه النهضه الإسلاميه» بزعامه عبدالله جادالله، «جمعيه الإرشاد الإصلاح» بزعامه الشيخ محفوظ نوح و«الحركه الإسلاميه حماس» ومنذ ذلك الحين وما بعده لعبت الأحزاب الإسلاميه وعلى الخصوص جبهه الإنقاذ الإسلاميه دورا بارزا فى الساحة السياسيه الجزائريه.

وقد أدّت دعوه الناس إلى الاعتصام العامّ المفتوح فى آيار وحزيران ١٩٩١ التى أجبرت الشاذلى بن جديد لإقامه انتخابات رئاسه الجمهوريه والتشريعيه قبل موعدها المحدّد، إلى المواجهه مع الجيش، وكذا إعلان الأحكام العرفيه فى ٥ حزيران ١٩٩٩، واعتقال القاده الإسلاميين الأساسيين ومن بينهم عباس مدنى و على بلحاج .

وقد حصدت الجبهه فى الانتخابات البرلمانيه فى كانون الأوّل ١٩٩١ أصواتا أكثر. فأعقب ذلك اتّهام الجناح المتشدّد فى الجيش رئيس الجمهوريه بالتساوم مع الإسلاميين. ثمّ عمل الجيش الذى كان يمثّل القوّه الأساسيه فى المجتمع بعد الاستقلال على إجبار الشاذلى بن جديد على تقديم استقالته وألغى انتخابات المرحله الثانيه.

وفتح حلّ الجبهة في ١٩٩٢ الطريق إلى ظهور مجاميع إسلاميه مسلّحه. حيث خلّفت المواجهات المتعدّده بين هذه المجاميع والقوات المسلّحه الجزائريه آلاف القتلى خلال عامين ونصف. (١)

ويمثّل جيش الإنقاذ الإسلامي الجناح العسكري لجبهة الإنقاذ الذي أعلن رسميا وفاءه للقاده الإسلاميين بضمنهم عباس مدني و على بلحاج. وترافقت هذه العمليه مع إطلاق سراح اثنين آخرين من الإسلاميين، حيث استتبع ذلك وعد قاده الجبهة باجتناّب الحلّ «العسكري». (٢)

وقد حدثت خلافات بمرور الأيام بين الجيش والجبهة في مجال كيفية مواجهه الحكومه، وأدّت إلى ظهور انقسامات في داخل الجيش وجبهة التحرير الجزائريه. فأقدمت المجموعه المنفصله لاعتراضها على قاده الجبهة في تسامحهم مع الحكومه الجزائريه على إيقاع مجازر عمياء، وهاجمت خلال ذلك المدنيين والأجانب. وقد رفضت الجماعه الإسلاميه المسلّحه أيّ مفاوضات أو سلام مع الحكومه. ويشكّل الأشخاص الذين كانوا قد شاركوا في الحرب الأفغانيه ضدّ الاتّحاد السوفيتي الأعضاء الأساسيين في هذه الجماعه ويُعرفون بالأفغانه العرب.

وفي عام ١٩٩٥ اجتمعت في روما ثمانيه أحزاب رئيسه معارضه للحكومه الجزائريه. وقد أُقيم هذا المؤتمر لأجل التوصل إلى حلّ سلمى لتحقيق السلام بين الحكومه وأحزاب المعارضه. وقد مهّد مقدماته مؤسّسه من الفاتيكان باسم «ايجيديو». وطالبت هذه الأحزاب الثمانيه في بيان لها الحكومه إضافة إلى الاعتراف بجبهة الإنقاذ الإسلاميه باتباع الطرق السلميه لإنهاء هذه الأزمه. وقد استمرّ هذا الاتّفاق حتّى وقت إقامه انتخابات رئاسه الجمهوريه تقريبا. ولكن في هذا الوقت

ص: ٣١٩

١- (١). كيهان: ١٣٧٣/٧/٢٥: ١٦.

٢- (٢). كتاب سبز: ٨٠.

وبسبب قبول بعض أحزاب المعارضة دعوه الحكومه للمشاركة في الانتخابات، فقد إنهار هذا الإجماع التوافقي آليا.

ومع عدم اهتمام النظام الجزائري بمطالب الجماعات المعارضة، امتنع عن القبول بأى من مقترحاتهم واعتبر هذا المؤتمر تدخلا خارجيا في الشؤون الداخليه للجزائر. (١)

واستطاعت الحكومه الجزائريه من خلال استغلال المشروعيه الحاصله من إجراء الانتخابات وضع جبهه الإنقاذ الإسلاميه في حاله عزله أكثر من السابق. ومن جبهه أخرى، فقد أدى اتساع الخلاف داخل جيش الإنقاذ الإسلامى وضعف مكانه جبهه الإنقاذ نسبه إلى السابق وكذلك إرهاب الشعب من الأوضاع المتوتّره وإراقه الدماء، والذي عاده ما يحدث يوميا في الجزائر إلى تآكل مكانه الجبهه.

على أى حال، فإنّ جبهه الإنقاذ الجزائريه ضمن رفضها الانتخابات امتنعت عن المشاركة فيها. وإثر حدوث الانقلاب على الشاذلى فقد سيطر على السلطه مجلس أعلى للدوله يتكوّن من خمسة أعضاء. وقد عاد إلى الجزائر محمّد بوضياف - من قاده الاستقلال وجبهه التحرير الوطنيه الذى أدير له الظهر في الحكومات السابقه وكان لاجئا في المغرب - وانتخب رئيسا للمجلس الأعلى للدوله. وقد وعد بإقامه حكومه نابعه من الشعب، غير أنّه اغتيل بشكل مريب وعيّن المجلس المذكور العقيد على كافي عضو المجلس والأمين العامّ لمنظّمه مجاهدى الثوره الجزائريه خليفه له. وكان الجيش يسيطر على الأوضاع من خلف الستار، واستمرّت المواجهات بين الإسلاميين والقوات الأمنيه في عهده وحتىّ انتهاء دوره رئاسه بن جديد فأوكل المجلس الأعلى للدوله السلطه إلى الجنرال المتقاعد أمين زروال . وبعد زروال وصل بوتفليقه المرشّح الانتخابى لقوى الأمن الجزائريه إلى سدّه الحكم. وقد كان وعد إثر انتخابات نيسان

ص: ٣٢٠

١- (١) . محمدرضا غائبى: علل اسلام گرايى در الجزائر: ٢٨.

١٩٩٩ بإجراء تغييرات أساسيه فى البلاد، غير أنّ أغلب الجزائريين غير مقتنعين بأنّ رئيس الجمهوريه سيقى بوعوده بإجراء إصلاحات.

وينبغى كذلك بذل جهود جادّه للتحقيق فى ملفّ أكثر من ثلاثه آلاف جزائرى مفقود. (١) ويذهب ضحيه العنف الذى تسبّب به الانقلاب من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ شخص كلّ شهر. ولم يستسلم سوى جيش الإنقاذ الإسلامى المرتبط ب- مرزوق ولا زالت مجموعته الذوابرى وكذلك السلفيين المدافعين عن الوعظ والحرب.

ولم تنجح محاوله إعاده الحبشيه عن طريق بوتفليقه لجبهه الإنقاذ الإسلاميه التى حُظرت فى عام ١٩٩٢. (٢) ويتطرّق الإعلام الفرنسى إلى الحرب الداخليه أو الاغتيالات فى الجزائر بعنوان «الحرب القذره». حيث تكتب صحيفه كوريره انترنشنال بتاريخ ١٣ كانون الثانى ٢٠٠٢ فى هذا الإطار:

لم تتخلّص الجزائر حتّى الآن من «الحرب القذره» التى راح ضحيتها أكثر من ١٥٠٠ قتيل. وبالطبع فإنّه قد انخفضت شدّه العنف نسبه إلى أعوام ١٩٩٥ و١٩٩٦. لكن وفقا لتقارير الصحف الجزائريه فى عام ٢٠٠١ فإنّ الإبادات الجماعيه قد خلّفت ١٩٠٠ ضحيه على الأقلّ.... ومع هذا فقد شهدت الجزائر بعض التغييرات والتطوّرات. فعلى الرغم من حوادث الإرهاب فى شهر آب فإنّ الجزائر تحوّلت إلى مدينه لا- وجود للقلق الأمنى فيها. وإضافه إلى ذلك فإنّه منذ زمن وقوع حوادث ١١ سبتمبر فإنّ أمريكا والغرب يبدون ماضين بكلّ قواهم لمواجهه الحركات الإسلاميه.

فهذا البلد المهمّ فى منطقه «المغرب العربى» من الشمال الأفريقى بسابقته النضاليه الطويله ضدّ الاستعمار يتمتّع بتجارب غنيه فى المجالات السياسيه. فشعبه المسلم الذى سعى عدّه مرات للدفاع عن حقوقه فى مقابل الأجنب، فتحت أمام عينيه نافذه أخرى بعد انتصار

ص: ٣٢١

١- (١). بانك اطلاعات كل مطبوعات و رسانه هاى خارجى: فاينشال تايمز، لندن ١٧، كانون الثانى ٢٠٠٠.

٢- (٢). المصدر السابق: نوى سورينر سايتونك: سويس، مؤرخ ١٠ زوئن ٢٠٠٠.

الثوره الإسلاميه الإيرانيه وقرّر إقامه حكومه إسلاميه تأسيسا بالثوره الإسلاميه. فقد غلب الجوّ الثورى على المجتمع الجزائرى منذ بدايه التمرّد الشعبى فى نهايه عقد الثمانينات، وبدا واضحا للعيان التوجّه الإسلامى للشعب أكثر فأكثر، غير أنّ التحرك الغربى المنسق المذعور من انتشار الثوره الإسلاميه فى مواجهه الثورين الجزائريين وضيق الأيديولوجيه لدى أهل السنّه من جهه أخرى، أدّى إلى نجاح الأعداء فى قمع التحرك الثورى للشعب الجزائرى، وبحسب الأسلوب المتّبع للسياسات الجاريه فى العقود الماضيه فى البلدان الناميه، فإنّ الجيش هو الذى يكون متسلّطا على مقدّرات الشعب.

فقد كان الجيش يدير البلاد علنا، والآن من خلف الستار. هذا إضافه إلى أنّ أىّ تغيير فى ميزان القوى السياسيه فى الجزائر وفى شمال أفريقيا بالكامل يمكن أن يعرّض فى الأساس أوروبا عموما وفرنسا على وجه التحديد لموجه واسع من الهجره.

وها هو النحو الذى تم حرف الحركه الثوريه للشعب من خلاله:

إنّ الأجنحه التى تتسم بالعقائد المتشدّده مهّدت الأرضيه لتزايد القتل من خلال تشكيّلها كتائب الرعب (كتيبه الأهوال). فالتحرّكات العسكريه التى قاموا بها أعطى مجالا مناسباً لعناصر المخابرات والعسكر فى الحكومه الجزائريه للعمل فى ظلّ اسم هذه المجموعات وتوسيع رقعه القتل الذى يؤدّى إلى زياده عدم ثقه المجتمع الإسلامى بهذه المجموع الإسلاميه. (1)

إنّ الغرب وضمن نسبه الحركه الثوريه للشعب الجزائرى إلى الثوره الإيرانيه، أعلن بصوت واحد أنّ «الأصوليه الإسلاميه» هى منشأ القلق، ولم يمتنعوا عن أىّ أسلوب من التبليغ لإظهارهم بصوره سيئه. (2) وبالطبع فإنّ قلقهم لم يكن عبثا. إذ كان بإمكان

ص: ٣٢٢

١- (١). بحران الجزائر، ديدگاه ها: بولتن ماهانه دفتر مطالعات سياسى و بين المللى، شماره ١٦٦، اسفند ١٣٧٦.

٢- (٢). كتبت صحيفه لاروبليك، فى عددها الصادر فى ١٨ تموز ١٩٩٠: لقد ازداد ارتداء الجادر الإيراني الخفيف من قبل النساء الجزائريات والدلائل تشير إلى انتشار التعصّب وعدم التفكير.

التجربه الجزائرية أن تنتقل إلى المغرب العربي، تونس والمغرب أيضا.

إنّ الشبه الأساسى بين هذا التحرك الثورى والحركة الثورية للشعب الإيراني، هو التوجه نحو المساجد باعتبارها بؤره الحركه، وجرأه الشعب على أتباع قاداته الدينيين، إقامه صلوات الجمعه والجماعه فى المساجد والشوارع المحاذيه ونداءات «الله أكبر» التى تنطلق تأييدا لكلام «إمام الجماعه». (1)

لكن كيف أتجهت هذه الحركه (الجبهه الأساسيه للنضال) المشابهه جدًا لحركه الثوريين الإيرانيين نحو المساومه والخمود؟ هذا ما سنتطرق إليه فى القسم الأخير من هذا الكتاب.

المقال الثالث – الحصيله والنتيجه

اشاره

سعى هذا البحث لدراسه آثار و تداعيات الثورة الإسلاميه على الصعيد الدولى. وقد تطرق المقال الاول الى اهميه دراسه آثار وخصوصيات الثورة الإسلاميه من منظار خارجى واسباب وعوامل انتصارها واستمرارها ووجه اختلافها عن سائر الثورات الكبرى فى العالم مما جعلها ظاهره سياسيه واجتماعيه وثقافيه فريده لانظير لها، وأشار فى الوقت نفسه الى موضوع فى غايه الاهميه وهو صدور الثورة و وجه اختلافه عن انعكاس الثورة ودلل على ان صدور الثورة هو برنامج أو سياسه يتخذها القائمون على الثورة من أجل التأثير على سائر المجتمعات، بينما انعكاس الثورة هو نتيجه و آثار خلفتها خارج الحدود وليس من الضرورى ان يكون نتيجه برنامج مدرّوس أو سياسات معينه، بل إثر نشوء علاقات متبادله بين مجتمع الثورة وسائر المجتمعات، وقد تركت تلك العلاقات آثاراً مهمه لم يكن قد خطط لها من قبل بل حتى لم يكن من المتوقع حصولها.

ص: ٣٢٣

١- (١). وكتبت مجلّه فيغارو فى عددها الصادر فى ١٤ تموز ١٩٩٠: إنّ دور المواعظ المسجّله على الأشرطه الصوتيه التى تأتي من الشرق الأوسط وتوزّع بشكل سزى ممّا لا يمكن إنكاره.

وفى المقال الثانى والثالث قام بالبحث عن الآثار التى تركتها الثورة الإسلاميه على المجتمع الدولى والعالم الإسلامى بمنهج استقرائى من خلال الالتزام بمستويات تحليليه مختلفه، وقد بذل الدقه اللازمه بهدف معرفه تلك الآثار وشموليتها اعتماداً على الفصل بين الدول والشعوب وبيان الفروق الاساسيه التى حصلت عليها المجتمعات المختلفه اثر انتصار الثورة الإسلاميه فى إيران، لنصل الى حصيله عامه وهى ان هذه النتائج يمكن تقسيمها الى ثلاثه أقسام: عامه والنظام الدولى والعالم الإسلامى.

ولا يخفى ان ما تحقق فى هذا البحث ليس كافياً ولا وافياً بالمقصود وخارج عن عهده مؤلف واحد نظراً لعظمه الثورة الإسلاميه وخصوصياتها الفريده و نطاق تأثيرها الواسع، بل من الضرورى إجراء مطالعات على نطاق واسع - وحتى الامكان- ميدانيه من قبل جمهوره من المحققين والباحثين، و وضع ابحاثهم تحت متناول يد المعنيين والراغبين، وهذه الحركه هى بدايه لتحقيق طرح جامع كهذا.

(أ) الانعكاس العام للثوره الإسلاميه

١- الدول

ان دراسه ردود فعل دول العالم فى الجمعيه العامه لهيئه الامم المتحده المتشكله من الدول الشرقيه والغربيه والعالم الثالث بما فيها الدول الإسلاميه تظهر ان أغلب الدول الغربيه لم تستقبل هذا التحول العظيم والحادث التاريخى وهو انتصار الثورة الإسلاميه بل تعاطت مع هذه الظاهره الجديده بنوع من الحيره والتخبط رغم انها كانت مدعاه للتعجب حيث لم يكن من المتوقع حدوثها. وساورت تلك الدول القلق بشأن آثار الثورة على مجتمعاتها ومستقبل نظام الحكم فيها. ولما كانت تلك الدول تفكر قبل كل شئ ببقائها ودوامها ، اصبحت الحركات الشعبيه والتحرريه مصدر قلق وازعاج لها فلم تبد رغبه الى هذا النوع من الحركات والثورات التى تعرض ثباتها وقوامها الى الخطر ،

خاصه تلك الدول التي اتخذت من فصل الدين عن السياسة دعامة لها. فكان من الطبيعي ان تكون هذه الثورة مصدر قلق لها لانها اربكت الوضع القائم وطرحت نظاماً وقيماً جديده. فلم تظهر رغبه لاستقبال تلك الظاهره. واذا أظهرت رغبه فى بعض الموارد كاعترافها رسمياً بالثوره والنظام المنبثق منها فمبعث ذلك خشيتها من العواقب الوخيمه أو ضغط الرأى العام.

وقد أبدت الدول الغربيه عموماً والولايات المتحده على وجه الخصوص أبدت حقداً وخصومه تجاه الثورة الإسلاميه وبذلت جهوداً كبيره لاجهاضها والاطاحه بها ، هذا الامر ناشئ عن سببين: الاول: التبعية المطلقه للنظام الشاهنشاهى للغرب لاسيما أمريكا وفى الواقع فقد تعرضت مصالح الغرب فى إيران الى الخطر، والثانى: التحدى السافر الذى أبدته الثورات التى انطلقت من أسس دينيه وإسلاميه للانظمه الفكرية العلمانيه الراجحه فى الغرب ولنظرياتها وتوقعاتها.

وكانت أمريكا والغرب قد أعلنت صراحه دعمها المطلق لنظام الشاه قبل انتصار الثورة الإسلاميه وفى ظل هذا الدعم بذلت جهوداً جباره للحيلولة دون وقوع الثورة بل ذهبت الى أبعد من ذلك وأعطت الضوء الاخضر لسقوط النظام الشاهنشاهى عن كره واجبار أملاً- فى الحد من انتصار الثورة الإسلاميه ألا- انه لمن يكن لها بد سوى الرضوخ للامر الواقع وهو سقوط نظام الشاه وانتصار الثورة الإسلاميه المباركه لذا حاولت الالتفاف على الثورة، وبذلت جهوداً على هذا الصعيد، هذه الجهود مازالت متواصله رغم مرور ربع قرن على انتصار الثورة واستحكام دعائمها .

وبعد اضمحلال النظام الدولى ثنائى القطبيه اصيبت السياسه الغربيه بانتكاسه. فاروبا المتحده فى كثير من المواقف ومنها الاذعان بواقع الثورة الإسلاميه قد نأت بنفسها عن أمريكا واتخذت سياسه التواصل والحوار النقدى بالتزامن مع التعاون التجارى، ولكن لا بد ان لانسى ان أمريكا والدول الغربيه تتفق فيما بينها فكرياً وثقافياً

وعقائدياً إزاء معاداة الثورة الإسلامية وسيادة القيم والاصول الإسلامية، هذه النكته هي التي دعت صموئيل هانتنغتون الى طرح نظريه صدام الحضارات ومواجهه الحضاره الغربيه للحضاره الإسلاميه وبهذا اضفى المزيد من الدعم لوجهات النظر المشتركه بين اوروبا وامريكا إزاء مواجهه الثورة الإسلاميه.

ان انتصار الثورة الإسلاميه وماعقب ذلك من حيره أغلب الدول قد أثارت اشكاليين أساسيين للدول الشرقيه: الاول كيف يمكن تفسير هذه الثورة على ضوء التحليل الشيوعى وكيف يمكن تبرير وقوعها؟ ثوره لايمكن تفسيرها على ضوء الموازين الاقتصاديه، كما ان الدوافع والقيم الدينيه التي دعت اليها لايمكن تحليلها فى هذا الاطار، من جهه اخرى كيف يمكن إقامة علاقات مع نظام الثورة وتنظيمها مع الأخذ بنظر الاعتبار العلاقات الحسنه التي كانت تربطها بنظام الشاه؟

كما أثار الاتحاد السوفييتى آنذاك قضيه اخرى وهى قلقه حيال انعكاس الثورة الإسلاميه على الجمهوريات الإسلاميه فى آسيا الوسطى والقوقاز.

واما الدول الإسلاميه فيمكن القول بان انعكاس الثورة الإسلاميه على تلك الدول خاصه تلك التي تفتقد الى قاعده شعبيه وتدور فى الفلك الامريكى كان سلبياً، لانها كانت تحس بخطر يدهمها اثر تلك التحولات والتطورات فأبرزت ردود فعل سريعه وامتدده تجاه إيران، وهذا الموقف نفسه اتخذتها الدول التي تمتلك غالبية شيعيه خشيه من عصيان شعبى بنحو ان النظام البعثى العفلقى فى العراق الذى كان يجثم على صدر شعب غالبية شيعيه لم يوارب فى عدائه للثوره الإسلاميه، الامر الذى دعاه الى اعلان حرب ظالمه وطاحنه لا ترحم على النظام الجديد، تعتبر أطول الحروب التي نشبت فى القرن العشرين وأسفرت عن خسائر ماديه وبشريه باهظه لكلا الشعيين.

وهذا الوضع يصدق بدرجه أقل فى لبنان والبحرين، وبالطبع حتى الدول الإسلاميه

التي فيها أقلية شيعيه أو ان الشيعة فيها لا يحظون بمكانه متميزه كانت تخشى تداعيات هذه الثورة على المسلمين فيها، فاتخذت مواقف سلبيه تجاهها.

ونستخلص من كل ذلك انه كلما كانت للدول سياسات مستقلة عن الغرب مثل ليبيا والجزائر واليمن كانت علاقتها بايران وديه منذ انتصار ثورتها، ألا ان هذا لا يعنى استمرار تلك العلاقات على نفس الوتيره بل بمرور الزمان ومع تزايد المد الإسلامى فى مجتمعاتها لم تكتف بالحد من علاقاتها بايران الثورة بل اتجهت الى اتخاذ سياسات عدائيه ازائها.

من جهه اخرى ينبغى ان نأخذ الوضع الجغرافى لتلك الدول وقربها وبعدها عن إيران بنظر الاعتبار، اى كلما اقتربت تلك الدول من إيران كلما زاد خطر صدور الثورة ونفوذها الى أوساط شعوبها فأخذت تتحرك فى مواقف مناوئه لايران.

وعلى اى حال يمكن الادعاء بجرأه ان الدول الإسلاميه لم تستقبل الثورة الإسلاميه فحسب بل واجهتها بمواقف مناوئه.

٢- الشعوب

لما كانت الثورة الإسلاميه ثوره شعبيه بل أكثر الثورات شعبيه، فقد عطفت اليها انظار الشعوب كافة التي بادرت بدورها الى الترحيب بها واستقبالها، وكان لهذا الاستقبال درجات مختلفه خلافاً للحكومات التي تعاطت مع هذه الحادته العظيمه بشك وريبه. و كل ما خطى الشعب الايرانى خطوه نحو تحقيق أهدافه الثوريه كلما زاد من اعجاب سائر الشعوب به.

ولما كانت أغلب الدول الحاكمه التي استندت الى الحكم بدعم من اصحاب النفوذ والقدرة لا على الاراده الشعبيه والتي كانت تجمعها بنظام الشاه وجوه اشتراك كثيره، فقد أبدت تعاطفاً مع الشاه وأبرزت امتعاضاً وحرناً ودهشه على سقوطه. من جهه

اخرى و مع الأخذ بنظر الاعتبار ان الطابع السائد على الثورة الإسلاميه هو الطابع الثقافى فان الشعوب التى تربطها بالشعب الايرانى آواصر ثقافيه وطبيده قد تأثرت بها الى حد بعيد. لذا فان الشعوب المسلمه لاسيما الشيعه قد ساد فى صفوفها البهجه والفرح بمناسبة انتصار الثورة الإسلاميه، كما وان هذا التأثير قلما نلمسه فى المجتمعات التى لا تربطها بايران وثورتهاى رابط. وفى الواقع فان تلك المجتمعات ليس لها وعى بمجريات الأحداث فى إيران أو ان وسائل الاعلام فى الغرب والدول التى تدور فى فلكها لا تتيح نقل وقائع الثورة بأمانه بل تقوم بتحريفها.

وقد تجلى انعكاس الثورة الإسلاميه على الشعوب فى النزوع نحو قيم الثورة واهدافها واتخاذ أساليبها ومناهجها كالقيام بتظاهرات عامه ضد الأنظمه الحاكمه الجائره.

(ب) النظام الدولى

اشاره

حينما قامت الثورة الإسلاميه كان النظام العالمى يدور حول المحور الغربى ما يقرب من اربعة قرون واعتبار ذلك امرا بديهياً قد أقر به المجتمع الدولى، وكل تحول فى هذا النظام على الصعيد الفكرى والثقافى والاقتصادى والخطابات الجديده لابد ان يخضع لهذا المحور، من هنا لم يواجه المحور الغربى تحدياً حتى من قبل الثورات الكبرى فى العالم والتى تفجرت خارج المعسكر الغربى كثوره الصين فى عام ١٩٤٩ و كوبا عام ١٩٥٩م فقد تبنت النظام الفكرى والتنظيمى الصادر عن الغرب دون ان تتخطاه، بينما الثورة الإسلاميه باعتبارها تحولاً جديداً شكلت تحدياً خطيراً للنظام العالمى بمحوريه الغرب على مختلف الصعد. ووفقا لما استعرضناه فى المقال الثانى فانه يمكن ان نستخلص ان انتصار الثورة الإسلاميه ادى الى تحول عميق فى المجتمع العالمى والنظام الدولى، تمثل ذلك فى الابعاد التاليه:

١- احياء الإسلام كدين جامع وعالمي

إن أهم تأثير للثورة الإسلامية هي احياء القيم والتعاليم الإسلامية، وفي الواقع فقد دل انتصار الثورة الإسلامية على ان الاديان لاسيما الدين الإسلامي لم يصل الى نهايه الطريق بمرور الزمن وتطور العلم بل طرح نفسه كأهم سبيل لنجاه البشريه من الظلم والجور، وفجأه أوقف العالم السائر نحو الماديات بسرعه وفتح إمامه نافذه تطل على العقائد الدينيه والروحيه خاصه وانه تمكن من ارجاع الجيل الصاعد الى احضان الإسلام والاعراض عن العقائد الشيعويه، ولقد اكتسب القرآن وآياته بعد الثورة الإسلامية معاني ومفاهيم جديده.

٢- زوال نظام القطبيه الثائيه وظهور تحديات للانظمه الحاكمه في الغرب

رغم ان الثورة الإسلامية ظهرت في اوج تحكيم دعائم نظام القطبيه الثائيه، ألا ان اول خطوه قامت بها هو تحدى نظام القطبيه الثائيه عبر اللامبالاه بالقوانين السائده فيه و محاوله اجهاضه مما دعا القوتان العظمتان المتنافستان آنذاك الى ترك خصوماتهما جانبا لأجل مواجهه هذه الظاهره الجديده، وبعد اضمحلال نظام القطبيه الثائيه قامت الثورة بتحدى المساعى التى بذلها الغرب لتأسيس انظمه تنسجم مع توجهاتها كنظام القطبيه الاحاديه والعولمه و صدام الحضارات، وبدورها طرحت الثورة نظاماً جديداً يغرد خارج السرب الغربى بل على التضاد منه.

٣- تغيير خطاب الصراع الدولى

ان الخصومات الدوليه عاده ما تقوم على الخصومات بين الدول وتأسيس المحاور والمعسكرات بين الدول المتخاصمه. رغم ان تلك الخصومات كانت تطعم احيانا ببعض العناصر الايديولوجيه كما هو الحال بين الشيعويه وبين الراسماليه فى القرن

العشرين، وكانت مردها تقسيم المصالح الاقتصادية.

ولما ظهرت الثورة الإسلامية قامت بتغيير خطاب تلك المخاصمات بل أخرجت اللاعبين الرئيسيين من مسرح الصراع الدولي، وبناء على الخطاب الجديد فان واقع المنازعات لاتقع بين الدول لتضارب مصالحها واهدافها بل بين اصحاب النفوذ والقدرة و بين الجماهير، فالمعركة فى الواقع بين معسكر المستكبرين من جهة ومعسكر المستضعفين من جهة اخرى، وتراجع على ضوء هذا الخطاب دورالتكتلات الجغرافيه والعرقيه والقوميه وحتى الدينيه فى الخصومات الدوليه وأخذ صراع الدول والشعوب يأخذ منحى صراع المستكبرين والمستضعفين كجدال واقعى ونهائى. وانصبت جهود الغرب على التنظير لهذا النوع من المخاصمات فى اطار محاربه الارهاب خاصه بعد حادثه ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١ أو صدام الحضارات.

٤- التحرك العالمى للمستضعفين ضد المستكبرين

وتبعاً لتغير خطاب الصراع الدولى، فقد تغيرت على اثره التكتلات العالميه، حيث تركت الدول الحاكمه خصوماتها ونزاعاتها جانباً واتحدت لمواجهة التحرك العام للشعوب الذى تجاوز الحدود الجغرافيه، كما ان الشعوب نهضت بقلب وصوت واحد لمواجهة اصحاب الشوكه والنفوذ، وبذلك أثبتت حضورها فى اطار التحركات الفرديه والجماعيه وخاضت ميدان الصراع الدولى، فعلى سبيل المثال حاز حزب الله لبنان الذى طرح نفسه كقدره غير حكوميه، حاز على مكانه أهله لان يفتح له حساب فى الصراع الدائر مع الصهيونيه العالميه ودوله إسرائيل.

٥- طرح الإسلام السياسى كخطاب جديد

لقد طرحت الثورة الإسلاميه التى قامت دعائمها على القيم الإسلاميه، خطاب الإسلام السياسى فى العلوم السياسيه والعلاقات الدوليه لأول مره فى التاريخ المعاصر، هذا الخطاب

تبلور في دنيا الالحاد والعلمانيه عبر فصل الدين عن السياسه واعتباره افيون الشعوب حسب تعبير ماركس ولم يكتف بذلك بل اعتبر الدين تابعا لحقبه الماضى والتاريخ اى اصبح منهجاً متحفياً لم يعد له مكانه تذكر وليس لديه ما يطرحه في العصر الراهن.

وقد فتح خطاب الإسلام السياسى نافذه جديده على المفكرين والمنظرين فى عالم السياسه، مفاده ان الدين الإسلامى ليس سياسياً فقط بل ان له أفكار جديده تضاد الخطاب السائد على العالم المتحضر ويمكن اعتباره الخطاب الامثل فى عصر ما بعد الحداثه.

٦- نفي التبعية للغرب

شكلت الثورة الإسلاميه تحدياً استراتيجياً صارخاً للغرب، ذلك ان الخطر الاكبر يكمن فى ان هذه الثورة قامت فى مناطق تابعه للنموذج الغربى، ودخلت فى صراع مع الخطاب الغربى أسفر عن وضع مركزيه الغرب لقياده العالم على المحك، ودفعت بفكره النموذج الغربى للتطور والتنميه فى زاويه حرجه.

من هذا المنظار يمكن القول ان ظهور الاتجاه الإسلامى ساعد الى حد كبير على تدهور المحور الغربى واضمحلاله، من هنا فان اتساع المد الإسلامى مانع أساسى إمام الابتزاز الغربى فى العالم. وهو يشكل فى عصر ما بعد الحداثه قطباً فى دنيا تعدد القطبيه وبذلك تبدد التصور السائد من جعل الغرب محوراً لحركه العالم.

لقد كانت الحضاره الغربيه فى الخطاب الحديث هو المركز وسائر الحضارات فى الهامش اما مع انكماش هذا الخطاب انتقلت سائر الحضارات الى المركز وذلك بفضل الثورة الإسلاميه التى لم تنقل الغرب الى الهامش فحسب بل ادعت اقضاء الغرب. وبعبارة اخرى ان خطاب الإسلام السياسى تحدى الخطاب العالمى المتمثل فى هيمنه الغرب الذى ساد طيله ٢٠٠ عام، هذا الخطاب الجديد وان كان يدعن بتقدم الغرب وتطوره قياساً مع

العالم الإسلامي ألا انه يرى بان الغرب يتأرجح على حافه الهاويه نظراً لانحطاطه الاخلاقي، وهذا الصراع لايعنى أبداً نفى التقنيه والتطور المادى بل الغاء الانحطاط والتسلط الغربى وغرس الاعتماد على الذات فى أذهان البشر، وفى العالم الإسلامى فان الإسلاميين سخروا الامكانيات الحكوميه والتسهيلات التقنيه والاعلاميه لمواجهة التيارات الفكرية التي ابدعت تلك الامكانيات والتسهيلات وأبرز مثال على استخدام الوسائل الحضاريه للغرب ضد الغرب،هو نشاط القنوات الفضائيه المحليه إبان حملات أمريكا وبريطانيا على طالبان بعد حادثه ١١ سبتمبر وحمله أمريكا على العراق.

٧- العالم الإسلامي هو القدره الصاعده فى النظام العالمى

مع انتصار الثوره الإسلاميه، بدأت بوادر اليقظه والاتحاد تلوح بين الشعوب المسلمه.ونالت أهدافها المشتركه ومصالحها واهم من كل ذلك احساسها بالقوه والقدره على مختلف الصعد، وطرح العالم الإسلامى كلاعب مستقل وقدره صاعده بالفعل أو بالقوه فى الحقل الثقافى والجغرافى والاقتصادى ولم يكن لهذا الخطاب أثر قبل الثوره.

ومما يجدر ذكره ان خصوصيات هذا اللاعب الجديد تختلف اختلافاً أساسياً عن سائر اللاعبين كالاتحاد الاوروبى. إذ ان هذا النظام يختلف عما طرح سابقا تحت عنوان معايير القوه لان الوجدان العام للشعوب المسلمه والقيم والاهداف المشتركه كفيله بتعزيز الأواصر بين المجاميع الاجتماعيه وقطاعات الشعب وخرق الحدود الجغرافيه والعرقيه والقوميه والنفوذ الى اعماق سائر المجتمعات.

٨- تغيير معايير القوه فى النظام الدولى

كان أساس تقسيم الدول من منظار القوه هو العوامل الماديه كالعامل العسكرى والاقتصادى والبشرى والجغرافى والسياسى والتي على ضوئها تقسم الدول الى دول عظمى ودول كبرى

ودول صغرى. و تمكنت الثورة الإسلاميه التي هى حركه شعبيه قام بها الشعب بأيد خاليه من التغلب على قوه مسلحه حظيت بدعم وحمايه القوى العالميه الكبرى.

ان الفشل الذى الحقه حزب الله بالقوى العالميه الكبرى فى لبنان قد طرح معيارا جديدا للقوه تمثل فى الايمان والجهاد والشهاده، هذه المعايير لم تتغلب على القوى الماديه فحسب بل اصبح من المتعذر على الغرب احتوائها ومواجهتها. حتى ان الازمه التي تعيشها إسرائيل فى الوقت الحاضر هى من دلائل اخفاق الغرب فى مواجهه هذه الظاهره الجديده.

٩- طرح ثلاثة عناصر هى المعنويه والاخلاق والعداله فى النظام الدولى

كان النظام الدولى - الذى تبلور بعد صلح وستفاليا و أقر رسميا بمؤسسه الدوله والشعب كلاعبين رئيسيين وبالتنافس وفق المصالح الماديه للدوله وبفصل الدين عن السياسه - قد طرح معياراً فى المخاصمات والاتفاقيات الدوليه تلخص فى العناصر الماديه المأخوذه فى تعريف المصالح الوطنيه. ألا- ان الثورة الإسلاميه قلبت ذلك المعيار رأسا على عقب وطرحت عناصر جديده غير ماديه كالمعنويه والاخلاق والعداله كإطار جديد فى النظام الدولى مما جعل التسويه عليها مع اللاعبين على الساحه العالميه من الصعوبه بمكان، لهذا السبب فقد باءت حساباتهم بالفشل عند مواجهه الجمهوريه الإسلاميه والعالم الإسلامى وتحملوا الاخفاق تلو الاخفاق، حيث واجه الغرب ازمه دعم النظام الإسلامى فى إيران لحقوق الشعب الفلسطينى ولم يتمكن من تغيير الموقف المبدئى لايران الإسلاميه واخطأت جميع توقعاتهم.

١٠- بدايه الحمله على العالم الإسلامى

تبنى الغرب بعد ظهور عصر النهضه فى اوروبا التي تعتبر نقطه عطف مهم فى التاريخ الحضارى للغرب، تبنى موقفاً هجومياً واصبحت له الكلمه الفصل فى العالم على

مختلف الصعد العسكريه والاقتصاديه والسياسيه والثقافيه ودفع بسائر المجتمعات الانسانيه لاسيما العالم الإسلامى الذى كان يتمتع بحضاره عظيمه ومزدهره قبل عصر النهضه الى الانتقال الى موقف دفاعى وانفعالى وتبعى ولم يكن هناك اى أمل فى تغيير المعادله ألا بعد انبثاق الثورة الإسلاميه.

فقد انتهت الثورة الموقف الدفاعى الذى تبنىاه العالم الإسلامى، ونقلته الى موقف هجومى إزاء الغرب الذى اصبح بصدد الدفاع عن نفسه وثقافته وحضارته ومستقبله، ويمكن لمس الموقف الهجومى للعالم الإسلامى فى قضيه حجاب الفتيات فى فرنسا وسائر الدول الاوروبيه والموقف الانفعالى للنظام الليبرالى فى الغرب.

١١- عوده مجد وعظمه الحضاره الإسلاميه

ان تاريخ القرون الوسطى يذكر بمجد وعظمه الحضاره الإسلاميه، وقد سعى الغرب الى نسيان تلك القرون التى كان يسميها بعصور الظلام أو تجاهلها، واذا كان الغرب يتحدث عن عصر ازدهار الحضاره الإسلاميه فانما يستذكره من باب انه جزء من التاريخ والعصر القديم، كما كان يعتبر تجديد حياه الحضاره الإسلاميه غير ممكن بل محال نظراً لسرعه تقدم الحضاره الغربيه اتكاء على الصناعه والتكنولوجيا والتقنيه، ألا ان انتصار الثورة الإسلاميه على رغم ميول واراده الغرب، قد اوجدت صحوه إسلاميه بآثارها وتبعاتها تبلورت فى الاعتقاد بان احياء الحضاره الإسلاميه وتجديد مجدها وعظمتها ليس امراً ممكنناً فحسب بل وقوعها أمر حتمى لامفر منه. وأساس هذا الاعتقاد هو تفشى الفساد والانحلال الخلقى فى الغرب وظهور كفاءات فى العالم الإسلامى فى ظل الاخلاق والتعاليم الإسلاميه.

١٢- تغيير خطاب الثورة

قبل انتصار الثورة الإسلاميه ساد اعتقاد لدى المنظرين بان اى ثوره تنشأ من اضمحلال الانظمه الحاكمه و ضعف اداء مؤسساتها و تراجع قدراتها لا لاقتدار رجال الثورة ولم

يكونوا على اعتقاد بإمكان الاطاحه بنظام مقتدر ومستحکم، وحسب قول اسكاجوبول: (الثورات تأتي ولا تخلق)، وقد أثار انتصار الثورة الإسلاميه على النظام المقتدر للشاه - الذى كان يمتلك وسائل الاقتدار كافه بما فيها دعم القوى العالميه الكبرى - حيره وتعجب منظرى الثورات و ادى الى تغيير خطاب الثورة، واهتمام المنظرين بعامل تعبئه القوى الشعبيه وتنظيم الثورة وايدولوجيتها وقيادتها، مما دفعهم الى دراسته واقع الثورة الإسلاميه باعتبارها ظاهره جديده، والاعتراف بوجود بعض الثورات تخلق ولا تأتي.

١٣- الجمهوريه الإسلاميه نموذج من النظام السياسى الإسلامى والقدره الاقليميه

ساد الاعتقاد فى آواخر القرن العشرين بعدم إمكانيه تأسيس واستمرار حكومه قائمه على معايير دينيه وإسلاميه طرحت قبل اربعه عشر قرناً مضى، ولا حيله للدول الإسلاميه ألا استنساخ الانظمه العلمانيه من الغرب، وساد فى اوساط العديد من الدول وزعمائها المخلصين ايضاً، فهل يمكن - يا ترى - تأسيس نظام جمهورى إسلامى على قيم دينيه مطروحه قبل اربعه عشر قرناً.

وقد أثارت تأسيس نظام الجمهوريه الإسلاميه وفق تلك القيم و مواصله مشوارها أكثر من ربع قرن ونجاحها فى إقامة علاقات مع سائر الدول، وحتى ادارتها الفاعله والمقتدره للحرب المفروضه عليها لمدته ثمانى سنوات، اثار حيره علماء ومنظرى السياسه واضطروا الى فتح فصل جديد للجمهوريه الإسلاميه عند تقسيم الحكومات كنموذج قابل للتطبيق والتكرار لانجد لها مثيلاً فى التاريخ المعاصر.

١٤- زعماء الثورة الإسلاميه نماذج جديده للزعامة

لاشك ان من أبرز خصوصيات القاده السياسيين - حسب قاموس العلوم السياسيه فى الغرب وطبقاً لنظريات ميكافيلى - هى قدرتهم على المناوره والغلبه على الرقباء ودفع أهدافهم نحو الإمام عبر الاستعانه بشتى السبل كالمكر والحيل، دون فتح اى

حساب للاصول والمعايير الاخلاقيه والانصاف والصدق.

وكان ظهور قاده الثورة الإسلاميه لاسيما الإمام الخميني رحمه الله بأخلاقه الإسلاميه - الذي كان يهتم باداء التكليف الالهى قبل ان يهتم بالنصر على الساحة السياسيه - أمر لا مثيل له خاصه وان هذا النوع من القاده قد تكلمت جهودهم بالنجاح فى اداء المهام السياسيه الملقاه على عاتقهم، وقد حظيت مطالعه سيره وحياه هؤلاء القاده بمساحه واسعه من الاهتمام ودحضت نظريات الغرب حول خصوصيات القاده السياسيين، ولهذا السبب فان الغرب قد اخطأ فى توقعاته بشأن مواقف الزعماء السياسيين للثوره وسلوكياتهم.

١٥- طرح اللاهوت التحررى

ترك انتصار الثورة الإسلاميه آثاراً على المجتمعات الدينيه غير المسلمه، لان الكنيسه المسيحيه كانت على اعتقاد راسخ وثابت بان ليس لها الحق فى الدخول الى معترك الصراع السياسى ضد الانظمه الدكتاتوريه بل اكتفت باسداء النصح والموعظه، وكان انتصار الثورة الإسلاميه بقياده علماء الدين حافزاً لزعماء المسيحيه لاسيما فى أمريكا اللاتينيه الى التفكير ملياً بأن عدم الاهتمام بمتطلبات الشعب سوف يفقدهم مكانتهم الاجتماعيه لذلك خرجوا عن الاصول والمعايير المتعارفه لدى كنيسه الفاتيكان وانخرطوا فى صفوف الثوار، وأول تجربه خاضوها هى ثوره نيكاركو وفتحوا بذلك فصلاً جديداً فى النظام الكنسى يطلق عليه اللاهوت التحررى، وتسلموا زمام نهضات تحرريه فى أمريكا اللاتينيه على الرغم من مخالفه الفاتيكان.

ج) تداعيات الثورة الإسلاميه على العالم الإسلامى

اشاره

كانت للثوره الإسلاميه آثار مهمه على العالم الإسلامى بسبب جذايبه الشعارات والاهداف والمناهج والنتائج والخلفيات الدينيه والتاريخيه المشتركه والظروف الاقليميه والدوليه.

ص: ٣٣٦

وعناصر التأثير تلك كانت لها تداعيات على البلدان الإسلاميه بصوره طبيعيه أو اراديه مدروسه، من خلال قنوات المنظمات الثوريه أو المؤسسات الرسميه الحكوميه والاداريه، والتواصل العلمى والثقافى والتبادل التجارى والاقتصادى، وقد تأثرت بها الحكومات والحركات والمؤسسات الدينيه فى المجتمعات بنسب مختلفه.

ولا يتردد انصار الثورة الإسلاميه فى العصر الراهن بل حتى اعدائها ومناوئيهها فى الاعتراف بأن انتصار الثورة الإسلاميه فى إيران وسقوط النظام الشاهنشاهى شكلت نقطه عطف مهمه لافى تاريخ التحولات السياسيه والاجتماعيه لايران فقط بل وحتى العالم الإسلامى والعالم بأسره.

وقد انتهت هذه الثورة نظاماً شاهنشاهياً مستبداً وعميلاً فى إيران من جهه، رغم ان احتمال تبديل هذا النظام الى نظام ليبرالى ديمقراطى على غرار الانظمه الغربيه أو انظمه العالم الثالث كالهند أو تبديله الى دكتاتوريه شيوعيه مستبده كان قائماً، ألا ان ما أثار تعجب الناظرين والمفكرين فى العالم هو تبديله الى نظام يستلهم قوانينه من الإسلام بعد مضى أكثر من ١٤٠٠ عام على ظهوره، وعدم وجود نسخه لهذا النوع من الانظمه فى العصور الماضيه البعيده أو القريبه، وتمكن من الصمود والثبات أكثر من ربع قرن رغم كل التحديات والمؤامرات والضغوط الخارجيه والداخليه وأثبت فاعليته فى دنيا الحداثه التى عمادها العلمانيه والاحاد.

من جهه اخرى فان الثورة قد انتهت ايضا الخمول والانحطاط الذى أصاب الحضاره الإسلاميه وأدى الى ظهور نوع من اليقظه واحياء الإسلام على أساس العوده الى العقيدته الإسلاميه، وبذلك تراجعت معظم الاسماء الوارده كالقوميه والليبراليه والاشتراكيه، واوجدت فى صفوف الجيل الصاعد نوعاً من الشوق والحنين للعوده الى الافكار الإسلاميه، وبعد الثورة الإسلاميه احست الدول الإسلاميه وبدرجات مختلفه ان بقائها واستمرارها بحاجه الى نوع من المصداقيه

الدينيه والشعبيه، واتخذت كل دوله تدابير لها من أجل تلبية تلك الحاجه. (١)

و وصلت الشعوب المسلمه الى هذه القناعه وهى ضروره استلام دورها فى القدره والمصداقيه، لذا فكل من الدوله والشعب بذلا الجهود لاستغلال حقوق ومزايا هذا الاقتدار وطرحا مطالبات كثيره. وفى الوقت الحاضر فقدت نهضات التحرر غير الإسلاميه فى العالم الإسلامى بريقها وبدلا عنها راجت نهضات إسلاميه اصوليه واكتسبت قدره ونفوذا مما أتاح لها تبوء مكانه فى التحولات السياسيه والاجتماعيه.

واكتسب احياء الإسلام والصحوه الإسلاميه بانتصار الثوره الإسلاميه زخماً جديداً، وانتقل من مرحله النظرية الى مرحله التطبيق، رغم ظهور مفكرين فى العالم الإسلامى أمثال السيد جمال الدين الاسدآبادى ومحمد عبده اطلقا قبل قرن من الزمن نداء العوده الى الإسلام ومواجهه الثقافه الغربيه، وتأسست على ضوئه نهضات ومجموعات ولكن انتصار الثوره الإسلاميه اثبت للمسلمين ان قضيه العوده الى الإسلام ليس مجرد وهم وخيال محض بل أمراً واقعاً.

ويمكن الادعاء بان أول انعكاس للثوره الإسلاميه تجلى فى تشكيل نظام الجمهوريه الإسلاميه ومواصله اقتدارها فى مواجهه الازمات والمؤامرات المختلفه مما عزز ثقه المسلمين بالعوده الى العصر الذهبى للإسلام.

وفى الواقع ان ما تنبأ به ارنولد توينبى فى كتابه (الحضاره فى بوتقه الاختبار) الذى نشر عام ١٩٤٩م تحقق عقب انتصار الثوره الإسلاميه:

(كان الإسلام راقداً، وربما يوقظ هذا الراقد من سباته إذا نهضت الطبقة الكادحة فى العالم (المستضعفون) ضد الغرب بزعامه قائد غير غربى، وربما يشير هذا النداء الروح العسكريه للإسلام وحتى إذا كانت تلك الروح تغط فى نوم عميق، فان اثرها

ص: ٣٣٨

الروحي لا يمكن التنبؤ به ذلك لانه من الممكن قياس اصداء عصر طموح، واذا انتهى الوضع الحالي للبشر الى حرب عرقيه طاحنه فربما يقوم الإسلام مره اخرى لايفاء دوره التاريخي). (١)

وبالطبع فان ميزان تأثير وانعكاس الثوره الإسلاميه على كل المجتمعات الإسلاميه لم يكن على حد سواء، بل يختلف بحسب القرابه الفكرية والثقافيه والجغرافيه، ولما كان انتصار هذه الثوره بفضل الشريعه الإسلاميه ومذهب أهل البيت عليهم السلام فخلفيات تأثيرها مع أخذ تلك الامور بنظر الاعتبار متفاوتة.

الأول) انعكاس الثوره الإسلاميه على الشيعة

كانت هذه الثوره ذات تأثير عظيم وعجيب على المسلمين التابعين لاهل البيت عليهم السلام ، ونقلت مكانه شيعة العالم من الهامش الى مركز ثقل تحولات العالم الاسلامي بعد ان كانت اقلية مستهدفه من قبل حكام وخلفاء البلاد الإسلاميه خلال عده قرون مما حدا بها الى اتخاذ أصل التقيه حتى ان الخشيته كانت يساورها من الافصاح بافكارها، وبعد هذا النصر المؤزر للثوره استعادت حياه جديده واصبحت في الصف الاول لمكافحه الاستعمار والامبرياليه.

وكان المستشرقون حتى ذلك الوقت لم يعيروا اهتماما لمذهب الشيعة وكانوا يرون الإسلام من بوابه الاكثريه وكانت مطالعاتهم تبتني على أساس معرفه الإسلام من منظور أهل السنه والجماعه، وفجأه انتبهوا من غفلتهم وادركوا ان معرفتهم بالشيعة مازالت في هاله من الابهام والغموض، وفي هذا السياق قاموا بتغيير بوصله ابحاثهم وبدأوا بعقد المؤتمرات والسمينارات ونشر المقالات والكتب المختلفه بهدف كسب معرفه أفضل بهذا المذهب.

ص: ٣٣٩

١- (١) . آرنولد توينبي: الحضاره في بوتقه الاختبار: ١١٧.

حتى ان معرفه الإسلام من زاويه غير المسلمين التي كانت تبتنى على معرفه التعاليم الإسلاميه من منظار أهل السنه والجماعه قد طرأ عليها تحول كبير، واستقطبت معرفه الإسلام من بوابه المذهب الشيعى على حيز واسع من الاهتمام على الرغم من عدم توفر احصاءات دقيقه فى هذا الشأن، ولكن المعلومات المتوفره تشير الى هذه الحقيقه وهى انه بعد انتصار الثورة الإسلاميه أخذ عدد الذين يعتنقون مذهب أهل البيت عليهم السلام يتصاعد باستمرار، بينما كان الحال قبل الثورة هو اعتناق من يتعاطى مع الايرانيين أو الشيعة هذا المذهب لاغير.

هذا الامر يصدق ايضا على من عدل عن أحد المذاهب الاربعه واعتنق المذهب الشيعى، بمعنى ان الكثير من أهل السنه اثر هذا الانتصار الرائع للثوره ابدوا رغبه عارمه لمعرفة حقيقه مذهب أهل البيت عليهم السلام الذى ببركته انتصرت الثورة الإسلاميه فى أواخر القرن العشرين واطاحت بقدره الشاه المستبد الذى كان يحظى بدعم القوى الكبرى اسفرت عن تأسيس نظام يستمد من التعاليم الإسلاميه شرعيته، وطبقا للمعلومات ففى نيجريا وحدها تجاوز عدد من اعتنق مذهب أهل البيت عليهم السلام العشره ملايين نسمة، ولم يكن هناك اثر للشيعة قبل انتصار الثورة الإسلاميه فى الكثير من المجتمعات الإسلاميه كماليزيا واندونيسيا فى الشرق الاقصى، وبالتدريج تشكلت اقلية شيعيه فيها وأخذت مكانتها وسط سائر المذاهب الإسلاميه.

وأهم من كل ذلك كان تأثير وانعكاس الثورة الإسلاميه على شيعة لبنان - الذين كانوا فى وضع سياسى واجتماعى مزرى رغم انهم كانوا يشكلون الاكثريه فى ذلك البلد الصغير - بارزاً، حيث أيقظت الثورة فيهم روح الحماس (1)، واصبح كل منهم قنبله

ص: ٣٤٠

١- (١) . يعد الامام موسى الصدر اول من دعا شيعة لبنان الى الانضواء فى حركات تنظيميه كحركة المحرومين.

موقوته تمكنوا خلال فتره وجيزه من إخراج الاحتلال الغربى (١) من وطنهم دون ان يدفعوا اى امتياز له، يتقدمهم حزب الله لبنان الذى يعتبر معلماً من معالم الثورة الإسلاميه، يتلألاً كنجم ساطع على صدر هذه الثورة.

ولبنان ليست قنطره حضور الثورة الإسلاميه الى العالم العربى فحسب، بل هى أهم قنطره مؤثره على قضيه القدس وفلسطين والصراع العربى الصهيونى، هذه القنطره مازالت فعاله وما خروج إسرائيل من جنوب لبنان بعد ٢٢ عاما من الاحتلال ألا دليل على الدور المحورى الذى لعبه حزب الله والمقاومه الإسلاميه التى هى ساعد الثورة الإسلاميه. (٢)

اما العراق ذلك البلد العربى بغالبيه شيعيه وثروه نفطيه فقد كان قنطره مناسبه لحضور الثورة الإسلاميه الى العالم العربى وقد تأثر هو الاخر بتحولات الثورة الإسلاميه، وعن طريقه اكتسحت الثورة البلدان العربيه كافه، هذه القابليه من جمله الادله التى أدت الى دفع صدام حسين الى الحمله على إيران.

وفى الواقع فان شيعه العراق قد واجهت حكمه البعث منذ ظهورها ألا ان انتصار الثورة الإسلاميه ادى بالنظام العفلقى الى تشديد الخناق عليهم، وقد وصل صدام الى هذه القناعه وهى ان الثورة تشكل أكبر فرصه وأكبر تهديد لنظامه مما دعاه الى الحمله على إيران بكامل قواه وبهذا النحو قام بتبرير هذا التعدى الصارخ غير القانونى، ويبدو انه بسقوط حكمه البعث الفاشيه الجائره والمستبده اثر احتلال العراق من قبل

ص: ٣٤١

١- (١) . فى اعقاب الحمله الواسعه التى قامت بها اسرائيل على لبنان عام ١٣٥٦ واحتلال بيروت قامت القوى الغربيه المتمثله فى امريكا وبريطانيا وفرنسه وايطاليا بانزال قواتها فى لبنان بهدف تأسيس قواعد لها، واجبرت على التقهقر والانسحاب من لبنان بعد العمليات الاستشهاديه البطوليه التى نفذتها المقاومه الاسلاميه.

٢- (٢) . ملت هاى عربى و انقلاب اسلامى: ١٢.

القوات الامريكه توفرت حريه نسيه للشيعه مهدت بذلك أرضيه مناسبه لانعكاس الثوره، وهذه اشكاليه كبرى واجهت الاحتلال الامريكى حين استخلاف حكومه البعث العفلى بحكومه اخرى.

اما البحرين ذو الغالبه الشيعيه فقد تركت الثوره الإسلاميه تأثيراً عميقاً على شعبها، ووجد أمير البحرين نفسه فى وضع حرج مما زاد الضغوط على الشيعه من خلال نشر اجواء الرعب والكبت، وقد ادرك ملك البحرين الجديد ان هذه الظروف لايمكن ان تدوم فتبنى سياسه الانفراج واتاح لهم لعب دور أكبر فى إداره البلد.

وفى افغانستان وباكستان والسعوديه ورغم قله الشيعه فيها، ألا انها حصلت على سهم أكبر فى عمليه البناء وفى التحولات السياسيه والاجتماعيه لمجتمعاتهم بعد الثوره الإسلاميه.

ونستخلص من كل ذلك ان انعكاس الثوره الإسلاميه على الشيعه تجلى فى الابعاد التاليه:

- الانتقال من الهامش الى مركز ثقل العالم الإسلامى.
- اقبال أغلب المحققين والباحثين على دراسه الشيعه والتشيع.
- اقبال غير المسلمين بل حتى مسلمى أهل السنه على اعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام .
- تكريس الروح الثوريه وفى الواقع مواجهه الاستكبار العالمى عبر التأسى بالثوره الإسلاميه.
- اتساع امواج الإسلام السياسى فى اوساط الشيعه بهدف نيل حقوقهم.

الثانى) انعكاس الثوره الإسلاميه على أهل السنه

اشاره

بعد انتصار الثوره الإسلاميه فى إيران كان من المتوقع أن تنهض المجتمعات التى لها قواعد عقائديه وخلفيات تاريخيه مناسبه لتحقق الثوره لاسيما بلدان كمصر والجزائر وتركيه التى

كان لها خلفيات فضاليه وتجارب الخلافه الإسلاميه، ألا ان امراً كهذا لم يحدث قط، بل نهضت الشيعة فى بلد ذى طوائف متعدده كلبنان وكان للثوره فيها اصداء واسعه.

اما لماذا وكيف ان الثوره الإسلاميه تركت كل هذا التأثير على شيعة لبنان دون أهل السنه من سائر البلدان فهذه مسأله لاتعود بالضروره الى الافكار والتوجهات الإسلاميه الاصوليه، بل يتعلق بالآليات والوسائل التى استغلتها الشيعة طول التاريخ وتمكنت من خلالها انشاء نظام مستقل عن الهيكله السياسيه للحكوم، وتمكن هذا النظام المستقل من الوقوف بوجه الاستعمار واذنابهم وبوجه حكام الجور طيله قرن من الزمن، وهنا سوف نستعرض بنحو موجز تلك الآليات الرائجه فى مذهب أهل البيت عليهم السلام والتى تفتقدها مجتمعات أهل السنه.

١- تفسير خصوصيات وصفات الحاكم (اولى الامر)

ان الحاكم الإسلامى فى المجتمعات الإسلاميه من منظار الشيعة ليس مسلماً ومؤهلاً فقط بل ان العدالة من جمله الشروط والصفات اللازم توفرها فيه إذ لا ضروره تستدعى طاعه الحاكم غير العادل بل لابد من الخروج عليه، بينما يكتفى فقهاء أهل السنه والجماعه بشرط إسلامه وتسلطه على المجتمع قهراً عندها تكون اطاعته واجبه على جميع المسلمين. ومن الواضح انه بناء على هذه النظرية الفقهييه يكون من الصعب القيام على الحاكم الإسلامى ولو كان فاجراً مستبداً، ولهذا السبب فان النهضات الإسلاميه فى مجتمعات أهل السنه لم تفكر باطاحه هذا النوع من الحكومات بل واجهتها باسلوب إصلاحى.

٢- فتح باب الاجتهاد

كان - وما يزال - باب الاجتهاد مفتوحاً فى مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وقد تصدى الفقهاء الذين هم نواب صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف هدايه الشيعة وارشادهم، بينما أوصد باب

الاجتهاد فى مذهب أهل السنه والجماعه بعد ائمه المذاهب الاربعه وترك اتباع أهل السنه على حالهم.

ان الاجتهاد لدى مذهب أهل البيت عليهم السلام يمد يد العون لاتباعه من خلال الكشف عن أجوبه المسائل المستحدثه التى تصادفهم فى حياتهم العمليه عبر الرجوع الى فتاوى مراجع التقليد، كما ان الاجتهاد يقوم بتوطيد العلاقه بين زعماء الدين الذين يحظون بالمشروعيه اللازمه وبين اتباعهم، وهذا يتيح لهم بطبيعته الحال الحضور فى الانشطه السياسيه والاجتماعيه والوقوف بوجه حكام الجور.

٣- استقلال علماء الدين عن الدوله

يتمتع علماء الدين فى المذهب الشيعى باستقلال إقتصادى عن الدوله، هذه الشريحه من المجتمع يصرف لها من الوجوهات الشرعيه والنذورات وكذا الحال فى الحوزات العلميه، فى حين ان علماء أهل السنه ليست لديهم استقلاليه بل ان ائمه الجمعه والجماعه يتم تعيينهم من قبل الدوله، فكان من الطبيعى أن يرتبطوا بها ارتباطاً وثيقاً، هذه التبعية تشكل عائقاً كبيراً لعلماء أهل السنه لا تتيح لهم الانفصال عن النظام السياسى بسهوله ولا يتيسر لهم الحفاظ على مكانتهم الاجتماعيه وفى الوقت نفسه النهوض بوجه حكام الجور، بينما يرتبط علماء الشيعة بالشعب بروابط وثيقه ويعتبرون انفسهم جزءاً منه ويسيرون فى ركابه فى اطار الموازين الشرعيه والدينيه.

وبالتأكيد فان ذكر هذه العوائق لا يعنى أبداً غياب الثوره الإسلاميه وآثارها عن مذاهب أهل السنه ألا ان هذه المذاهب وبسبب فقدانها آليات المجتمع الشيعى نهجت منهجاً ثورياً واتخذت خطوات الثوره فى إيران، وعلى اى حال فآثار الثوره الإسلاميه التى تركتها على تلك المجتمعات تتلخص فى تعزيز المناهج الاصلاحيه، من خلال سعى الفئات الإسلاميه عبر الالتزام بالنظم السياسيه الرائجه الى بسط توجهاتها

الإسلاميه والامساك بزمام الحكم مع الحفاظ على النظام السياسى وهو الاسلوب الذى اتخذه الإسلاميون فى تركيه والجزائر.

وقد مهدت الحركات الاصلاحيه السبيل لتسلم الحكم خطوه خطوه من خلال الحضور الفعال فى انتخابات البلديات ومن ثم انتخابات المجلس، رغم ان هذا المنحى قد قمعه الجيش فى الجزائر بقسوه وعنف، وفى تركيه ومن خلال الالتزام بالقوانين تم الحيلولة دون وصول الإسلاميين الى الحكم ثلاث مرات، ومستقبل الدوله الحاليه التى تريد الحفاظ على مكانتها عبر إجراء تسويات مع النظام و مع الجيش العلمانى، غير معلوم، ومع ذلك لاشك ان الاتجاهات الإسلاميه تدين بالفضل الى الثوره الإسلاميه فى إيران، ويمكن القول بان تركيه، التى هى وريثه الخلافه العثمانيه، قنطره لنفوذ الإسلام السياسى الى البلقان والقوقاز، ولم يكن يتيسر ذلك إلا بسبب الجوار الجغرافى والمشاركات القوميه واللسانيه والمذهبيه.

وقد تزامن حمله صدام على إيران بقيام الجيش التركى بانقلاب عسكري، هذا التزامن يعزز هذه الفرضيه وهى أن استلام العسكر مقاليد الحكم فى تركيه هو جزء من استراتيجيه احتواء الثوره الإسلاميه، ومن هذا المنظار يمكن لحاظ القضايا السياسيه فى تركيه فى السنوات القادمه كخروج حزب الرفاه الإسلامى وحزب الفضيله ثم حزب العدالة والتنميه الذى يعتبر بدخوله المعترك السياسى نوعا من التحدى للنظام العلمانى فى تركيه، وهذا ناشئ بطبيعته الحال من الثوره الإسلاميه.

كما وصلت اصداء الثوره الإسلاميه الى شبه القاره الهنديه، وكانت افغانستان قنطره مهمه لانعكاس الثوره الى اسيا الوسطى، وفى العقد الاول للثوره تعرض هذا البلد للاحتلال السوفييتى (1)، وفى العقد الثانى شهد اضمحلال الاتحاد السوفييتى وظهور

ص: ٣٤٥

بلدان إسلاميه مستقله تركت التحولات الافغانيه واتجاهات الاحزاب والمجاهدين تاثيرا بالغاً عليها، انتهى أمدّه بعد ظهور طالبان على المسرح السياسى، وعقب تسعه اشهر على وقوع الانقلاب الشيوعى فى كابول انتصرت الثورة الإسلاميه فى إيران وخلفت تاثيراً بالغاً على مجريات الاحداث فى افغانستان على الصعيد الجهادى والسياسى، والى جانب التأثير المعنوى العميق كان لها تاثير كبير على المسيره الجهاديه للشعب الافغانى عبر اتخاذ أساليب الجهاد التى اعتمدها الشعب الايرانى فى الاطاحه بنظام الشاه.

وما الثورات الشعبيه فى مدن هرات (١٧ مارس ١٩٧٩ م) وكابول (١٩٧٩) ألا- نماذج اوليه ومهمه من الاساليب الجهاديه التى كانت للشعب المسلم فى إيران اسفرت عن تحول أساسى فى جهاد الشعب الافغانى، وكان شوسيا سفير المانيا الشرقيه آنذاك يعتقد بأن نفوذ إيران فى افغانستان لايجاريه نفوذ باكستان على حكومه كابول نظراً للنفوذ المذهبى الواسع الذى تتمتع به إيران على شيعه افغانستان وعلى المحافظات المتاخمه للحدود الايرانيه وعلى المحافظات المركزيه.

وابان الثورة الإسلاميه، تحرك الشعب الباكستانى تأسيساً بالثوره وقام العسكر بانقلاب عسكري بقيادة الجنرال ضياء الحق، ونادى بضروره احياء الإسلام ودفعه الى ذلك الموقف التحولات الاقليميه و احتواء الإسلاميين، ان القلق من النفوذ والتأثير الواسع والعميق للثوره الإسلاميه اسفر عن ردود فعل منها تأسيس سباه الصحابه واغتيال المسؤولين الايرانيين.

لقد كانت الثورة الإسلاميه فى إيران مصدر الهام لمسلمى جنوب شرق آسيا - بعد مضى سنوات طويله - قبل أن تكون نموذجاً اجتماعياً قابلاً للتكرار، و أدى ذلك الى فاعليه حركه الثورة الإسلاميه فى تلك المجتمعات.

ان انتصار الثورة الإسلاميه وانعكاسها فى وسائل الاعلام فى جنوب شرق اسيا اسفر عن تعزيز الشعور بالهويه الدينيه فى اوساط المسلمين ودفع عجله تجديد حياه الإسلام فى تلك المجتمعات نحو الإمام، ومن أبرز معالم ذلك تزايد الطلب على المشاركة فى المسائل العالميه للامه الإسلاميه فى مختلف شؤون المجتمع، ولكن سعت دول تلك البلدان الى نهج سياسه محافظه إزاء الثورة الإسلاميه.

(وفى هذا السياق بذل زعماء تلك الدول الوسع وطبقا لبعض الملاحظات الداخليه والخارجيه الى الحيلولة دون نشر وتعميق مفاهيم الثورة الإسلاميه فى مجتمعاتها مع الحفاظ على العلاقات الرسميه والسياسيه من قنوات مختلفه، مع انهم اضطروا فى مقاطع مختلفه الى إجراء إصلاحات وتعديلات على تلك السياسات والتي جرت النفع للمسلمين). (1)

ان ماليزيا بالرغم من اعارتها الاهتمام بالإسلام فى الحياه السياسيه الى جانب القوميه، لكنها لم تخف قلقها بشأن حركات إسلاميه، وعاده ما تتابع سفر زعماء الدين الى إيران بمزيد من الحيطه والحذر، هذه الدوله كانت قد اتهمت فرقه إسلاميه تدعى الارقم بانحرافها عن الإسلام وحظرت أنشطتها رغم ان ماهاتير محمد رئيس الوزراء السابق كانت له مواقف عدائيه من الغرب مستلهما ذلك من الثورة الإسلاميه.

اما اندونيسيا فانها علمانيه رغم ان غالبيه سكانها من المسلمين، وقد راج فى أوساط المسؤولين الحكوميين نوعاً من سوء الظن إزاء المسلمين، من هنا انتهجت الدوله سياسه فصل الدين عن الدوله ونوهت بتهديدات الاتجاهات الإسلاميه أو ما بات يعرف بالخشييه من الإسلام، ومع ذلك فقد شهدت سقوط دوله سوهارتو ومجئ الإسلاميين الى جانب العلمانيين فى العقدين الاخيرين.

ص: ٣٤٧

كما ان الثورة الإسلاميه تركت بصماتها على تايلندا، وما التظاهرات الحاشده التي اقيمت عام ١٩٩٠م بهدف انشاء مسجد كروزه التاريخى ألا نموذج على مدى التزام المسلمين بالهويه الإسلاميه، وقد نهجت تايلندا سياسه معتدله حيال إيران الثورة بالنظر الى سياساتها الداخليه.

وكانت للثوره الإسلاميه انعكاس على مسلمى افريقيا تمثل فى ظهور جبهه الانقاذ فى الجزائر مع ما لها من وجوه مشتركه تجمعها بالثوره الإسلاميه شكلا ومحتوى، مما زاد من ثقه المحققين والباحثين بطرح هذه الفرضيه وهى ان آثار الثورة الإسلاميه فى بعض البلدان كالعراق ولبنان مشهوده وفى بعض اخر ليست كذلك بل تم غرس بذور الثورة فى العقد الاول ثم أتت اكلها وترسخت فى العقد الثانى والثالث.

وفى مصر فقد أخذت مكانه الاخوان المسلمين تتزعزع ابان انتصار الثورة الإسلاميه وانفصلت عنها بعض الفئات وانضوت تحت لواء فئات جهاديه مسلحه، مما اسفر عن تقرب الاخوان من الحكومه المصريه، ومع اتساع الجهاد الثورى تحت لواء الإسلام كهدف ووسيله للنضال راحت بعض الحركات والمنظمات السياسيه والجهاديه السائره على خطى الشيوعيه أو القوميه أو الليبراليه تفقد جذابيتها وتأثيرها فاصابها التصدع والاضمحلال، كما ان بعض الحركات وبدوافع مختلفه نأت بنفسها عن الثورة الإسلاميه بل سلكت سبيل التنافر والانفصال عنها مثلما فعلت جماعه طالبان.

وفى العقد الثانى للثوره استلم عمر البشير زمام الحكم فى السودان واتخذ مواقف إسلاميه مشابهه لايران، والاخبار والمعلومات الواصله تؤكد على القبول العام للمجتمع السودانى للثوره الإسلاميه، وهذا الامر اصبح ذريعه لبلدان كمصر وامريكا للحديث عن مواصله تهديد صدور الثورة وتعرض مصالحهم للخطر، وتبرير الضغوط التي يمارسوها، وفى الوقت الحاضر فان الحزب الإسلامى فى السودان عانى انشقاهاً وتعرض الدكتور حسن الترابى الذى كان يرأس المجلس الى الانزواء، هذا البلد مازال

تحت الضغط الداخلي وساحه صراع لتحقيق الاهداف الإسلاميه والثوريه.

وهنا من الضروري الاشاره الى هذه النكته وهى ان هناك حالات استثناء فى مجتمعات أهل السنه، وهى مسلمو فلسطين المحتله، ولما لم يكن حكام بنى صهيون من المسلمين فعنوان اولى الامر - حتى فى تعبير أهل السنه - لا يطلق عليهم، لذلك فانعكاس الثورة الإسلاميه على مسلمى فلسطين كان متميزاً، ذلك انهم لم يسلكوا المناهج الاصلاحيه فحسب بل على العكس قد ابتعدوا عن التسويات وساروا فى طريق الجهاد المسلح.

وكانت إيران قبل الثورة الإسلاميه من الدول التى اعترفت رسمياً بالنظام الصهيونى، وبعد انتصار الثورة اصبحت مركزاً للجهاد ضد إسرائيل والقلب النابض للمقاومه الإسلاميه، ورفع الإمام الخمينى رحمه الله بشجاعه وعزيمه راسخه لواء الجهاد الذى نكسه قاده البلدان العربيه بعد امضاء اتفقيه كمب ديفيد وبذلك حال دون طمس الهويه الإسلاميه لنضال الشعب الفلسطينى.

وبهذا النحو تم اغلاق سفاره إسرائيل وافتتاح سفاره فلسطين، واطلق الإمام الخمينى رحمه الله على اخر جمعه من شهر رمضان المبارك بيوم القدس من أجل تعزيز انسجام الحركات الإسلاميه المدافعه عن الثورة الفلسطينيه، ورغم ان حماسه الشعب الفلسطينى الذى ناضل منذ سنوات طويله بأيد خاليه ضد الحملات الوحشيه للصهاينه لم تخمد، ألا ان الواقع هو دخول حركات جديده على مسرح جهاد الشعب الفلسطينى بعد الثورة الإسلاميه.

واقبل حشد هائل من الشباب على الإسلام وتزايد عديدهم فى مساجد الضفه الغربيه وقطاع غزه.

وحزب الله فلسطين من أبناء الثورة الإسلاميه اعلن عن وجوده رسمياً وهو فى معتقلات غزه ولم يدم طويلاً- حتى اندلعت الانتفاضه الإسلاميه والتي استلهمت

دروسها التاريخيه من الثورة الإسلاميه ووجدت في الاهداف الإسلاميه أفضل سبيل لانقاذ الشعب الفلسطينى.

والجهاد الإسلامى هو ابن الثورة الإسلاميه فى إيران بزعامه الشيخ عبد الكريم عوده وبالتعاون مع الشهيد الدكتور فتحى الشقاقى الذى كان معتقلا فى زنزانات إسرائيل حتى عام ١٩٨٨م، مسؤول الجناح العسكرى للجهاد الإسلامى، حيث استعرض الدكتور الشقاقى فى كتابه الخمينى البديل الإسلامى الذى نشره عام ١٩٨٩ آراءه السياسيه قائلاً: فى زمن انتصار الثورة الإسلاميه عانت صاف (منظمه التحرير الفلسطينيه) الى انشقاقات كثيره حتى اصبحت الماكينه المحركه للجهاد ضد إسرائيل معطوبه، وطراً على المقاومه تصدع وضعف، ودام هذا الوضع حتى انتصار الثورة الإسلاميه فى إيران فتغيرت موازين القوى لصالح القوى الإسلاميه، كما ان العالم العربى لم يكن بأحسن حالاً فقد استولى عليه ياس مفرط، تحول فيما بعد الى أمل ثابت بالنصر بعد الثورة.

ومن الفئات الاخرى التى أعلنت عن وجودها رسمياً وتمكنت من استقطاب الجماهير حولها هى حركه المقاومه الإسلاميه فى فلسطين (حماس)، ومما يجدر ذكره انها اتخذت منهج شيعه جنوب لبنان من خلال الالتزام بالعمليات الاستشهاديه التى ضيقت الخناق على المحتل الصهيونى وتمكنت من إخراجه من غزه.

ويمكن استخلاص أصداء الثورة الإسلاميه فى اوساط مجتمعات أهل السنه فى النقاط التاليه:

١- الصحوه الإسلاميه

على الرغم من ان الصحوه الإسلاميه تعود الى علماء أهل السنه قبل انتصار الثورة الإسلاميه، ألا ان اتساع نطاق هذه الصحوه مديون لانتصار الثورة الإسلاميه،

واصبح موضوع فصل الدين عن السياسة أمر مرفوض عند جميع المسلمين والعودة الى الإسلام أصل مقبول لا فى الحياه الفرديه والإجتماعيه فقط بل فى الحياه السياسيه ايضا.

٢- تعزيز روحيه مناهضه الاستكبار

فى هذا الصدد يمكن القول ان المقاومه التى أبدتها الثوره الإسلاميه إمام القوى الكبرى لاسيما أمريكا والتى اذقت الاستعمار والاستكبار طعم الحقاره تركت آثارها على المجتمعات الإسلاميه، حتى راجت روحيه مناهضه الاستكبار وامريكا فى العالم الإسلامى، وتم هذا الامر بفضل انعكاس الثوره الإسلاميه.

٣- إيجاد الشعور بالغرور

كان المسلمون فى الماضى وبسبب سلطه الغرب على المجتمعات الإسلاميه وسرعه التطور العلمى والتقى للغرب يساورهم الشعور بالحقاره والضعفه، مما حدا ببعضهم الى تناسى الماضى الإسلامى والتقليد الاعمى لاساليب الحياه الغربيه، ألا ان الثوره الإسلاميه ازاله هذا الشعور واصبح المسلمون يفتخرون بهويتهم الإسلاميه، ونلمس ذلك فى الاقبال الواسع للشباب الى المساجد والمجالس الدينيه، وأخذ الحجاب الإسلامى ينتشر فى صفوف النساء، ولم يعد من مظاهر التخلف فحسب بل اصبح مظهرا من مظاهر الافتخار والمقاومه والإسلام، حتى بلغ هذا الامر الى التزام النساء بحجابهن ولو كلف ذلك فصلهن عن الدراسه والعمل.

٤- المساجد مراكز الانشطه السياسيه

بعد انتصار الثوره الإسلاميه لم تعد الانشطه السياسيه تقتصر على الأحزاب والأماكن السياسيه بل اصبحت المساجد مراكز أساسيه للجهد والانشطه السياسيه، وكلما

واجهت الثورة ازمه سياسيه تقبل على المساجد وتخطط لنشاطها فى هذا المكان المقدس، ولهذا السبب نالت المساجد فى العالم الإسلامى بعد انتصار الثورة الإسلاميه رواجاً منقطع النظير وراح عددها يزداد يوماً بعد يوم، ولم تعد المساجد محل أداء الفرائض الدينيه فقط بل اصبحت مركز للنشاطات السياسيه والاجتماعيه.

٥- انتشار النهضات الإسلاميه التحرريه فى مجتمعات أهل السنه

لمسنا فيما سبق أثرين مهمين للنهضات التحرريه فى مجتمعات أهل السنه والجماعه، أحدهما النهضات التحرريه التى تشكلت على أساس الايديولوجيات غير الإسلاميه كالاشتراكيه والليبراليه والقوميه، التى فقدت مكانتها بين المسلمين خاصه الشباب، وفقدت اعتبارها واقتدارها الماضى كالقوميه العربيه والناصرية.

ثانيها النهضات الإسلاميه التحرريه والاصلاحيه كالاخوان المسلمين التى كانت تتمتع بمصداقيه فى الماضى ألا- انها عانت انشقاقات بسبب عدم قدرتها على الإجابة عن متطلبات مجتمعاتها خاصه متطلبات الشباب، وانسلخ عنها مجاميع جهاديه وثوريه مسلحه، تعمل فى الخفاء كالجهاد الإسلامى والتكفير والهجره فى مصر و جبهه الانقاذ الإسلامى فى الجزائر.

وتكمن اهميه البحث عن خصوصيات الثورة الإسلاميه وارتباطها بالنهضات التحرريه فى رغبه شعوب العالم الثالث الخاضعه لسلطه الاستعمار فى التعرف على الثورة الإسلاميه، وعلى ضوء الخصوصيات المعنويه للثوره الإسلاميه واجهت شعوب العالم الثالث هذه الحقيقه وهى إمكان انشاء نظام شعبى دون الاستعانه بالايديولوجيات الوارده، مما عزز الثقه بالنفس ومناهضه الاستعمار وهى من الآثار المهمه للثوره الإسلاميه، جلب المزيد من الدعم للحركات والنهضات الإسلاميه.

٦- السلوك الدينى

ان اقبال النساء على ارتداء الحجاب وغالبية الشعب على اداء الفرائض الدينيه كاقامه صلاه الجمعه والجماعه، وانتشار مجالس التعليم الدينى كتعليم تلاوه القرآن وتفسيره والحضور الواسع فى المجالس المذهبيه، من جمله الموارد التى أخذت بالانتشار بعد انتصار الثوره الإسلاميه.

٧- الحساسيه الإسلاميه

ان الاقبال على اطلاق الاسماء والعناوين الإسلاميه للاشخاص والمؤسسات والابتعاد عن الاسماء والعناوين الغربيه من جمله آثار الثوره الإسلاميه، حتى آثار حساسيه النظام البعثى فى العراق واضطر الى كتابه شعار الله أكبر على العلم العراقى.

٨- حمايه المقدسات الإسلاميه

قامت جميع البلدان الإسلاميه دعماً لفتوى الإمام رحمه الله فى حق سلمان رشدى المرتد وكتابه، بحظر انتشار هذا الكتاب وقامت تظاهرات حاشده فى أغلب البلدان كالهند وباكستان تنديداً بسلمان رشدى ومن يدعمه.

كما ادى دخول شارون المسجد الاقصى وتدنيسه الى استفزاز المسلمين وانطلاقه انتفاضه القدس التى ما تزال مستمره.

٩- المطالبات السياسيه

شكل زياده الطلب على إسلاميه القوانين وشؤون المجتمع واجبار الدول على تلبيه تلك المطالب فى أغلب الدول الإسلاميه باعتبارها مطالبات شعبيه، شكل تحدياً سافراً للانظمه العلمانيه.

ان دعم الشعور بالانتساب الى الامه الإسلاميه وابرار ردود الفعل إزاء التحولات الجارية في العالم الإسلامى والتظاهرات الواسعه عقب حمله أمريكا على افغانستان والعراق تنم عن الشعور العام المعادى لامريكا فى العالم الإسلامى.

ويمكن بجرأه التنبؤ بان حمله أمريكا على العالم الإسلامى وتأجيج حرب ظالمه على افغانستان والعراق، سوف تسفر عن طغيان وعصيان عارم فى العالم الإسلامى تحت لواء الإسلام عندها سوف لن يكون باستطاعه الدول السيطره عليها أو قمعها ولن تتمكن أمريكا والغرب من اخمادها، ان حمله أمريكا والغرب هى فى الحقيقه استمرار لسلطتها على العالم الإسلامى وثوراته النفطيه، وربما تسفر عن اتساع روح الجهاد والثورات الشعبيه، وفى الواقع فقد تحقق تنبؤ ارنولد توينبى فى المستقبل المنظور لما قال: (إذا ادى الوضع الحالى للبشر الى حرب عرقيه فمن الممكن ان يقوم الإسلام بايفاء دوره التاريخى مره اخرى). (١)

انفجار النور

وردت حول انتصار الثورة الإسلاميه وآثارها العالميه تعابير مختلفه على لسان الاخلاء والالداء مثل: البركان، والزلزله، والطوفان، والسييل، وتشير معظمها الى قدرتها التخريبيه، ولكن لاتعبر أجمل وأنسب وأقرب الى الواقع من تعبير الإمام الخمينى رحمه الله من ان ثورتنا كانت انفجاراً للنور، لان النور على اثر الانفجار:

يضىء باشعاعه فضاء واسعاً ويبدل الظلام نوراً.

يصل الى كل شرائح المجتمع بالسويه ولايعرف الفقير والغنى، وبحرارة يضىء

ص: ٣٥٤

الأمل فى قلوب المستضعفین والطبقات المحرومه.

یتیسر على ضوء تبديل الظلمات والجهل الى النور، تمييز الحق من الباطل.

یجلب القدره والبركه للمستضعفین والمحرومین كذلك یدخل الرعب والخوف فى قلوب المستكبرین.

یوقظ الراقدين بعد طول نوم ویدعوهم الى القيام والحركه.

كلما اقتربنا من مركز النور كلما كان اثره وحرارته أشد.

یذوب من كان فى بؤره ذلك النور حتى یتبدل الى نور ویصبح جزءاً منه.

یصل الجدال بین النور والظلمات، والوعى والجهل، والحق والباطل، یصل مرحله جدیده یتكون فیها النور رمزاً للحق والحقیقه ویخرج منتصراً على الظلمات مما یقرب مرحله الانتصار النهائى والقطعی.

ما دام هذا المركز فعلاً فسوف یواصل اشعاعه ویشتد أثره وسرعته.

لاشك إن الثوره الإسلامیه فى مطلع القرن الحادى والعشرين والالفیه المیلادیه الثالثه تركت آثاراً عمیقہ على العالم فى مختلف الجوانب كالجانب الثقافى والاجتماعى والسیاسى والعسكرى، بنحو إن القرن الحاضر وباعتراف أغلب المفكرین - شهد اضمحلالاً لسلطه الغرب فى الابعاد كافه، وطلوع فجر جدید یلعب فیہ الإسلام والمسلمون دوراً بارزاً.

ص: ۳۵۵

المصادر والمراجع

المصادر الفارسيه

۱. ابراهیمی، غلامحسین: بحران مشروعیت در عربستان سعودی، دانشکده روابط بین الملل، ۱۳۷۵.
۲. ابوالقاسمی، محمد جواد وحسین اردوش: ترکیه در یک نگاه، ۱۳۷۸.
۳. ابوعمرو، زیا: جنبش اسلامی در کرانه باختری و نوار غزه، مترجم حسن خامه یار.
۴. اپیکچی، محمد حسن: مقدمه ای بر گفتگوی ادیان در آفریقا، مجله مطالعات آفریقا، سال هفتم، شماره ۶، (پائیز و زمستان ۱۳۸۱).
۵. احمدیان، بهرام: شاخ آفریقا و امنیت ملی ایران، مطالعات آفریقا، سال هفتم، شماره ۶، (پائیز و زمستان ۱۳۸۱).
۶. آدامو، تاروک: ایران، روسیه و جمهوری های جنوبی شوروی سابق، گفتگو سال ۷۵، شماره ۱۲.
۷. اردلان راد، بهروز: حرکت های اسلامی در بحرین، دانشگاه تهران.
۸. استمپل جان دی: درون انقلاب ایران، ترجمه منوچهر شجاعی، تهران: مؤسسه خدمات فرهنگی رسا، ۱۳۷۸، (چاپ دوم).
۹. اسدزاده شیخ جانی، بختیار: بررسی علل تشکیل و عملکرد سازمان های همکاری اقتصادی RCD و ECO ، دانشکده روابط بین الملل.
۱۰. اسدی، مرتضی: جهان اسلام، جلد اول، مرکز نشر دانشگاهی، تهران، ۱۳۶۶.
۱۱. اسکاچوپل تدا: دولت ها و انقلابات اجتماعی.

۱۲. اسلامی ندوشن، محمد: فرهنگ و شبه فرهنگ، تهران، انتشارات یزدان، ۱۳۷۱.
۱۳. اسلامی، مسعود: ریشه یابی مواضع و عملکرد کویت در جنگ تحمیلی عراق علیه ایران، نشرهمراه، پائیز ۱۳۶۹.
۱۴. اسلامی، مسعود: ریشه یابی مواضع و عملکرد کویت در جنگ تحمیلی عراق علیه ایران، نشرهمراه، چاپ اول، ۱۳۴۲.
۱۵. اسلامی، هادی: پاکستان در جستجوی هویت مفقود شده، انتشارات نور، بی تا.
۱۶. اسماعیل نیا، محمود: «مسلمانان جنوب شرقی آسیا و انقلاب اسلامی»، اطلاعات، ۱۳۷۷/۴/۱۴.
۱۷. اصغری، محمد: دو برگ سبز، سفر به کانادا و آمریکا، تهران، کیهان، ۱۳۶۹.
۱۸. اطاعت، جواد: «جاذبه ژئوپلتیک ایران و رفتار ایالات متحده آمریکا»، فصلنامه ۱۵ خرداد.
۱۹. اطلاعات سیاسی و اقتصادی، سال نهم، شماره سوم و چهارم، آذر و دی ۱۳۷۳.
۲۰. آقائی، سید داوود: سیاست و حکومت در عربستان سعودی، نشر کتاب سیاسی، تهران، ۱۳۶۹.
۲۱. امام خمینی، ولایت فقیه، انتشارات کاوه، تهران، بی تا.
۲۲. امامی، محمد علی: بررسی تاریخی اختلافات مرزی ایران و عراق، بررسی روابط سیاسی سوریه و عراق در دهه ۱۹۸۰، دفتر مطالعات وزارت خارجه، تهران، ۱۳۷۴.
۲۳. امامی، محمد علی: بررسی روابط سیاسی سوریه و عراق، وزارت امور خارجه، تهران، ۱۳۷۴.
۲۴. امیدوار، احمد: حضرت امام خمینی رحمه الله و انقلاب اسلامی، روایتی جهانی، بی تا.
۲۵. امیر احمدی، بهرام: چشم انداز ژئوپلتیک شمال آفریقا، مطالعات آفریقا، تابستان ۷۴، شماره ۳.
۲۶. امیری، مجتبی: نظریه برخورد تمدن ها، هانتینگتون و منتقدانش، ترجمه و ویرایش مجتبی امیری، انتشارات دفتر مطالعات سیاسی و بین المللی، تهران، ۱۳۷۵.
۲۷. انصاری لاری، محمد ابراهیم: پیشینه سیاسی و فکری وهابیت، قم، بنیاد معارف اسلامی، ۱۳۶۹، ص ۶۰.
۲۸. انصاری، محمد جواد: ترکیه در جستجوی نقشی تازه در منطقه، بی تا.
۲۹. ایرانلو، علی: از جنگ جهانی دوم تا جنگ ایران و عراق، انتشارات بقیه الله، ۱۳۵۹.

۳۰. بابائی، علی اصغر: دولت و مذهب در عربستان سعودی، دانشکده روابط بین الملل، بی جا، ۱۳۷۳.
۳۱. بحران الجزایر، دیدگاه ها، بولتن ماهانه دفتر مطالعات سیاسی و بین المللی، شماره ۱۱۶، اسفند ۱۳۷۶.
۳۲. بخشایشی اردستانی، احمد: اصول سیاست خارجی، بی جا، بی تا.
۳۳. برونو، دوکریه: سازمان همکاری اقتصادی، ظهور جاده ابریشم بر روی ویرانه های جنگ سرد، مطالعات آسیای میانه و قفقاز، تابستان ۷۷.
۳۴. بشیریه، حسین: انقلاب و بسیج سیاسی؛ تهران، بی تا.
۳۵. بقیع: رژیم تونس رویارویی با فعالان اسلامی، بی جا، مرداد ۱۳۷۱.
۳۶. پاک آئین، محسن: سیاست و حکومت در آفریقا، تهران نقطه، ۱۳۷۷.
۳۷. پاکدامن، رضا: سازمان همکاری اقتصادی اکو، بی جا، بی تا.
۳۸. پوربناب، قهرمان: «تأثیر انقلاب اسلامی بر ترکیه»، مطالعات خاورمیانه، بی جا، بی تا.
۳۹. تشیع، مقاومت و انقلاب، مجموعه مقالات کنفرانس بین المللی تل آویو، مؤسسه پیشگام، بی جا، ۱۳۶۸.
۴۰. توین بی، آرنولد: تمدن در بوته آزمایش، ترجمه یعقوب آژند، تهران، مولی، ۱۳۶۲.
۴۱. جافی، جرج: «عوامل بالقوه همکاری بین ایران و مغرب»، ترجمه هوشنگ راسخی، مطالعات آفریقا، شماره ۳، ۱۳۷۴.
۴۲. جغرافیای کشورهای مسلمان، وزارت آموزش و پرورش.
۴۳. چالمرز، جانسون: تحول انقلابی، ترجمه حمید الیاسی، تهران، امیرکبیر، ۱۳۶۳.
۴۴. حجتی، علی: نگاهی به تاریخ جنگ های داخلی لبنان، تهران، انتشارات قم، ۱۳۶۴.
۴۵. حیدرزاده نائینی، محمدرضا: تعامل دین و دولت در ترکیه، بی جا، بی تا.
۴۶. حیدری، حسین: سیاست خارجی عربستان سعودی در جزیره العرب از جنگ جهانی اول تا تشکیل شورای همکاری خلیج فارس، ۱۳۶۹، دانشکده روابط بین الملل.
۴۷. حاجی، علی اصغر: اتحادیه مغرب عربی، مطالعات آفریقا، سال اول، شماره ۲، زمستان ۷۳.
۴۸. خمینی، امام روح الله: صحیفه نور.

۴۹. دانشیار، امیر اعتماد: جنگ افغانستان و شوروی عامل فروپاشی جهانی کمونیسم، انتشارات بهینه، بهار ۱۳۷۱.
۵۰. دفتر تنظیم و نشر آثار امام خمینی+، صدور انقلاب از منظر امام خمینی، تهران، ۱۳۷۴.
۵۱. دکمچیان، هرایر: جنبش های اسلامی معاصر در جهان عرب، ترجمه دکتر حمید احمدی، چاپ سوم، تهران.
۵۲. دم فوبالفل، گالجن اوف: امپراتوری طالبان از رؤیا تا واقعیت، ترجمان سیاسی، شماره ۲۲.
۵۳. دهشیری، محمدرضا: «انتفاضه دوم فلسطین، بازخوانی سناریوها»، فصلنامه مطالعات فلسطین، سال دوم، شماره ۱.
۵۴. دهقانی فیروز آبادی، سید جلال و سید محمد حسین هاشمی: اهمیت روابط فرهنگی ایران و مصر در عصر گفت و گوی تمدن ها.
۵۵. دووار، مانیرو: حزب الله مستقر می شود، ترجمه ک. فخرطاولی، ترجمان سیاسی، سال ششم، شماره ۱۵.
۵۶. ذوعلم، علی: جرعه جاری، سی مقاله پژوهشی پیرامون انقلاب اسلامی ایران، تهران، پژوهشکده فرهنگ و اندیشه اسلامی، ۱۳۷۷.
۵۷. رایت، رابین: شیعیان مبارزان راه خدا، ترجمه علی اندیشه، تهران، قومس، ۱۳۷۲.
۵۸. الرهیمی، عبد الحلیم: تاریخ حرکت اسلامی در عراق، ترجمه محمد نبی ابراهیمی، تهران، حوزه هنری سازمان تبلیغات اسلامی، چاپ اول، ۱۳۷۵.
۵۹. الزاکراکی، یعقوب: جامعه و فرهنگ آفریقا، شماره ۳۴، پاییز ۱۳۷۹.
۶۰. زرنگار ابرقوئی، حسن: بررسی سیر تحولات سازمان اکو و ابعاد جدید همکاری ها در آینده، دانشکده روابط بین الملل.
۶۱. زعفری، ابولفضل: اثرات انقلاب اسلامی ایران در تحول سیاست های داخلی و خارجی عربستان سعودی، تهران، دفتر مطالعات سیاسی و بین الملل ۱۳۷۶.
۶۲. زعیترا، اکرم: سرگذشت فلسطین، ترجمه هاشمی رفسنجانی، قم، بوستان کتاب، ۱۳۸۲.
۶۳. سایکون، روبرت: «الاسلام و الانتفاضه لفلسطینیه»، مجله الفتح، شماره ۷ و ۶ دسامبر ۱۹۸۸.
۶۴. سلیمانی، محمد باقر: بازیگران روند صلح خاورمیانه، انتشارات وزارت امور خارجه، ۱۳۷۹.
۶۵. سهلانی، محمدجواد: «بیداری اسلامی در ترکیه»، کیهان، ۱۳۶۹/۱/۲.

۶۶. سویزی، محسن: اهمیت ژئوپولیتیک عربستان سعودی در سیاست خاورمیانه ای آمریکا (پس از پیروزی انقلاب اسلامی)، دانشکده روابط بین الملل وزارت امور خارجه، ۱۳۷۴.
۶۷. سی گر، جان: افغانستان کلید قاره.
۶۸. سید قندیل، عباس: عوامل و موانع همکاری و روابط میان ایران و پاکستان، شهریور ۱۳۷۵.
۶۹. سیف زاده، حسین: عراق ساختارها و فرآیند گرایش های سیاسی، تهران، مرکز اسناد انقلاب اسلامی، چاپ اول، ۱۳۷۹.
۷۰. شعر دوست، علی اصغر: مسلمانان شوروی، نامه فرهنگ، سال اول، شماره ۲.
۷۱. الشقاقی، فتحی: انتفاضه و طرح اسلامی، بی تا.
۷۲. شهامتدار، علی اصغر: سیاست خارجی الجزایر (۷۸-۱۹۶۲)، دانشکده روابط بین الملل وزارت امور خارجه.
۷۳. شورای نویسندگان نهاد رهبری در دانشگاه ها، تاریخ سیاسی عراق، مؤسسه انتشاراتی نهضت جهانی اسلام، بی تا.
۷۴. شوکراس، ویلیام: آخرین سفر شاه، ترجمه عبدالرضا هوشنگ مهدوی، نشر البرز، ۱۳۶۹.
۷۵. شولاتور، پتر: ایران کانون زمین لرزه، ترجمه ضیاءالدین ضیائی، شرکت تعاونی ترجمه و نشر بین الملل، چاپ اول، ۱۳۶۳.
۷۶. شیخ الاسلام، حسن: بررسی تحولات شمال و شاخ آفریقا و جایگاه این منطقه در سیاست ما، مطالعات آفریقا، سال اول شماره ۳، تابستان ۷۴.
۷۷. شیرازی، ابوالحسن: ملیت های آسیای میانه، تهران، دفتر مطالعات سیاسی و بین المللی، ۱۳۷۰.
۷۸. صافی، قاسم: سفرنامه پاکستان، چاپ فرهنگ، تهران، ۱۳۶۶.
۷۹. صفری، محسن: ما اعتراف می کنیم، سازمان تبلیغات اسلامی حوزه هنری، تهران، ۱۳۷۰.
۸۰. طرزمی، زکریا: سنتهای دینی و اجتماعی مشترک، آشنا.
۸۱. طلوعی، محمود: از لنین تا گورباچف، انتشارات پاییز، ۷۰.
۸۲. الطیب، توفیق: الحل الاسلامی ما بعد النکبتین، قاهره، المختار الاسلامی، ۱۹۷۹.

۸۳. عاصف، حسین: تحریم ایران شکست یک سیاست، ترجمه محمد متقی نژاد، تهران، دفتر مطالعات سیاسی و بین‌المللی، ۱۳۸۰.
۸۴. علیزاده، ه-: فرهنگ سیاسی لبنان، نشر سفیر و کتاب سبز دفتر مطالعات وزارت خارجه، ۱۳۷۰.
۸۵. عمید زنجانی، عباسعلی: فقه سیاسی: نظام سیاسی رهبری در اسلام، تهران، سپهر، ۱۳۶۷.
۸۶. عنایت، حمید: اسلام و سوسیالیسم در مصر، انتشارات موج، تهران، ۱۳۵۰.
۸۷. غائبی، محمد رضا: علل اسلام‌گرایی در الجزایر.
۸۸. الغنوشی، راشد: حرکت اسلامی تونس، بولتن سیاسی وزارت امور خارجه، ۶۹/۹/۱۵.
۸۹. فراتی، عبدالوهاب: انقلاب اسلامی و بازتاب آن، تهران، زلال کوثر، چاپ اول، ۱۳۸۱.
۹۰. فراهانی منفرد، مهدی: مهاجرت علمای شیعه از جبل عامل به ایران در عصر صفوی، انتشارات امیر کبیر، چاپ اول، ۱۳۷۷.
۹۱. فرجی، عبدالرضا: کتاب سبز سوریه، وزارت امور خارجه.
۹۲. فوکو، میشل: ایران، روح یک جهان بی روح، ترجمه نیکو سرخوش و افشین جهان‌دیده، نشر نی، ۱۳۷۹.
۹۳. فوکو، میشل: ایرانی‌ها چه رؤیایی در سر دارند، ترجمه حسین معصومی همارانی، انتشارات هرس، ۱۳۷۷.
۹۴. قربان‌زاده آهنگری، محمد: نقش عربستان سعودی در منطقه خاورمیانه، دانشگاه امام صادق، ۱۳۶۹.
۹۵. قربان‌زاده آهنگری، محمد: نقش عربستان سعودی در منطقه خاورمیانه (پس از پیروزی انقلاب اسلامی)، دانشگاه امام صادق، ۱۳۶۹.
۹۶. قزلسلفی، محمدرضا: «توسعه فرهنگی و گسترش روابط با آفریقا»، جامعه و فرهنگ آفریقا، سال پنجم، شماره ۴۲، بهار ۱۳۸۱.
۹۷. کاپرت: «میراث پر ابهام آتاتورک»، صفحه اول، شماره ۴۳.
۹۸. کاراته آهنگری، نصرت‌الله: سیاست خارجی پادشاهی عربستان سعودی در قبال جمهوری اسلامی ایران در دهه ۸۰ دانشکده روابط بین‌الملل وزارت امور خارجه، ۱۳۷۲.

۹۹. کاکاتی، سیامک: «نقش ترکیه در منطقه خاورمیانه پس از جنگ سرد»، مطالعات خاورمیانه، سال ۷۶، دوره ۴، شماره ۴.
۱۰۰. کدی، نیکی: ریشه های انقلاب ایران، ترجمه دکتر عبدالرحیم گواهی، دفتر نشر فرهنگ اسلامی، ۱۳۷۵.
۱۰۱. کدیور جمیله: پشت پرده صلح.
۱۰۲. کدیور، جمیله: انتفاضه، حماسه مقاومت فلسطین.
۱۰۳. کدیور، جمیله: مصر از زاویه ای دیگر، انتشارات اطلاعات، تهران، ۱۳۷۳.
۱۰۴. کرباسچیان، غلامعباس: تقویم تاریخ انقلاب اسلامی ایران، نشر سروش.
۱۰۵. کریم، مارتین: فاجعه مکه یک فاجعه دیگر از تاریخ طولانی تنفر، بولتن دفتر مطالعات سیاسی و بین المللی، ۱۳۶۷.
۱۰۶. کوانت، ویلیام: روابط پنهانی ایالات متحده و عربستان سعودی، ترجمه همایون بهمن، اطلاعات سیاسی، اقتصادی، مرداد و شهریور ۱۳۷۶.
۱۰۷. کولایی، الهه: اتحاد جماهیر شوروی و انقلاب اسلامی ایران، تهران، مرکز اسناد انقلاب اسلامی، ۱۳۷۹.
۱۰۸. کوهن آلون، استانفورد: تئوری های انقلاب، ترجمه علی رضا طیب، جلد ۱، تهران، توسن، ۱۳۶۹.
۱۰۹. الگار، حامد: انقلاب اسلامی در ایران، ترجمه مرتضی اسعدی.
۱۱۰. گازیوروسکی، مارک. ج: سیاست خارجی آمریکا و شاه، ترجمه فریدون کاظمی، تهران، مرکز، ۱۳۷۱.
۱۱۱. گلی زواره، غلامرضا: سرزمین اسلام؛ شناخت کشورها و نواحی مسلمان، تهران، دفتر تبلیغات اسلامی، ۱۳۵۹.
۱۱۲. گلیونر درویشوند، حسن: پایان نامه ساختار حکومت و بحران مشروعیت در عربستان سعودی، دانشکده روابط بین الملل وزارت امور خارجه، ۱۳۷۶.
۱۱۳. لطیفی باکده، لطفعلی: بررسی علل ساختاری تعارضات منطقه ای در خلیج فارس، دانشگاه تهران، ۱۳۷۱.
۱۱۴. متقی، ابراهیم: «تاثیر انقلاب اسلامی»، مجله انقلاب اسلامی، ش ۱، سال اول، زمستان ۱۳۷۷.

۱۱۵. متقی، ابراهیم: تحولات سیاست خارجی آمریکا (۱۹۹۷ - ۱۹۴۵)، تهران، مرکز اسناد انقلاب اسلامی، ۱۳۷۶.
۱۱۶. متی الدین، کمال: «روابط پاکستان و ایران»، ماهنامه دیدگاهها و تحلیلها، شماره ۱۵۶.
۱۱۷. مجتهد زاده، پیروز: کشورها و مرزها در منطقه ژئوپلیتیک خلیج فارس، ترجمه حمید رضا ملک محمدی نوری، تهران، انتشارات وزارت امور خارجه، ۱۳۷۲.
۱۱۸. مجیدی، علی: کتاب سبز الجزایر، تهران، دفتر مطالعات سیاسی و بین المللی وزارت امور خارجه، ۱۳۷۵.
۱۱۹. محمدی، منوچهر: انقلاب اسلامی در مقایسه با انقلاب های فرانسه و روسیه، تهران، مولف، ۱۳۷۰.
۱۲۰. محمدی، منوچهر: تحلیلی بر انقلاب اسلامی، تهران، امیرکبیر، ۱۳۷۷.
۱۲۱. محمدی، منوچهر: سیاست خارجی ایران در جمهوری اسلامی ایران، اصول و مسائل، تهران، نشر دادگستر، ۱۳۷۷.
۱۲۲. محمدی، منوچهر: «نظم نوین جهانی»، فصل نامه دانشکده حقوق و علوم سیاسی، شماره ۲۸، آذر ماه ۱۳۷۱.
۱۲۳. مدیر شانه چی، محسن: انقلاب اسلامی ایران در دایره المعارف های جهان، تهران، انتشارات بین المللی الهدی، مرکز مطالعات فرهنگی - بین المللی سازمان فرهنگ و ارتباطات اسلامی، ۱۳۷۹.
۱۲۴. مزروعی، علی: ارتباط آفریقا با جهان اسلام، سخنرانی در دفتر مطالعات سیاسی و بین الملل، ۲ تیر ۱۳۷۲.
۱۲۵. مستوری کاشانی، ناصر: افغانستان دیپلماسی دو چهره، انتشارات تابش، ۱۳۷۱.
۱۲۶. مسعود، اسدالهی: از مقاومت تا پیروزی تاریخچه حزب الله لبنان، مؤسسه مطالعات و تحقیقات اندیشه سازان نور، ۱۳۷۹.
۱۲۷. مشکور، محمدجواد: فرهنگ فرق اسلامی، مشهد، آستان قدس رضوی، بنیاد پژوهش های اسلامی، ۱۳۶۸.
۱۲۸. مشیرزاده، حمیرا: انقلاب اسلامی از چشم انداز نظری، تهران.
۱۲۹. مطهری، مرتضی: پیرامون انقلاب اسلامی؛ تهران، صدرا.

۱۳۰. مقالات سمینار انقلاب اسلامی و ریشه های آن؛ قم، واحد تبلیغات و انتشارات، معاونت امور اساتید و دروس معارف اسلامی نهاد نمایندگی مقام معظم رهبری در دانشگاه ها، ۱۳۷۴.
۱۳۱. ملکوتیان، مصطفی: نظریه های انقلاب، فصلنامه دانشکده حقوق و علوم سیاسی، شماره ۳۳، بهمن ۱۳۷۳.
۱۳۲. ملکی، عباس: «اسلام در آسیای میانه و قفقاز، بررسی نقش ایران»، مطالعات آسیای میانه و قفقاز، بهار ۱۳۷۶، شماره ۱۷.
۱۳۳. منتظر لطف، مینا: «آشنایی با حرکت اسلامی شمال نینجریه و رهبری آن»، جامعه و فرهنگ آفریقا، شماره ۱۸، تیر ماه ۱۳۷۸.
۱۳۴. منتظمی، علی: پی آوردهای انقلاب اسلامی ایران در مصر، دفتر نشر سراجاز، ۱۳۵۹.
۱۳۵. منوچهری، عباس: نظریه های انقلاب، تهران، سمت، ۱۳۸۰.
۱۳۶. مهرنیا، سید کاظم، «تبلیغات مسیحیت در آفریقا»، جامعه و فرهنگ آفریقا، ترجمه نادر آزاد، سال پنجم، شماره ۲۶، اردیبهشت ۱۳۷۸.
۱۳۷. مواضع نهضت آزادی در برابر انقلاب اسلامی.
۱۳۸. مور، برینگتون: ریشه های اجتماعی دموکراسی و دیکتاتوری؛ نقش ارباب و رعیت در پیدایش جهان نو، ترجمه حسین بشیریه، تهران، نشر دانشگاهی، ۱۳۶۹.
۱۳۹. موسوی، سید جواد: علل تیرگی روابط ایران و مصر بعد از انقلاب اسلامی ایران، دانشگاه تهران، ۱۳۷۸.
۱۴۰. میرمحمد، حسین: «نسخ شناسی آرای خاورمیانه شناسان درباره انقلاب اسلامی»، ماهنامه اسلام و غرب، شماره ۳۰، اردیبهشت، ۱۳۷۸.
۱۴۱. نادمی، رضا: روابط سیاسی ایران و سوریه از پیروزی انقلاب اسلامی تا امروز، دانشکده روابط بین الملل، ۱۳۷۳.
۱۴۲. نجاتی، غلامرضا: تاریخ سیاسی بیست و پنج ساله ایران.
۱۴۳. نعیمی ارفع، بهمن: مبانی رفتار شورای همکاری خلیج فارس در قبال جمهوری اسلامی ایران، دفتر مطالعات سیاسی و بین المللی، ۱۳۷۰.
۱۴۴. نقیب زاده، احمد: تحولات بین الملل.

۱۴۵. نقیب زاده، احمد: نظریه های روابط بین الملل.

۱۴۶. نیکسون، ریچارد: فرصت را دریابیم، ترجمه حسین رضی نژاد، تهران، طرح نو، ۱۳۷۱.

۱۴۷. هانتر، شیرین: ایران، روسیه و جمهوری های جنوبی شوروی سابق، گفتگو سال ۷۵، شماره ۱۲.

۱۴۸. هانتینگتون، ساموئل: سامان سیاسی در جوامع دستخوش دگرگونی، ترجمه محسن ثلاثی، تهران، نشر علم، ۱۳۷۰.

۱۴۹. الهی، همایون: خلیج فارس و مسائل آن، شرکت آموزش فرهنگی و انتشاراتی اندیشه با همکاری نشر قوس، ۱۳۶۸، چاپ اول.

۱۵۰. الهی، همایون: ضرورت تداوم دفاع مقدس، تهران، وزارت ارشاد اسلامی، ۱۳۶۵.

۱۵۱. ورجاوند، پرویز: «بحران دیپلماسی ایران و پیامدهای آن»، اطلاعات سیاسی اقتصادی، شماره های ۱۲۳ و ۱۲۴.

۱۵۲. ولایتی، علی اکبر: «آمریکا طرحی نو»، مطالعات آفریقا، سال اول، شماره یک، تابستان ۱۳۷۳.

۱۵۳. ولایتی، علی اکبر: ایران و تحولات فلسطین.

۱۵۴. ویلی - جویس، ان: نهضت اسلامی شیعیان عراق، ترجمه مهوش غلامی، تهران، اطلاعات، چاپ اول، ۱۳۷۳.

المصادر الاجنبیه

۱. Bakhsh Shaul: The Reign of Ayatollah: Iran and the Islamic Revolution New York: basic Book (۲). Bearden Milton ، ۱۹۸۴

" Afghanistan " ، Graveyard of Empires ، Foreign Affairs ، Nov .Dec. ۲۰۰۱

۳. Brinton Crane: The Anatomy Of Revolution

، Bromberger Christian ، ۴. USA ، ۱۹۶۵ ، Vintage Books

" Revure del occident " " Islam et Rvolution en Iran ، quelques pistes pour une lecture " Musulman et De la Mediterranee ، N.۲۹ ، ۱۹۸۰

۵. Bruce, Maddy-Weitzman: The Islamic Challenge in North Africa- Middle East Review of International Affairs, Voll , No. ۲ July ۱۹۹۷

۶. Coloumbis Theodore A. and Veremis Thanaos

"(In Search of New Barbarians, Mediteranean Quarterly, Vo۱۵, Number ۱(Winter ۱۹۹۴"

Dekmejian R.H.: Fundamentalist Theories, Typologies and Trends, Middle East . ۷
.Review, vol xvII. No۴. Summer ۱۹۸۵

ص: ۳۶۶

.Iran and International Community " , London and New York "

.Esposito, Johan: The Iranian Revolution: Ten- Year Perspective ۹

.Esposito, John: Political Islam: Beyond the Green Menace, www.Mynet/msanew ۱۰

Esposito, John: The Iranian Revolution: Its Global Impact, Florida International . ۱۱
.University Press ۱۹۹۰

Fisher Michael: Iran From Religious Dispute to Revolution, Harvard University . ۱۲
.Press, USA, ۱۹۸۰

:(.Foran John (Ed ۱۳

.A Century of Revolution: Social Movement in Iran " , London, VCL press, Introduction "
:Fukuyama Francis ۱۴

The End of History and The Last Man " , New York, The Free Press. ۱۹۹۲. ۱۵. Hibard "
.S.W. : Islamic Activism and US, Foreign Policy, (United Stats Institution of People
.Press), ۱۹۹۷

:Hourcade Bernard ۱۶

Iran: revolution islamique ou tiers- mondiste " , Herodote. ۳۶ . Janvier – Mars ۱۹۸۵. ۱۷. "
:Huntington Samuel P

The Clash of Civilizations " , Foreign Affairs, (Summer ۱۹۹۳). ۱۸. Huntington Samuel P: "
.(American Changing Strategic Interests Survival ۳۳ (Jan–Fed ۱۹۹۱

Huntington Samuel P.: Political Order In Changing Society, Yale University Press, . ۱۹
.۱۹۶۹

Indikt Adam and Aischer Tzvi: Wolf Among Asia,s Tigers / ۱ March ۲۱ – March ۱۹۹۷, .۲۰
P . ۱۱m ۱۲

.Kamrava Mehran: Revolution in Iran : the Roots of Turmoil .٢١

Kazemi Farhad: Poverty and Revolution in Iran: the Migrant Poor, Urban . ٢٢
.Marginality, and Politics (New York: New York University Press, ١٩٨٠.

:Q- Majul-c .٢٣

The Iranian Revolution and the Muslims in The Philippines " , ٢٥٩. ٢٤. Rallyin Support "
of Imam Khomein,s Fatwa held in the Philippine,s

Mahjubab Magazine March ١٩٨٩. ٢٥. Rosen Barry (ed) ١٩٨٨: Iran, Since the Revolution: "
Internal Dynamics, Regional Conflicts and the Super powers,New York, Brooklyn
.College

.(Rubenstein E.Richard and Jarl Crocker: Foreign Policy No. ٧٩, (Fall ٢٤٥-٤-١٩٩٤ .٢٤

:Skocopol, Theda .٢٧

Society , USA رحمه الله Rentier State and Shia Islam in the Iranian Revolution , Theory "
.١٩٨٢, Vol II , No.٣

ص:٣٤٧

.Skocpol Theda: States and Social Revolution, Cambridge University Press, ١٩٨٠ .٢٨

:Tilly Charles .٢٩

From Mobilization to Revolution " (Addison-Wesley Publishing Company Inc . ١٩٧٨). "

٣٠ . Vanes Martin: Creating an Islamic State: Khomeini and The Making New Iran, New
.York ٢٠٠٠

Zonis Marvin: Majestic Failure, the Fall of the Shah, Chicago, The University of .٣١
.Chicago Press, ١٩٩١

ص:٣٤٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

